أول كتاب يعرض
أحداث القيامة بالصور

العالم الأخير

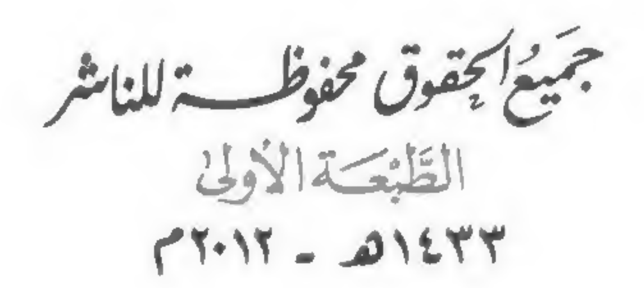
أحداث القيامة الصغرى والكبرى وما بعدها بالصور والتوضيحات من القرآن والسنة الصحيحة

د. محمد بن عبد الرحمن العريفي
أستاذ بجامعة الملك سعود بالرياض
دكتوراه في العقيدة ومقارنة الأديان

دار التدمرية

بسم الله الرحمن الرحيم

العام الأخير



ⓒ دار التدمرية للنشر والتوزيع، ١٤٣٢هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

العريفي، محمد عبدالرحمن

العالم الآخير أحداث القيامة الصغرى والكبرى وما بعده. / محمد عبدالرحمن العريفي – الرياض، ١٤٣٢هـ

٥٧٦ص؛ ..سم..

ردمك: ١-٢-٩٠٢٢١-٦٠٣-٩٧٨

١ ـ القيامة، ٢ – الجنة والنار ٣ ـ الديانات المقارنة: أ ـ العنوان

ديوي ٢٤٣ ١٤٣٢/١٠٦٥٩

رقم الإيداع: ١٤٣٢/١٠٦٥٩

ردمك: ١-٢-٩٠٢٢١-٦٠٣-٩٧٨



الرياض ـ ص.ب: ٢٦١٧٣ ـ الرمز البريدي: ١١٤٨٦

هاتف: ٤٩٢٤٧٠٦ ـ ٤٩٢٥١٩٢ ـ فاكس: ٤٩٣٧١٣٠

Email: TADMORIA@HOTMAIL.COM

المملكة العربية السعودية



قصة..

اتصل بي مرارًا.. كنت مزحومًا فتأخرت في إجابة اتصاله.. جعل يُرسل الرسائل تِباعًا على هاتفي..

اتصلت به.. كان هادئًا.. لكن نَبرته بدت حزينة جدًا..

قال لي بهدوء: يا شيخ.. أين نذهب بعد الموت..!!

قلت: عجبًا!! نموت.. ثم نُبعث.. ونُحشر.. ونلقى الله تعالى.. و...

فقاطعني.. وقال باضطراب: لا أُصدِّق!!.. لا أُصدِّق!!



أدركت من أسلوبه أنه شاب ابتُلي بقراءة كتب أو مقالات.. أو دخل مواقع في الإنترنت لبَّسَت عليه.. أو ربما ناقش أشخاصًا مُلحِدين.. وهو خالي الوِفاض من العلم والحُجة.. فغلبوه..

قُلت: ولَدِي.. لماذا لا تُصدِّق؟

قال: يا شيخ!!.. دخلت مواقع تتحدث عن الحياة الدنيا والآخرة.. تناقشت مع أشخاص.. فكرت فيما تربيت ونشأت عليه من عقيدة.. جنة.. نار.. صِراط.. حِساب.. عِقاب.. ما هذا؟

قُلت: ولَدِي!! هوِّن على نفسك.. ولا تناقش في أمر إلا وأنت على علم به.. ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ﴾ [الإسراء: ٣٦]..

كل من تكلم في فن لا يُحسنه اضطرب والتبست عليه الأمور.. وصار عُرضة لمن أراد أن يُغويه أو يُفسد تفكيره..

ولَدِي.. عقيدة التوحيد والإيمان.. هي أصل خُلُقنا.. ولا ترتاح النفوس إلا بها.. لذا تجد أن الذين يدخلون في الإسلام يزيدون ولا ينقصون.. وفيهم أساتذة جامعات وكبار مخترعين وسفراء ووزراء.. فضلاً عن غيرهم..

ما الذي جَرّ هؤلاء ليدخلوا في دين يعتقدون فيه بجنة ونار وحساب وعقاب؟! مِن غير أن يُكرِههم أحد عليه! أو يُغريهم بمكافأة إذا دخلوا فيه!

إنه التوحيد والفِطرة.. إنه سكينة النَّفْس، وراحة الرُّوح، وطُمأنينة القلب..

خلقنا الله تعالى من نفس واحدة، من أبينا آدم، ثم خَلَق أُمَّنا حواء، ثم انتشر الخلق منهما.. نُعمِّر هذه الدنيا، ونُحسِن إلى الناس، ونعيش حياتنا في سرور وسعادة.. ثم نموت.. فنُبعث بعدها.. ونُحاسب.. وعلى هذا أدلة عقلية، ونقلية، و...

كان صاحبي يُنصِت باهتمام.. حتى إني لشدة هدوئه ظننته قد أقفل الاتصال! فكنت أُناديه بين الفَينة والأُخرى، أنت معي؟ صحيح؟..

وهو يُتابع بهدوووووء.. واستغراق في التفكير..



أدركـت أنـه يحتـاج هـو وغـيره إلى كتاب يتحدث عن الآخرة، يُكتب بأسلوب عصـري.. فشـرعت في تأليف هـذا الكتاب الذي بين يديك (العـالم الأخـير)..

أسـأل الله تعـالى أن يَنْفَـع بـه ويجعله خالصًا لوجهه الكريم.. آمين..[1]

كتبه/

د. محمد بن عبد الرحمن العريفي

دكتوراه في العقيدة والمذاهب المعاصرة
الأستاذ بجامعة الملك سعود بالرياض
عضو الاتحاد العالمي لعلماء المسلمين
عضو الهيئة العليا للإعلام الإسلامي
عضو الهيئة العليا للتنمية البشرية

الرياض ٩ ذو الحجة ١٤٣٢هـ
الموافق ٥ نوفمبر ٢٠١١م

(١) هذا الكتاب «العـالـم الأخـيـر» يمكن اعتباره المُكمِّل لكتابي «نـهـايـة الـعـالـم» الذي تحدثت فيه عن أشراط وعلامات الساعة ونهاية العالم الدُنيوي.

لماذا.. العالم الأخير؟

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين.. وعلى آله الطيبين.. وأصحابه الغُرّ المَيامين.. ومن تَبِعهم بإحسان إلى يوم الدين..

وبعد..



اتفقتْ جميع الرسالات على أن الناس يموتون ويُبعثون ليوم يُجازون فيه على أعمالهم، فالظالم يُجازى على ظلمه.. والمحسن يُكافأ على إحسانه.. فليست الحياة الدنيا نهاية المطاف..

قال تعالى: ﴿ أَمْ نَجْعَلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَٱلْمُفْسِدِينَ فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ ٱلْمُتَّقِينَ كَٱلْفُجَّارِ ﴾ [ص: ٢٨]..

وقال: ﴿ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّى لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ ۚ وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴾ [التغابن: ٧]..

والإيمان باليوم الآخِر.. رُكن من أركان الإيمان، ومَن كذّب بالبعث والحساب.. فهو كافر بالله العظيم..

كما قال تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ كَٰفِرُونَ ﴾ [الأعراف: ٤٥].

- فما معنى الإيمان بالآخرة؟
- وما هو الموت؟
- وماذا يحصل في القبر؟
- وما الحوض؟ وما الميزان؟
- وما الصِّراط؟ وما الصُحُف؟
- وما صفة الجنة والنار؟
- وما أعاجيب الآخرة؟.. وما أحوال الناس فيها؟..
- ومتى نرى ربنا في الآخرة؟..

تعال في رحلة إلى العالم الآخَـر..



لماذا الإيمان باليوم الآخر؟

قضى الله تعالى أن يكون بعد الحياة الدنيا حياة آخرة، أخبرنا بأحداثها، ووعظنا بخبرها، وأوجب علينا الإيمان بها، والاستعداد لها.

فتذكُّر اليوم الآخِر يحث على عمل الصالحات، والمبادرة لفعل الخيرات، ويطرد القلق والاكتئاب عن الإنسان، ويُجنِّبه الوقوع في الظلم، والتسلُّط على الضعفاء.

كما قال تعالى: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ﴾ [الأنبياء: ٤٧]..

وقال تعالى: ﴿وَعَنَتِ ٱلْوُجُوهُ لِلْحَىِّ ٱلْقَيُّومِ ۖ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا﴾ [طه: ١١١]..

وقال ﷺ: «من كانت له مَظْلَمة لأحد من عِرْضه أو شيء فليَتحلَّله منه اليوم، قبل أن لا يكون دينار ولا درهم، إن كان له عمل صالح أُخِذ منه بقدْر مظلمته، وإن لم تكن له حسنات أُخِذ من سيئات صاحبه فحُمِل عليه»[١].

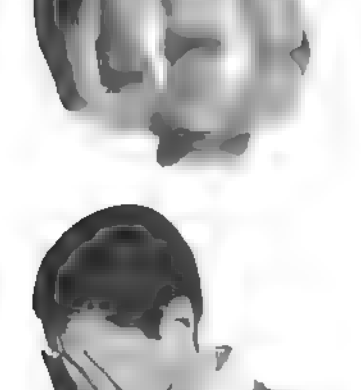
---

(١) أخرجه البخاري، ومن رحمة الله تعالى بالناس.. أنه يصلح بين المتخاصمين.. ليعفو عن الظالم ويرضي المظلوم..

عن أبي هريرة ﷺ قال: بينما رسول الله ﷺ ذات يوم جالس إذ رأيته ضحك حتى بدت ثناياه، فقيل له: مم تضحك يا رسول الله؟ قال: رجلان من أمتي جَثَيا بين يدي ربي ﷻ فقال أحدهما: يا رب خذ لي مظلمتي من أخي. فقال الله تعالى: أعطِ أخاك مظلمته. فقال: يا رب ما بقي من حسناتي شيء! فقال: يا رب، فليحمل من أوزاري. وفاضت عينا رسول الله ﷺ، ثم قال: إن ذلك اليوم ليوم يحتاج الناس فيه إلى أن تُحمَل عنهم أوزارهم.

ثم قال الله تعالى للطالب حقه: ارفع بصرك. فرفع رأسه فقال: يا رب أرى مَدائن من ذهب! و قصورا من ذهب! مُكَلَّلة باللؤلؤ! لأي نبي هذا؟ أو لأي صِدِّيق هذا؟ أو لأي شهيد هذا؟ فقال: لمن أعطاني ثمنه. قال:

والإيمان بالآخرة يمنع من الفساد والإلحاد، أما الكافر باليوم الآخِر فلا يَرتَدِع عن قبيح ولا منكر، كما قال تعالى: ﴿وَإِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْأَخِرَةِ عَنِ ٱلصِّرَٰطِ لَنَٰكِبُونَ﴾ [المؤمنون: ٧٤].



والإيمان باليوم الآخر يُحسِّن أخلاق الإنسان، ويُصبِّره على المصائب، ولا يتحسر على ما فاته من الدنيا لِعلْمه أن ثوابه الأعظم في الآخرة، كما قال ﷺ: « ما من مصيبة تُصيب المسلم إلا كفَّر الله بها عنه، حتى الشوكة يُشاكها »(١).

والإيمان باليوم الآخر يجعل المرء يعترف بجريمته، ويطلب تطهيره منها.

وقد كان الصحابة الكرام قدوة في محاسبة النَّفْس وتطهيرها.



قصة:

ماعِز بن مالِك رضي الله عنه.. كان رجلًا من الصحابة.. وَسْوَس له الشيطان يومًا.. وأَغْراه بجارية لرجل من الأنصار.. فخَلا بها عن أعين الناس.. وكان الشيطان ثالثهما.. فلم يزل يُزَيِّن كلًّا منهما لصاحبه حتى زَنَيا..

ومن يملك ثمن ذلك؟! قال: أنت. قال: بِم إذًا؟ قال: بعفوك عن أخيك. قال: يا رب فإني قد عفوت عنه. قال: خذ بيد أخيك فأدخله الجنة.

ثم قال رسول الله ﷺ: فاتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم، فإن الله يصلح بين المؤمنين يوم القيامة.

(١) أخرجه البخاري برقم (٥٦٤٠).

فلما فرغ ماعز من جُزمه.. تَخلَّى عنه الشيطان.. فبكى وحاسب نفسه.. ولامها.. وخاف من عذاب الله.. وضاقت عليه حياته.. وأحاطت به خطيئته.. حتى أحرق الذَّنب قلبَه.. فجاء إلى طبيب القلوب.. ووقف بين يديه وصاح من حرّ ما يَجِد وقال:

يا رسول الله.. ان الأبعد قد زنى.. فطهَّرني.. **فأعرض عنه النبي ﷺ.. فجاء من شِقِّه الآخَر فقال:** يا رسول الله.. زنيت.. فطهرني.. **فقال ﷺ:** ويحك ارجع فاستغفر الله وتب إليه..

فرجع غير بعيد.. فلم يُطِق صبرًا.. فعاد إلى النبي ﷺ وقال: يا رسول الله طهرني.. **فقال ﷺ:** ويحك.. ارجع فاستغفر الله وتب إليه..

فرجع غير بعيد.. ثم جاء فقال: يا رسول الله طهرني.. **فصاح به النبي ﷺ.. وقال:** ويلك.. وما يدريك ما الزنا؟ **ثم أمر به فطُرِد.. وأُخرِج..**

ثم أتاه الثانية، فقال: يا رسول الله، زنيت.. فطهرني.. **فقال ﷺ:** ويلك وما يدريك ما الزنا؟.. **وأمر به.. فطُرِد.. وأُخرِج..**

ثم أتاه الثالثة.. والرابعة كذلك.. فلما أكثر عليه.. سأل رسول الله ﷺ قومه: أبه جنون؟ **قالوا: يا رسول الله.. ما علمنا به بأسًا.. فقال:** أشرب خمرًا. **فقام رجل فاستَنْكَهَه وشمَّه فلم يجد منه ريح خمر.. فقال ﷺ:** هل تدري ما الزنا؟ **قال:** نعم.. أتيت من امرأة حرامًا، مثل ما يأتي الرجل من امرأته حلالا.. **فقال ﷺ:** فما تريد بهذا القول؟ **قال:** أريد أن تطهرني.. **قال ﷺ:** نعم.. **فأمر به أن يُرجم.. فرُجم حتى مات..**

فلما صلُّوا عليه ودفنوه مرَّ النبي ﷺ على موضعه مع بعض أصحابه.. فسمع النبي ﷺ رجلين من أصحابه يقول أحدهما لصاحبه: انظر إلى هذا.. الذي ستر الله عليه ولم تدعه نفسه حتى رُجم رَجم الكلاب..

فسكت النبي ﷺ ثم سار ساعة.. حتى مر بجِيفَة حمار.. قد أحرقته الشمس حتى انتفخ وارتفعت رِجلاه..

فقال ﷺ: أين فلان وفلان؟ **قالا: نحن ذانِ.. يا رسول الله..قال:** انزلا.. فكُلا من جيفة هذا الحمار.. **قالا: يا نبي الله!! غفر الله لـك.. من يأكل من هذا؟ فقال ﷺ:** ما نلتما من عرض أخيكما آنفاً أشد من أكل الميتة.. لقد تاب توبة لو قُسِمت بين أمة لوسعتهم. والذي نفسي بيده إنه الآن لفي أنهار الجنة ينغمس فيها..

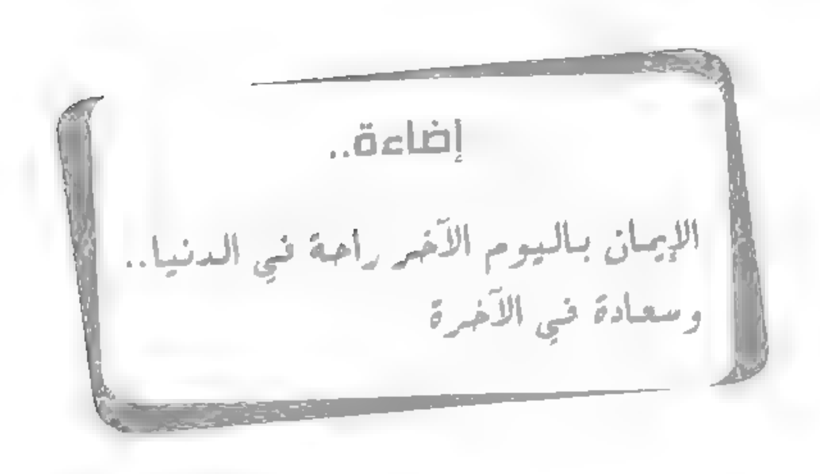
فطُوبـى لماعِز بـن مالِك.. نعم وقع في الزنا.. وهتَك السـتر الذي بينه وبين ربه.. فلما فرغ من معصيته.. ذهبت اللذات.. وبقيت الحَسَرات.. لكنه تاب توبة لو قُسِّمت بين أمة لوسِعتهم..

وأخيرًا:



الإيمانُ بالله واليوم الآخر، يجعل الإنسان يُحافظ على الأمانة ويمنعه من الرِياء، كما قال تعالى:

﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا ٱللَّهَ فَعَسَىٰٓ أُو۟لَـٰٓئِكَ أَن يَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ﴾ (التوبة: ١٨).



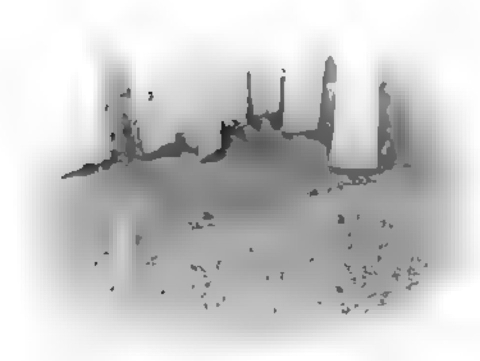
إضاءة..

الإيمان باليوم الآخر راحة في الدنيا.. وسعادة في الآخرة

القيامة ..

اسم القيامة يُطلق على شيئين، أحدهما يقع أمامنا كثيرًا ونراه، والثاني يقع مرة واحدة، يَفزع له جميع الخلائق، فالقيامة قيامتان، قيامة صُغرى وقيامة كُبرى..

القيامة الصغرى:



وهي قيامة خاصة، فإذا مات العبد فإن قيامته وساعته قامت، كما قال المُغِيرة بن شُعْبَة: يقولون: القيامة.. القيامة، وإنَّما قيامة أحدهم موته.

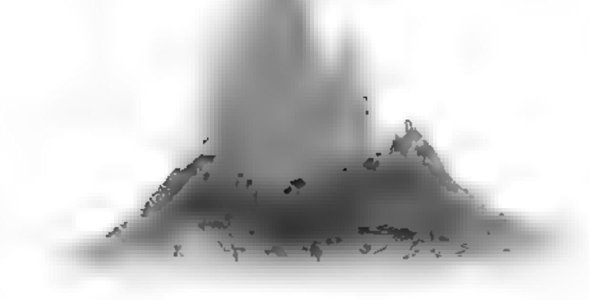
والقيامة الصغرى هي المذكورة في حديث عائشة رضي الله عنها لما قالت:

« كان رجالٌ من الأعراب جُفاةً يأتون النبي ﷺ فيسألونه: متى الساعة؟ فكان ينظر إلى أصغرهم فيقول: إن يعش هذا لا يُدرِكه الهرم حتى تقوم عليكم ساعتكم »[1].

يعني يأتيكم الموت جميعًا قبل أن يكبر هذا الصغير.. فهذا الصغير هو آخركم موتًا..

(١) متفق عليه.

۞ القيامة الكبرى:



وهي القيامة العامة، وبها تَفنى الحياة على الأرض، ويبعث الله الخلائق للجزاء والحساب، والجنة والنار..

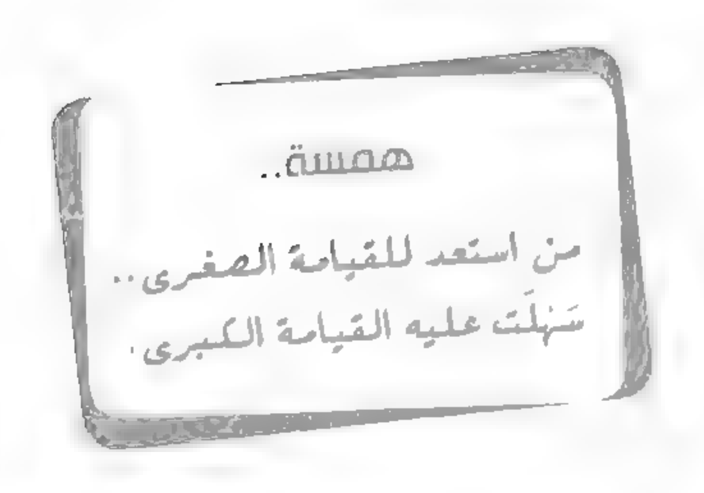
وقد ذكر الله تعالى القيامتين: الصغرى، والكبرى، في قوله تعالى:

﴿ ثُمَّ أَمَاتَهُۥ فَأَقْبَرَهُۥ (٢١) ثُمَّ إِذَا شَآءَ أَنشَرَهُۥ ﴾ [عبس: ٢١ - ٢٢].

﴿ أَمَاتَهُۥ ﴾ القيامة الصغرى.

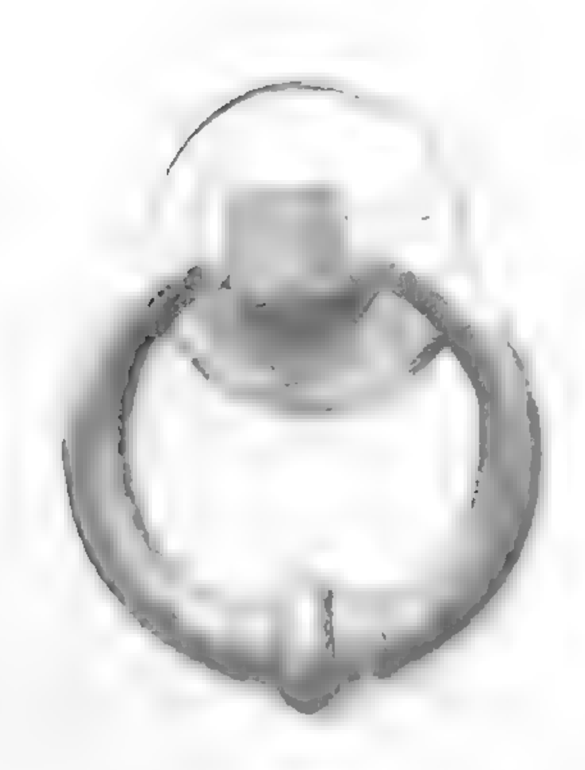
﴿ أَنشَرَهُۥ ﴾ هو البَعث والنُشُور للقيامة الكبرى.

وسنبدأ الحديث عن القيامة الصغرى.. الموت.



البداية

القيامة الصغرى





القيامة الصغرى هي الموت ومُفارقة الرُّوح الجسد، وهي تُصيب كل الخلائق.. وللخلائق في ذلك أخبار وأسرار، ومواعظ في الاحتِضار..

- فما أحوال الناس عند القيامة الصغرى؟
- وما قصص المحتضرين؟
- وما علامات حُسن الخاتِمة وسُوئها؟
- وما حقيقة الرُّوح؟

إنه الموت



ذُكِـر أن وزيرًا جليل القَدْر..
كان عند داود عليه السلام..

فلما مـات داود.. صـار وزيرًا
عند سليمان بن داود..

فكان سـليمان عليه السلام يومًا.. جالسًـا في مجلسـه في الضُّحَـى.. وعنده هذا الوزير.. فدخل عليه رجل يُسلِّم عليه.. وجعل هذا الرجل يُحادِث سليمان.. ويُحِدّ النظر إلى هذا الوزير.. ففَزِع الوزير منه..

فلما خرج الرجل.. قام الوزير وسأل سليمان.. وقال: يا نبي الله! من هذا الرجل.. الذي خرج من عندك؟.. قد والله افزعني مَنظره؟ **فقال سليمان عليه السلام:** هـذا مَلَك الموت.. يتصوّر بصورة رجـل.. ويدخل عليّ.. **ففزع الوزير.. وبكى.. وقـال:** يا نبي الله.. أسـألك بالله.. ان تأمر الريـح فتحملني إلى أبعد مكان.. إلى الهند..**فأمر سليمان الريح فحملته..**

فلما كان من الغد.. دخل ملك الموت عليه السلام على سليمان عليه السلام يُسلِّم عليه كمـا كان يفعل.. فقال له سـليمان عليه السلام: قد أفزعـت صاحبي بالأمس.. فلماذا كنت تُحِدّ النظر إليه؟

فقـال ملك الموت عليه السلام: يا نـبي الله.. إني دخلت عليـك في الضحى.. وقد آمرنـي الله أن أقبـض روحـه بعد الظهـر في الهنـد فعجبت أنـه عندك.. **قال سـليمان عليه السلام:** فمـاذا فعلت؟ **فقـال ملك الموت عليه السلام:** ذهبـت إلى المكان الذي آمرني بقبض روحه فيه.. فوجدته ينتظرني.. فقبضت روحه..



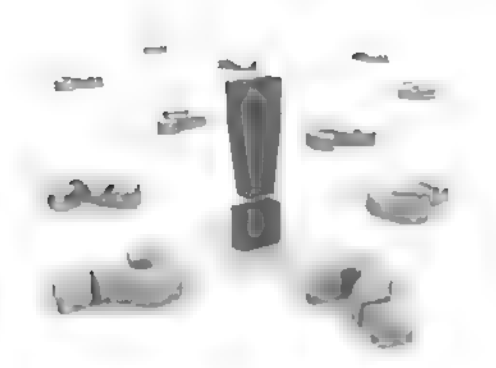
نعم.. أعظم تحدٍّ تحدى الله به الناس أجمعين:

﴿ قُلْ إِنَّ ٱلْمَوْتَ ٱلَّذِى تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُۥ مُلَـٰقِيكُمْ ۖ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَـٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَـٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ [الجمعة: ٨]..

الملوك والأمـراء.. والحُجّـاب والـوزراء.. والشُّـرَفاء والوُضَعـاء.. والأغنياء والفقراء.. بـل الملائكة العِظام.. والجن والشـياطين.. والحيوانـات والطيور.. كلهم عجزوا أن يَثْبَتوا أمام هذا التحدي الإلهي..

﴿ قُلْ فَٱدْرَءُواْ عَنْ أَنفُسِكُمُ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴾ [آل عمران: ١٦٨]..

﴿ أَيْنَمَا تَكُونُواْ يُدْرِككُّمُ ٱلْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِى بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ ﴾ [النساء: ٧٨]..



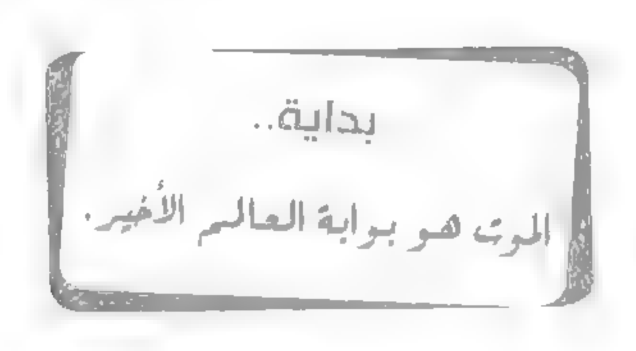
أين الجنود؟ أين المُلْك؟ أين الجاه؟

أين الأكاسِرة؟ أين القَياصِرة؟

أين الزعماء؟ والتجار؟ بل أين الأطباء؟

أتى على الكلِّ أمرٌ لا مردَّ لهُ ... حتى قضوا فكأنَّ القوم ما كانوا

وصار ما كان من مُلكٍ ومن مَلِكٍ ... كما حكى عن خيال الطَّيفِ وسْنانُ



مَشاهِد الاحْتِضار

مشـهد الاحتضار وخروج الرُّوح.. عجيب.. وهو ينزل بكل المخلوقات..

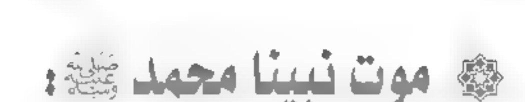
فأيُّ عَيْشٍ صَفا وما كَدَّره الموت؟

وأيُّ قَدَمٍ سَعَت وما عَثَّرها الموت؟

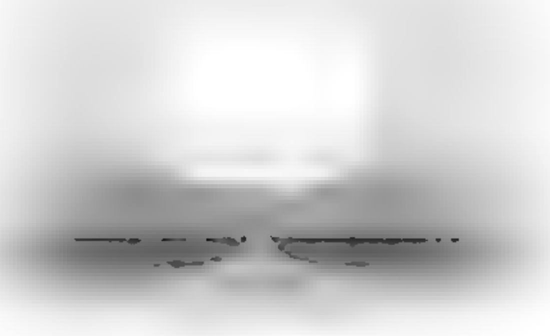
أمَا أَخذ الآباء والأجداد؟ أما سَـلَب الحبيب وقَطَع الوِداد؟

أما أَرمل النِسْوان.. ويَتَّم الأولاد؟

وللناس عند الاحتضار وخروج الروح عجائب..



موت نبينا محمد ﷺ :



بعدما رجع النـبي ﷺ من حَجَّة الـوَداع.. جعـل مـرض الموت يشـتد عليـه.. يومًـا بعـد يـوم.. وهـو في كلمة يتكلمهـا.. ونظرة ينظرها.. يُودِّع هذه الدار..

ولما اشـتدت عليه الحُمَّى.. وأيقَن النقلة للدار الأخـرى.. أراد أن يُودِّع الناس.. فعَصَب رأسه.. ثم أمر الفَضْل بن العباس أن يجمع الناس في المسجد.. فجمعهم.. فاستَنَد ﷺ إليه.. حتى رَقَى إلى المِنْبَر.. ثم حمد الله وأثنى عليه ثم قال:

«أما بعد.. أيها الناس.. إنه قد دنا مني خلوف من بين أظهركم.. ولن تروني في هذا المقام فيكم.. ألا فمن كنت جلدت له ظهرا.. فهذا ظهري فليستقد منه.. ومن كنت أخذت له مالا.. فهذا مالي فليأخذ منه.. ومن كنت شتمت له عرضا.. فهذا عرضي فليستقد منه.. ولا يقولن قائل أخشى الشحناء.. ألا وإن الشحناء ليست من شأني.. ولا من خلقي.. وإن أحبكم إلي من أخذ حقا إن كان له علي.. أو حللني فلقيت الله.. وليس لأحد عندي مظلمة»[1].

ثم نزل رسول الله ﷺ من على منبره.. ومضى إلى بيته المبارك..

مرض موت النبي ﷺ:

وبدأت الحُمَّى تأكل جسده.. وهو يتحامل على نفسه ويخرج إلى الناس ويُصلِّي بهم.. حتى صلى بأصحابه المغرب.. من يوم الجمعة.. ثم دخل بيته.. وقد اشتدت عليه الحمى.. فوضعوا له فِراشًا فانطَرَح عليه.. وظَلّ على فراشه والحمى تَكْوِي جسده الطاهر.. ثم ثَقُل به مرض الموت.. وهو على فراشه..

واجتمع الناس لصلاة العشاء.. وجعلوا ينتظرون إمامهم ﷺ ليصلي بهم.. ورسول الله ﷺ قد هَدّه المرض.. يحاول النهوض من فراشه.. فلا يقدر.. فأبطأ عليهم.. فجعل بعض الناس ينادي: الصلاة.. الصلاة..

فسمع النبي ﷺ صوتهم.. فالتفت إلى من حوله وقال: أتصلي الناس؟ **قالوا:** لا.. يا رسول الله.. هم ينتظرونك.. **فنظر فإذا حرارة جسده ﷺ تمنعه من النهوض.. فقال:** صبوا لي ماء في المخضب.. **وهو إناء كبير.. فنصبوا له الإناء.. وجعلوا يصبون الماء البارد من القِرَب.. فوق جسده..**

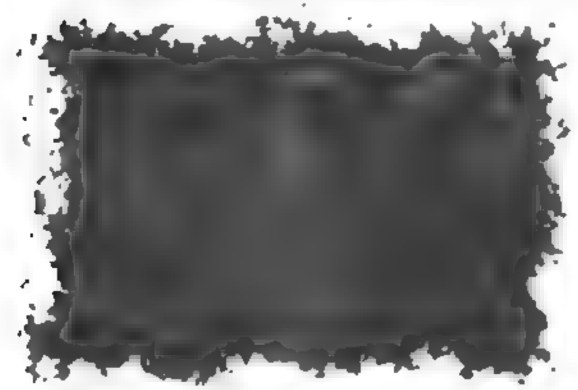
فلما برد جسده.. وشعر بشيء من النشاط.. جعل يشير لهم بيده أن كفى.. فأوقفوا الماء عنه.. فلما اتكأ على يديه ليقوم، أُغْمِي عليه.. فلبث مَلِيًّا..

(١) رواه الطبراني في الكبير، وأبو يعلى في مسنده.

ثم أفاق.. فكان أول سـؤال سـأله.. أن قال: أصلى الناس؟ **قالوا:** لا.. يا رسـول الله.. هم ينتظرونك.. **قال:** ضعوا لي ماء في المخضب..

فاغتسل.. وجعلوا يَصبُّون عليه الماء.. حتى إذا شعر بشيء من النشاط.. أراد أن يقـوم.. فأغمي عليه.. فلبـث مليًّا مغمى عليه.. ثم أفاق.. فكان أول سـؤال سـأله.. أن قال: أصلى الناس؟ **قالوا:** لا.. يا رسول الله.. هم ينتظرونك.. **فقال:** ضعوا لي ماء في المخضب..

فوضعـوا له الماء.. وجعلوا يصبـون الماء البارد على جسـده.. وأكثروا الماء.. حتى أشـار لهم بيده.. فأوقفوا صب الماء.. ثم اتكأ على يديه المُرهَقَتَين ليقوم.. فأغمـي عليـه.. وأهله ينظـرون إليه.. تَضطـرب أفئدتهم.. وتدمـع أعينهم.. والنـاس عُكُـوف في المسـجد ينتظرونـه.. ويشـتاقون إلى رؤيتـه إمامًا لهم.. يُكبِّرون بتكبيره.. ويركعون ويسجدون معه.. وهو ﷺ مغمى عليه..



فلبث مليًّـا.. ثم أفـاق.. فقال: أصلـى النـاس؟ **قالـوا:** لا.. هـمْ ينتظرونك يا رسول الله.. **فتأمَّل ﷺ في جسـده.. فـإذا الحُمَّـى قد هَدَّته هَدًّا..**

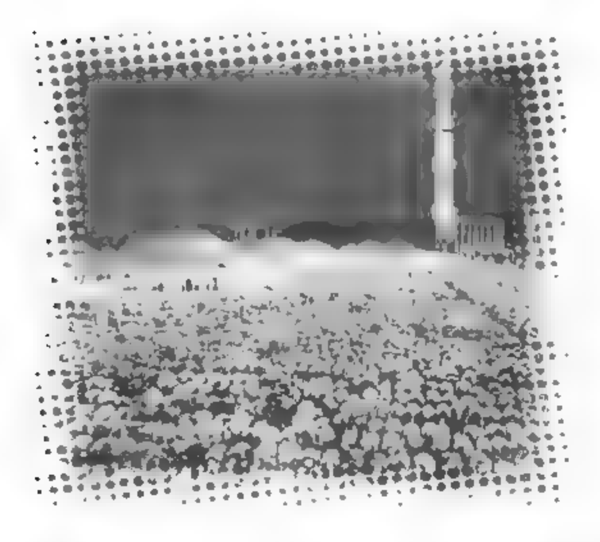
نعـم هـدّ المرض ذاك الجسـد المبـارك.. الذي نصـر الديـن.. وجاهد لرب العالمين.. ذاك الجسـد.. الـذي ذاق من العبادة حلاوتها.. ومن الحياة شِـدّتها.. الجسـد الـذي تَفَطَّرت منه القدمان.. مـن طول القيام.. وبكـت العينان.. من خشية الرحمن.. عُذِّب في سبيل الله.. وجاع.. وقاتل..

لما رأى ﷺ حاله.. وتَمَكُّن المرض من جسده.. التفت إليهم وقال: مُرُوا أبا بكر فليُصلِّ بالناس..

فيُقيم بلال الصلاة.. ويتقدم أبو بكر.. في مِحراب النبي ﷺ.. فيُصلِّي بالناس.. ولا يكادون يسمعون قراءته من شدة بكائه وحزنه.. وانتهت صلاة العشاء..

ثم يجتمع الناس لصلاة الفجر.. فيصلي بهم أبو بكر.. ويجتمع الناس بعدها للصلوات.. ويصلي أبو بكر بهم.. أيامًا.. ورسول الله ﷺ على فراشه..

صلاة الجماعة:



فلما كانت صلاة الظهر أو العصر من يوم الاثنين.. وجد رسول الله ﷺ نشاطًا في جسده.. فدعا العباس وعَليًّا - رضي الله عنهما -.. فأسنداه عن يمينه ويساره..

ثم خرج يمشي بينهما.. تَخُطّ رِجلاه في الأرض.. وكَشَف الستر الذي بين بيته وبين المسجد.. فإذا الصلاة قد أُقيمت.. والناس يصلون..

فرأى ﷺ أصحابه صفوفًا في الصلاة.. فنظر إليهم.. فإذا هم وجوهٌ مُبارَكة.. وأجسادٌ طاهرة.. طالما صَلّى بهؤلاء الأخيار.. وجاهد معهم.. وجالسهم.. كم ليلة قاموها وقاموها.. وأيام صامها وصاموها.. كم صبروا معه على البَلاء.. وأخلصوا معه الدعاء.. كم فارقوا لنُصْرة دينه الأهل والإخوان.. وهجروا الأحباب والأوطان.. منهم مَن قَضَى نَحْبَه.. ومنهم من ينتظر.. وما بدلوا تبديلًا.. ثم ها هو اليوم يفارقهم.. إلى تلك الدار.. التي طالما شوَّقهم إلى سُكْناها..

فلما رآهم في صلاتهم.. أُعجب بهم.. فتَبسَّم.. حتى كأن وجهه فِلقَة من قمر.. ثم أرخى الستر.. وعاد إلى فراشه.. ونزل ملك الموت من السماء ليقبض أزكى وأطهر روح خُلِقت..

سكرات الموت على نبينا ﷺ:

بدأت سكرات الموت تصارع روحه وجسده ﷺ..

قالت أم المؤمنين الطاهرة عائشة رضي الله عنها:

رأيت رسول الله ﷺ وهو يموت وعنده قَدَحٌ فيه ماء.. فيُدخِل يده في القدح ثم يمسح وجهه بالماء.. ثم يقول: لا إله إلا الله.. ان للموت سكرات.. وجعلت فاطمة تبكي وتقول: واكربَ أبتاه.. فيلتفت إليها ويقول: ليس على أبيك كرب بعد اليوم.. فجَعَلْتُ أمسح وجهه.. وأدعو له بالشفاء.. فقال: لا.. بل أسأل الله الرفيق الأعلى.. مع جبريل وميكائيل وإسرافيل..

ثم لما ضاق به النَّفَس.. واشتدت عليه السكرات.. جعل يردد كلمات يُودِّع بها الدنيا.. فكان يتكلم فيما أهَمَّه.. ويُحَذِّر من صُور الشِّرْك ويقول:

« لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد »..

« اشتد غضب الله على قوم جعلوا قبور أنبيائهم مساجد »..

وكان من آخر ما قال ﷺ: « الصلاة.. الصلاة.. وما ملكت أيمانكم »..

ثم مات بأبي هو وأمي وروحي.. ﷺ..

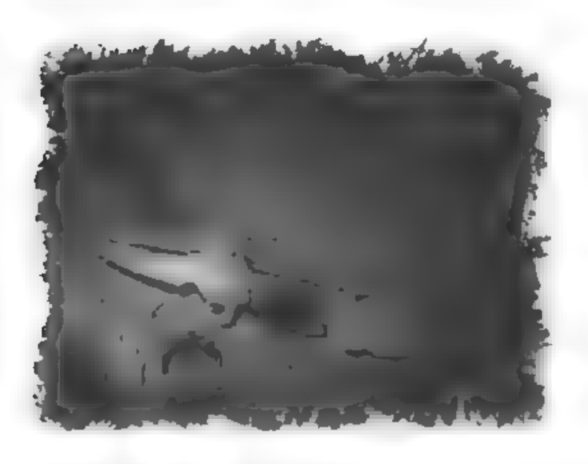
نعم.. مات.. سيد المرسلين.. وإمام المتقين.. وحبيب رب العالمين.. مات، وليس أحد يطالبه بمظلمة.. ولا آذى أحدًا بكلمة.. مات، ولم يتدنّس بأموال حرام.. ولا غَيبة ولا آثام.. بل كان إلى الله داعيًا.. ولعفو ربه راجيًا.. يأمر بالصلاة وعبادة الرحمن.. وينهى عن الشرك والأوثان..

ولقد صدق ربنا في وصفه لما قال ﷻ: ﴿ لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ (التوبة: ١٢٨)..

وفاة عمر رضي الله عنه:

انتقِل معي إلى المدينة لترى عمر بن الخطاب رضي الله عنه.. الخليفة الراشِد.. الذي نصر الدين.. وجاهد لرب العالمين.. وأطفأ نيران دولة المَجُوس.. حقد عليه الكافرون.. وكان من أكثرهم حقدًا.. أبو لؤلؤة المجوسي.. وكان عبدًا نجارًا حدادًا في المدينة.. وكان يصنع الرِّحاء[1]..

أخذ هذا العبد الكافر يَتَحيَّن الفُرَص للانتقام من عمر رضي الله عنه.. فلَقِيَه عمر رضي الله عنه يومًا في طريق فسأله وقال: حُدِّثت أنك تقول: لو أشاء لصنعت رحى تطحن بالرِّيح؟! فالتفت العبد عابِسًا إلى عمر رضي الله عنه.. وقال: بلى.. لأصْنَعن لك رحى يتحدث بها أهل المشرِق والمغرِب.. فالتفت عمر رضي الله عنه إلى أصحابه وقال: لقد تَوَعَّدَني العبد..



ثم مضى العبد وصنع خِنجرًا له رأسان.. مِقبضه في وسطه.. فهو إن طُعِن به من هذه الجهة قَتَل.. وإن طعن به من الجهة الأخرى قَتَل.. وأخذ يَطْليه بالسُّم.. لأجل إذا طُعِن به.. يقتل إما بقوة الطعن أو بنفاذ السُّم..

ثم أقبل في ظلمة الليل.. واختبأ لعمر في زاوية من زوايا المسجد.. فلم يزل هناك حتى دخل عمر رضي الله عنه إلى المسجد يُنبِّه الناس لصلاة الفجر.. ثم أقيمت الصلاة.. وتقدَّم بهم عمر رضي الله عنه.. فكبَّر..

فلما ابتدأ القراءة.. هجم عليه المجوسي.. وفي طَرفة عين.. عاجله.. بثلاث طعنات.. وقعت الأولى في صدره والثانية في جنبه.. والثالثة تحت سُرَّته..

---

(١) الرِّحاء: جمع رحى، وهي آلة لطحن الشعير.. وهي حجران مُصفَّحان يوضع أحدهما فوق الآخر ويُطرح القمح والشعير بينهما.. وتدار باليد.. فيُطحن..

فصاح عمر ﷺ .. ووقع على الأرض.. وهو يردد قوله تعالى: ﴿وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا﴾ [الأحزاب: ٣٨]..

وتقدَّم عبد الرحمن بن عوف وأكمل الصلاة بالناس.. أما العبد فقد طار بسكينه يَشُقّ صفوف المصلين.. ويطعن المسلمين.. يمينًا وشِمالًا.. حتى طعن ثلاثة عشر رجلًا.. مات منهم سبعة..

ثم وقف شاهِرًا سكّينه ما يقترب منه أحد إلا طعنه.. فاقترب منه رجل وألقى على وجه المَجُوسِي رِداءً غليظًا.. فاضطرب المجوسي.. وعلم أنهم قدروا عليه.. فطعن نفسه.. فتفجرت دماؤه ومات.. وحُمِل عمر مغشِيًا عليه إلى بيته.. وانطلق الناس معه يبكون.. وظَلّ مُغمى عليه.. حتى كادت أن تطلع الشمس..

أصَلّى الناس؟



فلما أفاق عمر ﷺ.. نظر إلى وجوه من حوله.. ثم كان أول سؤال سأله.. أن قال: أصلى الناس؟ قالوا: نعم يا أمير المؤمنين.. فقال: الحمد لله.. لا إسلام لمن ترك الصلاة..

ثم دعا بماء فتوضأ.. وأراد أن يقوم ليصلي فلم يَقْدِر.. فأخذ بيد ابنه عبد الله فأجلسه خلفه.. وتساند إليه ليجلس.. فجعلت جراحه تنزِف دمًا..

قال عبد الله بن عمر: والله إني لأضع أصابعي.. فما تَسّد الجُرح.. فربطنا جرحه بالعمائم.. فصلّى الصبح.. ثم قال:

يا ابـن عباس انظر من قتلـني.. **فقال:** طعنك الغلام المجوسـي.. ثم طعن معـك رهطًـا.. ثم قَتل نفسـه.. **فقال عمر**: الحمد لله.. الـذي لم يجعل قاتلي يُحاجّني عند الله بسجدة سجدها له قط..

ثـم دخل الطبيـب على عمـر.. لينظر إلى جُرحـه.. وأراد أن يعلـم هل وصلت الطعنة إلى المَعِدة والأحشـاء أم لا.. فسقاه ماءً مخلوطًا بتَمر.. فدخل الماء من فمه وخرج من جروحه أسفل بطنه.. فظن الطبيب أن الذي خرج هو دم وصديد.. فدعا بإناء من لَبَن فأسقاه إياه.. فخرج اللبن من جرحه الذي تحت سرته.. فعلم الطبيب أن الطعنات قد مزقت جسده.. وأن بطنه لن يُمسِك طعامًا ولا شرابًا..

فقال: يا أمير المؤمنين.. أَوصِ.. فما أظنك إلا ميتًا اليوم أو غدًا.. **فقال عمر بكل إيمان وهو يُبَشَّر بالموت:** صدَقتني.. ولو قلت غير ذلك لكذّبتك.. **ثم قال:** والله لو أن لي الدنيا كلها.. لافتديت به من هول المَطلَع.. **يعني الوقوف بين يدي الله تعالى..**

ثناء ابن عباس على عمر رضي الله عنهما:

فلما سمع ابن عباس كلام عمر.. بتواضعه.. ورغبته فيما عند الله.. قال:

وإن قُلت ذلك يا أمير المؤمنين.. فجزاك الله خيرًا.. أليس قد دعا رسول الله ﷺ.. أن يُعِزّ الله بـك الدين والمسـلمين.. إذ يَخافـون بمكة؟ فلما أسـلَمت.. كان إسـلامك عِزًّا.. وظَهَر بك الإسـلام.. وهاجرت.. فكانت هجرتك فَتْحًا.. ثم لم تَغِب عن مَشـهَد شَهِده رسـول الله ﷺ.. من قتال المشركين؟ ثم قُبِض رسول الله ﷺ وهو عنك راض.. ووازَرت الخليفة بعده.. وقُبِض وهو عنك راض.. ثم وُلِّيت بخير مـا وُلِّي الناس.. مَصَّر الله بك الأمْصار.. وجَبا بك الأموال.. ونَفَى بك العدو.. ثم ختم لك بالشهادة.. فهنيئًا لك..

فلمـا قضى ابـن عباس كلامه، قال عمر: أجلسـوني.. **فلما جلس.. قال لابن عباس:** أعِد عليّ كلامك.. **فلما أعاد عليه.. قال:** والله إن المغرور من تَغُرُّونه..

ثم نظر عمر إلى ابن عباس.. وهو يعرف عِلمه، وتقواه، وقال له: أتشهد لي بذلك عند الله يوم تَلقاه؟ فقال ابن عباس: نعم.. ففرح عمر.. وقال: اللهم لك الحمد ... ثم جاء الناس فجعلوا يُثْنون عليه.. ويُودِّعونه..

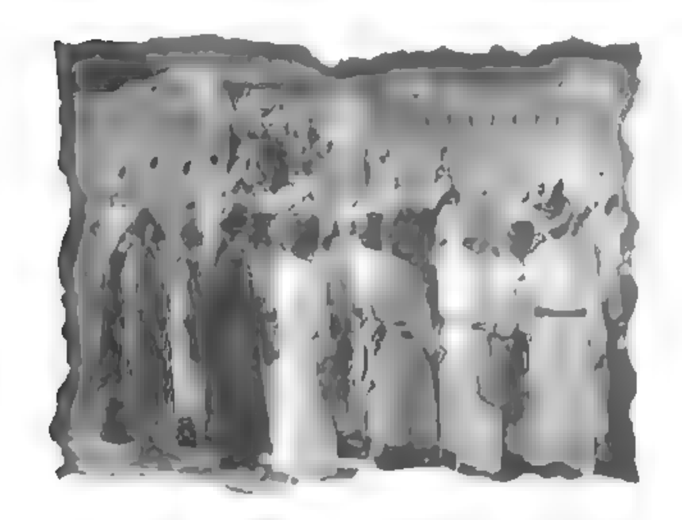
نصيحة على فِراش الموت..

وجاء شاب فدخل على عمر.. فقال: أبشر يا أمير المؤمنين.. صَحِبت رسول الله ﷺ.. ثم وُلِّيت فعَدَلْت.. ثم شهادة.. فقال عمر: ودِدت أني خرجت منها كَفَافًا.. لا عليَّ ولا لي..

فلما أدبر الشاب.. فإذا إزاره يمَسّ الأرض.. فقال عمر: رُدُّوا عليّ الغلام.. فرجع الشاب إليه.. فقال عمر ناصحًا له: يا ابن أخي.. ارفع ثوبك.. فإنه أنقى لثوبك.. وأتقى لربك..

ثم اشتد الألم على عمر.. وجعل يتغشّاه الكَرْب.. ويُغمى عليه.. قال عبد الله بن عمر: غُشي على أبي فأخذت رأسه فوضعته في حِجْري.. فأفاق.. فقال: ضع رأسي في الأرض.. ثم غُشي عليه، فأفاق ورأسه في حجري.. فقال: ضع رأسي على الأرض.. فقلت: وهل حجري والأرض إلا سواء يا أبتاه.. فقال: اطرَح وجهي على التراب.. لعل الله تعالى أن يرحمني.. فإذا قُبِضت.. فأسرعوا بي إلى حُفرتي.. فإنما هو خير تُقدِّموني إليه.. أو شرّ تضعونه عن رقابكم..

ثم قال: ويلٌ لعمر.. وويلٌ لأمّه.. إنْ لم يُغفر له..

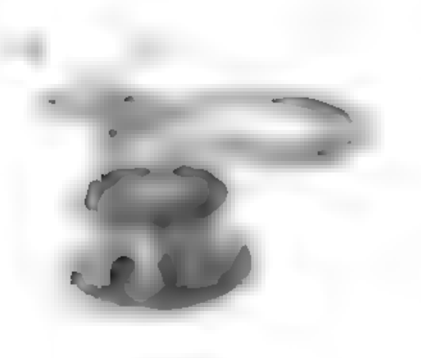


ثم ضاق بعمر النَّفَس.. واشتدت عليه السَكَرات.. ثم مات رضي الله عنه.. ودفنوه بجانب صاحبيه.. رسول الله ﷺ.. وأبي بكر الصديق رضي الله عنه..

نعـم.. مـات عمر بن الخطـاب.. لكن مثله في الحقيقة لم يمـت.. قَدِم على أعمال صالحات.. ودرجات رفيعـات.. صاحبه في قبره قراءته للقرآن.. وبكاؤه من خشـيته الرحمن.. تُؤنِسه صلاته في وخشَـته.. ويرفع جهاده من درجته.. تَعِب في دنياه قليلًا.. لكنه استراح في آخرته طويلًا..

بل قد عَدّه النبي ﷺ من العشرة المبشرين بالجنة.. فقال ﷺ: « بينا أنا نائم رأيتني في الجنة.. فإذا امرأة تتوضأ إلى جانب قصر . فقلت: لمن هذا القصر؟ قالوا: لعمر.. فذكرت غيرته فوليت مدبرا.. فبكى عمر وقال: أعليك أغار يا رسول الله؟!! »[1]..

۞ أبو بَكْرَة رضي الله عنه:

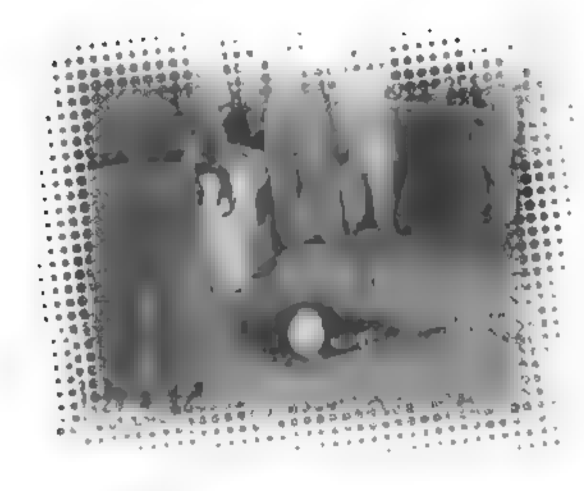


مـرض أبـو بكـرة رضي الله عنه واشـتد مرضـه.. فعرض عليه أبنـاؤه أن يأتوه بطبيب.. فأبَى.. فلمـا نزل به المـوت وعايَـن الاحتِضار.. صرخ بأبنائه وقـال: أين طبيبكم؟.. ليردّها إن كان صادقًا..

۞ عامِر بن الزُبَيْر:

كان على فـراش الموت.. يَعُدّ أنفاس الحياة.. وأهلـه حوله يبكون.. فبينما هـو يصارع المـوت.. سمع المـؤذن ينـادي لصلاة المغرب.. ونفسـه تَحَشْـرج في حَلْقـه.. وقد أشـتدّ نَزْعه.. وعَظُـم كَرْبه.. فلما سمع النـداء للصلاة قال لمن حوله: خذوا بيدي..!! قالوا: إلى أين؟!.. قال: إلى المسجد.. قالوا: وأنت على هذه الحال!! قال: نعم، سبحان الله!! أسْمَع مُنادي الصلاة ولا أُجيبه.. خذوا بيدي..

(١) رواه البخاري.



فحملوه بين رجلين.. فصلّى ركعة مع الإمام.. ثمّ مات في سجوده..

نعم.. مات وهو ساجد.. فمن أقام الصلاة.. وصبر على طاعة مولاه.. ختم له برضاه..

عبد الرحمن بن الأسود:

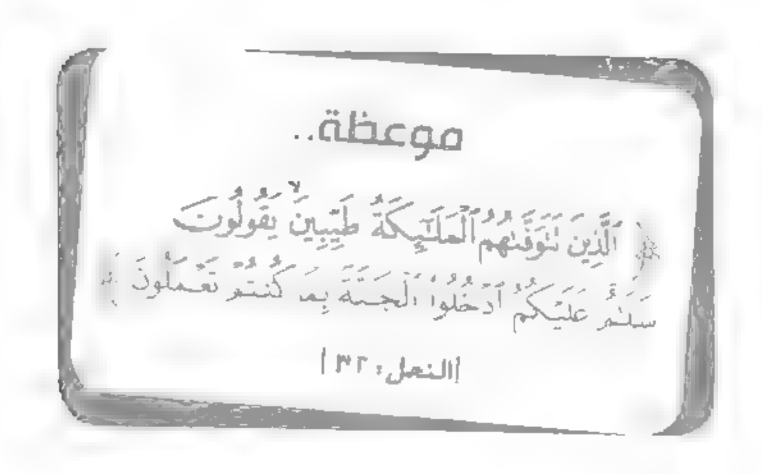
كان الصالحون يتحسـرون عند الممات.. على فِراق الأعمال الصالحات.. ويَودُّون لو طالت بهم الحياة للتزوّد في رفع الدرجات.. وتكثير الحسنات..

احتضر عبد الرحمن بن الأسود.. فبكى.. فقيل له: ما يُبكيك!! وأنت.. أنت.. يعني في العبادة والخشـوع.. والزهد والخضوع.. فقال: أبكي والله.. أسـفًا على الصلاة والصوم.. ثمّ لم يزل يتلو القرآن حتى مات..

يزيد الرَّقَاشِيّ:

لمـا نزل به الموت.. أخـذ يبكي ويقول: من يصلي لك يا يزيـد إذا مِتّ؟ ومن يصوم لك؟ ومن يستغفر لك من الذنوب.. ثم تَشهَّد ومات..

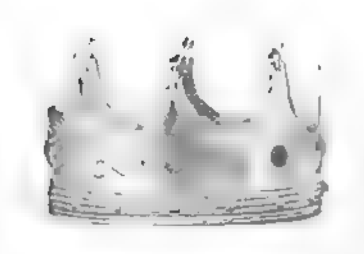
نسأل الله تعالى أن يحسن لنا الخاتمة.. آمين..



مواعظهم في الاحتِضار

المـوت لا يفرق بين صغير وكبير.. لا يعرف ملِكًا ولا وزيرًا.. ولا تاجرًا ولا أميرًا.. والملوك لهم عند احتضارهم مواعظ..

❁ هارون الرشيد:



ذاك الذي مَلَك الأرض وملأها جنودًا..
ذاك الذي كان يرفع رأسه.. فينظر إلى السحابة ويقول:

أمطري في الهند أو في الصين.. أو حيث شئتِ.. فوالله ما تُمطرين في أرض إلا وهي تحت مُلكي..

هارون الرشيد.. خرج يومًا في رحلة صيد فمرّ برجل يقال له بُهلول.. فقال هارون: عِظني يا بهلول..

قال: يا أمير المؤمنين!! أين آباؤك وأجدادك؟ من لَدُن رسول الله ﷺ إلى أبيك؟ **قال هارون:** ماتوا.. **قال:** فأين قصورهم..؟ **قال:** تلك قصورهم.. **قال:** وأين قبورهم؟ **قال:** هذه قبورهم..

فقال بهلول: تلك قصورهم.. وهذه قبورهم.. فما نفعتهم قصورهم في قبورهم؟

قال: صدقت.. زِدني يا بهلول.. **فقال بهلول:**

أمّا قصورك في الدنيا فواسعة ... فليت قبرك بعد الموت يتّسِع

فبكى هارون وقال: زدني.. **فقال:** يا أمير المؤمنين:

هب أنك ملكت كنوز كسرى ... وعُمِّرت السنين فكان ماذا
أليس القبر غاية كل حي ... وتُسأل بعده عن كل هذا؟

فقال الخليفة هارون: بلى..

ثم رجع هارون.. وانطرح على فِراشه مريضًا.. ولم تمضِ عليه أيام حتى نزل به الموت.. فلما حضرته الوفاة.. وعاين السَكَرات.. صاح.. بقُوّاده وحُجّابه: اجمعوا جيوشي..

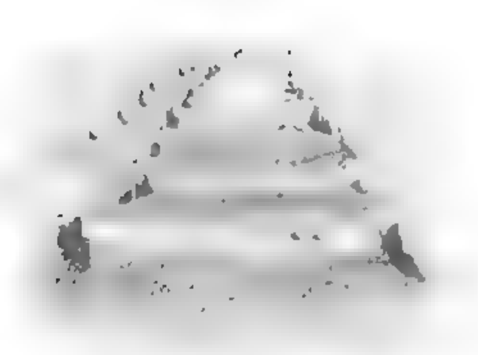
فجاؤوا بهم.. بسيوفهم.. ودروعهم.. لا يكاد يحصي عددهم إلا الله.. كلهم تحت قيادته وأمره.. فلما رآهم.. بكى.. ثم قال: يا من لا يزول مُلكه.. ارحم من قد زال ملكه..

ثم لم يزل يبكي حتى مات.. فلما مات.. حُمل هذا الخليفة.. الذي ملك الدنيا وأُودع حفرة ضيّقة.. لم يصاحبه فيها وُزراؤه.. ولم يُساكِنه نُدماؤه.. لم يدفنوا معه طعامًا.. ولم يفرشوا له فِراشًا.. ما أغنى عنه ملكه وماله..

عبد الملك بن مروان:

الخليفة عبد الملك بن مروان.. فإنه لما نزل به الموت..جعل يتغشّاه الكَرب.. ويَضِيق عليه النَّفَس.. فأمر بنوافذ غرفته ففُتحت.. فالتفت فرأى رجلًا غسّالًا فقيرًا في دُكّانه.. يغسل الثياب ويضربها على الجدار لتَنْشف.. فبكى عبد الملك ثم قال:

يا ليتني كنت غسالًا.. يا ليتني كنت نجارًا.. يا ليتني كنت حَمّالًا.. يا ليتني لم أل من أمر المؤمنين شيئًا.. **ثم مات..**



نعم.. انتقلوا.. إلى دور ليس فيها خَدَم يخدمون.. ولا أهل يُكرِمـون.. ولا وزراء يُنادِمـون.. انتقلـوا إلى دور.. تُجالِسـهم فيها أعمالهم.. وتُخاصِمهم صَحائفهم.. ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ [فصلت: ٤٦].

وهناك فريق من الناس..وَسَّع الله عليهم في أرزاقهم.. وعافاهم في أبدانهم.. فغفلوا عن الاستعداد للموت حتى باغتهم.. فبَدّد شملهم.. وأخذهم على قبيح فِعلهـم.. فلما عاينوا الموت طلبـوا الرجوع للدنيا.. لا لتجارة ولا مال.. ولا أهل ولا عِيـال.. وإنمـا لإصلاح الأحوال.. وإرضـاء القوي المُتَعـال.. ولكن قد حكم الخالق العظيم أنهم إليها لا يُرجَعون..

أنواع أخرى من الاحتِضار:

العصاة والمُذنِبـون.. اللاّهُون المُضَيِّعون.. غَلَب عليهم حبهم لدنياهم.. فكان لهم في احتضارهم عذاب وتَهوِيل.. وحِيل بينهم وبين الخالق الجليل..



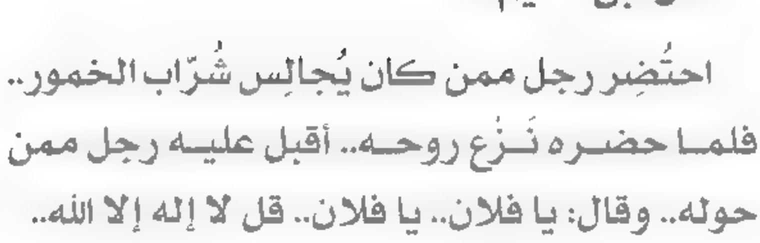
ذكر القُرطُـبي: أن أحد المحتضريـن.. ممّن بدنياه انشغل.. وغرّه طول الأمل.. لما نزل به الموت.. واشتدّ عليه الكَـرْب.. اجتمع حولـه أبناؤه.. يُودِّعونـه.. ويقولون: قل لا إلـه إلا الله.. فأخذ يشهَق.. ويصيح.. فأعادوها عليه.. فصاح بهـم وقال: الـدار الفلانية أصلحـوا فيها كذا.. والبسـتان الفلاني ازرعوا فيه كذا.. والدكان الفلاني اقبضوا منه كذا.. ثمّ لم يزل يردد ذلك حتى مات..[1]

نعم.. مات.. وترك بستانه ودكانه.. يتمتع بهما ورثته.. وتدوم عليه حسرته..

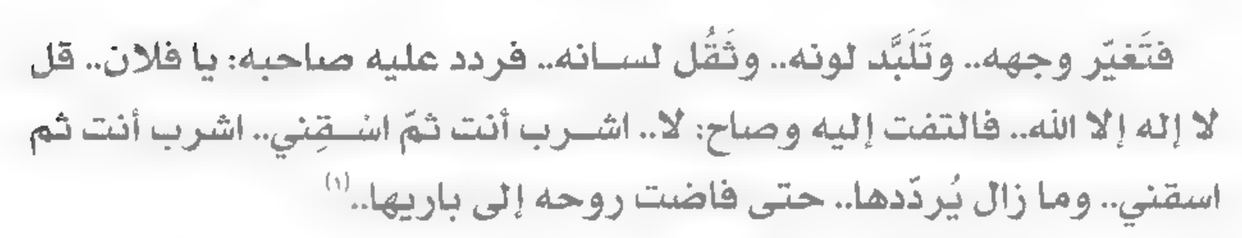
(١) ذكرها في التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة ص ٢١٧.

شارب خمر:

قال ابن القَيِّم:



احتُضِر رجل ممن كان يُجالِس شُرّاب الخمور.. فلما حضره نَزْع روحه.. أقبل عليه رجل ممن حوله.. وقال: يا فلان.. يا فلان.. قل لا إله إلا الله..



فتَغيّر وجهه.. وتَلَبَّد لونه.. وثَقُل لسانه.. فردد عليه صاحبه: يا فلان.. قل لا إله إلا الله.. فالتفت إليه وصاح: لا.. اشرب أنت ثمّ اسقِني.. اشرب أنت ثم اسقني.. وما زال يُردّدها.. حتى فاضت روحه إلى باريها..[1]

وكان محمد بن المُغيث رجلًا فاسِقًا.. مفتونًا بشرب الخمر.. ولا يكاد يخرج من بيت الخُمّار.. فلما مرض.. ونزل به الموت.. وخارَت قُواه.. سأله رجل ممن حوله.. هل بقي في جسمك قوة؟ هل تستطيع المشي..؟ فقال: نعم.. لو شئت مشيت من هنا إلى بيت الخمار.. فقال صاحبه: أعوذ بالله أفلا قلت أمشي إلى المسجد؟ فبكى.. وقال: غلب ذلك عليَّ لكل امرئ من دَهره ما تعودا.. وما جَرَت عادتي بالمشي إلى المسجد[2].

وقال ابن أبي رَوَّاد:

حَضَرت رجلًا عند الموت.. فجعل من حوله يُلقّنونه لا إله إلا الله.. فحِيل بينه وبينها.. وثَقُلت عليه.. فجعلوا يُعيدون عليه.. ويكرِّرون.. ويذكِّرونه بالله.. وهو في كربٍ شديد.. فلما ضاق عليه النَّفس.. صاح بهم وقال: هو كافر بلا إله إلاّ الله.. ثم شهق ومات..

قال: فلمّا دفنّاه.. سألت أهله عن حاله: فإذا هو مدمن للخمر..[3]

---

(١) ذكرها ابن القيم في الجواب الكافي ص ١٤٣.

(٢) ذكرها ابن القيم في الجواب الكافي ص ٢٥٤.

(٣) ذكرها ابن القيم في الجواب الكافي ص ١٦٥.

نعوذ بالله من سوء الخاتمة.. بل نعوذ بالله من أم الخبائث.. ورأس الفواحش.. ومَن شَرِب الخمر في الدنيا لم يشربها في الآخرة.. ومن شرب الخمر في الدنيا كان حقًا على الله أن يسقيه من طِينة الخَبَال..

قيل: يا رسول الله وما طينة الخبال؟ قال: «عصارة أهل النار»[1]..

إلا أن يتوب قبل موته.. ويعامله ربنا بعفوه..

أما أهل المعازف والغناء.. فلهم عند الموت كربةٌ وبلاء..

تارك الصلاة:



أهل الجريمة الكبرى.. والداهية العظمى.. فهم أنصار الشيطان.. تارِكو الصلاة.. وبين الرجل وبين الكفر أو الشرك.. تَرْك الصلاة.. وحالهم عند الموت وبعده أدهى وأفظع..

ذكر ابن القَيِّم: أن أحد المُحتَضَرِين.. كان صاحب معاصٍ وتَفرِيط.. فلم يلبث أن نزل به الموت.. ففَزِع مَن حوله إليه.. وانطرَحوا بين يديه.. وأخذوا يُذَكِّرونه بالله.. ويُلَقِّنُونه لا إله إلا الله.. وهو يُدافِع عَبَراته.. فلما بدأت رُوحه تُنزَع.. صاح بأعلى صوته.. وقال: أقول: لا إله إلا الله!! وما تنفعني لا إله إلا الله؟!! وما أعلم أني صلّيت لله صلاة!! ثمّ مات..[2]

هذا هو الموت.. أول طريق الآخرة..

---

(١) رواه مسلم.

(٢) ذكرها ابن القيم في الجواب الكافي ص ٢١٥.

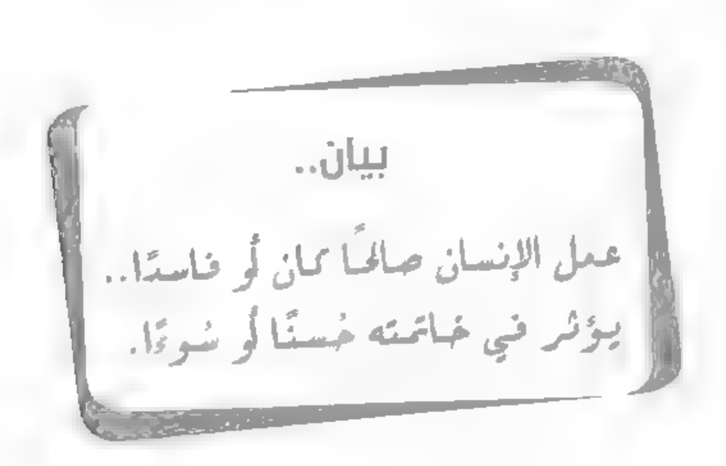
مسألة



هل يجوز أن يتمنى الإنسان الموت لضرٍ نزل بماله أو جسده؟

الجواب: لا يجوز أن يتمنى الموت؛ لأنه لا يدري فلعلّ عُسره يعقبه يُسر عظيم، وعليه أن يدعو بالدعاء المأثور، قال ﷺ: « لا يتمنّين أحدكم الموت لضرٍ نزل به، فإن كان لابد متمنّيا فليقل: اللهم أحيِني ما كانت الحياة خيرا لي، وتوفني إذا كانت الوفاة خيرًا لي »

وقال ﷺ: « لا يتمنّين أحدكم الموت ولا يدعُ به من قبل أن يأتيه، إنه إذا مات أحدكم انقطع عمله، وإنه لا يزيد المؤمن عمره إلا خيرا »[1].



(١) رواه البخاري.

الإيمان بالموت

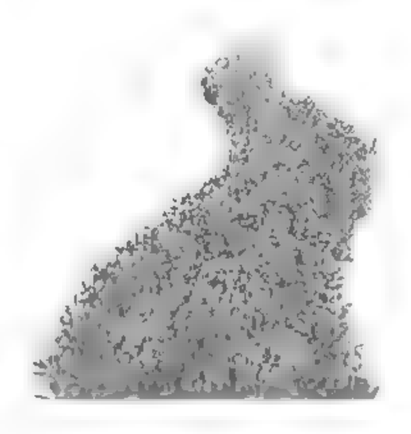
من تأمَّل في الموت عَلِم أنه أمر كُبّار.. وكأس تُدار.. على من أقام أو سار.. يخرج به العباد من الحياة الدنيا إلى جنة أو نار..

ولو لم يكن في الموت إلا الإعدام.. وانحلال الأجسام.. ونسيان أجمل الليالي والأيام..

وليست المشكلة في الموت.. فالموت باب وكل الناس داخله.. لكن المشكلة الكبرى.. والداهية العظمى.. ما الذي يكون بعد الموت..



أفي ﴿جَنَّٰتٍ وَنَهَرٍ﴾ [القمر ٥٤]؟ أم في: ﴿ضَلَٰلٍ وَسُعُرٍ﴾ [القمر ٢٤]؟

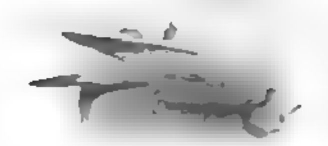




ومِن عَدل الله تعالى أن العبد يُختم له في الغالب على ما عاش عليه.. فمن كان في حياته يشتغل بالذِّكر والقيام.. والصدقات والصيام.. ختم له بالصالحات.. ومن تَولَّى وأعرَض عن الخير.. خُشِي عليه أن يموت على ما اعتاد عليه..

❁ ما الموت؟

الموت.. هو الشيء الوحيد الذي تفهمه كل المخلوقات.. الإنس والجن.. البشر والحيوانات.. لا يحتاج إلى تعريف طويل.. ولا شرح وتفصيل.. فالموت باختصار هو:



مُفارَقة النَّفس - الرُّوح - الجسد بخروجها منه..

والموت ليس فَناءً للروح، فإنّ الروح لا تفنى، وإنّما تُفارِق الجسد فتُنعَّم أو تُعذَّب، وقد يكون النعيم أو العذاب على الروح فقط، أو على الروح والبدن.

والإيمان بالموت يتضمن الإيمان بأنّ الهلاك مُتَحتّم على كل المخلوقات، وكل نفس ذائقة الموت..

قال تعالى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ [القصص: ٨٨]..

وقال تعالى: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ [الرحمن: ٢٦ - ٢٧]..

وقال تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ﴾ [آل عمران: ١٨٥]..

وكان ﷺ يقول كما في حديث ابن عباس رضي الله عنه: «أعوذ بعزتك الذي لا إله إلا أنت الذي لا يموت والجن والإنس يموتون»[1].

والموت قد وُكِّل به ملك الموت..

---

(١) رواه البخاري.

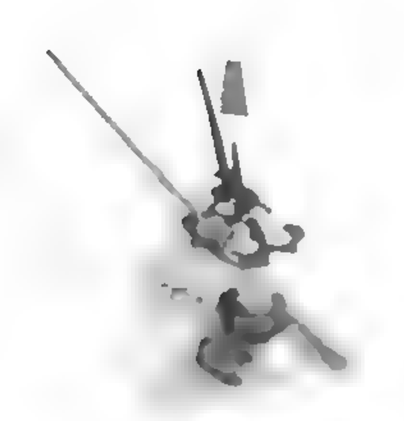
۞ من مَلَك الموت؟

كل ملك من ملائكة الرحمن له وظيفة كلّفه الله تعالى بها.. فجِبرِيل ملك الوَحي.. ومِيكَائيل ملك المَطَر.. وإسرافِيل ينفخ في الصُّور.. ومنهم ملك الجبال.. وملك الموت..

ذكره الله تعالى فقال: ﴿قُلْ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ ٱلَّذِى وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ﴾ [السجدة: ١١]..

وملك الموت له أعوان.. قال تعالى: ﴿تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ﴾ [الأنعام: ٦١]..

وقال ﷺ: «ثم يجيء ملك الموت عليه السلام حتى يجلس عند رأسه...»[1]..



وملك الموت لا يقبض رُوحًا قبل موعد موتها.. فكلٌّ له أجَل محدود ينتهي إليه، لا يزيد عليه، ولا يَقصُر عنه..

قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ كِتَٰبًا مُّؤَجَّلًا﴾ [آل عمران: ١٤٥]..

وهذا الأجل مكتوب على الإنسان منذ أن كان في بطن أمه.. كما قال ﷺ:

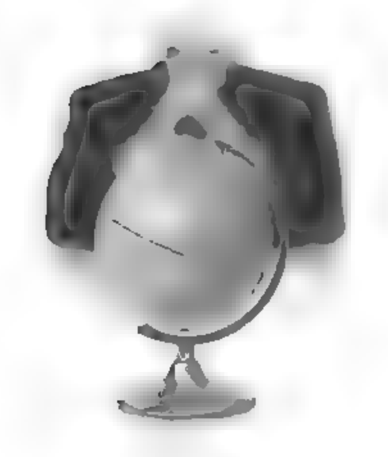
«إن أحدكم يُجمع خلقه في بطن أمه أربعين يوما، ثم يكون علقة مثل ذلك، ثم يكون مُضغة مثل ذلك، ثم يبعث الله ملكا فيؤمر بأربع كلمات، ويقال له: اكتب عمله، ورزقه، وأجله، وشقيٌّ أو سعيد»[2]..

---

(١) رواه أحمد، صحيح.

(٢) متفق عليه.

❁ لا يدري أحد أين مكان موته؟



قال تعالى: ﴿ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا ۖ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾ [لقمان: ٣٤]

وقال ﷺ: « إن الله تبارك وتعالى إذا أراد قبض رُوح عبد بأرض جعل له فيها حاجة »[١].

وهذا واقع مُشاهَد.. فكم من إنسان يسمع عن بلد ولم يفكر يومًا أن يسافر إليها.. والله تعالى قد كتب منذ الأزَل أنه سيموت فيها.. فإذا اقتربت ساعة موته جعل الله له حاجة تحمله إلى ذلك البلد.. من علاج أو تجارة أو عمل.. أو غيرها.. فيقبضه الله تعالى هناك..

❁ تَذَكُّر الموت:

قال ﷺ: « أكثروا ذكر هاذم اللَّذَّات »[٢]. **يعني الموت..**

وقال ﷺ لابن عمر رضي الله عنه: « كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل »[٣]..

وكان ابن عمر رضي الله عنه يقول: « إذا أمسيت فلا تنتظر الصباح، وإذا أصبحت فلا تنتظر المساء، وخذ من صحتك لمرضك، ومن حياتك لموتك »[٤]..

(١) رواه أحمد (صحيح).

(٢) رواه الترمذي والنسائي وابن ماجة (صحيح).

(٣) رواه البخاري.

(٤) رواه البخاري.

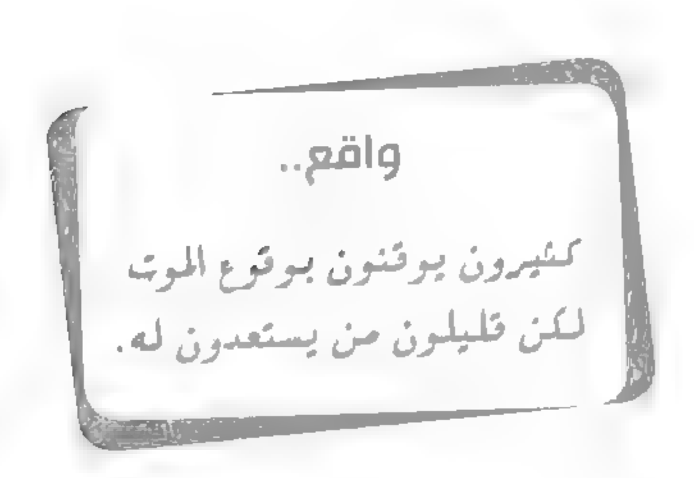
هل كراهية الموت تعني كراهية لقاء الله تعالى؟

إشكال



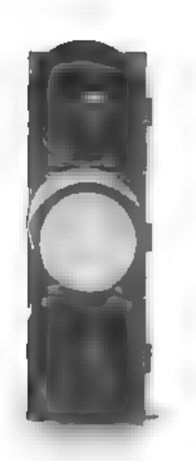
قد سألت عائشة ﵂ نبينا ﷺ عن ذلك..

قالت عائشة: « قال رسول الله ﷺ: من أحبّ لقاء الله أحب الله لقاءه، ومن كره لقاء الله، كره الله لقاءه. فقلت: يا نبي الله، أكراهية الموت؟! فكلنا نكره الموت! فقال: ليس كذلك. ولكن المؤمن إذا بُشّر برحمة الله ورضوانه وجنّته أحب لقاء الله. فأحب الله لقاءه. وإن الكافر إذا بشر بعذاب الله وسخطه كره لقاء الله، وكره الله لقاءه »[1].



(١) رواه مسلم.

الاستعداد للموت



على العبد أن يستعدّ للموت قبل نزوله، فهو لا شك نازلٌ بنا جميعًا، يهجم على الكبير والصغير، ولا يؤجِل العبد ولا يعطيه فرصة، ليُحسِّن حاله.



- فكيف يستعد الإنسان للموت؟
- وما الأعمال النافعة بعد الموت؟



۞ مدخل:

التوبة والعمل الصالح.. طريق لصلاح الحال بعد الموت..

قال تعالى: ﴿وَأَنفِقُوا۟ مِن مَّا رَزَقْنَٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَآ أَخَّرْتَنِىٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠﴾ وَلَن يُؤَخِّرَ ٱللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَآءَ أَجَلُهَا ۚ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [المنافقون: ١٠ – ١١].

وقال ﷺ: «اغتنم خمسًا قبل خمس: شبابك قبل هرمك، وصحتك قبل سقمك، وغناك قبل فقرك، وفراغك قبل شُغلك، وحياتك قبل موتك»[١].

(١) رواه الحاكم (صحيح).



أعمال تنفع بعد الموت:

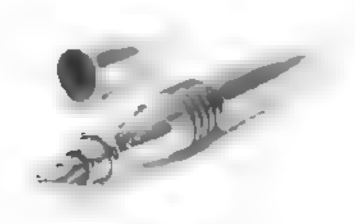
السعي في تربية الأولاد ليكونوا صالحين؛ ليدعوا لأهليهم، والاجتهاد في طلب العلم الشرعي النافع ونشره، وعمل الصدقات الجارية، وقد جمع النبي ﷺ هذه الفضائل في حديث واحد، فقال ﷺ:

«إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية، وعلم ينتفع به، وولد صالح يدعو له»[1].

ومن الصدقة الجارية التي تلحق المسلم بعد موته، ما جاء في قوله ﷺ:

«إن مما يلحق المؤمن من عمله وحسناته بعد موته: علماً علمه ونشره، وولداً صالحاً تركه، ومصحفاً ورّثه، أو مسجداً بناه، أو بيتاً لابن السبيل بناه، أو نهراً أجراه، أو صدقة أخرجها من ماله في صحته وحياته يلحقه من بعد موته»[2].

كتابة الوصية:



من الاستعداد للموت كتابة الوصية، ويُسنّ أن يوصي الإنسان بشيء من ماله صدقة، فقد أوصى بعض الصحابة بثُلُث ماله، وبعضهم بربع ماله، كما قال ﷺ:

«إن الله تصدق عليكم عند وفاتكم بثلث أموالكم زيادة لكم في أعمالكم»[3].

(١) رواه مسلم.
(٢) رواه ابن ماجة، حسن.
(٣) رواه ابن ماجة، حسن.

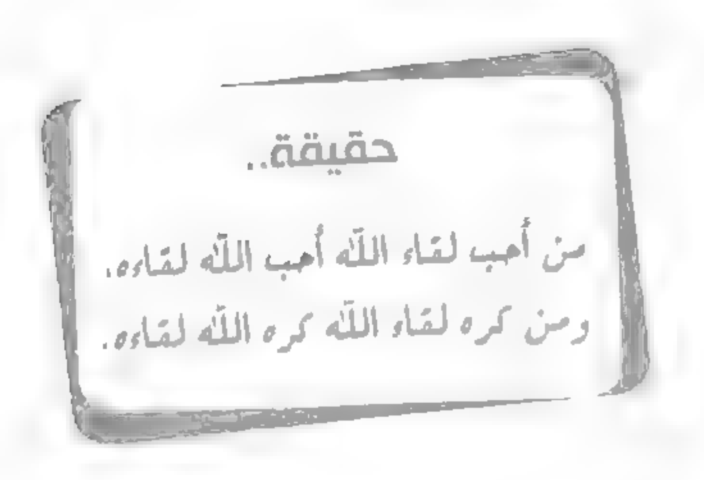
وقال ﷺ: «ما حقّ امرئ مسلم له شيء يريد أن يوصي به أن يبيت ليلتين إلا ووصيّته مكتوبة عنده»[1].

قال عبد الله بن عمر: ما مرّت عليّ ليلة منذ سمعت رسول الله ﷺ يقول ذلك إلا وعندي وصيّتي مكتوبة[2].

❁ علاقة الموت بالرُّوح:

اختلف الناس في حقيقة الروح التي في البَدَن.. وهي خفيفة حيّة تسري في الأعضاء سريان الماء في الورد، وسريان الدهن في الزيتون، والروح بها حياة البدن، والروح والنَّفس شيء واحد، ومسكنها الجسد، وإذا فارقت الروح الجسد فارقته الحياة.

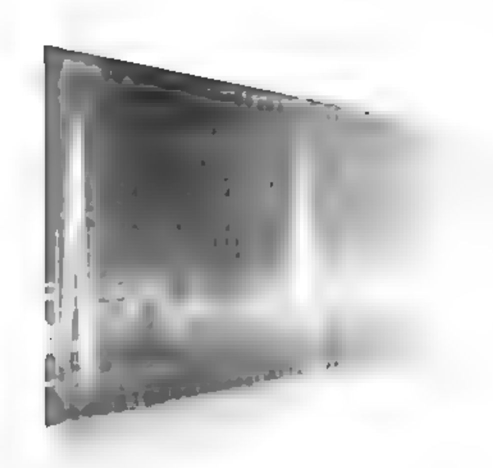
والروح مخلوقة، لكنها لا تموت بموت الجسد، وموت الأرواح هو مفارقتها لأجسادها، وخروجها منها، لكنها لا تَعْدَم، بل هي باقية بعد فناء الجسد، وتكون هي في النعيم أو العذاب.



(١) رواه مسلم.

(٢) أخرجه الجماعة.

أحكام الميت



مـع انتشـار العلـم، وتطـور الطـب اليـوم، أصبحـت مظاهـر وعلامـات المـوت التي تظهر على الميت فيتيقن بها الحاضرون عنده بموته، أصبحت هذه العلامات واضحة.

ولكن قد يموت الشـخص بعيدًا عن الطبيب والأجهـزة الطبية، فكان لِزامًا أن يعـرف المـرء علامات المـوت ليعرف الميت من المُغمى عليه..

فالمـوت له أحكام شـرعية، ومسـائل فقهية، تتعلق به، لـذا كان من المهم معرفة كيفية حصول الموت وعلاماته إذا وقع، وكيفية التغسيل والتكفين..

- فما علامات الموت؟
- وكيف نُغَسِّل الميت ونُكَفِّنه؟
- وما كيفية الصلاة عليه ودفنه؟

علامات الموت:

للموت علامات تظهر على الميت إذا خرجت روحه، منها:

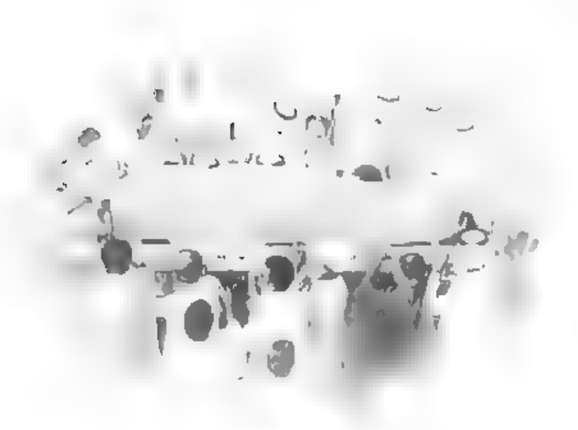
- شُخُوص البصر، فكأن العين تنظر إلى شيء فوقها ذهب بعيدًا.
- انحراف الأنف عن اليمين أو الشِّمال.
- ارتخاء الفَك السفلي لارتخاء الأعضاء عمومًا.
- برودة الجسم عامة.
- سُكون القلب ووقوف ضرباته.

فهذه العلامات إذا ظهرت على الشخص، أو ظهر بعضها، دلّ على الموت، أو وقوعه.

حمل الجنازة للقبر:

يُستحب الإسراع بتجهيز الجنازة وحملها إلى القبر، قال ﷺ:

« إذا وُضعت الجنازة واحتَملها الرجال على أعناقهم. فإن كانت صالحة قالت: قدموني.. قدموني. وإن كانت غير صالحة قالت: يا ويلها! أين تذهبون بها؟ يسمع صوتها كل شيء إلا الإنسان، ولو سمعه لَصُعِقَ »[1].



ويُسنّ التعجيل بتجهيز الميت، والمسارعة بدفنه، كما قال ﷺ:

« اسرعوا بالجنازة. فان تلك صالحة فخير تقدمونها اليه. وان تك سوى ذلك فشر تضعونه عن رقابكم»[2].

(١) رواه البخاري، ومعنى صعق: أي أغمي عليه.

(٢) رواه مسلم.

يتبع الميت ثلاثة:

الإنسان خلال حياته يهتم بأمور، منها جمع المال، وشراء الأثاث، واقتناء السيارات الحسنة، وامتلاك البيوت الفارهة، ويهتم بأهله وولده ونسائه، ويهتم أيضًا بعمله، سواء كان عملًا صالحًا أو سيئًا.

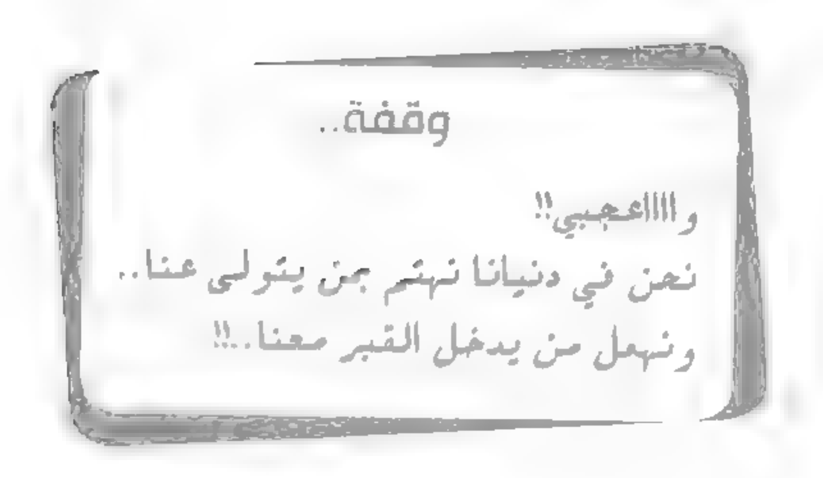
فإذا مات ابن آدم تبعه الثلاثة: مالُه.. من سيارات وغيرها، وأهله.. من إخوان وأبناء، وعمله الصالح أو السيئ.. فإذا دُفن في التراب تَولّى عنه اثنان ودخل معه في قبره واحد!

نعم.. تولى عنه الأهل والأصحاب، والأموال والأحباب، وبقي معه عمله، يدخل معه في قبره، كما قال ﷺ: «يتبع الميت ثلاث، فيرجع اثنان ويبقى واحد: يتبعه أهله وماله وعمله، فيرجع أهله وماله، ويبقى عمله»[1].

والميت بمجرد مُفارقة روحه جسده ينتقل من الحياة الدنيا إلى الحياة البَرْزَخِيّة..

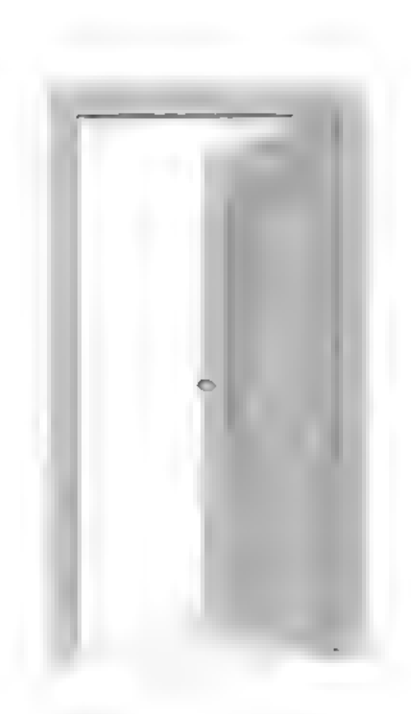
فما هي الحياة البرزخية؟ وما هي أحوال سكان القبور؟

هذا ما نعيش معه في الصفحات القادمة..



(١) رواه مسلم.

الحياة البرزخية



البرزخ **هو الحَدّ الفاصل بين شيئين، كما قال تعالى عن البحر الحُلو والمالِح:** ﴿بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَّا يَبْغِيَانِ﴾ [الرحمن: ٢٠]. **أي: بين الماء الحلو والماء المالح حاجز يفصل بينهما فلا يختلطان.**

والحياة البرزخية هي الحياة الفاصلة بين الحياتين، الحياة الدُنيا والحياة الآخرة، وهي ما بين موت الإنسان إلى البَعْث، سواء دُفن هذا الميت أو أُحرق أو غرق أو أكلته السِباع، أو غير ذلك.

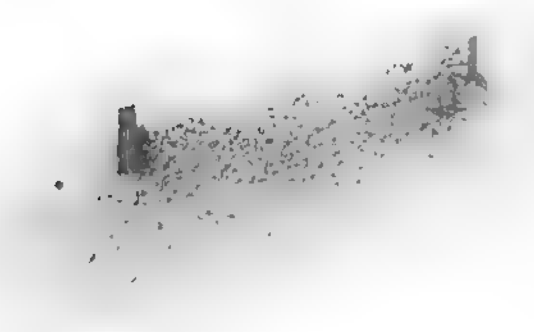
فكل من مات، فإنه يدخل في الحياة البرزخية ويبقى فيها إلى يوم يُبعثون، كما قال تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ٱرْجِعُونِ ﴿٩٩﴾ لَعَلِّىٓ أَعْمَلُ صَٰلِحًا فِيمَا تَرَكْتُ ۚ كَلَّآ ۚ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَا ۖ وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ [المؤمنون: ٩٩-١٠٠].

القبر

القبر هو بيت الإنسان وسَكَنه إلى قيام الساعة، وقد عرف الإنسان القبر ودفْن الميت منذ أن قَتل ابن آدم أخاه فدفنه.

الصالحون يتخذون من رؤية القبور عِبرة وعِظة، تدمع عيونهم، وتخشع قلوبهم، لأنهم يعلمون أنهم ساكنوها يومًا من الأيام.

- فما هو القبر؟
- وما حال الإنسان فيه؟
- ولماذا أمَرنا النبي ﷺ بزيارة القبور؟



قصة:

خرج عُمَر بن عبد العزيز.. في جنازة بعض أهله.. فلما دَسَّه في التراب.. التفت إلى الناس فقال:

أيها الناس: إن القبر قد ناداني فقال: يا عمر بن عبد العزيز.. ألا تسألني ما صنعت بالأَحِبَّة؟ قلت: بلى. قال: خرَّقت الأكفان.. ومزَّقت الأبدان.. ومصَصْت الدم.. وأكلت اللحم.. ألا تسألني ما صنعت بالأَوْصال؟ قلت: بلى. قال: نزعت الكفين من الذراعين.. والذراعين من العَضُدين.. والعضدين من الكتفين.. والوركين من الفخدين.. والفخدين من الركبتين.. والركبتين من الساقين.. والساقين من القدمين.

ثم بكى عمر وقال: ألا إن الدنيا بقاؤها قليل.. وعزيزها ذليل.. وشبابها يَهْرَم.. وحيّها يموت.. فالمغرور من اغترَّ بها..

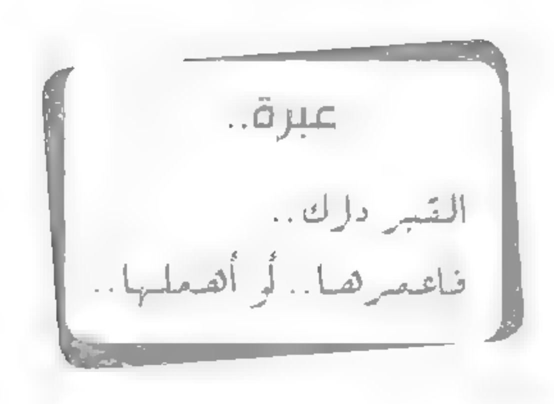
أين سكانها الذين بنوا مدائنها.. ما صنع التراب بأبدانهم؟ والديدان بعظامهم وأوصالهم؟ كانوا في الدنيا على أسِرَّةٍ مُمَهَّدة.. وفُرُش منَضَّدة.. بين خَدَمٍ يَخدمون.. وأهلٍ يُكرمون.. فإذا مررت فنادهم.. وانظر إلى تقارب قبورهم من منازلهم.. وسَلْ غنيَّهم ما بَقي من غِناه؟ وسَلْ فقيرهم ما بقي من فقره؟

سَلْهم عن الألسُن.. التي كانوا بها يتكلمون.. وعن الأعين التي كانوا إلى اللذات بها ينظرون.. سَلْهم عن الجلود الرقيقة.. والوجوه الحَسنة.. والأجساد الناعمة.. ما صنع بها الديدان؟ مُحَت الألوان.. وأُكِلَت اللُّحمان.. وعُفِّرت الوجوه.. و مُحت المحاسن.. وكُسرت القَفا.. وأبانَت الأعضاء.. ومُزِّقت الأشلاء..

أين خدمهم وعبيدهم..أين جَمعهم ومكنوزهم؟ والله ما زوَّدوهم فُرُشًا.. ولا وضعوا هناك مُتكئًا.. أليسوا في منازل الخلَوات.. وتحت أطباق الثرى في الفَلَوات؟ أليس الليل والنهار عليهم سواء؟ قد حِيل بينهم وبين العمل.. وفارقوا الأحبة والأهل.. قد تزوجت نساؤهم.. وترددت في الطُرُق أبناؤهم.. وتوزّعت القَرابات ديارهم وتُراثهم.. ومنهم والله المُوسَّع له في قبره.. الغَضّ الناضِر فيه.. المُتنعِّم بلذّته..

ثم بكى وقال: يا ساكن القبر غدًا.. ما الذي غَرَّك من الدنيا!.. أين رِقاق ثيابك.. أين طِيبك.. أين بُخُورك.. كيف انت على خشونة الثَرَى.. لَيت شعري بأي خَديك يبدأ الدود البلَى.. ليت شعري ما الذي يَلقاني به ملَك الموت عند خروجي من الدنيا.. وما يأتيني به من رسالة ربي..

ثم بكى بكاءً.. ثم انصرف.. فما بقي بعد ذلك إلا جُمعة.. ومات.. رحمه الله..



حال الإنسان في قبره

القبر دار يحصل فيها أحداث، أخبرنا النبي ﷺ بها، لنستعد لها.. وتختلف أحوال الناس في قبورهم بحسب اختلاف أحوالهم في الدنيا..

وقد فصّل النبي ﷺ أحوال الميت، وخروج روحه، وشهود الملائكة، وكيف تُفتح أبواب السماء للمؤمنين، وتُغلق في وجوه غيرهم.

- فما الفرق بين المؤمن وغيره؟
- وما علاقة الرُّوح بالجَسَد؟

حال المؤمن:



قال البَراء بن عازِب رضي الله عنه: «خرجنا مع رسول الله ﷺ إلى جنازة، فجلس رسول الله ﷺ على القبر، وجلسنا حوله، كأن على رؤوسنا الطير، وهو يُلْحَد له.

فقال ﷺ: تعوَّذوا بالله من عذاب القبر. **قلنا: نعوذ بالله من عذاب القبر. قال ﷺ:** تعوذوا بالله من عذاب القبر. **قلنا: نعوذ بالله من عذاب القبر. قال ﷺ:** تعوذوا بالله من عذاب القبر. **قلنا: نعوذ بالله من عذاب القبر..**

ثم قال ﷺ: إن العبد المؤمن إذا كان في انقطاع من الدنيا، وإقبال من الآخرة، نزل إليه ملائكة من السماء، بيض الوجوه، كأن وجوههم الشمس، معهم كفن من أكفان الجنة، وحنوط من حنوط الجنة[1]، حتى يجلسوا منه مدّ البصر[2]،

(١) المعنى: أي خِرَق يُلَف بها، وطِيب يُطَيَّب به، كل هذا من الجنة.

(٢) المعنى: أنهم يجلسون بعيدًا عنه ينتظرون خروج روحه.

ثم يجيء ملك الموت ﷺ، حتى يجلس عند رأسه، فيقول: أيتها النَّفس الطيِّبة، اخرجي إلى مغفرة من الله ورضوان، فتخرج تسيل، كما تسيل القطرة من في السِّقاء[1]، فيأخذها، فإذا أخذها لم يدعوها في يده طرْفة عين، حتى يأخذوها فيجعلوها في ذلك الكفن، وفي ذلك الحنوط، ويخرج منها كأطيب نفحة مسك وُجِدت على وجه الأرض.

رحلة إلى السماء:



ثم قال ﷺ: فيصعدون بها، فلا يمرون على مَلأ من الملائكة، إلا قالوا: ما هذا الرُّوح الطيب؟ فيقولون: فُلان بن فلان، بأحسن أسمائه التي كانوا يسمونه بها في الدنيا، حتى ينتهوا بها إلى السماء الدنيا، فيستفتحون له، فيُفتح لهم، فيُشيِّعه من كل سماء مُقرَّبوها، إلى السماء التي تليها، حتى يُنتهى به إلى السماء السابعة، فيقول الله ﷻ: اكتبوا كتاب عبدي في علِّيين، وأعيدوه إلى الأرض، فإني منها خلقتهم، وفيها **أُعيدهم، ومنها أُخرجهم تارةً أخرى.**

فتُعاد روحه في جسده، فيأتيه ملكان، فيُجلسانه، فيقولان له: من ربُّك؟ فيقول: ربي الله، فيقولان له: ما دينك؟ فيقول: ديني الإسلام، فيقولان له: ما هذا الرجل الذي بُعث فيكم؟ فيقول: هو رسول الله ﷺ، فيقولان له: وما علمك؟ فيقول: قرأت كتاب الله، فآمنت به، وصدَّقت.

فيُنادي منادٍ في السماء: أن صَدق عبدي، فأفرشوه من الجنة، وألبسوه من **الجنة، وافتحوا له بابًا إلى الجنة.**

---

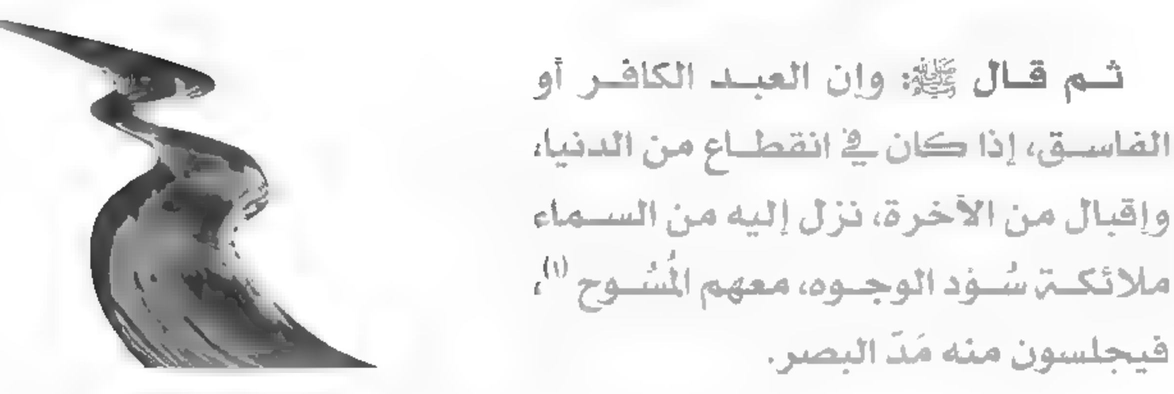
(١) المعنى: أي تخرج روحه برفق وهدوء وسكينة وراحة، كما تخرج قطرة الماء من القِربَة بكل هدوء.

فيأتيه من روحها، وطيبها، ويفسح له في قبره مد بصره. ويأتيه رجل حسن الوجه، حسن الثياب، طيِّب الرِّيح، فيقول: أبشر بالذي يسرُّك، هذا يومك الذي كنت توعد! فيقول له: من أنت؟ فوجهك الوجه يجيء بالخير! فيقول: أنا عملك الصالح، كنت والله سريعا في طاعة الله، بطيئا عن معصية الله، فجزاك الله خيرًا.

نعم، يقول له: أنا عملك الصالح، فما عمله الصالح؟

إنه صلاته وصومه، إنه بِرّه وصدقته، إنه بكاؤه وخشيته، إنه حَجّه وعُمْرَته، إنه قراءته للقرآن، وحبه للرحمن، إنه قيامه في الأسحار، وصومه في النهار، وخوفه من العزيز الجبار، إنه بِرّه لوالديه، إنه طلبه للعلم، إنه دعوته إلى الله، إنه جهاده في سبيل الله، فإذا رأى العبد المؤمن هذا الوجه الصَّبُوح يُبشِّره، والتفت حوله فرأى قبره قد أصبح واسعًا، فيه فُرُش من الجنة، ونظر إلى لِباسه فإذا هو من الجنة، عَلِم أن هذا النعيم لا يساوي شيئًا بجانب ما ينتظره في الجنة، فيدعوا ربه ويقول: رَبِّ أَقِم الساعة، حتى أرجع إلى أهلي ومالي.

حال الكافر أو الفاسق:



ثم قال ﷺ: وإن العبد الكافر أو الفاسق، إذا كان في انقطاع من الدنيا، وإقبال من الآخرة، نزل إليه من السماء ملائكة سُود الوجوه، معهم المُسُوح[1]، فيجلسون منه مَدّ البصر.

ثم يجيء ملك الموت، حتى يجلس عند رأسه، فيقول: يا أيتها النفس الخبيثة، أخرجي إلى سخط من الله وغضب، فتفرق في جسده، فينتزعها كما يُنتزع

(١) المسوح: جمع مِسْح، وهو لباس شديد الغِلَظ والخشونة.

السفود من الصوف المبلول[1]، فيلعنه كل ملك بين السماء والأرض، وكل ملك في السماء، فيأخذها، فإذا أخذها، لم يدعوها في يده طرفة عين، حتى يجعلوها في تلك المسوح، ويخرج منها كأنتن ريح جيفة وجدت على وجه الأرض، فيصعدون بها، فلا يمرون بها على ملأ من الملائكة، إلا قالوا: ما هذا الروح الخبيث؟! فيقولون: فلان بن فلان، بأقبح أسمائه التي كان يسمى بها في الدنيا، حتى ينتهى به إلى السماء الدنيا، فيستفتح له، فلا يفتح له. **ثم قرأ ﷺ:** ﴿لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ﴾ [الأعراف:٤٠].

فيقول الله ﷻ: اكتبوا كتابه في سجين، في الأرض السفلى، فتطرح روحه طرحا، **ثم قرأ ﷺ:** ﴿وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾ [الحج:٣١].

فتعاد روحه في جسده، ويأتيه ملكان، فيجلسانه، فيقولان له: من ربك؟ فيقول: هاه، هاه، لا أدري، فيقولان له: ما دينك؟ فيقول: هاه، هاه، لا دري، فيقولان له: ما هذا الرجل الذي بعث فيكم؟ فيقول: هاه، هاه، لا أدري، فيقولان: لا دريت، ولا تلوت.

فينادي مناد من السماء: أن كذب، فافرشوا له من النار، وافتحوا له بابا إلى النار، فيأتيه من حرها، وسمومها، ويضيق عليه قبره حتى تختلف فيه أضلاعه، ويأتيه رجل قبيح الوجه، قبيح الثياب، منتن الريح، فيقول: أبشر بالذي يسوءك، هذا يومك الذي كنت توعد، كنت بطيئا عن طاعة الله سريعًا في معصية الله فجزاك الله شرا، فيقول: من أنت؟ فوجهك الوجه يجيء بالشر، **فيقول: أنا عملك الخبيث..**

نعم، يقول له أنا عملك الخبيث، فما عمله الخبيث؟

إنه وقوعه في الشرك، إنه حلفه بغير الله، إنه طوافه على القبور، وشربه للخمور، بل، إنه وقوعه في الزنا، وأكله للربا، وسماعه للغناء، إنه تكبره

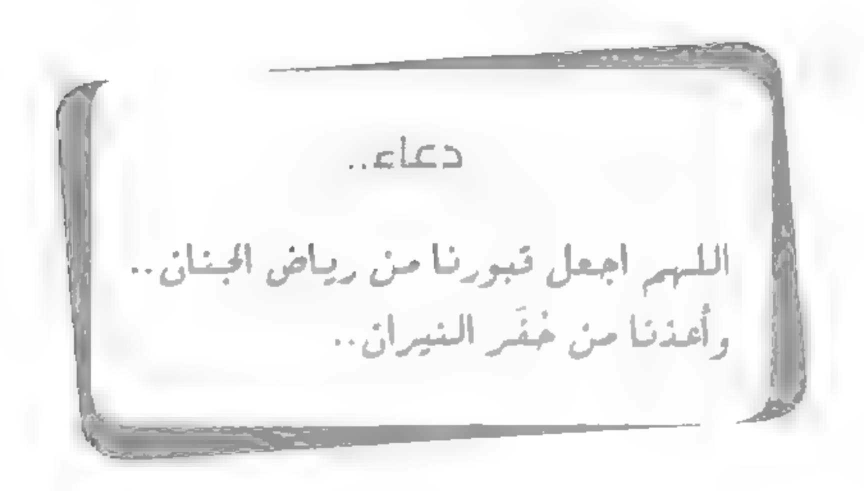
(١) المعنى: السفود هو الحديدة التي يُشوى بها اللحم، وذلك أن اللحم يلتصق بها، فيكون بها زوائد تلتصق بما تمر به، فإذا لففت عليها صوفًا مبلولًا، ثم جذبتها، قطعت ذلك الصوف ومزقته.

علـى الناصحين، وجرأته على رب العالمين، عندها يتَحسّـر هـذا العبد، وهل تُغني الحَسَـرات،!! ويشـتد ندمه، وهل تنفعه العَـبَرات،!! أين كان هذا البكاء، وأنت تنظر إلى المحرّمات؟ وتُواقع الفواحش والشهوات؟ كم نُصِحت بحفظ فَرجِك، وصيانة سمعك وبصرك، فابكِ اليوم أو لا تبكِ، فلن تنجو من العذاب، ﴿ ٱصْلَوْهَا فَٱصْبِرُوٓاْ أَوْ لَا تَصْبِرُواْ سَوَآءٌ عَلَيْكُمْ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ [الطور: ١٦].

عندها يُوقِن هذا العبد، أن ما يلقاه بعد القبر أشد وأبقى.

قـال ﷺ: «فيقول: ربِّ لا تُقم الساعة، ثم يُقيَّض لـه أعمى، أصم، أبكم، في يده مِرزبّة[١]، لو ضرب بها جبل كان ترابا، فيضربه ضربة، حتى يصير ترابًا، ثـم يُعيده الله كما كان، فيضربه ضربة أخرى، فيصيح صيحة يسمعه كل شيء إلا الثَّقَلَين[٢]»[٣].

فهـذه أحوال النـاس في قبورهم، إذا علمها المسـلم استعد لهـا، وآمن بها، واشتاق أن يكون قبره روضة من الجِنان، فأكثَر من العمل الصالح..



(١) أي يجعل معه في قبره رجل لا يسمع ولا يرى ولا يتكلم، حتى لا يُؤانِسه ولا يُحادِثه، وفي يد هذا الأعمى مرزبة: وهي المِطرَقة الكبيرة العظيمة.

(٢) أي يسمعه كل الخلائق، إلا الجن والإنس.

(٣) رواه أحمد في مسنده.

بينَ الرُّوح والبَدَن

عـذاب القبر ونعيمه حقٌّ لا مِرْيَة فيه، وهـو واقع على كل الخلائق، من دُفِن منهم، ومن لم يُدفَن..

- هل عذاب القبر على الروح أم على البدن؟
- وأين مُستَقَر الأرواح؟
- وأين أرواح المؤمنين وأرواح الكافرين؟

مدخل:

الـروح لا يعـرف حقيقتهـا وطبيعتهـا إلا الله تعـالى، كمـا قـال تعالى: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْـرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُـم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيـلًا﴾ [الإسراء: ٨٥]..

وعذاب القبر ونعيمه يكون في الأصل على الروح سواء كانت متصلة بالبدن بعد دفنه، أو منفصلة عنه.. كما لو احترق الجسد أو تَقطَّع.. فإن الروح تتنعم وتتعذب دون الحاجة لوجود البدن.. والروح تستشعر العذاب والنعيم..

أين مستقر الأرواح؟



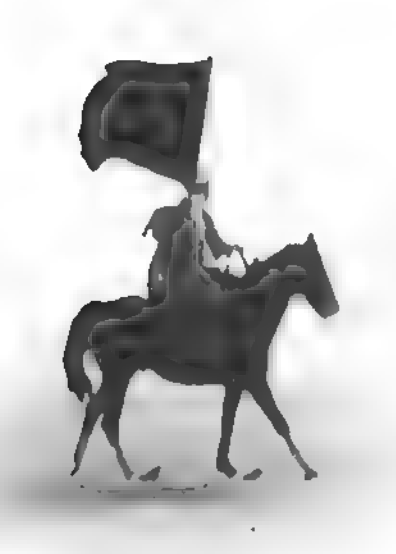
الجواب: أرواح الناس بعد الموت تختلف في مسـتقرها.. فمنها ما يكون في الجنة، ومنها ما يكون في النار، ومنها ما يكون في الأرض، ومنها ما يكون في أماكن أخرى.

۞ أرواح الأنبياء:

أرواح الأنبيـاء في حياة الـبرزخ في الرفيق الأعلى، وهو أعلـى عِلِّيِّين كما رآهـم النـبي ﷺ في ليلة الإسـراء والمعراج.. حيـث رأى آدم في الســماء الأولى. ورأى يَحْيَى وعيسى في السماء الثانية. ورأى يوسف في السماء الثالثة، ورأى إدريس في الســماء الرابعة، ورأى هارون في السماء الخامسة، ورأى موسى في السماء السادسة، ورأى إبراهيم في السماء السابعة[1].



(١) ثبت ذلك في الصحيحين.



۞ أرواح الشهداء:

أرواح الشهداء فهي في حياة البَرْزَخ فتكون في حَواصِل طير خُضر..

فقد سُئل رسول الله ﷺ عن قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴾ [آل عمران: ١٦٩] **فقال:**

« أرواحهم في جوف طير خُضر لها قناديل مُعلَّقة بالعرش تسرح من الجنة حيث شاءت، ثم تأوي إلى تلك القناديل [١]. فاطَّلع إليهم ربُّهم اطلاعة، فقال: هل تشتهون شيئًا؟ قالوا: أي شيء نشتهي! ونحن نسرح من الجنة حيث شئنا؟ ففعل ذلك بهم ثلاث مرات فلما رأوا أنهم لن يُتركوا من أن يسألوا قالوا: يا رب نريد أن تَرُدّ أرواحنا في أجسادنا حتى نُقتل في سبيلك مرة أخرى. فلما رأى أن ليس لهم حاجة تُرِكُوا » [٢]

تفصيل أحوال الشهداء:

جعفر بن أبي طالب ابن عم رسول الله ﷺ يكون في حياة البَرْزَخ له جَناحان يطير بها مع الملائكة في الجنة.

وجعفر هو أخو علي بن أبي طالب.. أسلم هو وزوجته أسماء مُبَكِّرين.. لم يتجاوز عمره الواحد والعشرين سنة.. وأصابه من الأذى والاضطهاد في مكة.. ما لا يُحتمَل.. فأذِن لهم النبي ﷺ بالهجرة إلى الحَبَشَة.. خرج جعفر وزوجه إلى الحبشة.. إلى أرض الغُرَباء البُعَداء.. خرج وهو الشريف في قومه..

(١) قناديل: جمع قنديل، وهو السراج.

(٢) رواه مسلم.

إلى أرض الغربـاء البعـداء.. إلى أرض لا يعرفها.. وقبائـل لا يألفها.. ولغة لا يفهمها.. لبث في الحبشة ثلاث سنين.. ثم أُشِيع عندهم أن قريشًا قد أسلموا.. فعاد بزوجته وولده.. فإذا قريش على كفرها.. فردَّهم النبي ﷺ إلى الحبشة.. عاد إلى الحبشة.. وأكمل فيها سبع سنوات..

فلمـا فتـح النـبي ﷺ خَيْبَر أرسـل إلى المسـلمين في الحبشـة ليَقْدُموا إلى المدينة.. فلما دخلوا المدينة.. فرح النبي ﷺ بقدوم جعفر فرحًا شديدًا.. وذُكر أنـه ﷺ لما رآه قَبَّله بين عينيـه والْتَزَمه وقال:« ما أدري بأيهما أنا أسـرّ: بفتح خيبر، أم بقدوم جعفر! »[1]..

وكان جعفـر شـديد الشَبَه بالنـبي ﷺ.. حتـى كان ﷺ يقـول لجعفر: « أشبَهت خَلْقي وخُلُقي »[2]..

الخروج إلى مُؤْتَة:

مـا كاد جعفر يسـتقر في المدينة.. حتى بلغ النـبي ﷺ أن الروم يجمعون الجيوش لغزو المسلمين..

فجَهّز النبي ﷺ جيشًا لقتال الـروم في مؤتـة.. وأمّـر عليهم زَيْـد بـن حارِثـة.. وقـال لهم: إن أصيـب زيد فجعفـر.. على النـاس فـإن أُصيـب جعفـر.. فعبد الله بن رَواحة..



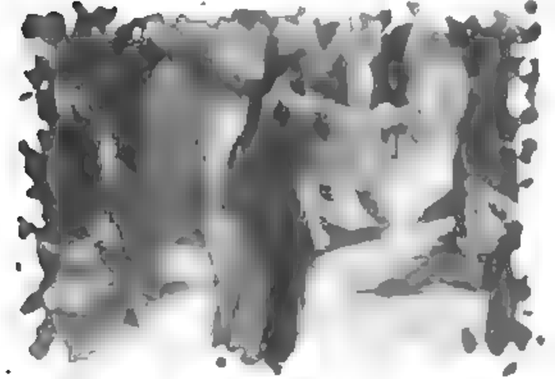
فتجهّز الناس وهم ثلاثة آلاف مقاتل.. ثم ودّعهم رسول الله ﷺ..

(١) أورده ابـن القَيِّـم في زاد المعـاد (٢/ ١٣٩). وذكـره الحاكـم في مُسْـتَدركه، مَناقِـب جعفـر بـن عبـد المطلب(٣/٢٣٠).

(٢) رواه أحمد في المُسْنَد ورجاله ثِقات، ومثل ذلك رواه ابن سعد في الطبقات.

وصل المسلمون إلى مؤتة.. فإذا الروم مائة ألف مقاتل.. فابتدأ القتال.. فأخذ الراية زيد فأُصيب فقُتل.. ثم أخذها جعفر بيمينه.. وقاتل بها حتى إذا اشتد القتال.. رمى بنفسه عن فرسه.. وهو يقول:

يا حبذا الجنة واقترابها　　طيبة وبارد شرابها
والروم روم قد دنا عذابها　　كافرة بعيدة أنسابها
عليّ إذا لاقيتها ضرابها



ولا زال يضربهم بسيفه.. والراية بيمينه.. فضربه رومي على يمينه.. فقُطِعت.. فأخذ الراية بشماله فقُطِعت.. فاحتضنها بعَضُدَيه حتى قُتل.. وهو ابن ثلاثين سنة..

قال عبد الله بن عمر ﷺ: رأيت جعفر صَرِيعًا.. وفي جسده أكثر من تسعين ضربة ما بين طعنة وضربة ورَمْيَة.. والله ما فيها واحدة في قَفاه.. ثم أخذ الراية عبد الله بن رواحة.. فأُصيب فقُتل.. ثم أخذها خالد بن الوليد.. فانسحب بالجيش..

خبر الشهداء في المدينة:

هذا خبر المجاهدين في مُؤْتَة.. أما خبر المدينة فيحكيه أنَس ﷺ فيقول:

خرج إلينا رسول الله ﷺ.. ثم رَقَى النبي ﷺ المِنْبَر.. فقال: ألا أنبئكم بخبر جيشكم هذا الغازي؟ **قلنا:** بلى.. **قال:** أخذ الراية زيد فأصيب فقتل فاستغفروا له.. **قالوا:** اللهم اغفر له وارحمه.. **قال:** ثم أخذ الراية جعفر فأصيب فقتل فاستغفروا له.. **قالوا:** اللهم اغفر له وارحمه.. **قال:** ثم أخذ الراية عبد الله بن رواحة.. فأصيب فقتل فاستغفروا له.. **قالوا:** اللهم اغفر له وارحمه.. **ثم استَعْبَر النبي ﷺ ونزل.. وبعدها.. ذهب إلى بيت جعفر..**

قالت أسماء بنت عُمَيس زوجة جعفر: كنت قد غسّلت أولادي.. ونظفتهم ودهنتهم.. وعجنت عجيني.. ننتظر قدوم جعفر..فاستاذن علينا رسول الله ﷺ ثم دخل.. فقال: ادعي لي بَنِي أخي..

قالت: فأتيته بهم كأنهم أفراخ.. فلما رأوا رسول الله ﷺ.. أقبلوا يتسابقون إليه.. يتعلقون به ويُقبِّلونه.. يظنونه أباهم جعفر.. فجعل رسول الله ﷺ يمسح رؤوسهم ويبكي.. ويمسح رؤوسهم ويبكي..

فقالت أسماء: يا رسول الله.. أبلغك عن جعفر شيء؟ **فسَكَتَ.. قالت:** يا رسول الله.. أبلغك عن جعفر شيء؟ **قال:** قُتل جعفر.. **قالت:** يا رسول الله.. يُتّم بنيه.. يُتّم بنيه.. **قال:** العيلة تخافين عليهم..!! أنا وَلِيُّهُم في الدنيا والآخرة.. **ثم خرج رسول الله ﷺ وهو يقول:** « على مثل جعفر فلتبك البَواكي »[1]..

ثم رجع الرسول ﷺ إلى أهله فقال: « اصنعوا لآل جعفر طعاما فإنهم أتاهم ما يشغلهم.. »[2]..

نعم.. قُتل جعفر.. وفارق أهله وماله.. لكنه دخل جنة عرضها السماوات والأرض.. قال ﷺ: « رأيت جعفر في الجنة.. له جناحان مُضرجان بالدماء.. يطير بهما مع الملائكة »[3].

وكذلك حمزة..

فقد رأى رسول الله عمه حمزة بن عبد المطلب سيد الشهداء في حياة البرزخ مُتَّكِئًا على سرير.. قال ﷺ: « دخلت الجنة البارحة فنظرت فيها فإذا جعفر يطير مع الملائكة. وإذا حمزة مُتكئ على سرير »[4].

(١) ذكره ابن عبد البَرّ في الاستيعاب ج:١ ص:٢٤٣

(٢) أخرجه الإمام أحمد والترمذي وهو صحيح الإسناد.

(٣) أخرجه الطَبَراني في الأوسَط، والحاكم في المُستَدرَك، صحيح.

(٤) أخرجه الحاكم في المستدرك، صحيح.

ومن أرواح الشهداء في حياة البرزخ:

ما يكون في قُبَّة خضراء على باب الجنة، فقد قال رسول الله ﷺ: «الشهداء على بارق نهر بباب الجنة في قبة خضراء يخرج عليهم رزقهم من الجنة بُكرَةً وعَشِيًّا»[١].

۞ أما أرواح المؤمنين غير الشهداء:

فهي كما قال ﷺ: «إنما نَسمَة[٢] المؤمن طائر يعلق[٣] في شجر الجنة حتى يبعثه الله ﷻ إلى جسده يوم القيامة»[٤].

فأرواح بعض المؤمنين تكون في حياة البرزخ طائرًا يأكل من شجر الجنة..

هل تتلاقى أرواح المؤمنين في الجنة؟

مسألة



نعم، أرواح المؤمنين في حياة البرزخ تَتَزاور وتتلاقى، ويُحَدِّث بعضها بعضًا، فقد قال ﷺ: «إذا حُضِر المؤمن أتته ملائكة الرحمة بِحَرِيرةٍ بيضاء[٥] فيقولون: اخرجي راضية مرضيًا عنك إلى رَوح الله وريحان وربٍّ غير غضبان[٦]. فتخرُج كأطيب ريح المسك حتى أنه ليُناوِله بعضهم بعضًا، حتى يأتون به باب السماء فيقولون: ما أطيب هذه الريح التي جاءتكم من الأرض! فيأتون به أرواح المؤمنين فلهم أشد

(١) رواه أحمد وابن حِبّان في صحيحه والحاكم وقال صحيح على شرط مسلم.

(٢) نَسَمَة المؤمن: رُوحه.

(٣) يَعْلَق: يأكل.

(٤) رواه النسائي وابن ماجة، صحيح.

(٥) الحريرة البيضاء: أي قطعة من قماش الحرير الناعم الأبيض اللين.

(٦) هذا فيه البِشارة لها، أي اخرجي إلى لقاء الله تعالى بأيسر طريقة وأحسن سبيل.

فرحًا به من أحدكم بغائبه يقدم عليه، فيسألونه: ماذا فعل فلان؟ ماذا فعل فلان؟ فيقولون: دعوه فإنه كان في غمّ الدنيا، فإذا قال: أما أتاكم؟ قالوا: ذُهب به إلى أمّه الهاوية[1].

وإن الكافر إذا احتُضر أتته ملائكة العذاب بمسح فيقولون: اخرجي ساخطة مسخوطا عليك إلى عذاب الله ﷻ[2]، فتخرج كأنتن ريح جيفة، حتى يأتون به باب الأرض، فيقولون: ما أنتن هذه الريح!! حتى يأتون به أرواح الكفار »[3].

نعم تتلاقى أرواح أهل الخير.. ويعرف بعضهم بعضًا..

الشهداء:

قال ربنا ﷻ عن الشهداء: ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ (١٦٩) فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (١٧٠) يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [آل عمران: ١٦٩ - ١٧١].

فهذه الآيات فيها فضيلة الشهداء وكرامتهم، وما مَنَّ الله عليهم به من فضله وإحسانه، وفي ضِمنها تَسلية وتَصبير الأحياء عن قتلاهم وتعزيتهم، وتنشيطهم للقتال في سبيل الله والتَعرُّض للشهادة.

(١) كان في غمّ الدنيا: يعني اتركوه قليلًا ليرتاح من هم الدنيا وغمها، ثم يجيب على ما تريدون، والمعنى: أن أرواح المؤمنين تسأل روح المؤمن التي قدمت من الدنيا، عن أصحاب لهم في الدنيا: ما فعلوا؟ ما أخبارهم؟ فيقول لهم: إن فلانًا مات قبلي.. أما أتاكم في الجنة؟ فيقولون: ذُهب به إلى أمه الهاوية أي النار.

(٢) مسح هو مفرد مُسُوح، وهي أكفان من النار، فيلفونها في كفن من النار، ويقولون تعذيبًا لها وزجرًا اخرجي إلى عذاب الله.

(٣) رواه النسائي وصححه الألباني، والمعنى أن الكافر والفاسق تخرج روحه منتنة، حتى إن الملائكة تقول: ما أنتن هذه الريح! أي ما أقبح هذه الرائحة وأسوءها! ولا ترتفع إلى أبواب السماء، بل تكون في أبواب الأرض السُفلى لأن أبواب السماء لا تُفتح لها.

فقولـه تعـالى: ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾: أي: الذين قُتِلوا في جهاد أعداء الدين، قاصدين بذلك إعلاء كلمة الله.

وقولـه: ﴿أَمْوَٰتًا ﴾: أي: لا يخطـر ببالك أنهـم ماتوا وفُقِـدوا، وفاتتهم لذّة الحياة الدنيا والتمتع بزَهرتها، بل هم الآن أحياء عند ربهم في دار كرامته.

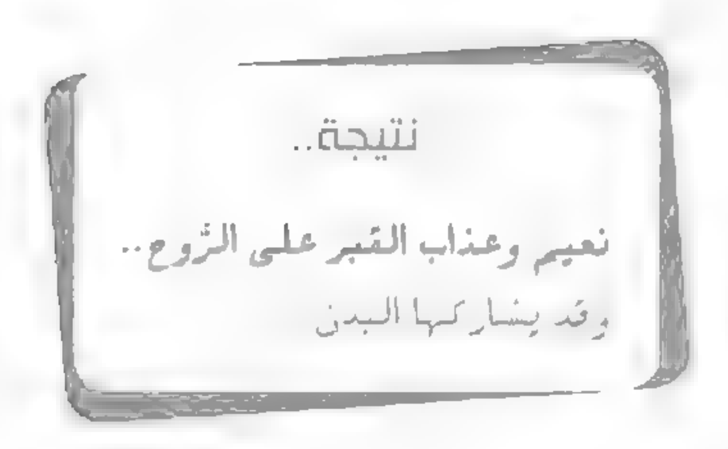
وقوله ﴿ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴾ أي: في درجة عالية يتلذّذون بأنواع النعيم.

وقوله: ﴿ فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ﴾: أي: مسـرورين بذلك، قد قَرَّت به عيونهم، وفرحت به نفوسهم، لحُسْن النعيم وكثرته، وعظمته.

فلمـا تَمّ لهم النعيم والسـرور، وصف الله تعالى حالهم بقوله: ﴿وَيَسْتَبْشِرُونَ بِٱلَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُواْ بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ ﴾ أي: يُبشّـر بعضهـم بعضًـا، بوصـول إخوانهم الأحيـاء الذين لا يزالون في الدنيا ولم يلحقوا بهم، وأنهم سينالون ما نالوا، وهم عند ربهم لا خوفٌ عليهم من انقطاع النعيم، ولا هم يحزنون على ذُريّاتهم التي تركوها في الدنيا.

ثم ختـم الله تعالى وصف حالهم بقولـه: ﴿ يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾[1] .

نسـأل الله تعـالى عيش السـعداء وموت الشـهداء.. والحشـر مـع الأتقياء ومرافقة الأنبياء..


نتيجة..

نعيم وعذاب القبر على الرّوح..
وقد يشاركها البدن

(١) قاله الشيخ السّعدي في تفسيره.

أدِلَّة عذاب القبر ونعيمه

القبر أول منازل الآخرة.. وهو بيت الأُنس والسرور لمن أحسن عمله، واستعد للقاء ربه، وهو بيت الوَحْشة والظُلْمة لمن أساء عمله، وفَرَّط في طاعة ربه.

قال ﷺ: «إن القبر أول منازل الآخرة، فإن نجا منه، فما بعده أيسر، وإن لم يَنْجُ منه، فما بعده أشدّ منه»[1].

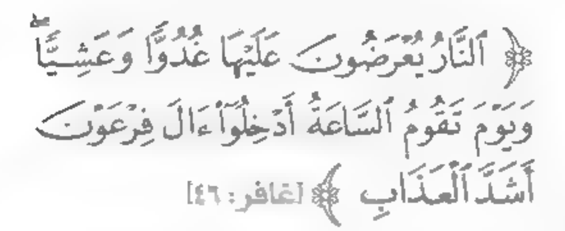
- فما الأدلة على ما يقع في القبور؟
- ومتى يبدأ السؤال في القبر؟
- وهل يعلم الموتى بزيارة الأحياء؟

۞ مدخل:

الإيمان بعذاب القبر ونعيمه، هو من الإيمان بالغيب، وهو أيضًا من أصول الإيمان باليوم الآخِر، وقد تظافرت أدلة الكتاب والسنة على إثبات ما يقع في القبور.

۞ أدلة عذاب القبر ونعيمه:

- قال تعالى عن آل فرعون:



﴿ ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓا۟ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ ﴾ [غافر: ٤٦]



(١) رواه الترمذي وابن ماجة والحاكم (حسن).

فهم يُعرَضون على النار في قبورهم في الصباح والمساء، ثم يُرَدُّون إلى عذاب النار إذا قامت الساعة.

- **وقال تعالى:** ﴿سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ﴾ [التوبة: ١٠١].

فالعذاب الأول للكافرين والمنافقين في الدنيا بالهَمّ والغَمّ، والعذاب الثاني في القبر، ثم يُرَدُّون إلى عذاب عظيم في النار بعد قيام الساعة ومجيء الآخرة.

- **وقال ﷺ:** «إن العبد إذا وُضع في قبره وتولى عنه أصحابه وإنه ليسمع قَرْع نِعالهم... **الحديث**»[١].

وفي هذا الحديث ذُكر أن الكافر أو المنافق إذا سُئل: ما كنت تقول في هذا الرجل؟ يعني محمدًا ﷺ، فإنّه يقول:

«لا أدري! كنت أقول ما يقول الناس! فيُقال: لا دريت، ولا تليت، ويُضرب بمطارق من حديد ضربة، فيصيح صيحة يسمعها من يليه غير الثَقَلين»[٢].

- **وقال ﷺ:** «فلولا أن لا تدافَنُوا لدعوت الله أن يسمعكم من عذاب القبر الذي أسمع منه[٣]»[٤].

- **وكان ﷺ يقول:** «وأعوذ بك من عذاب القبر»[٥].

- **وقال ﷺ:** «عذاب القبر حقّ»[٦].

---

(١) متفق عليه.

(٢) متفق عليه.

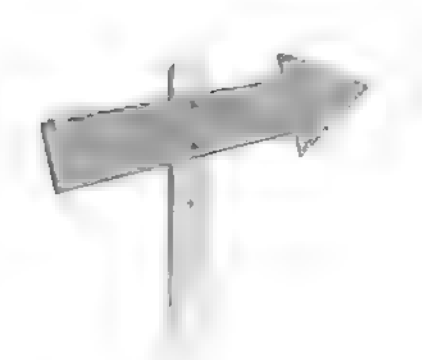
(٣) المعنى: أن النبي ﷺ كان قد مَكّنه الله تعالى من سماع عذاب القبر، فهمّ أن يدعو الله تعالى أن يُسمع أُمّته مثل ما يسمع هو من هذا العذاب ليكون لهم عِبرة وعِظَة، لكنه خشي أن يقع في قلوب الناس من الفزع والخوف ما يجعلهم لا يَدفِن بعضهم بعضًا بعد الموت.

(٤) رواه مسلم.

(٥) متفق عليه.

(٦) متفق عليه.

لمن يكون نعيم القبر؟



يكون للمؤمنين.. قال تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ طَيِّبِينَ ۙ يَقُولُونَ سَلَـٰمٌ عَلَيْكُمُ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ [النحل: ٣٢].

وقال ﷺ: « إن العبد إذا وُضِع في قبره وتولى عنه أصحابه... الحديث ».

وفيه أنه يسأله مَلَكان فيقولان له: « ما كنت تقول في هذا الرجل؟ محمد ﷺ. فأما المؤمن فيقول: أشهد انه عبد الله ورسوله. فيقال له: انظر الى مقعدك من النار قد ابدلك الله به مقعدا من الجنة »[١].

وبيّن النبي ﷺ أنّ المؤمن يجيب على الأسئلة: « فينادي مناد من السماء أن: قد صدق عبدي، فأفرشوه من الجنة، وافتحوا له بابا إلى الجنة، وألبسوه من الجنة. قال: فيأتيه من روحها وطيبها، ويُفتح له فيها مدّ بصره »[٢].

على من يكون عذاب القبر؟



عذاب القبر توعَّد الله تعالى به من عصى وطغى، وهو في الأصل يكون على الكافرين، ويُصيب أيضًا العُصاة من المؤمنين بسبب ذنوبهم.

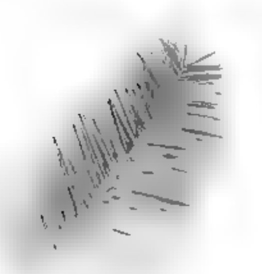
(١) متفق عليه. والمعنى: لو كنت عصيت فهذا المقعد من النار كان مُعدًا لك، وقد أبدلك الله به مقعدًا من الجنة.

(٢) رواه أبو داوُد، صحيح. والمعنى أن الملائكة تُؤمر فيصنعوا في القبر فُرشا من الجنة، ويُلبسوه لِباسًا من الجنة، ويفتحوا له بابًا إلى الجنة، تكريمًا له وتَنْعيمًا.

قال ابن عبّاس رضي الله عنه: مَرَّ النبي ﷺ على قبرين، فقال: «إنهما ليعذبان، وما يعذبان من كبير. ثم قال: بلى، أما أحدهما فكان يسعى بالنَّميمة، وأما أحدهما فكان لا يستتر من بوله. ثم أخذ عُودًا رَطبًا فكَسَره باثنَتَين ثم غرز كل واحد منهما على قبر، ثم قال: لعلَّه يُخفِّف عنهما ما لم ييبسا»[1].

هل من المنجيات وضع جريد النخل على القبر؟


مسألة



الجواب: لا، وأما فِعْل النبي ﷺ ذلك فخاصٌّ به؛ لقوله ﷺ: فأحببت بشفاعتي أن يُرَفَّه عنهما.

ثم إن لو أن أحدًا من الناس بعد رسول الله ﷺ وضع جريدة على قبر فكأنه يُزَكِّي نفسه، فمن هو حتى يُخَفِّف الله العذاب بسببه؟ وكذلك قد وضع النبي ﷺ الجَرِيد بعدما عَلِم بعذابهما، فمن أدراك أن صاحب القبر مُعَذَّب؟

متى يبدأ سؤال الميت في قبره؟


مسألة

الجواب: إذا دُفِن الميت وفُرِغ من دفنه فإنَّه تعود روحه إلى جسده ويُسأل: كما قال عثمان رضي الله عنه: « كان النبي ﷺ إذا فَرغ من دفن الميت وقف عليه فقال: استغفروا لأخيكم وسَلُوا له التثبيت فإنه الآن يُسأل »[2].

(١) الحديث متفق عليه. والمعنى: أنه ﷺ سمع عذابهما فأخذ عُودًا رطبًا وفي رواية أخذ جريدة نخل وشَقَّها نصفين، وغرس فوق كل قبر عودًا منها، رحمة بهما وإحسانًا إليهما.

(٢) رواه أبو داوُد والحاكم،صحيح.

هل يسمع الناس عذاب القبر؟





الجواب: عذاب القبر لا يمكن أن يسمعه الثَّقَلان - الجن والإنس - كما قال ﷺ عن الكافر: « فيَصِيح صيحةً يسمعه كل شيء إلا الثَّقَلَيْن »[1].

لكن البهائم تسمع عذاب القبر؛ فقد دخلت على عائشة عجوزان من عجائز اليهود في المدينة، فتحدثتا عندها عن عذاب القبر، فلما رجع رسول الله ﷺ إلى بيته، سألته عائشة عن عذاب أهل القبور، فقال ﷺ: «صدقتا، انهم يعذبون عذابا تسمعه البهائم »[2].

هل الميت يسمع الأحياء؟



الجواب: هذا فيه خلاف بين أهل العلم، والأقرب أن الموتى لا يسمعون الأحياء لقوله تعالى: ﴿وَمَآ أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِي ٱلْقُبُورِ﴾ [فاطر: ٢٢].

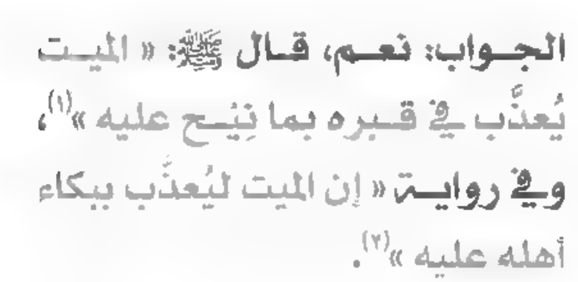
لكنه يَسمع قرع نِعالهم إذا دفنوه.. كما قال ﷺ عن الميت إذا وُضِع في قبره وتَوَلَّى الناس عنه: « انه ليسمع قرع نعالهم »[3].

(١) رواه أحمد، صحيح.
(٢) متفق عليه.
(٣) متفق عليه.

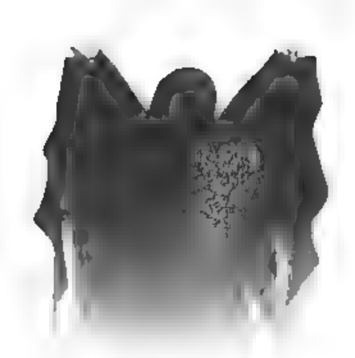
هل يعذَّب الميت ببكاء أهله عليه؟

مسالة





الجواب: نعم، قال ﷺ: « الميت يُعذَّب في قبره بما نِيح عليه »[1]، **وفي رواية** « إن الميت ليُعذَّب ببكاء أهله عليه »[2].



إشكال



الأصل أن الميت يحاسب، وينعَم أو يُعذَّب بأعماله، فكيف ذُكر في هذا الحديث انه يعذَّب بسبب عمل غيره؟

الجواب: أن أهل الجاهلية كان أحدهم يُوصِي أهله قبل موته بالنِّياحة عليه وشَقّ الجيوب.. ليَظْهر عند الناس أنه محبوب مرغوب في بقائه..

كما قال أحدهم مُوصِيًا امرأته:

إذا مِتُّ فابْكِيني بما أنا أهْلُهُ ... وشُقي عليَّ الجَيْبَ يا ابنة معْبَد [3]

وقال آخر:

إذا متّ فابْكيني بِثِنْتَيْن لا يُقلْ ... كذبتِ وشرُّ الباكيات كذُوبها [4]

فإذا فعل المسلم ما يفعله أهل الجاهلية كان فعله معصية يستحق العقاب عليها.

---

(١) متفق عليه.

(٢) متفق عليه.

(٣) نقله في مِشكاة المصابيح ٥/٩٦٦.

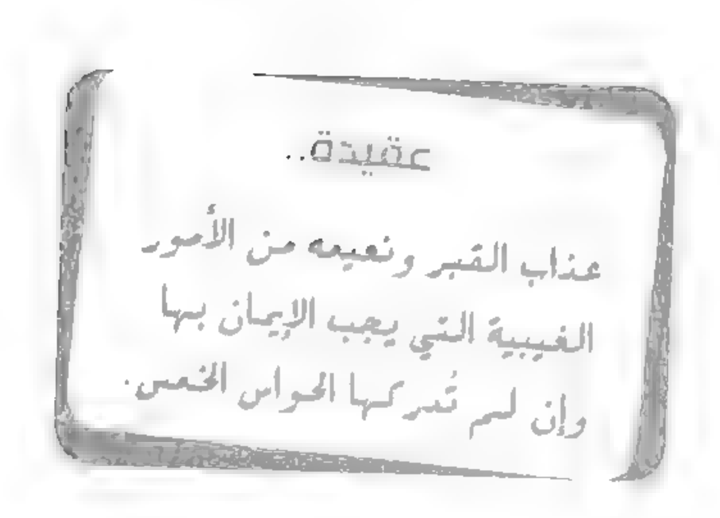
(٤) نقله في الأشباه والنظائر من أشعار المتقدمين ١/ ٣١.

وقيل معنى الحديث:

إن الميت يُعذَّب إذا عَلِم أن أهله من عادتهم النِّياحة على الموتى وشَقّ الجيوب، وربما رآهم يفعلون ذلك على موتاهم، وقد علم أنه إذا مات سيفعلون ذلك، ومع ذلك لم ينههم قبل موته، مع قدرته على نهيهم وتَذَكُّره لذلك، فإنه يُعذَّب.

وقيل معنى «ان الميت يُعذَّب»: أي: إنّ الميت يتألم لذلك ويتأثر به.

نسأل الله تعالى أن يشملنا برحمته ورضوانه.. آمين.



أحوال الناس في الحياة البَرْزَخِيَّة

الحيــاة البرزخية هي الفترة الفاصلة ما بين موت الإنســان وبعثه، ســواء دُفِن أو لم يُدفَن، فهي تقع لكل من مات من الإنس والجن.

وتتنوع أحوال الناس فيها بحسب أعمالهم في الدنيا، وقد أخبرنا النبي ﷺ، ببعض هذه الأحوال.

- فما أحوال الناس في القبور؟
- وما أنواع النعيم والعذاب؟
- وهل رأى النبي ﷺ شيئًا من ذلك؟

مدخل:

النبي ﷺ لا ينطق عن الهوى، إن هو إلا وَحيٌ يُوحَى، وقد حَدَّثنا بما أوحى الله تعــالى إليــه من أخبار الــبرزخ، بل بما رآه ﷺ بنفســه، ومــن ذلك أعمال أصحابها يُعذَّبون.

رحمة ربنا تعالى تسبق غضبه، وهو غفور رحيم جَوّاد.. لكن ربنا الجبار إذا غضــب.. لم يدفع غضبه إلا هو جل جلاله.. وقد أخبرنــا النبي ﷺ ببعض ما رأى من أنــواع العذاب.. تحذيرًا لنا وتذكيرًا.. وهي رُؤيا منام.. لكن ما يراه الأنبياء في منامهم هو نوع من الوَحي الحق الصادق..

قال سَمُرَة بنِ جُنْدُب رضي الله عنه: كان رسول الله ﷺ فيما يقول: هل رأى أحد من رؤيا؟ فيَقُصّ عليه من شاء الله أن يقص. وإنه قال لنا ذات غداة:

«انــه أتاني الليلة آتيـان[1]، وإنهما ابتعثاني، وإنهما قالا لـي: انطلق. وإني انطلقت معهما، حتى أتينا على رجل مضطجع، وإذا آخر قائم عليه بصخرة وإذا هو يهوي بالصخرة لرأســه، فيثلغ بها رأسه، فيتدهده الصخرة ها هنا، فيتبـع الحجر فيأخذه فما يرجع إليه حتى يصحّ رأســه كما كان، ثم يعــود عليه فيفعل به مثل ما فعل المرة الأولى[2]. قلت: ســبحان الله! ما هذان؟ قالا لي: انطلق، انطلق.

فانطلقت معهمـا، فأتينا على رجل مُسـتَلْق لقفــاه وإذا آخر قائم عليه بكلــوب من حديد، فإذا هو يأتي أحد شقّي وجهه فيُشرشر شدقه إلى قفاه، ومنخــره إلى قفاه، وعينــه إلى قفاه، ثم يتحول إلى الجانـب الآخــر فيفعــل بــه مثـل مــا فعل بالجانب الأول، فما يفرغ من ذلك الجانب حتى يصحّ الجانب الأول كما كان، ثم يعود فيفعل به مثل ما فعل المرة الأولى[3]. قلت: سبحان الله! ما هذان؟! قالا: انطلق، انطلق.



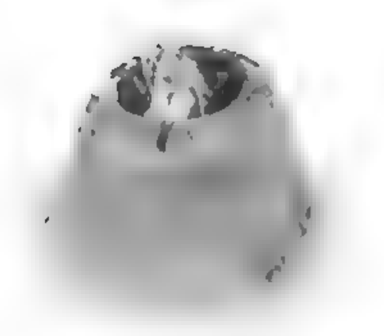
صورة توضيحية لشكل الكلوب

---

(١) يعني: جاءه مَلَكان من الملائكة.

(٢) المعنـى: أنــه ﷺ رأى رجـلًا مضطجعًا علــى الأرض، ورأى رجلًا آخر بيده صخرة يضـرب بها رأس هذا المضطجــع بــكل قوة، فيثلغ رأســه، فيدهــده الحجـر أي يتدحرج الحجـر، فيذهب هذا الضـارب يأتي بالحجـر، فإذا عاد إلى المضطجع فـإذا رأس المضروب قد التأم وعاد كمـا كان، فيضربه أخرى، فيثلغ رأسه، ثم يتدحرج الحجر.. ولا يزال الحال هكذا بهذه الصورة من العذاب.

(٣) المعنــى: أنــه رأى رجـلًا مضطجعًا على الأرض، ورجـلًا آخر بيده كلوب وهو عصا مــن حديد معقوفة الرأس، فيُدخِل رأس العصا في فم الرجل المضطجع، ثم يشرشر فمه أي يشق فمه إلى أن يصل إلى قفاه أي إلى الجهـة الخلفية من رأســه، ثم يفعل بمنخره من أنفــه مثل ذلك، ويفعل بعينه مثل ذلك، ثم إذا انتهــى من هذا الجانب من وجهه، انتقــل إلى الجانب الآخر من وجهه ففعل بفمه ومنخره وعينه كما فعل في الجانب الأول، فإذا انتهى منه، عاد الجانب الأول كما كان، ففعل به كما فعل المرة الأولى، ثم عاد للجانب الثاني، ففعل به ذلك، ثم رجع للأول.. وهكذا..



شكل التَّنُّور في الدنيا، ولا يعني أنه المقصود في الحديث

فانطلقت معهما، فأتينا على مثل بناء التَّنُّور، فإذا فيه لغط وأصوات، فاطَّلعنا فإذا فيه، رجالٌ ونساءٌ عراةٌ، وإذا بنهر لهيبٍ من أسفل منهم؛ فإذا أتاهم ذلك اللَّهب تَضوضوا! [١] قلت: ما هؤلاء؟ قالا لي: انطلق، انطلق.

فانطلقنا على نهرٍ أحمر مثل الدم وإذا في النَّهر رجلٌ يسبح، وإذا عند شطِّ النهر رجل قد جمع عنده حجارة كثيرة، وإذا ذلك السابح يسبح ما يسبح، ثم يأتي ذلك الرجل الذي جمع الحجارة، فيفغَر له فاهُ فيُلقمُه حجرا! [٢] قلت: ما هؤلاء؟! قالا لي: انطلق، انطلق.

فانطلقنا، فأتينا على رجل كريه المرآة، كأكره ما أنت راءٍ رجلاً مرآه، فإذا هو عند نار يحُشُّها ويسعى حولها! [٣] قلت لهما: ما هذا؟ قالا لي: انطلق، انطلق.

فانطلقنا، فأتينا على روضة فيها من كل نور الربيع، وإذا بين ظهري الروضة رجلٌ قائم طويلٌ لا أكاد أرى رأسه طولاً في السماء، وأرى حول الرجل من أكثر ولدان رأيتهم قطّ وأحسنه! [٤] قلت لهما: ما هؤلاء؟! قالا لي: انطلق، انطلق..

---

(١) المعنى: أنه ﷺ أثناء سيره مع الملكَين أتى على بناء مثل التنور، والتنور هو ما يخبز فيه الخباز خُبزه، وهو بناء من حجارة مثل البرميل يكون أسفله واسع وأعلاه ضيِّق، وفي داخل هذا البناء رجال ونساء عراة، ولهم أصوات وصراخ، ومن أسفلهم نار لها لهب، فإذا أصابهم اللهب ضوضوا أي صاحوا، فإذا سكن عنهم اللهب سقطوا في التنور، فيأتيهم اللهب مرة أخرى، فيضوضون.. وهكذا حالهم..

(٢) المعنى: أنه رأى نهرًا أحمر مثل الدم وفيه رجل يسبح، وعلى شاطئ النهر رجل آخر أمامه حجارة، فيأتي ذلك السابح عند هذا الجالس على الشط فيفغر فاه أي يفتح فمه باتساع، فيُلقي ذلك الجالس في فم هذا السابح حجرًا، فيمضي سابحًا في هذا النهر الأحمر، ثم يعود إلى هذا الجالس مرة أخرى فيفتح فمه فيلقمه حجرًا.. وهكذا..

(٣) المعنى: أنه ﷺ رأى رجلًا قبيحًا جدًا كريه المرآة أي كريه المنظر، وإذا عنده نار يحشها أي يشعلها ويجمع الحطب فيها، ويسعى حولها، وهو على هذا الحال لا يتوقف..

(٤) المعنى: أنه ﷺ أتى على روضة أي بستان كبير مليء بالأشجار والنبات من كل الأنواع النابتة في الربيع، وإذا في داخل هذه الروضة رجل طويل جدًا قائم، وحوله صبيان صغار، فيهم من الحُسن والجمال الشيء الكثير..

فانطلقنا، وأتينا دوحة عظيمة لم أر دوحة قط أعظم منها ولا أحسن![1] قالا لي: ارق فيها، فارتقينا فيها، فانتهينا إلى مدينة مبنية بلبن ذهب ولبن فضة، فأتينا باب المدينة، فاستفتحنا، ففتح لنا، فتلقانا فيها رجال شطر من خلقهم كأحسن ما أنت راء، وشطر كأقبح ما أنت راء! قالا لهم: اذهبوا فقعوا في ذلك النهر! فإذا نهر معترض يجري كأن ماءه المحض في البياض! فذهبوا فوقعوا فيه، ثم رجعوا، وقد ذهب ذلك السوء عنهم، وصاروا في أحسن صورة![2]

قالا لي: هذه جنة عدن، وهذاك منزلك، فسما بصري صعدا، فإذا قصر مثل الربابة البيضاء، قالا لي: هذاك منزلك، قلت لهما: بارك الله فيكما، ذراني أدخله، قالا لي: أما الآن فلا، وأنت داخله[3]، قلت: فإني رأيت منذ الليلة عجبا، فما هذا الذي رأيت؟ قالا لي: أما إنا سنخبرك:

أما الرجل الأول الذي أتيت عليه يثلغ رأسه بالحجر، فإنه الرجل يأخذ القرآن فيرفضه، وينام عن الصلاة المكتوبة.[4]

---

(١) الدوحة: الشجرة العظيمة الطويلة.

(٢) المعنى: لما ارتقى ﷺ الشجرة وصل إلى مدينة غاية في الجمال والحسن، مبنية بالذهب والفضة، فلما استفتحوا باب المدينة ففتح لهم، تلقاهم رجال، نصف جسد أحدهم جميل حسن جدًا، والنصف الثاني من الجسد قبيح جدًا، وأمامهم نهر أبيض شديد البياض، فقال الملكان لهؤلاء الناس اذهبوا فانغمسوا في ذلك النهر، فذهبوا وانغمسوا في النهر، ثم رجعوا إلى الملكين، وقد ذهب عنهم القبح، وصاروا في غاية الجمال.

(٣) المعنى: أن هذه المدينة التي رأيت بهذا الجمال والحُسن هي جنة عدن، فسما بصره ﷺ صعدًا أي نظر للأعلى، فإذا مثل الربابة البيضاء أي السحابة البيضاء المنفردة عن غيرها في السماء، وإذا هذا هو قصره ﷺ المعدّ له ليسكنه بعد وفاته ودخوله الجنة ﷺ، فلما رأى النبي ﷺ قصره أراد أن يدخله، فأخبره الملكان أنه سيدخله يقينًا، لكن ليس الآن، بل بعد وفاته ﷺ.

(٤) المعنى: أن هذا الرجل الذي يُعذَب، سبب عقوبته أنه كان يُعطَى له القرآن فيرفضه، يعني يرفض العمل به واتباع أحكامه وأوامره، أو يرفض تلاوته تكبّرًا وإعراضًا، أو يرفض اتباعه لعدم اقتناعه به ولا إيمانه به، وكذلك هو ينام عن أداء الصلاة في وقتها، أما صلاة الفجر أو غيرها من الصلوات، فعقوبته أن هذا الرأس الذي ثقُل عن الصلاة ولم يَنشط للاستيقاظ لها، وفضل النوم عليها، وكذلك تكبّر عن القرآن والعمل به، فهذا يُضرب رأسه المليء بالإغراض والكبر.

وأما الرجل الذي أتيت عليه يشرشر شدقه إلى قفاه، وعينه إلى قفاه، ومنخره إلى قفاه، فإنه الرجل يغدو من بيته فيكذب الكذبة فتبلغ الآفاق.[1]

وأما الرجال والنساء العراة الذين في مثل بناء التنور، فإنهم الزناة والزواني.[2]

وأما الرجل الذي في النهر، فيلتقم الحجارة، فإنه آكل الربا.[3]

وأما الرجل الكريه المرآة الذي عند النار يحشها فإنه مالك خازن جهنم.[4]

وأما الرجل الطويل الذي في الروضة، فإنه إبراهيم ﷺ.

وأما الولدان الذين حوله، فكل مولود ولد على الفطرة.

فقال بعض المسلمين: يا رسول الله: وأولاد المشركين؟ فقال ﷺ: وأولاد المشركين.[5]

---

(١) المعنى: أن هذا الرجل الذي يُشقّ طرف فمه ومنخر أنفه وعينه، هو الذي يكذب الكذبة ويخترع الخبر، فيُحدِّث به الناس، أو يَنشر ذلك من خلال وسائل الإعلام الحديثة مثل الفضائيات والإنترنت والصحف والهواتف المحمولة.. وغيرها، فلا يمر وقت يسير حتى تكون كذبته قد بلغت الآفاق أي انتشرت في كل أُفُق من الدنيا، وهو في ادعائه قد يقول إثباتًا لقوله قال لي فلان كذا أو رأيت كذا أو شممت كذا.. ويستعمل حواسه لإثبات الخبر الكاذب الذي اخترعه، عندها يُعَذَّب بشَقِّ فمه وأنفه وعينه.

(٢) المعنى: أن الزناة والزواني يوم القيامة، كما حَبسوا أنفسهم في الدنيا في شهواتهم المحرمة، يُحبسون يوم القيامة في هذا البناء الذي مثل التنور، وهم عراة، إذ لم يحفظوا عوراتهم في الدنيا عن نظر الناس إليها، بل كشفوا عوراتهم عند من لا يَحِلّ له رؤيتها، كذلك في عذابهم يُحبسون عراة، يُعذَّبون، ولا ينظر بعضهم إلى بعض استمتاعًا بسبب شدة اللهب والنار والعذاب، وكذلك لهب النار يأتيهم من أسفل منهم لأن جنايتهم وذنبهم من أعضائهم السفلية.

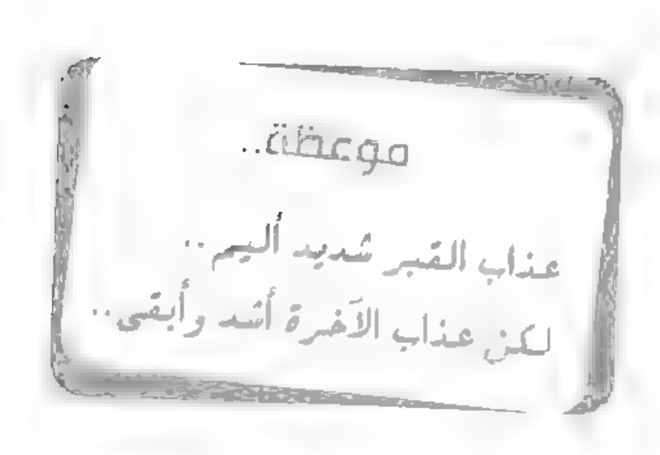
(٣) المعنى: أن الرجل السابح في نهر مثل الدم، كان يأكل الربا في الدنيا، ووجه التوافق بين لون النهر والربا، أن حب المال لما جرى في دمه إلى درجة أنه لا يهتم بحلال المال ولا حرامه، كذلك يسبح في مثل الدم يوم القيامة، وكذلك يوضع في فمه الحجر إشارة إلى أن الربا لا ينفع ولا يزيد المال، بل يَمْحَق المال، ويُزيل بَرَكته، كذلك الحصى والحجارة لا تنفع الإنسان ولا تسدّ جوعه لو أكلها.

(٤) المعنى أنه ﷺ رأى مالكًا خازن النار، وهو حول نار يجمع الحطب فيها ويُشعِلها، وقد جعله الله تعالى كريه المنظر زيادة في عذاب أهل النار.

(٥) المعنى: أن أبناء المسلمين الذين يموتون دون سن البُلوغ، أي أقل من خمسة عشر عامًا، يدخلون الجنة، ويكونون تحت كفالة نبي الله إبراهيم عليه الصلاة والسلام، والمقصود بالفطرة هي عقيدة التوحيد

وأما القوم الذين شطر منهم حسن، وشطر منهم قبيح. فهم قوم خلطوا عملًا صالحًا وآخر سيئًا، فتجاوز الله عنهم[1] »[2].

نسأل الله تعالى أن يشملنا برحمته.. آمين.



وعبادة الله وحده لا شريك له، وقد سأل الصحابة النبي ﷺ عن أولاد المشركين الذين يموتون أطفالًا، ما حالهم؟ فأخبر ﷺ أنهم أيضًا في كفالة إبراهيم في الجنة.

(١) المعنى: أن الله تعالى تَغلب رحمته عقوبته، ويغفر لأقوام عندهم سيئات كثيرة وحسنات، فهي سيئات استحقوا بها العذاب بالنار، وحسنات استحقوا بها الجنة. فجمعوا ما بين جمال الحسنات، وقُبح السيئات، فيغفر الله تعالى لهم.

(٢) رواه البخاري، وابن حِبّان، والرواية من مجموع روايتيهما.

أسباب عذاب القبر

عذاب القبر ونعيمه له أسباب، وقد فَصَّل الله تعالى لنا الحلال والحرام، وبَيَّن أسباب الهُدى والضلال، ولا يظلم ربك أحدًا.

- فما أسباب عذاب القبر؟
- وما أسباب نعيمه؟
- وكيف يستعد الإنسان لذلك؟

۞ مدخل:

من تأمّل في نصوص الشريعة، وجد عددًا من الأعمال، جاء عليها الوعيد، بعذاب القبر ونعيمه، وذلك ليكون الإنسان حذِرًا مُتيقّظًا.

ومن ذلك:

۞ الشِّرْك والكُفْر:

والشرك هو أعظم الذنوب، وهو أن يَصرف العبد شيئًا من العبادة لغير الله تعالى، من دعاء، أو صلاة، أو ذبح، أو استغاثة واستعانة.

قال ﷺ في أثناء كلامه عن عقوبة الكافر في القبر:



« ثم يُقيَض له أعمى أبكم معه مرزبة من حديد[1] لو ضُرب بها جبل لصار ترابا! فيضربه بها ضربة يسمعها ما بين المشرق والمغرب إلا الثقلين[2]. فيصير ترابًا، ثم تُعاد فيه الرُّوح »[3].

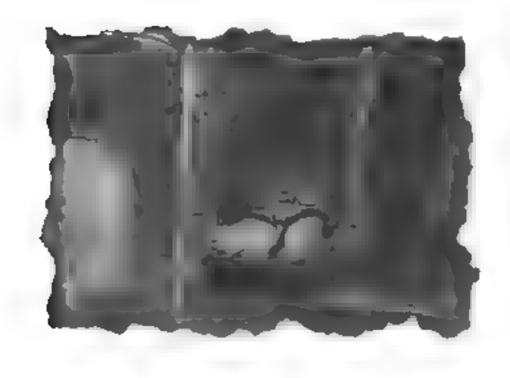


صورة توضيحية لشكل المرزبة
ولا يعني أنها المقصودة في الحديث.

وقد جاء وصف هذه المِطْرَقَة الحديدية في حديث آخر، حيث قال ﷺ: « لو اجتمع عليها من بين الخافقين لم يُقِلُّوها[4]. يشتعل منها قبره نارًا، ويُضيَّق عليه قبره حتى تختلِف أضلاعه »[5].

ومن الأسباب:

عدم التَنَزُّه من البَوْل:



أي عدم العناية بالنظافة من أثر البول بعد التبول، فيبقى أثره في الملابس.

قال ﷺ: « عامَّة عذاب القبر من البول »[6].

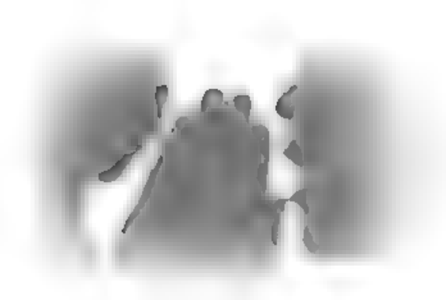
فينبغي على المسلم أن يحرص على إزالة النجاسات من بَدَنه وثوبه ومكان صلاته.

ومن الأسباب:

(١) يقيض له: أي يجعل معه في قبره مُلازِمًا له، والمرزبة هي: المطرقة العظيمة.
(٢) الثقلان هما الجن والإنس.
(٣) رواه أبو داود، صحيح.
(٤) ما بين الخافقين: أي المشرق والمغرب، ومعنى يقلوها: أي يحملوها.
(٥) رواه البَيْهَقِي في شُعَب الإيمان، وفي إسناد الحديث مَقال.
(٦) أخرجه الحاكِم في المُستَدرَك.



النَّمِيمَة:



النميمة هي نقل الكلام بين الناس على سبيل إحداث الخصومات والمشاكل، والإفساد بينهم.

قال ابن عباس:

مرّ النبي ﷺ بقبرين فقال: « انهما ليعذبان وما يعذبان في كبير [1] اما احدهما فكان لا يستتر [2] من البول، واما الاخر فكان يمشي بالنميمة »، ثم اخذ جريدة رطبةً فشقَّها نصفين [3]، فغرز في كل قبر واحدة، قالوا: **يا رسول الله لم فعلت هذا؟** قال: « لعله يُخفف عنهما ما لم ييبسا » [4].

فالغيبة لها عذاب في البَرْزَخ.. فقد قال رسول الله ﷺ:

« لما عرج بي مررت بقوم لهم اظفار من نحاس يخمشون وجوههم وصدورهم [5]. فقلت: من هؤلاء يا جبريل؟ قال: هؤلاء الذين ياكلون لحوم الناس ويَقَعُون في أعراضهم » [6].

ومن الأسباب:

---

(١) المعنى: هذان المدفونان يُعذَّبان في قبريهما.

(٢) لا يجعل سترًا بينه وبين بوله فيصيب ثوبه وبدنه ولا يعبأ به.

(٣) الجريدة: هي الغُصن من النخلة، شقَّها نصفين.

مسألة: فهل من المنجيات وضع جريد النخل على القبر؟

لا، وأما فعل النبي ﷺ ذلك فخاصٌ به: لقوله ﷺ في رواية الإمام مسلم: « فأحببت بشفاعتي أن يُرفَّه عنهما » ثم إن من وضع جريدة على قبر فكأنه يُزكِّي نفسه، فمن هو حتى يُخفِّف الله العذاب بسببه؟ وكذلك قد وضع النبي ﷺ الجريد بعدما علم بعذابهما، فمن أدراك أن صاحب القبر مُعَذَّب؟

(٤) رواه البخاري ومسلم.

(٥) أي لَمَّا عرج به وصُعد به إلى السماء رأى ذلك، ومعنى يخمشون: أي يمرون أظفارهم الحادة على وجوههم وصدورهم فيجرحونها ويشقونها.

(٦) رواه أبو داود، صحيح.

الغُلُول:

وهو السرقة من الغنيمة التي يغنمها المجاهدون في القتال، فيُسرق منها قبل أن تُقسَّم بينهم، وقد جاء فيه الوعيد فقال تعالى: ﴿وَمَن يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾ [آل عمران: ١٦١].

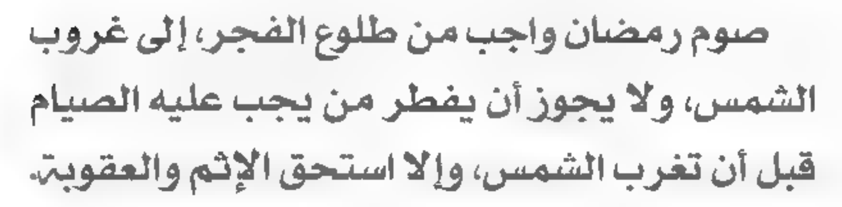
والغلول من أسباب عذاب القبر، قال أبو هريرة ﷺ: «افتتحنا خَيْبَر[١] ولم نَغْنَم ذهبًا ولا فِضَّة إنما غَنِمنا البقر والإبل والمَتاع والحوائط[٢]، ثم انصرفنا مع رسول الله ﷺ إلى وادي القُرَى ومعه عَبْدٌ له يُقال له مِدْعَمٌ أهداه له أحد بني الضِّباب. فبينما هو يَحُطّ رَحْل رسول الله ﷺ إذ جاءه سهم عائِر حتى أصاب ذلك العبد[٣]، فقال الناس: هنيئا له الشهادة. فقال رسول الله ﷺ: بل والذي نفسي بيده إن الشَّملة[٤] التي أصابها يوم خيبر من المغانم لم تصبها المقاسم لتشتعل عليه نارا. فجاء رجل حين سمع ذلك من النبي ﷺ بشِرَاك أو بشِرَاكَيْن[٥]، فقال: هذا شيءٌ كنت أصبته، فقال رسول الله ﷺ: شراك أو شراكان من نار»[٦].

ومن الأسباب:



الفِطْر في رمضان عَمْدًا بلا عُذْر:



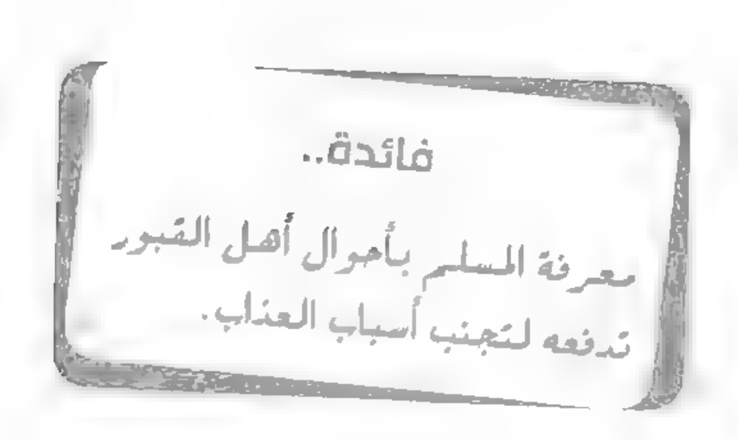


صوم رمضان واجب من طلوع الفجر، إلى غروب الشمس، ولا يجوز أن يفطر من يجب عليه الصيام قبل أن تغرب الشمس، وإلا استحق الإثم والعقوبة.

(١) فتح مدينة خيبر كان في السنة السابعة من الهجرة.
(٢) الحوائط: جمع حائط وهو البُستان.
(٣) سهم عائر: أي سهم غَرَب، لا يدرون من رماه.
(٤) الشملة: رداء يلبس على الكتفين فيغطيهما، وينسدل على الظهر.
(٥) شراك: أي نَعْل، وهو الحِذاء.
(٦) متفق عليه.

لقول النبي ﷺ: «بينا أنا نائم إذ أتاني رجلان، فأخذا بضبعيّ [1]، فأتيا بي جبلا، فقالا لي: اصعد، فقلت: إني لا أطيق، فقالا: إنا سنسهّله لك [2]، فصعدت، حتى كنت في سواء الجبل إذا أنا بأصوات شديدة [3]، قلت: ما هذه الأصوات؟ قالوا: هذا هو عُواء أهل النار، ثم انطُلق بي، فإذا بقوم مُعلّقين بعراقيبهم [4]، مُشقّقة أشداقُهم، تسيل أشداقهم دما [5]، فقلت: ما هؤلاء؟ قال: هؤلاء يُفطرون قبل تَحِلّة صومهم [6]» [7].

فهذه بعض الصور التي ثبتت في النصوص الشرعية، تشرح شيئًا مما يكون في الحياة البرزخية.



(1) قوله «فأخذا بضَبْعَيّ» ضَبْعَيّ مثنى ضَبع: وهو وسط العضُد، وهو ما بين الكَتِف والمِرفق، ويُمسك الإنسان منه عند اجتذابه عادة.

(2) أي سنسهل لك صعود هذا الجبل الوَعِر.

(3) أي لما وصل إلى وسط الجبل، سمع صِياحًا وأصواتًا.

(4) العراقيب: جمع عُرقوب، وهو عَصَب غليظ فوق عَقِب القدم من الخلف.

(5) مشققة أشداقهم: الشِّدق هو طرف الفم، فهي مشققة تسيل بالدماء.

(6) أي يفطرون قبل غروب الشمس.

(7) أخرجه الحاكم والطبراني في الكبير وابن خُزَيمة في الصحيح، صحيح.

النجاة من عذاب القبر

المسلم مأمور بأن يفعل الواجبات، ويترك المَنهِيَّات، طاعةً وقُربةً إلى ربّ العالمين جَلَّ جَلَالُه.

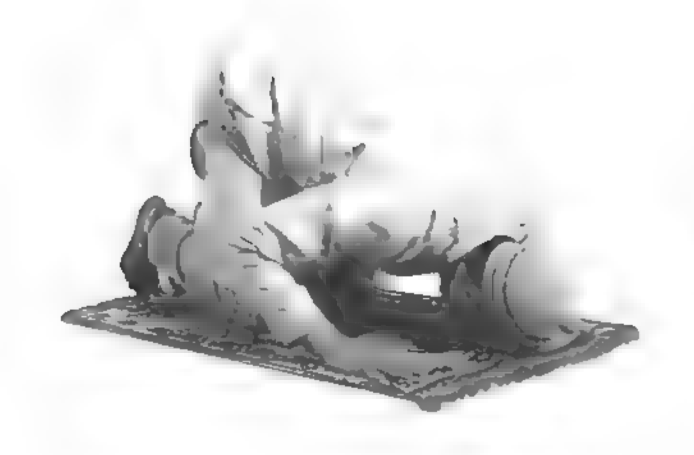
وقد أخبرنا النبي ﷺ بأعمال تُنجي من عذاب القبر.

- فما هذه الأعمال؟
- ولماذا قُدِّمت على غيرها؟
- وما فضلها؟

مدخل:

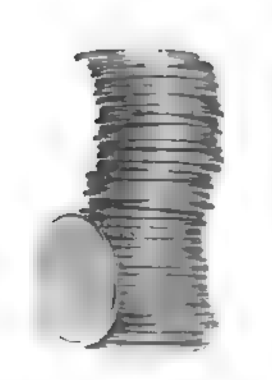
الأعمال الصالحة عمومًا تنفع العبد وترفعه في الدنيا والآخرة، والأعمال الصالحة تتفاوت، فبعضها أفضل من بعض، وقد نصَّ النبي ﷺ على أعمال مُنجية، منها:

الصلاة:



وهي أعظم العبادات، ومن حفظها حفظ دينه، ومن ضَيَّعها فهو لِما سِواها أَضيَع، فهي تُنجي المحافظ عليها من عذاب القبر.

۞ والزكاة:



وهي من أركان الإسلام، ومَبانِيه العِظام، وهي حقّ الله تعالى في المال، تُخرَج في مصارفها الثمانية.

۞ والصوم:



وهو من أركان الإسلام أيضًا، وأعظمه الصوم الواجب وهو رمضان، ثم صوم النَوافِل كيومي الاثنين والخميس، وعاشُوراء وعَرَفَة، وغيرها من الأيام الفاضلة.

۞ وفِعل الخَيْرات:

وهي لفظ عام يشمل كل عمل صالح، كالعبادات، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والإصلاح بين الناس.. وغيرها..

۞ والصدقة والصِلَة:



الصدقة لفظ عام يشمل الصدقة بالمال، والثياب، والمتاع، ....

والصلة منها صلة الرَّحِم، وأعظمه صلة رحم الوالدين، وبِرّهما، والرِفق بهما..

۞ والمعروف:

المعروف لفظ عام أيضًا، يشمل كل عمل أمر الله تعالى به، فالابتسامة معروف، والنصيحة معروف، والصدقة معروف.. وغيرها..

۞ والإحسان إلى الناس:

وهو لفظ عام أيضًا، يشمل الإهداء إلى الناس، وحُسن الخُلُق معهم، وغيرها..

وقد جمع النبي ﷺ هذه الفضائل في حديث واحد، فقال: «والذي نفسي بيده، إنه ليسمع خفق نِعالهم حين يُولُّون عنه، فإن كان مؤمنًا كانت الصلاة عند رأسه، والزكاة عن يمينه، والصوم عن شِماله، وفعل الخيرات والمعروف والإحسان إلى الناس من قبل رجليه، فيُؤتى من قبل رأسه، فتقول الصلاة: ليس قبلي مدخل[1]، فيؤتى عن يمينه، فتقول الزكاة: ليس من قبلي مدخل، ثم يؤتى عن شِماله، فيقول الصوم: ليس من قبلي مدخل، ثم يؤتى من قبل رجليه، فيقول فعل الخيرات والمعروف والإحسان إلى الناس: ليس من قبلي مدخل... »[2].

وقال ﷺ: «إذا دخل الإنسان قبره: فإن كان مؤمنًا احفّ به عمله الصلاة والصيام[3]، **قال:** فيأتيه الملك من نحو الصلاة فتَرُدُّه ومن نحو الصيام فيرده... »[4]

(١) ليس من قبلي مدخل: أي لا يمكن أن يأتي العذاب من جهتي، بل أنا أمنعه.
(٢) رواه الطَبَراني وابن حِبّان والحاكِم وصححه ووافقه الذَّهَبي، حَسَن.
(٣) احفّ به: أي صار حوله.
(٤) رواه أحمد والطبراني، صحيح.

۞ الاستعاذة بالله من عذاب القبر:



الدعاء واللجوء إلى الله تعالى نافِع للعبد، منَجٍّ له من العذاب.. ومن ذلك سؤال الله تعالى النجاة من عذاب القبر.

وقد كان النبي ﷺ يقول: « اللهم إني أعوذ بك من العجز والكسل والجبن والبُخل والهَرَم وعذاب القبر »[1].

وقال سعد بن أبي وَقَّاص رضي الله عنه: « كان النبي ﷺ يُعَلِّمنا هؤلاء الكلمات كما تُعلَّم الكتابة: اللهم إني أعوذ بك من البخل، وأعوذ بك من الجبن، وأعوذ بك من أن نُردَّ إلى أرذلِ العُمُر[2]، وأعوذ بك من فتنة الدنيا وعذاب القبر »[3].

وقالت عائشة رضي الله عنها: « كان رسول الله ﷺ كثيرا ما يدعو بهؤلاء الكلمات: اللهم إني أعوذ بك من فتنة النار، وعذاب النار، وفتنة القبر، وعذاب القبر، وشر فتنة المسيح الدجال، وشر فتنة الفقر، وشر فتنة الغنى »[4].

وكذلك شُرِع لنا عند الصلاة على الميت أن ندعو له بأن يُنجيه الله تعالى من فتنة القبر.. ففي حديث عوف بن مالِك رضي الله عنه أنّه سمع النبي ﷺ لمّا صلى على جنازة يقول في دعائه:

« اللهم اغفر له وارحمه، وعافِه واعف عنه، وأكرِم نُزُله، ووسِّع مُدخله، واغسله بالماء والثلج والبرد، ونقِّه من الخطايا كما نقَّيت الثوب الأبيض

---

(١) رواه مسلم.

(٢) أرذل العمر: هو الشيخوخة الشديدة التي يضعف فيها المرء ويصبح عالة على غيره.

(٣) رواه البخاري.

(٤) رواه النسائي وابن ماجة وغيرهم، صحيح.

مــن الدَنس، وأبدله دارا خيرا مــن داره، وأهلا خيرا من أهله، وزوجًا خيرا من زوجه، وادخله الجنة، وأعِذه من عذاب القبر أو من عذاب النار »[1].

الناجون من عذاب القبر:

أخبر النـبي ﷺ بأعمال تُنجي من عذاب القـبر، كذلك جاء في النصوص الشرعية بيان أن بعض الناس يَقِيهم الله تعالى عذاب القبر، ومن ذلك:

١ - الشهيد:



وهو مـن قُتـل مجاهـدًا في سـبيل الله، مُخْلِصًا لله، مُقْبِلًا غير مُدْبِر، فقد سَأل رجل رسول الله ﷺ فقال: مـا بـال المؤمنـين يُفتَنـون في قبورهم إلا الشـهيد؟ قال ﷺ: « كفى ببارقة السيوف على رأسه فتنة »[2].

والمعنـى: أن ثبـات المؤمن المجاهـد في القتال في سـبيل الله، وعـدم فِراره من الزَحـف، يدُّل على عَظَمة الإيمان في قلبـه، وثباته على الدين إلى الموت، فلا يحتاج أن يُمتحَن في قبره، أو يُسأل عن إيمانه بالله وتصديقه برسول الله ﷺ.

٢ - المُرابِط في سبيل الله تعالى:

الرِباط في سـبيل الله، هـو حَبس النَّفس في الثُّغـور وهـي حـدود بـلاد الإسـلام، لصدّ الأعداء عن المسـلمين، فالمجاهدون المرابطون المفارقون لأهليهم وأموالهم في سبيل حماية الإسلام، لهم فضل عظيم.



(١) رواه مسلم.

(٢) رواه النسائي.

قال ﷺ: « كل ميت يختم على عمله، إلا الذي مات مرابطا في سبيل الله، فإنه ينمى له عمله إلى يوم القيامة ويأمن من فتنة القبر »[1].

وقال ﷺ: « رباط يوم وليلة خير من صيام شهر وقيامه، وإن مات جرى عليه عمله الذي كان يعمله وأجري عليه رزقه، وأمن الفتّان »[2].

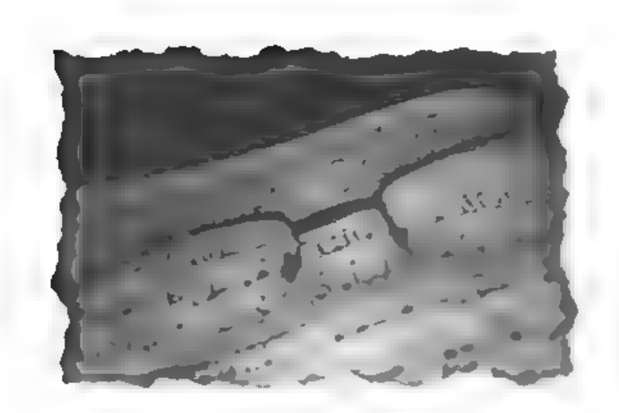
٣- من مات بداء البَطْن:

البَلاء يُكَفِّر الله به الخطايا، ويرفع به الدرجات، ومن ذلك البلاء بالمرض، والألم به، أو الموت بسبب هذا المرض.

قال ﷺ: « من يقتله بطنه فلن يُعذَّب في قبره »[3].

ومعنى يقتله بطنه: أي يموت بداء في بطنه، كسرطان في البطن أو الكَبِد، أو غير ذلك، ويشهد لذلك قوله ﷺ: « والمبطون شهيد »[4]**، أي الذي يموت بداء في بطنه، فله أجر الشهيد.**

٤- قِراءة سورة المُلْك كل ليلة:



القرآن خيرٌ كلُّه، وقد خَصَّ النبي ﷺ قراءة بعض السوَر بِفَضْل دون غيرها، ومن ذلك قراءة سُورة تَبارَك «الملك» فإنها المُنجية من عذاب القبر.

(١) رواه أبو داود والترمذي.

(٢) رواه مسلم.

(٣) رواه الترمذي والنسائي، صحيح.

(٤) رواه البخاري.

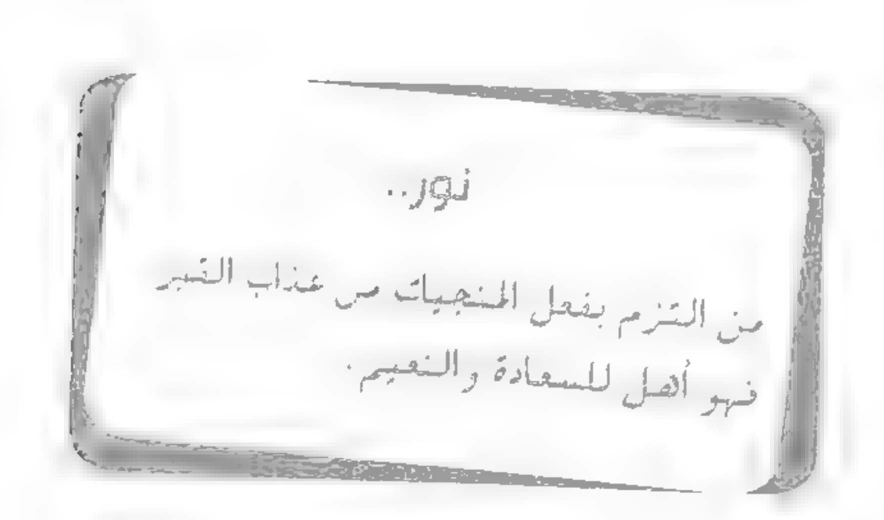
قال نبينا ﷺ: «سورة الملك هي المانعة من عذاب القبر»[1].

وعن عبد الله بن مسعود قال: من قرأ: ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ﴾ كل ليلة مَنَعَه الله بها من عذاب القبر، وكنا في عهد رسول الله ﷺ نُسميها المانِعة، وإنها في كتاب الله، سورة من قرأ بها في كل ليلة فقد أكثر وأطاب[2].



كل مدفون يضُمه القبر ضمة..

كما قال ﷺ عن سعد بن مُعاذ رضي الله عنه: «هذا الذي تحرّك له العرش، وفُتحت له أبواب السماء، وشهده سبعون ألفاً من الملائكة، لقد ضُمَّ ضَمَّة ثم فُرِّج عنه»[3].



(١) رواه ابن مَرْدَوَيْه، صحيح.
(٢) رواه النسائي، صحيح.
(٣) رواه النسائي، صحيح.

مخلوقات لا تَفْنَى

ربُّنـا الحيّ القَيُّوم ﷻ، كل شـيء هالِـكٌ إلا وجهه، وكل مُلْك زائـل إلا مُلْكه، كما قال تعالى: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ۝٢٦ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ [الرحمن: ٢٦ - ٢٧].

نعم كل من عليها فان.. يموت ويزول ويأكله التراب.. لكن في النصوص الشرعية استثناء أشياء من الفَنَاء..

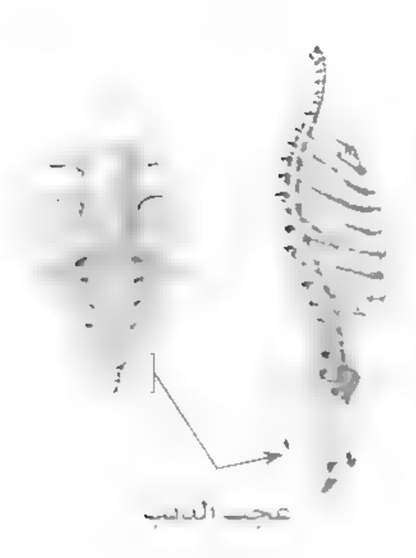
- فما هذه الأشياء؟
- وما معنى عدم فنائها؟

مدخل:

يُفْني الله تعالى ما يشاء، ويُبْقِي ما يشاء، وربك يخلق ما يشاء ويختار، فكل شيء من المخلوقات يموت ويَفْنَى ويزول، إلا ثمانية أشياء، هي:

عَجْبُ الذَّنَب:

وعجب الذنب هو: الفقرة الأخيرة السُفلى من فقرات الظهر، ويُسـمى «العُضعُص»، فإن جسـد الإنسـان يفنى ويأكله الـتراب إلا عجب الذنب، فمنه يُخلق الإنسان من جديد.



قال ﷺ: «كل ابن آدم يأكله التراب إلا عجب الذنب منه خُلق وفيه يُركّب»[1].

۞ الأرواح:

طبيعة الرُّوح وحقيقتها عِلمها عند ربي، لكن قوام الجسد وحياته بوجود الروح فيه، فإذا فارقته الروح مات الجسد، وصعدت إلى السماء، فإن كانت صالحة فُتحت لها أبواب السماء، وإن كانت غير صالحة سُدَّت أبواب دونها فلم تُفتح لها، والروح في كلتا الحالتين تعود إلى الجسد[2].

والروح لا تفنى فقد قال ﷺ عن الشهداء:

«أرواحهم في جوف طير خضر لها قناديل معلقة بالعرش تسرح من الجنة حيث شاءت ثم تَأوي إلى تلك القناديل»[3].

أما روح المؤمن فقال ﷺ عنها: «إنما نسمة المؤمن طائر في شجر الجنة حتى يبعثه الله عز وجل إلى جسده يوم القيامة»[4].

۞ الجنة والنار:

وقد خلقهما الله تعالى إكرامًا لأهل الطاعة، وإذلالًا لأهل المعصية، وهما باقيتان لا تفنيان. كما قال تعالى: ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا﴾ [النساء: 57].

(١) رواه مسلم.

(٢) تقدم الكلام عن الروح تفصيلًا. عند كلامنا عن حقيقة الموت، وذلك في أول الكتاب.

(٣) رواه مسلم.

(٤) رواه النسائي، صحيح.

۞ العَرْش:

معنى العرش في اللغة: السَّرِير الذي يستوي عليه المَلِك، ولربنا جَلَّ وعَلا عرش يليق بجلاله وعَظَمته، ذكر الله تعالى استواءه عليه في سبعة مواضع من القرآن، منها:

قوله تعالى: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾ [طه: ٥].

وقال تعالى: ﴿ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ﴾ [الأعراف: ٥٤].

والعــرش هــو أول المخلوقات، خلقه الله للبقاء لا للفنــاء، فهو لا يفنى عند النفخ في الصور كما تفنى بقيّة المخلوقات.

۞ الكُرْسِيّ:

وهو موضع قدمي ربنا ﷻ، كما قال ابن عباس [1]، فالكرسي باق لا يفنى ولا يزول.

۞ الحُوْر العِيْن:

وهن نساء الجنة، اللاتي خُلِقن لها، لا يَفْنَين كما تفنى المخلوقات.

۞ اللَّوح:

وهــو اللوح المحفــوظ الذي كتب الله تعالى فيه مقاديــر العباد، فهذا اللوح باقٍ لا يفنى.

(١) انظر صِفات الله ﷻ الواردة في الكتاب والسنة لعلوي السقاف، ص٢٢٣.

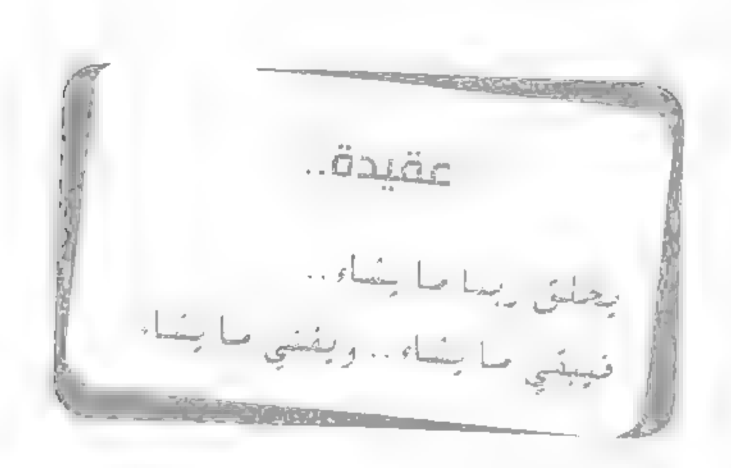
القَلَم:

وهو الذي خلقه الله تعالى وأمره بكتابة أعمال العباد، كما قال ﷺ: «أول ما خلق الله القلم فقال له: اكتب. قال: ربِّ وماذا اكتب؟ قال: اكتب مَقادِير كل شيء حتى تقوم الساعة»[1].

وقد جمعهما السِيُوطِي في بيتين من الشعر:

ثمانية حكم البقاء يعمها ... من الخلق والباقون في حيز العدم

هي العرش والكرسي نار وجنة ... وعجب وأرواح كذا اللوح والقلم



(١) رواه أبو داود والترمذي، صحيح.

سبع مسائل عن القبر

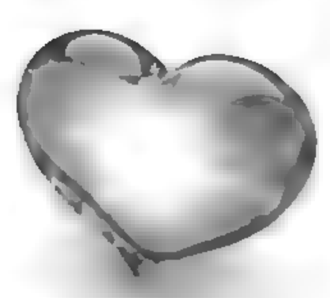
يقـع من الناس أخطاء ومخالفات تتعلق بالقبـور، واعتقادات خاطئة، قد تنتشر في بلد دون بلد، فأحببت التنبيه عليها في ختام الكلام عن القبور.

- فما هذه المسائل؟
- وما مخالفات الناس؟
- وكيف نستطيع علاجها؟

۞ مدخل:

بَعَـث الله تعالى الرُسُـل مُعلِّمين للنـاس وناصحـين، يهدونهم إلى الخير والهُدى، ويُحَذِّرونهم من سُبُل الرَّدى، ومن ذلك ما جاء عن نبينا محمد ﷺ من أحكام وتوجيهات تتعلق بالقبور وأحكامها. ومن ذلك:

۞ المسألة الأولى:



أن عـذاب القبر ونعيمه أمـور غيبية، لا تقاس بالعقل، والإيمان بالغيب من أهم صفات المؤمنين، كما قال تعـالى: ﴿ الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ ۝٢ ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡغَيۡبِ ﴾ [البقرة: ١ - ٣].

وممـا ينبغـي أن يُعلَم أن عذاب القبر هو عذاب الـبَرزَخ، فكل من مات وهو مُسـتحِق للعذاب، ناله نصيبه منه قُبِر أو لم يُقبر فلو أكلته السباع أو أُحرِق حتى صار رمادًا ونُسِف في الهواء أو صُلِب، أو غرق في البحر، وَصَلَ إلى رُوحه وبَدَنه من العذاب ما يَصِل إلى المَقبُور.

المسألة الثانية:



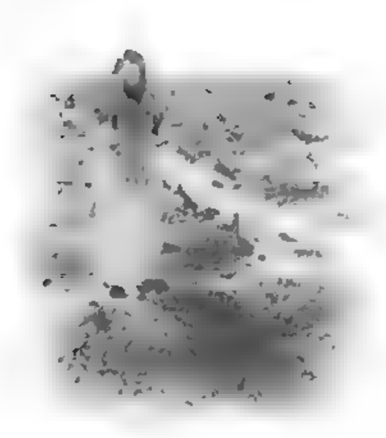
من المُحَرَّمات التي تقع من بعض الناس، والنساء خاصة، ما يقع من العَويل والنِّياحة والصراخ،

فقد قال ﷺ: «ليس مِنّا من ضَرب الخُدُود وشَقّ الجُيُوب ودَعا بدعوى الجاهلية»[1]،

وقال ﷺ: «النائحة إذا لم تتب قبل موتها، تقام يوم القيامة وعليها سربال من قطران، ودِرْع من جَرَب»[2]،

فعلى من أُصيب بموت حبيب أن يصبر ويحتسب، وليُبَشَّر بالأجر العظيم على صبره، قال ﷺ: «يقول الله تعالى: ما لعبدي المؤمن عندي جزاء إذا قبضت صَفِيّه من أهل الدنيا، ثم احتَسَبَه، إلا الجنة»[3]

المسألة الثالثة:



زيارة القبور مشروعة، ويكون قصده من الزيارة الاعتبار والاتعاظ، دون قصد التَبَرُّك بالقبر، أو بتربة القبر، أو الانتفاع بالمقبور.

ولا يجوز أن يُخَصِّص الزائر يومًا معينًا للزيارة، لأنه لم يثبت عن النبي ﷺ أنه خَصَّص أيامًا للزيارة.

---

(١) متفق عليه.

(٢) متفق عليه.

(٣) متفق عليه.

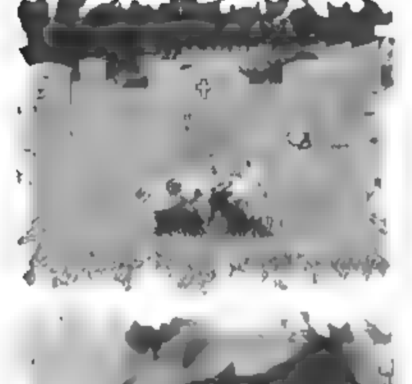
وقد قال ﷺ: «من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو ردّ»[1].

وبعض الناس يقرأ الفاتحة عند زيارة القبور، وهذه من البِدَع، إذ لم يثبت عنه ﷺ أنه قرأ شيئًا من القرآن عند القبور، بل كان يدعو للأموات ويستغفر لهم.

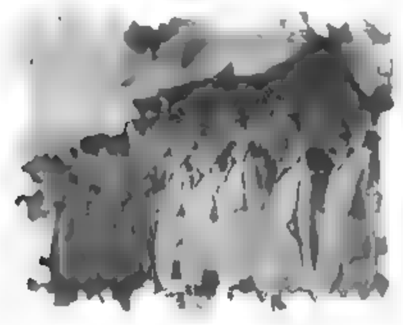
ولا يجوز السفر لزيارة قبر من القبور، لقوله ﷺ: «لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد: المسجد الحرام، ومسجدي هذا، والمسجد الأقصى»[2].

المسألة الرابعة:

من المخالفات والبِدَع في الجنائز:



- **وضع الزهور على الجنازة أو القبر، وهذا تَشَبُّه بالكفار في دينهم وشعائرهم، وقد قال ﷺ:** «من تشبّه بقوم فهو منهم»[3].



- **وكذلك الحِداد على أرواح الشهداء أو غيرهم، بالوقوف والصمت لمدة دقيقة تَرَحُّمًا عليهم، فهذه بِدْعَة مُنْكَرَة، وتشبه بالكافرين في شعائرهم، وإنما يُكْتَفى بالدعاء والاستغفار لهم.**

- **وكذلك لا يجوز تعليق صور للأموات بل ولا الأحياء، للذكرى أو لغيرها؛ لقوله ﷺ لِعَليّ:** «لا تدع صورة إلا طمستها، ولا قبرًا مشرفًا إلا سويته»[4].

(١) رواه البخاري.

(٢) متفق عليه.

(٣) رواه أحمد.

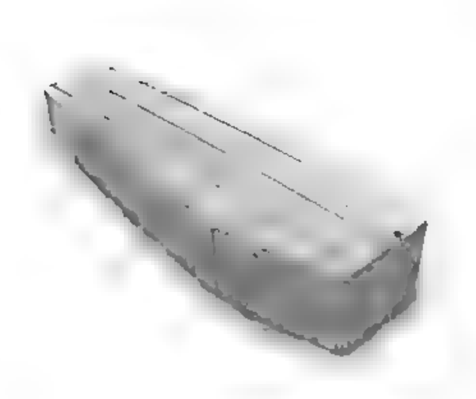
(٤) رواه مسلم.

- رفع الصوت أثناء تشييع الجنازة بالتهليل أو التكبير الجماعي، والمشروع أن يدعو المرء ويذكر الله بصوت منخفض.

- وكذلك الأذان في القبر، أو بعد وضع الميت في قبره، ولم يثبت ذلك عن النبي ﷺ ولا عن أصحابه ﷺ، وقد قال ﷺ: «من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رَدّ»[1].

- وكذلك من البِدَع: الدعاء الجماعي بعد صلاة الجنازة، أو بعد دفن الميت، بل المشروع أن يدعو كل واحد مع نفسه.

- ومن المخالفات دفن الميت في تابوت، والأصل أن يُدفن الميت بكَفَنه في القبر، من غير تابوت، إلا إذا دعت الحاجة إلى دفنه في تابوت ككون الجسم مُقطَّعًا مثلًا، أو كان نظام الدولة يُلزِم بدفنه بتابوت ولا يستطيع أصحاب الجنازة المخالفة، فيُدفن بالتابوت.



المسألة الخامسة:

إذا فعل الإنسان الحي عملًا صالحًا وأهدى ثوابه للميت جاز ولا بأس به، وذلك في حدود ما ورد الشرع بفعله، كالدعاء له، والحج، والعمرة، والصدقة، والأُضحِيَة، وصوم الواجب عمن مات وعليه صوم واجب.

أما الصلاة بنِيَّة أن يكون ثوابها للميت فلا تجوز؛ لأنها لم تَرِد عن النبي ﷺ. وكذلك من البدع استئجار قارئ يقرأ القرآن للأموات في المَآتِم.

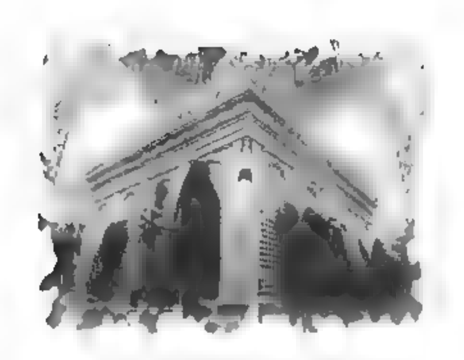
---

(١) رواه البخاري.

المسألة السادسة:

قبل توزيع التَرِكَة يجب إخراج تكاليف تجهيز الميت، وسَداد ديونه، وتنفيذ وصيّته، وقد قال ﷺ: «نفس المؤمن معلقة بدينه حتى يقضى عنه»[1].

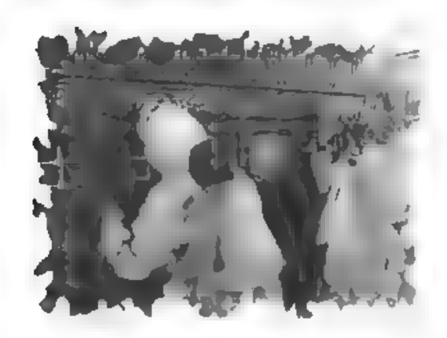
المسألة الأخيرة:



وهي المسألة الكبرى، والمصيبة العظمى: وهي الشرك الواقع عند القبور، كمن يطوف على القبور، أو يسأل أهلها الحاجات، واعتقاد أن الأولياء الموتى في قبورهم، يَكْشِفون الكُرُبات، ويقضون الحاجات!!

والله يقول: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ عِبَادٌ أَمۡثَالُكُمۡۖ فَٱدۡعُوهُمۡ فَلۡيَسۡتَجِيبُواْ لَكُمۡ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴾ [الأعراف: ١٩٤].

وبعض عُبَّاد القبور يطوفون بها، ويَستَلِمون أركانها، ويَتَمَسَّحون بها، ويُقَبِّلون أعتابها، ويسجدون لها، ويقفون أمامها خاشعين، سائلين حاجاتهم، من شفاء مريض، أو حصول ولد. وربما نادى الزائرُ صاحب القبر قائلًا: يا سيدي! جئتك من بلد بعيد فلا تُخيِّبني!!



ثم يبدأ يدعوه أن يساعده في شفاء مرضه! أو رد غائبه! ويتغافل عن أن يدعو الله تعالى بذلك في صلاته!!

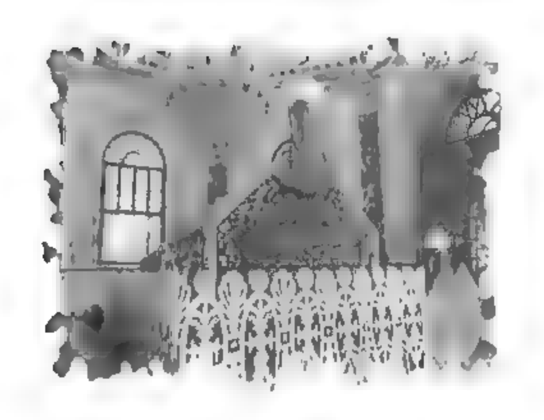
(١) أخرجه أحمد في مُسْنَدِه.

والله يقـول: ﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ وَهُمْ عَن دُعَآئِهِمْ غَٰفِلُونَ ﴾ [الأحقاف: ٥].

وقال ﷺ: «من مات وهو يدعو من دون الله ندا دخل النار»[١].

ولا تغترّ بما يُشـاع أن فُلانًا الفقير دعا عند القبر الفلاني فأغاثه، أو فلانًا المريض دعا القبر فشَفاه، أو رُزِق بولد، بل توجه بدعائك إلى الله تعالى وحده له لا شريك له، ادعُه في صلاتك، وفي المسجد، وفي حَجِّك وعُمرَتك، ولا تدعُه عند قبرٍ رجاءَ بَرَكَته.

ويَحرُم بناء المساجد على القبور:



بل لا تجوز الصلاة في المسجد إذا كان في داخله أو في ساحته أو قِبلته قبر، لقوله ﷺ: «ألا وإنّ من كان قبلكم كانوا يتخذون قبـور أنبيائهـم وصالِحِيهم مسـاجد، ألا فلا تتخذوا القبور مساجد فإني أنهاكم عن ذلك»[٢].

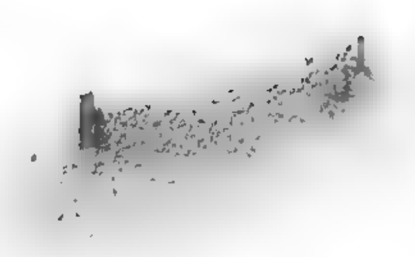


بـل يَحْـرُم البنـاء علـى القبـور، على أي شـكل كان، فقـد نهـى النـبي ﷺ أن يُجَصَّص القبر وأن يُقعَد عليه، وأن يُبنى عليه[٣].

(١) رواه البخاري.

(٢) رواه مسلم.

(٣) رواه مسلم.

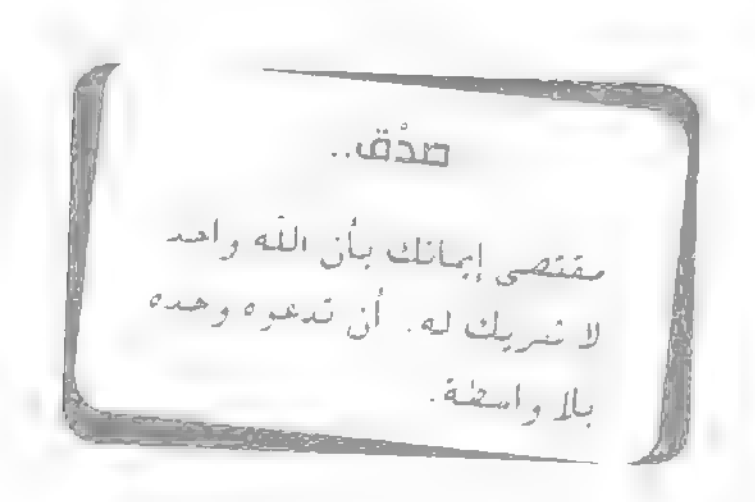


والمشــروع أن يُدفن الميت في قبره ثم يُعاد على القبر التراب الذي أُخرِج منه، ولا يزيد ارتفاعه عن شبر.

كما يَحْرُم بناء القِباب على القبور لقوله ﷺ لِعَليّ رضي الله عنه: «لا تدع صورة إلا طَمَستها، ولا قبرًا مُشْرِفًا إلا سَوَّيته»[1].

كما تقدّم من أنه ﷺ نهى أن يُجَصَّص القبر، وأن يُقعَد عليه، وأن يُبنى عليه[2].

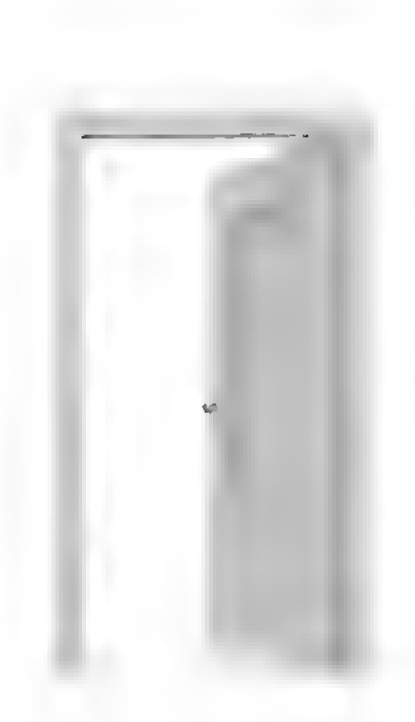
قــال ربنــا الملــك جل جلاله: ﴿ أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ (١٩١) وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا وَلَا أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ (١٩٢) وَإِن تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَىٰ لَا يَتَّبِعُوكُمْ ۚ سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ أَدَعَوْتُمُوهُمْ أَمْ أَنتُمْ صَامِتُونَ (١٩٣) إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ ۖ فَادْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا لَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ (١٩٤) أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَا ۖ أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَا ۖ أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَا ۖ أَمْ لَهُمْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا ۗ قُلِ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ كِيدُونِ فَلَا تُنظِرُونِ (١٩٥) إِنَّ وَلِيِّيَ اللَّهُ الَّذِي نَزَّلَ الْكِتَابَ ۖ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ (١٩٦) وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَكُمْ وَلَا أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ (١٩٧) وَإِن تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَىٰ لَا يَسْمَعُوا ۖ وَتَرَاهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴾ [الأعراف: ١٩١ - ١٩٨].



(١) رواه مسلم.

(٢) رواه مسلم.

اليوم الآخر



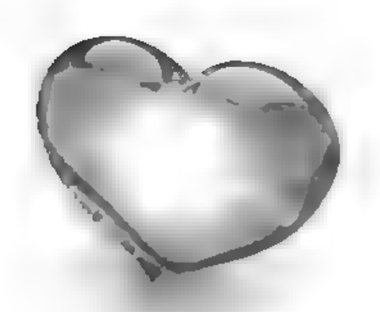
بعدما يَقضـي المرء ما كتب الله تعـالى في حياة البَرزَخ، وتأتي السـاعة الـتي يأذن الله تعـالى فيها ببعث من في القبـور، فيُنفخ في الصُّور، ويُحشر الناس، وتقوم الساعة.

- فمتى تقوم الساعة؟
- وما معنى النفخ في الصور؟
- وكيف يخرجون من قبورهم؟
- وما حال غير المقبورين، كالغَرقَى، والمُحْتَرِقين؟ كيف يُبعثون؟
- وهل يحشر الله البشر فقط؟ أم كل المخلوقات؟
- وما طريقة حشر الجن؟
- وما.....؟؟؟؟

أسئلة كثيرة تقفز إلى الذهن سأفصل الكلام عنها فيما يأتي من فصول بإذن الله..

منزلة الإيمان بالآخرة

مدخل



الإيمان باليوم الآخِر رُكنٌ من أركان الإيمان، كما قال تعالى:

﴿وَلَٰكِنَّ ٱلۡبِرَّ مَنۡ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلۡكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ [البقرة: ١٧٧]

وقال ﷺ في شرح الإيمان: «أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخِر، وتؤمن بالقدر خيره وشره»[١].

معنى الإيمان باليوم الآخر:

التصديق الجازم بمجيء يوم القيامة وما يكون فيه، والإيمان بالموت وما بعده، والتصديق بعلامات الساعة.



ومن جحد اليوم الآخِر أو شكّ في وقوعه فإنه يكفر كفرًا أكبر يُخرجه من مِلّة الإسلام، وقد قال تعالى:

﴿وَمَن يَكۡفُرۡ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلَۢا بَعِيدًا﴾ [النساء: ١٣٦]

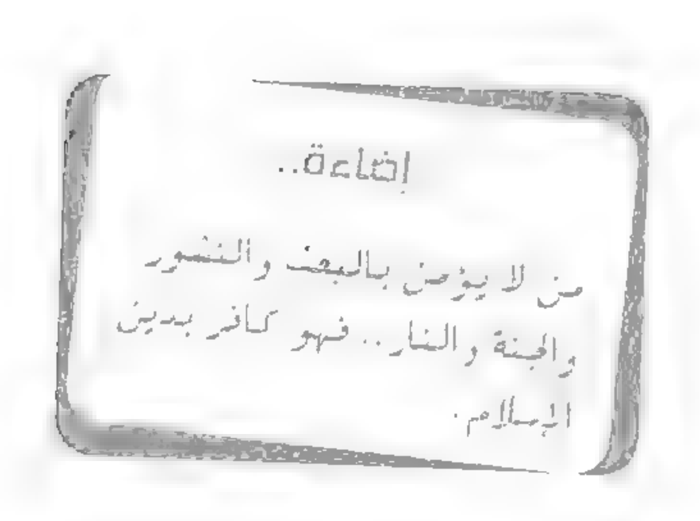
---

(١) رواه مسلم.

واليوم الآخِر واقع لا شكّ فيه، فمن شكّ في وقوعه فقد كفر الكفر الأكبر؛ لأنه مكذّب لله ورسوله ﷺ، وقد بيّن الله تعالى أن الكفار لم يكونوا مصدقين باليوم الآخر، وأن الله تعالى يعيد الخلق أحياءً بعد موتهم، فقال تعالى عن الكفار أنهم قالوا: ﴿إِن نَّظُنُّ إِلَّا ظَنًّا وَمَا نَحْنُ بِمُسْتَيْقِنِينَ﴾.

فيجب الإيمان اليقيني الجازم بمجيء اليوم الآخر بلا شك ولا ارتياب ولا تردّد، وقد قال تعالى عن المؤمنين المفلحين: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾ [البقرة: ٤].

فاليوم الآخر آتٍ لا شكّ في ذلك، كما قال تعالى: ﴿وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَن فِي الْقُبُورِ﴾ [الحج: ٧].



صفات اليوم الآخِر

أنـزل الله تعـالى كتابـه تِبيانًا لكل شـيء، وبعث رسـله الكرام مبشـرين ومنذرين، ومن ذلك أن الله تعالى عرّفنا بأمور الآخرة ووصف لنا حالها.

- فما أوصاف اليوم الآخر؟
- ولِمَ جاء بهذه الأوصاف الرهيبة؟
- وما الواجب على المؤمن إذا قرأ هذه الأوصاف؟

مدخل

اليـوم الآخر هو اليوم الذي يُنفخ فيه بالصور، وتقوم السـاعة، وصفه الله تعالى بعدة صفات، تدل على حاله وحال الناس فيه، من هذه الصفات أنه:

يومٌ حق لا شك في وقوعه:



نعـم، والله إنـه لحق واقـع آتٍ لا شـك فيه، كما وعـد الله في قوله تعـالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَاۖ وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ﴾ [فاطر: ٥].

وقال ﷺ: « والساعة حق »[١].

(١) متفق عليه.

يوم عسيرٌ على الكُفّار:

فضيه تنقطع الأعمال، وتنتهي الآجال، ويَلْقَى كل عامل ما عمله من خير أو شر، فلا يستطيع الازدياد من الخير، ولا التقليل من الشر، قال تعالى: ﴿ فَذَٰلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ ۝ عَلَى الْكَافِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ ﴾ [المدثر: ٩-١٠].

أما على المؤمنين فهو يسير، لأنهم لا يَحزُنُهُم الفزع الأكبر، ومنهم من يكون في ظل العرش عند الله تعالى، ولهم أحوال سارّة سيأتي بيانها[1].



يومٌ تُوفّى فيه كل نفس ما كسبت:

تُوَفّى النفوس ما عملت، إنْ خيرًا فخير وإن شرًا فشر، كلٌ مُسَطّر في الكتب، محفوظ من التغيير والكذب، كما قال تعالى: ﴿ فَكَيْفَ إِذَا جَمَعْنَاهُمْ لِيَوْمٍ لَّا رَيْبَ فِيهِ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾ [آل عمران: ٢٥].



يومٌ محدد عند الله بأجل:

لا يتقدم ولا يتأخر عن ذلك، كما قال تعالى: ﴿ قُل لَّكُم مِّيعَادُ يَوْمٍ لَّا تَسْتَأْخِرُونَ عَنْهُ سَاعَةً وَلَا تَسْتَقْدِمُونَ ﴾ [سبأ: ٣٠].

---

(١) سيأتي ص ١٧٨.

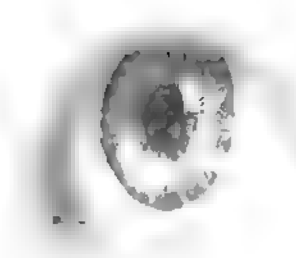
يومٌ قريب:



نعم هو يوم قريب وإنْ رأيناه بعيدًا، وعَدَ الله به الأمم السابقة فمَضت عهودها، حتى جاءت أمتنا، فقال نبينا ﷺ «بُعثت أنا والساعة كهاتين وفرق بين السَبّابة والوُسطَى»[1].

وقال تعالى: ﴿إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُۥ بَعِيدًا ۝٦ وَنَرَىٰهُ قَرِيبًا﴾ [المعارج: ٦-٧].

يومٌ يأتي بَغْتَة - فجأة -:



مهمـا تقـدم العبـاد بعلمهـم، وارتقـوا بفهمهم، فيستحيل أن يعلم أحد متى تقوم الساعة، فهي السر العظيم الذي أخفاه الله عن الأنبياء الكرام، والملائكة العظام، فما المسئول عنها بأعلم من السائل!!

قال تعالى: ﴿بَلْ تَأْتِيهِم بَغْتَةً فَتَبْهَتُهُمْ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ رَدَّهَا وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ﴾ [الأنبياء: ٤٠].

وقـال تعالى: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى ۖ لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَآ إِلَّا هُوَ ۚ ثَقُلَتْ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً﴾ [الأعراف: ١٨٧].

يومٌ عظيم:

هـو أعظم يوم يمر على المخلوقات، فلا يوم قبلـه أعظم ولا يوم بعده، ففيه أحداث عِظام، وأهوال جِسام كما قال تعالى: ﴿لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ۝٥ يَوْمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [المطففين: ٥-٦].

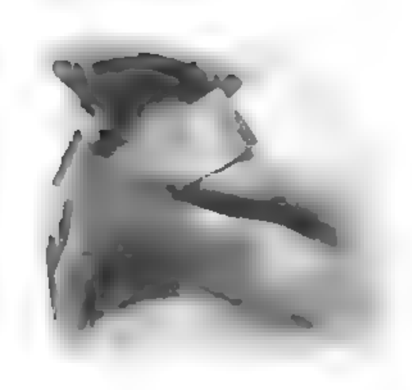
(١) متفق عليه.

تُدْنَى الشمس من العباد:

كل شيء يتبدل يوم القيامة، وتختلف أمور الكون وتضطرب، وتَحْمَرّ السماء وتَلْتَهِب.. وتدنو الشمس من الخلائق وتقترب.. كما قال ﷺ: «إذا كان يوم القيامة أُدْنِيَت الشمس من العباد حتى تكون قيد مِيل أو اثنين».

قال سُلَيم: «لا أدري أيَّ المِيلَين عَنَى أمسافة الأرض؟ أم الميل الذي تُكتحل به العين؟ **قال ﷺ:** «فتصهرهم الشمس فيكونون في العرق بقدر أعمالهم: فمنهم من يأخذه إلى عقبيه، ومنهم من يأخذه إلى ركبتيه، ومنهم من يأخذه إلى حقويه، ومنهم من يلجمه إلجاما». **فرأيت رسول الله ﷺ يشير بيده إلى فِيه أي: يُلْجِمه إلْجاما**[1]»[2].

يوم لا يتكلم أحد إلا بإذن الله ﷻ:



نعم.. الخلائق كلها الجن والإنس.. صالحهم وفاسدهم.. بَرُّهم وفاجرهم.. والملائكة العظام والرسل الكرام.. صامتون لا يتكلمون.. تعظيمًا للعظيم.. وإجلالًا للجليل..

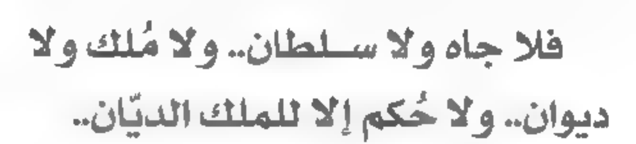
فلا يتكلم إلا من أذن له الملك بالكلام.. كما قال تعالى: ﴿يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِۦۚ فَمِنْهُمْ شَقِىٌّ وَسَعِيدٌ﴾ [هود: ١٠٥].

وقال تعالى: ﴿وَخَشَعَتِ ٱلْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَٰنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا﴾ [طه: ١٠٨].

(١) المعنى: أن الناس يكونون في ذلك اليوم في المشقة والعرق بحسب أعمالهم الصالحة، فمنهم من يصل العرق إلى عقبيه أي فوق قدمه بقليل. ومنهم من يصل العرق إلى ركبتيه. ومنهم من يصل العرق إلى حِقويه أي حوضه تحت سرته، ومنهم من يُلجِمه العرق أي يغطي وجهه ورأسه فيغرقه.

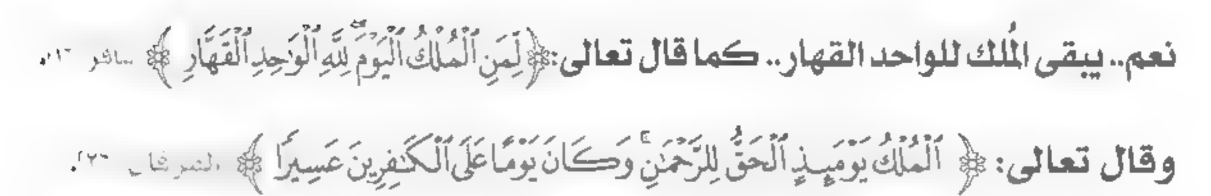
(٢) رواه أحمد والترمذي، صحيح.

يوم الملك لله عز وجل وحده:



يسقط مُلك الملوك.. وتنكسر ظهور الأكاسِرَة.. وتَقْصُر آمال القياصرة..

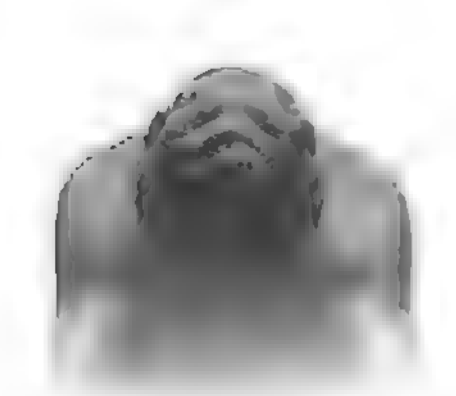
فلا جاه ولا سـلطان.. ولا مُلك ولا ديوان.. ولا حُكم إلا للملك الديّان..



نعم.. يبقى المُلك للواحد القهار.. كما قال تعالى: ﴿لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ﴾ [غافر: ١٦].

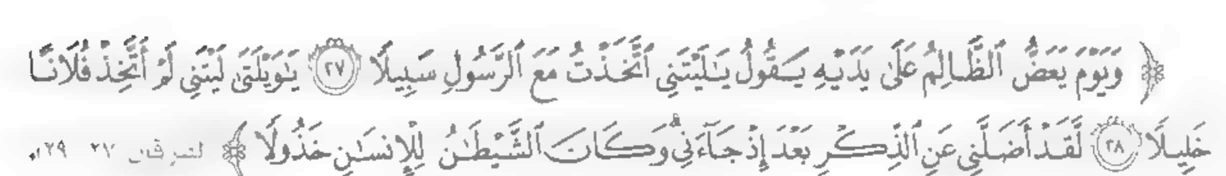
وقال تعالى: ﴿ٱلْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ لِلرَّحْمَٰنِ وَكَانَ يَوْمًا عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ عَسِيرًا﴾ [الفرقان: ٢٦].

يوم ندم المُعرِضين:

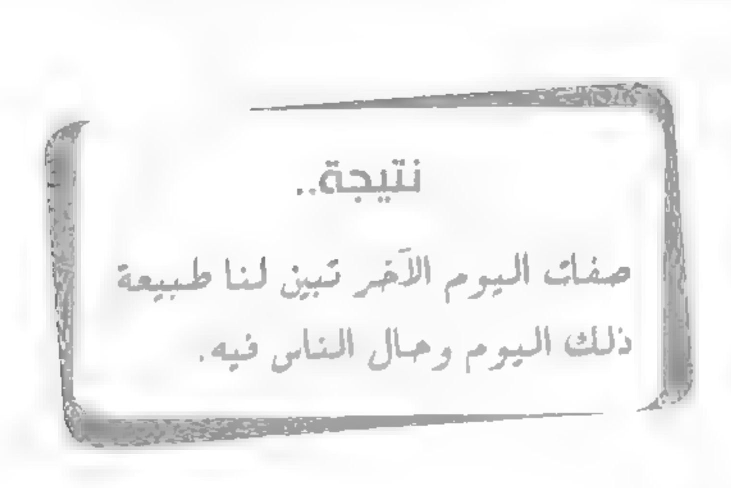


كل من تولى وطغى.. واتبع سُبُل الرَّدى.. ندِم يوم القيامة وخاب.. وحقّ عليه الكتاب..

يـنـدم أنْ صاحب فلانًا إذ نـاداه.. وأعرض عن الرسول وقد دعاه.. كما قال تعالى:



﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِى ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا ﴿٢٧﴾ يَٰوَيْلَتَىٰ لَيْتَنِى لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا ﴿٢٨﴾ لَّقَدْ أَضَلَّنِى عَنِ ٱلذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَآءَنِى وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِلْإِنسَٰنِ خَذُولًا﴾ [الفرقان: ٢٧-٢٩].



نتيجة..

صفات اليوم الآخر تبين لنا طبيعة ذلك اليوم وحال الناس فيه.

متى تقوم الساعة؟



لا يعلم أحدٌ من الخلق متى تقوم الساعة وتأتي القيامة، فلا يعلمه إلا الله وحده دون سواه، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ﴾ [لقمان: ٣٤].

وقال تعالى: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ﴿٤٢﴾ فِيمَ أَنتَ مِن ذِكْرَىٰهَآ ﴿٤٣﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ مُنتَهَىٰهَآ ﴿٤٤﴾ إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرُ مَن يَخْشَىٰهَا﴾ [النازعات: ٤٢ – ٤٥].

- فهل يمكن أن يعلم أحد متى تقوم الساعة؟
- وهل نعلم في أي يوم تقع؟

مدخل

سأل جبريلُ عليه السلام النبيَّ ﷺ قائلًا: متى الساعة؟

أجابه النبي ﷺ قائلًا: «ما المسئول عنها بأعلم من السائل»[1].

وقال ﷺ في حديث ابن عمر رضي الله عنه: «مفاتيح الغيب خمس **ثم قرأ** ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ﴾[2] [لقمان: ٣٤]»[3].

(١) متفق عليه.

(٢) الآية بتمامها: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌۢ ﴿٣٤﴾﴾

(٣) رواه البخاري.

هل يفيدنا معرفة متى تقوم الساعة؟

مسألة



الجواب: من مات فقد قامت قيامته، فما دام أن الإنسان لا يدري متى ينزل به الموت، إذن ماذا يفيده أن يعلم متى تأتي الساعة؟ فهَبْ أنه عرف أن الساعة تأتي بعد سنة، لكن من ضمن له أنه سيعيش إلى أن تأتي الساعة؟ لذا كان النبي ﷺ يوجّه من يسأله متى الساعة؟ إلى أن يسأله السؤال الذي يستفيد منه وهو: ماذا أعددت للساعة وما بعدها؟

قال أنس رضي الله عنه: أقبل رجل من أهل البادية إلى النبي ﷺ فقال: **يا رسول الله، متى الساعة قائمة؟** فقال ﷺ: ويلك! وما أعددت لها؟ قال: **ما أعددت لها، إلا أني أحب الله ورسوله.** فقال ﷺ: إنك مع من أحببت. فقلنا: **ونحن كذلك؟** قال ﷺ: نعم. **فقرحنا يومئذ فرحا شديدا**»[1].

في أي يوم تقوم الساعة؟

مسألة



الجواب: جاءت الأحاديث بنصوص تحدد اليوم الذي تقوم فيه الساعة، فهي تقوم يوم الجمعة، كما قال ﷺ: «ولا تقوم الساعة إلا في يوم الجمعة»[2].

لذلك تخاف جميع الخلائق من ذلك اليوم، قال ﷺ: «خير يوم طلعت فيه الشمس يوم الجمعة، فيه خلق آدم، وفيه أهبط، وفيه تيب عليه، وفيه مات، وفيه تقوم الساعة، وما من دابة إلا وهي مصيخة يوم الجمعة من حين تصبح حتى تطلع الشمس شفقا من الساعة إلا الجن والإنس»[3].

(١) رواه البخاري.

(٢) رواه مسلم.

(٣) رواه أبو داود.

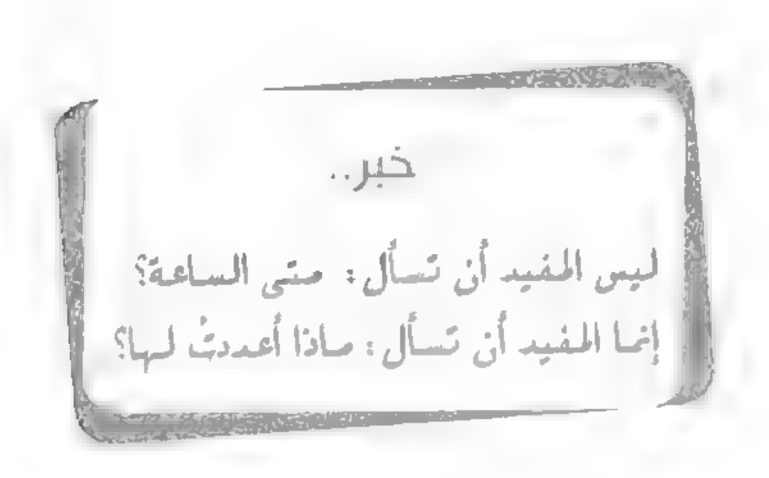
طول ذلك اليوم:

يوم القيامة يوم عظيم جَلَل، بل هو أعظم وأطول وأشقّ يوم.

مقداره خمسون ألف سنة، يوم يُقضى بين العباد، وتُفصل الخصومات، كما قال ﷺ:

«ما من صاحب ذهب ولا فضة لا يؤدي منها حقها إلا إذا كان يوم القيامة صفحت له صفائح من نار فأحمي عليها في نار جهنم فيكوى بها جنبه وجبينه وظهره كلما بردت أعيدت له في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة حتى يقضى بين العباد فيرى سبيله إما إلى الجنة وإما إلى النار»[1].

ومع طول ذلك اليوم وكُربته، إلا أنه يسير على المؤمنين، فهو يمر على المؤمنين كمقدار ما بين الظهر والعصر، كما قال ﷺ في حديث أبي هريرة رضي الله عنه: «يوم القيامة على المؤمنين كقدر ما بين الظهر والعصر»[2].



(١) رواه مسلم.

(٢) رواه الحاكم، صحيح.

أسماء اليوم الآخر

اليوم الآخر هو أعظم يوم يمر على الخلائق في الدنيا، وهو أشدها وأخوفها، ولعِظَم ذلك اليوم تعددت أسماؤه وتنوعت، وهي أسماء له وأوصاف، لأن قراءتك للاسم تدلك على وصف.

- فما أسماء اليوم الآخر؟
- ولماذا كثرت؟

مدخل

معلوم في لغة العرب أن الشيء العظيم تكثر أسماؤه، وكلما ازدادت عظمته ازدادت أسماؤه، ألا ترى أن السيف اشتهرت له أسماء؟ فهو السيف، والمُهَنَّد، والحُسام، والصارِم،.. والأسد اشتهرت له أسماء، فهو الهِزَبْر، واللَّيث، والغَضَنْفَر..

بينما الأشياء المُحْتَقَرَة لا تكثر أسماؤها ..

ويوم القيامة لعظمته وجلالة قدره كثرت أسماؤه.. فأشهر أسمائه: يوم القيامة؛ لأن الناس يقومون لرب العالمين.

قال تعالى: ﴿لَآ أُقْسِمُ بِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ [القيامة: ١].

وذكر الله تعالى قيام الناس فيه له ﷻ، كما قال تعالى: ﴿يَوْمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [المطففين: ٦].

من أسمائه:

- **اليوم الآخر:**

وذلك أنه اليوم الذي ليس بعده من أيام الدنيا يوم، قال تعالى: ﴿مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ﴾ [البقرة: ٦٢].

- **يوم الدِّين:**

لأن في ذلك اليوم جزاء العباد وحسابهم، قال تعالى: ﴿مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾ [الفاتحة: ٤].

- **يوم الجمع:**

لأن الله ﷻ يجمع فيه الأولين والآخرين للجزاء والحساب، قال تعالى: ﴿يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ ٱلْجَمْعِ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلتَّغَابُنِ﴾ [التغابن: ٩].

- **يوم الفتح:**

لأنه تُكشف فيه الأعمال، وتُفتح فيه المَستُورات المُغلَقات، قال تعالى: ﴿قُلْ يَوْمَ ٱلْفَتْحِ لَا يَنفَعُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِيمَٰنُهُمْ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ﴾ [السجدة: ٢٩].

- **الواقعة:**

لتَحقُّق وجود الساعة فيه ووقوعها، قال تعالى: ﴿إِذَا وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ﴾ [الواقعة: ١].

- **يوم الفصل:**

لأن الله ﷻ يفصل فيه بين العباد، قال تعالى: ﴿لِأَىِّ يَوْمٍ أُجِّلَتْ ﴿١٢﴾ لِيَوْمِ ٱلْفَصْلِ ﴿١٣﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلْفَصْلِ﴾ [المرسلات: ١٢-١٤].

- **الصاخّة:**

يعـني صَيحة يوم القيامة، سُمّيـت بذلك لأنها تَصُخّ الآذان، أي: تُبالغ في إسماعها حتى تكاد تُصِمُها، قال تعالى: ﴿ فَإِذَا جَآءَتِ ٱلصَّآخَّةُ ﴾ [عبس: ٣٣].

- **الطّامة الكبرى:**

سميت بذلك لأنها تَطُّم على كل أمر هائل مُفْظِع، قال تعالى: ﴿ فَإِذَا جَآءَتِ ٱلطَّآمَّةُ ٱلْكُبْرَىٰ ﴾ [النازعات:٣٤].

- **القارعة:**

لأنها تَقْرَع القلوب بأهوالها، قال تعالى: ﴿ ٱلْقَارِعَةُ ۝١ مَا ٱلْقَارِعَةُ ﴾ [القارعة: ١، ٢].

- **الحاقّة:**

لأنه يتحقق فيها الوعد والوعيد، قال تعالى: ﴿ ٱلْحَآقَّةُ ۝١ مَا ٱلْحَآقَّةُ ﴾ [الحاقة: ١، ٢].

- **الساعة:**

لأنها تقع في ساعة مفاجئة مُباغِتة للخلائق، قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ ﴾ [لقمان: ٣٤].

- **الآخِرة:**

لأنه آخر أيام الدنيا، فلا يوم بعده، كما قال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِٱلْـَٔاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴾ [البقرة: ٤].

- **يوم التّغابُن:**

وذلك أن أهل الجنة يَغْبِنون أهل النار، أي يحسدهم أهل النار على ما هم فيه من النعيم، قال تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلتَّغَابُنِ ﴾ [التغابن: ٩].

• **يوم الحسرة:**

لأنه يتحسَّر فيه المُفرِّط والعاصي على ما فاته من العمل الصالح، وعلى وقوعه في المعاصي، كما قال تعالى: ﴿ وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ [مريم: ٣٩].

وغير ذلك من الأسماء ليوم القيامة، وكل اسم يصف شيئًا مما يقع في ذلك اليوم، أو يدل على حال من أحوال الخلائق في ذلك اليوم، أو يشير إلى عظمة شأنه وشدة أهواله.

مواقف يوم القيامة:

فائدة

يوم القيامة يوم طويل يحتوي على عدة مواقف للناس وأحوال، وهي تختلف باختلاف أنواع الناس وأعمالهم، وقد يمر الشخص الواحد بعدة مواقف.

ففي بعض مواقفه لا يُسأل فيه أحد عن عمله، بل يُواجَه بأعماله دون أن يناقَش فيها، كما قال تعالى: ﴿ فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُسْأَلُ عَن ذَنبِهِ إِنسٌ وَلَا جَانٌّ ﴾ [الرحمن: ٣٩].

وفي موقف آخر يُسألون عن أعمالهم، لكن ليس سؤال استفهام، وإنما سؤال تقرير وانتزاع اعتراف، وإذلال وتَبْكِيت وإهانة، كما قال تعالى: ﴿ وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْئُولُونَ ﴾ [الصافات: ٢٤].

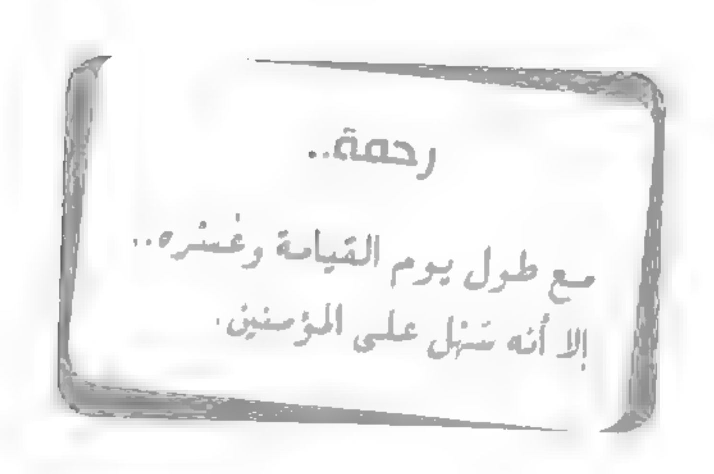
وقال: ﴿ فَلَنَسْأَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْأَلَنَّ الْمُرْسَلِينَ ﴾ [الأعراف: ٦].

وفي بعض مواقف القيامة يُسأل الخلائق، فيعترفون ولا يكتمون الله شيئًا من أعمالهم، كما قال تعالى: ﴿ وَلَا يَكْتُمُونَ ٱللَّهَ حَدِيثًا ﴾ [النساء: ٤٢].

وفي بعض مواقف القيامة يُسأل الكفار فيَكذِبون، ويُنكِرون أنهم كانوا كافرين، ولكن أنَّى ينفعهم ذلك وهم بين يدي من يعلم سرّهم ويسمع نَجْواهم، ويكشف خفاياهم، كما قال تعالى: ﴿ ثُمَّ لَمْ تَكُن فِتْنَتُهُمْ إِلَّآ أَن قَالُواْ وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ ﴿٢٣﴾ ٱنظُرْ كَيْفَ كَذَبُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ ۚ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَفْتَرُونَ ﴾ [الأنعام: ٢٣-٢٤].

وفي بعض مواقف القيامة تُعمى الأنباء على المُكذِّبين الهالكين، فيضطربون ويَفْزَعون، وتَلْتَبِس عندهم المسائل، كما قال تعالى: ﴿ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَآ أَجَبْتُمُ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٦٥﴾ فَعَمِيَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَنۢبَآءُ يَوْمَئِذٍ فَهُمْ لَا يَتَسَآءَلُونَ ﴾ [القصص: ٦٥-٦٦].

فهم خَفِيَت عليهم الحُجَّة، ولم يدروا ما يقولون لربهم، ولا ما يَختَجُّون به، ولا عندهم خبر يُخبِرون به، فليس لهم عند ذلك نجاة ولا مَهرَب.



النفخ في الصُّور

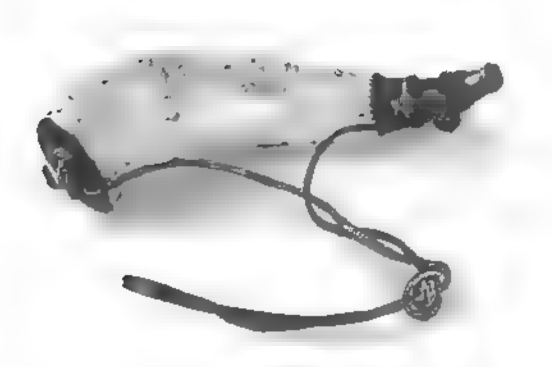
النفخ في الصور هو أول أحداث قيام الساعة، وتغيُّر الكون، واضطراب الدنيا..

- فما الصور؟ ومن الذي ينفخ فيه؟
- كم عدد النَّفخات؟ وماذا يحصل بعد كل نَفْخَة؟
- وهل يُصعق جميع العباد؟

مدخل

الصُّور هو: قَرْن يُنفخ فيه، والقَرْن في الأصل هو قَرْن الشاة، وهما قرنان فوق رأس الشاة.

وقد جاء أعرابي إلى النبي ﷺ فسأله: ما الصُّور؟ فقال ﷺ: قَرْن يُنفخ فيه[1].



صورة توضيحية لشكل القرن (الصُّور)

النافخ في الصور:

إِسرافِيل هو المَلَك الموكَّل بالنفخ في الصور، وهو مُستَعِد للنفخ في أي لحظة، ينتظر الأمر من ربنا العظيم جل جلاله.

وقد أخبرنا ﷺ أن صاحب الصور مستعد دائما للنفخ فيه منذ أن خلقه الله تعالى، قال رسول الله ﷺ:

«إن طرف صاحب الصُّور مُذ وُكِّل به مستعد، ينظر نحو العرش، مخافة أن يُؤمر قبل أن يرتدَّ إليه طَرفُه، كأن عينيه كوكبان دُرِّيَّان[2]»[3].

وفي هذا الزمان الذي اقتربت فيه الساعة، أصبح إسرافيل أكثر استعدادًا وتَهَيُّؤًا للنفخ في الصور.

---

(١) رواه أحمد وأبو داود والحاكم، صحيح.

(٢) يعني أن إسرافيل عليه السلام قد جعل طَرْفه -أي عينه- مستعدًا ينظر نحو العرش، فلا يَرْمِش بعينه مخافة أن يؤمر أثناء رَمْشِه بعينه فيتأخر في تنفيذ الأمر، فهو فاتح عينيه كأنهما نجمان عظيمان في السماء يَلمعان.

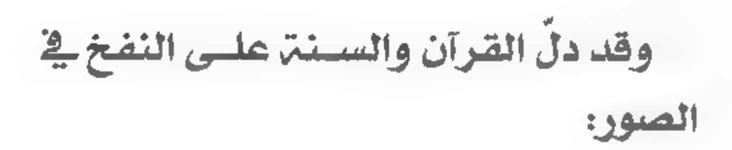
(٣) أخرجه الحاكم في المستدرك، صحيح.

فقد قال رسـول الله ﷺ: « كيف أنعم؟! وقد التقم صاحب القرن القرن! وحنى جبهته وأصغى سمعه ينتظر أن يُؤمر أن ينفخ فينفخ. قال المسلمون: فكيف نقول يا رسول الله؟ قال: قولوا: حسبنا الله ونعم الوكيل، توكلنا على الله ربنا »[1].

۞ الأدلة على النفخ في الصور:



النفـخ في الصـور نفخ حقيقي تسـمعه الخلائق فيَغْشـاها من الفَزَع والصَعق أمر عظيم.



وقد دلّ القرآن والسنة علـى النفخ في الصور:

- قـال تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ﴾ [الزمر: ٦٨].
- وقال تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ﴾ [النمل: ٨٧].
- وقال تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ ٱلْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ﴾ [سورة يس: ٥١].
- وقـال ﷺ: « ثـم يُنفخ في الصور فلا يسـمعه أحـد إلا أصغـى ليتًا ورفع ليتًا[2] قال: وأول من يسمعه رجل يَلُوط حوض إبله[3]، فيَصْعق ويصعق الناس[4] »[5].

(١) رواه الترمذي، صحيح لغيره.

(٢) قوله: « أصغى لِيتًا ورفع لِيتًا » أي أمال صفحة عنقه، مستعدًا للنفخ.

(٣) قوله: « يلوط حوضه »: يُطَيِّن ويصلح حوض الماء ليضع فيه ماء يسقي إبله وغنمه.

(٤) قوله: « فيصعق »: يموت.

(٥) رواه مسلم.

۞ عدد مرات النّفخ في الصور:

ينفخ إسرافيل عليه السلام في الصور نفختين عظيمتين:

• النفخة الأولى:

نفخة الفزع والصَعق: وهي التي يكون بها إماتة الأحياء من جميع المخلوقات، وهلاك هذا العالم.. فيفنى بهذه النفخة الإنس والجن والملائكة والحيوانات والطيور والحشرات.. وكل شيء.. ولا يبقى إلا العزيز الجبار جل وعلا..

• النفخة الثانية:

نفخة البعث والنشور من القبور: وهي التي يقوم بها الأموات أحياءً من جديد، ويقوم الموتى من قبورهم.

وقد ذكر الله تعالى هاتين النفختين وما يقع في كل منهما، فقال تعالى:

﴿ وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ ﴾ (الزمر ٦٨)

ووصف الله تعالى حال قيام الناس من أجداثِهم - قبورهم - عند النفخة الثانية فقال تعالى: ﴿ وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ ٱلْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ ﴾ (سورة يس ٥١).

وقد سَمَّى الله تعالى النفخة الأولى بالرَّاجِفة، والنفخة الثانية بالرَّادِفَة: قال تعالى: ﴿ يَوْمَ تَرْجُفُ ٱلرَّاجِفَةُ ﴿٦﴾ تَتْبَعُهَا ٱلرَّادِفَةُ ﴾ (النازعات ٦-٧).

وفي موضع آخر سمى الله تعالى النفخة الأولى بالصَيحة، وصرَّح بالنفخ بالصور ثانية: قال تعالى:

﴿ مَا يَنظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ ﴿٤٩﴾ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً وَلَآ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ ﴿٥٠﴾ وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ ٱلْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ ﴾ [يس: ٤٩ - ٥١].

مقدار الوقت ما بين النفختين:

لم يأتِ نص صريح في تحديد: كم بين النفختين من وقت؟ وقد جاء في حديث أبي هريرة رضي الله عنه بالإشارة إلى شيء من ذلك:

فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: « قال رسول الله ﷺ: ما بين النفختين أربعون. قالوا: يا أبا هريرة، أربعون يومًا؟ قال: أبَيْتُ. قالوا: أربعون شهرًا؟ قال: أبَيْتُ. قالوا: أربعون عامًا؟ قال: أبَيتُ ».

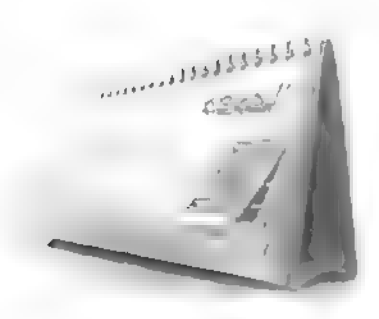
فلم يحدد أبو هريرة كم هذه الأربعين؛ لأنه لم يسمع تحديدها من رسول الله ﷺ. ثم أكمل أبو هريرة الحديث فقال: « ثم يُنزِل الله من السماء ماء فيَنْبُتون كما يَنبُت البَقل[1]».

قال: وليس من الإنسان شيء إلا يبلى إلا عظمًا واحدًا لا تأكله الأرض أبدًا وهو عجب الذنب، ومنه يُركَّب الخلق يوم القيامة »[2].

(١) البَقل: نوع من النبات ليس شجرًا، بل يطلق على ما ليس له جذع وساق، مثل الثُّوم والبصل والنعناع والبَقدونِس، وهو عادة يتكاثر وتخضرّ منه الأرض.

(٢) متفق عليه. ومعنى الحديث: أن كل الجسد يفنى في القبر ويأكله التراب، إلا العظم الأخير في أسفل الظهر، وهو العُصعُص، وسماه النبي ﷺ هنا عجب الذنب.

۞ أي يوم يُنفخ في الصُّور؟



كِلا النفختين؛ النفخة الأولى وهي نفخة الصَّعق والموت للأحياء، وكذلك النفخة الثانية وهي نفخة قيام الساعة والبعث والنشور، كِلا النفختين تكون يوم جمعة.

كما قال ﷺ: «إن أفضل أيامكم يوم الجمعة، فيه خُلق آدم، وفيه قُبض، وفيه النفخة، وفيه الصَّعقة، فأكثروا عليّ من الصلاة فيه، فإن صلاتكم معروضة عليّ. **قالوا:** يا رسول الله، وكيف تعرض صلاتنا عليك وقد أرِمْت؟ **فقال:** إن الله ﷻ حرم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء»[1].

وقال ﷺ: «ولا تقوم الساعة إلا في يوم الجمعة»[2].

وقال ﷺ: «ما من دابة إلا وهي مُصيخة بأُذُنها يوم الجمعة تنتظر قيام الساعة»[3].

۞ أول من يسمع النفخة الأولى (نفخة الصَّعق):

يُنفخ في الصور النفخة الأولى وهي نفخة الصعق، والناس والمخلوقات يعيشون حياتهم كالمعتاد؛ فمنهم من يكون في السوق وقد تناول ثوبًا ليَشْتَرِيَه، ومنهم من قد حلب ناقته ومضى يمشي إلى بيته ليشرب لبنها، ومنهم من يصلح الحوض بجانب البئر ليجمع فيه الماء ويسقي إِبِله، ومنهم

---

(١) رواه النسائي وأبو داود وابن ماجه، صحيح. والمعنى: أن الأنبياء لكرم حالهم وجلالة قدرهم عند الله تعالى، فإن الأرض لا تأكل أجسادهم، ولا تبلي أجسامهم.

(٢) رواه مسلم.

(٣) رواه أحمد والنسائي. ومعنى مُصِيخة: مستمعة مُصْغِيَة.

مــن هو في أمن وأمــان قد وضع طعامه بين يديه، ويرفــع اللقمة تِلْوَ اللقمة إلى فمه ليأكلها..

وفجــأة ينفخ إســرافيل في الصور، وهذه النفخة فيهــا من الفزع والخوف مــا يزلزل النفوس ويَقْتَلِع القلوب، وبها تخرج أرواح الخلائق من أجســادها، وتموت.

قال ﷺ: « ولتقومن الساعة وقد نشر الرجلان ثوبهما بينهما، فلا يتبايعانه ولا يطويانه، ولتقومن الســاعة وقد انصرف الرجل بلبن لقحته فلا يطعمه، ولتقومن الساعة وهو يليط حوضه، فلا يســقي فيه، ولتقومن الساعة وقد رفع أُكلته إلى فِيه فلا يَطْعمها »[1].

رحمة الله بالمؤمنين:

الخوف والفزع عند النفخ في الصور شديد عظيم، لذلك يقبض الله تعالى أرواح المؤمنين بكل رفق ولين قبل هذه النفخة، ولا يبقى إلا شرار الخلق.

وقد فصّل النبي ﷺ ما يكون قبل هذه النفخة وأثناءها، فقال ﷺ:

« يخــرج الدجــال في أمتي فيمكــث أربعين[2]، فيبعث الله تعالى عيســى بن مريم عليه السلام كأنه عروة بن مســعود فيطلبه فيهلكه[3]، ثم يمكث الناس سبع سنين ليس بين اثنين عداوة.

(١) رواه البخاري.

(٢) يمكث المسيح الدجــال في الأرض أربعــين يومًا، لكنها ليســت كلهــا كأيامنا، فيوم طوله ســنة، ويوم طوله شــهر، ويــوم طوله أســبوع، وباقي أيامــه كأيامنا، وقد فَصّلــتُ أحوال الدجــال في كتابي الأول « نهاية العالم » في أشراط الساعة.

(٣) تقدّم في كتاب « نهاية العالم » الكلام بالتفصيل عن الدجال، وعن نبي الله تعالى عيسى بن مريم عليه السلام، وعروة بن مسعود هو أحد الصحابة الكرام.

ثم يُرسل الله عزّ وجلّ ريحا باردة من قبل الشام، فلا يبقى على وجه الأرض أحد في قلبه مثقال ذرة من خير أو إيمان إلا قبضته، حتى أنّ أحدكم لو دخل في كبد جبل لدخلت عليه حتى تقبضه[1]. فيبقى شرار الناس في خفة الطير وأحلام السباع لا يعرفون معروفا، ولا يُنكرون منكرا[2]. فيتمثّل لهم الشيطان فيقول: ألا تستجيبون؟! فيقولون: فما تأمرنا؟ فيأمرهم بعبادة الأوثان. وهم في ذلك دارٌ رزقهم، حسنٌ عيشهم[3].

ثم يُنفخ في الصور فلا يسمعه أحد إلا أصغى ليتا ورفع ليتا[4]. فأول من يسمعه رجل يلُوط حوض إبله[5]. فيصعق ويصعق الناس[6].

ثم يُرسل الله – **أو قال: يُنَزِّل الله** – مطرا كأنه الطَّل[7] فينبُت منه أجساد الناس. ثم نُفخ فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون[8]. ثم يُقال: يا أيها الناس هلُمُّوا إلى ربكم، وقفوهم إنهم مسئولون. ثم يُقال: أخرجوا بعث النار. فيُقال: من كم؟ فيقال: من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعين. فذلك يوم يجعل **الوِلْدان شِيبًا، وذلك يوم يُكشف عن ساق »**[9].

---

(١) يعني أن هذه الريح تقبض أرواح المؤمنين بكل رفق ولين، وتتبعهم في كل مكان لتقبض أرواحهم، حتى لو غاب أحدهم في كهف في جبل.

(٢) المعنى: أنه بعدما تقبض الريح الطيبة أرواح المؤمنين، لا يبقى على وجه الأرض إلا شرار الناس، عقولهم خفيفة عَجُولة غير رزينة، ونواياهم وعقولهم مثل السباع أي الوحوش من أسود ونمور.. وهؤلاء لا يتوَرَّعون أو يخافون من فعل منكر بل يفعلون كل المنكرات، ولا يأمرون بمعروف أو يفعلونه.

(٣) المعنى: أن الله تعالى يُمهِلهم، ولا يعاجلهم بالعقوبة.

(٤) أصغى ليتًا: أي أطرق وأمال رأسه وأنصت بأذنه.

(٥) المعنى: يصلح الحوض لإبله ليجمع فيه الماء ليسقيها.

(٦) يصعق: يموت.

(٧) الطل: أي المطر الضعيف الصغير القطر، فينبت منه -أي بسببه- أجساد الناس.

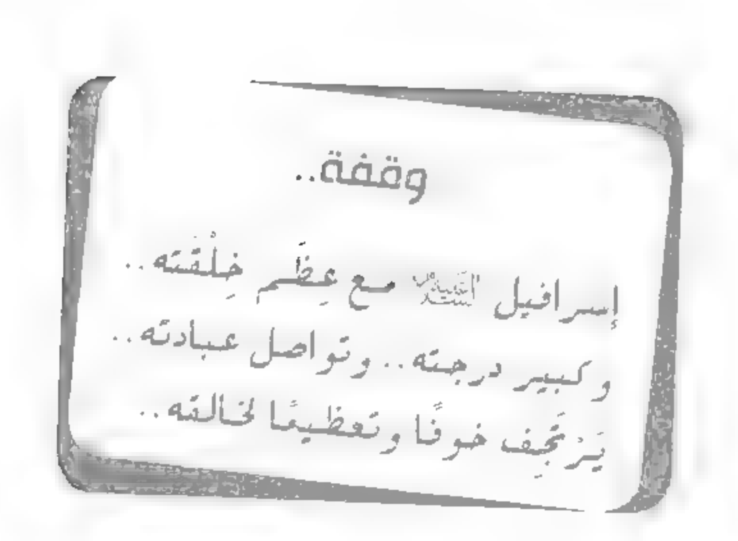
(٨) وهي النفخة الثانية التي يقوم بها الناس من قبورهم.

(٩) رواه مسلم.

حسبنا الله ونعم الوكيل..

عائدة

النفخ في الصور أمر مُفْزِع، وما يقع من أحداث هي أمور مخيفة جدًا، وقد علمنا رسول الله ﷺ أن نقول: حسبنا الله ونعم الوكيل.. **أي يكفينا أن نلتجئ إلى الله تعالى، فهو أمان الخائفين.**


وقفة..

إسرافيل عليه السلام مع عِظَم خِلْقته..
وكبير درجته.. وتواصل عبادته..
يَرْتَجِف خوفًا وتعظيمًا لخالقه..

البَعث والنُّشُور

بعد النفخ في الصور النفخة الثانية، يقوم العباد للبعث والنُّشُور..

- فما البعث؟
- وما أدلة وقوعه؟
- وما معنى النشور؟
- وما كيفيته؟
- وما حال غير المقبورين؟

۞ مدخل

البعث والنَّشـر هـو إخراج الموتى مـن قبورهم أحياءً، وإعـادة جميع الموتى أحيـاء حتى الذيـن ماتوا احتراقـًا أو غرقـًا فأكلتهم الأسـمـاك، أو أكلتهم السباع. وربنا لا يُعجزه شيء جل جلاله..



۞ الأدلة على وقوع البعث:

الإيمان ببعث الناس للحساب والجزاء، هو مـن أصول العقيدة، والكفر والتكذيب بـه هو تكذيـب لله تعالى، وكفـر به. قال تعـالى: ﴿ بَلْ كَذَّبُوا بِالسَّاعَةِ وَأَعْتَدْنَا لِمَن كَذَّبَ بِالسَّاعَةِ سَعِيرًا ﴾ [الفرقان: ١١].

وقد ذكر الله تعالى البعث والنشور في آيات كثيرة..

- **قال تعـالى:** ﴿ يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُ وَعْدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ ﴾ [الأنبياء: ١٠٤].
- **وقال تعالى:** ﴿ قُلْ يَتَوَفَّاكُم مَّلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ﴾ [السجدة: ١١].
- **وقال تعالى:** ﴿ زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَن لَّن يُبْعَثُوا قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴾ [التغابن: ٧].
- **وقال ﷺ:** « يُبعث كل عبد على ما مات عليه »[١].
- **وقال ﷺ:** « يُبعث الناس على نِيَّاتهم »[٢].

---

(١) رواه مسلم.

(٢) رواه ابن ماجه، صحيح.

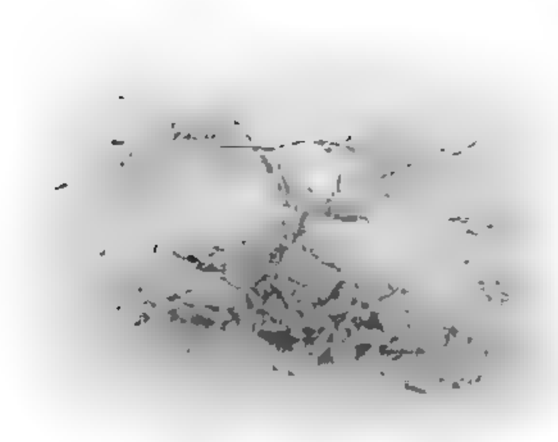
۞ أدلة واقعية على إمكان البعث:



جعل الله تعالى أمام أعيننا دلائل كثيرة، تجعلنا نؤمن ببعث الناس بعد موتهم، وإعادتهم أحياءً..

فمن ذلك:

- **إنزال المطر على الأرض الميتة فتحيا بإذن الله:**



نمر بالأرض الجَرداء الغَبْراء الميتة، لا زرع فيها ولا نبات ولا حياة، فإذا أنزل الله تعالى عليها المطر اهتزت وعادت إليها الحياة وأصبحت أرضًا حية خضراء.

فبعدما كانت يابسة صارت رطبة، وبعد غُبرتها صارت خَضِرة.. كذلك يُحيي الله الموتى.. يُحيي تلك العظام النَّخِرة، والأجساد اليابسة.. فتعود رَطْبَة حية.. كما قال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَٰهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنزَلْنَا بِهِ ٱلْمَآءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ ۚ كَذَٰلِكَ نُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [الأعراف: ٥٧].

وفي حديث أبي رَزِين ﷺ قال: « قلت: يا رسول الله، كيف يحيي الله الموتى؟ فقال ﷺ: أما مررت بالوادي مُمحلا، ثم تمر به خضرا، ثم تمر به مُمحلا، ثم تمر به خضرا؟ كذلك يُحيي الله الموتى »[1].

(١) رواه أحمد (حسن).

• الاستدلال ببدء الخلق على إعادته:

فإن الذي خلق الخلق أولًا لـمّا شاء، وصوّرهم كما شاء، قادر على إعادة خلقهم مرة أخرى كما شاء ومتى شاء؛ فإنّ الإعادة أهون من ابتداء الخلق، كما قال تعالى:

﴿ يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعْدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ ﴾ [الأنبياء: ١٠٤].

وقال تعالى: ﴿ وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ﴾ [الروم: ٢٧].

• إحياء بعض الأموات في الدنيا:

فإنه قد وقع موت لبعض البشر وأحياهم الله تعالى؛ كإحياء قَتِيل بني إسرائيل بعد ضربه ببعض البقرة [1]، كما قال تعالى:

﴿ فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذَلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَى وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ [البقرة: ٧٣].

---

(١) كان رجل من بني إسرائيل عقيما لا يُولد له، وكان له مال كثير وكان ابن أخيه وارثه الوحيد، فاستعجل ابن الأخ ميراث عمه، فعدا على عمه الغني فقتله، ثم حمل جثته ليلا فوضعه على باب رجل منهم. ثم أصبح يدّعي أنهم قتلوه، وثارت بينهم الخصومة، حتى تسلّحوا وركب بعضهم على بعض.

فقال العقلاء منهم: علام يقتل بعضكم بعضًا وهذا رسول الله فيكم؟

فأتوا موسى عليه السلام فذكروا ذلك له، فأوحى الله إليه أن يأمرهم أن يذبحوا بقرة، فقال: ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً قَالُوا أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴾ [البقرة: ٦٧].

ولو أنهم اطاعوا وذبحوا أيّ بقرة ولم يعترضوا لأجزأت عنهم، ولكنهم شدّدوا فشدّد عليهم حتى انتهوا إلى البقرة التي وصفت لهم، وأمِروا بذبحها فوجدوها عند رجل ليس له بقرة غيرها، فقال: والله لا أنقصها في ثمنها عن ملء جلدها ذهبا، فأخذوها بملء جلدها ذهبا، فذبحوها فضربوا الميت بجزء منها فقام، فقالوا: من قتلك؟ فقال: هذا، وأشار لابن أخيه، ثم مال ميتا. انظر تفسير ابن كثير لسورة البقرة. (١/ ١٤٥).

وكما حصل للذي مرّ على قرية وهي خاوية على عُروشها[1]، كما قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰۖ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِنۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِى﴾ [البقرة: ٢٦٠].

- **كمال قدرته سبحانه بإخراج الشيء من ضِدّه:**

يعني أن الله تعالى قادر على أن يخرج الجسد الحي الرَّطْب من العظم الميت اليابس، وذلك كما أن الله ﷻ يُخرج النار من الشجر الأخضر، كما قال تعالى:

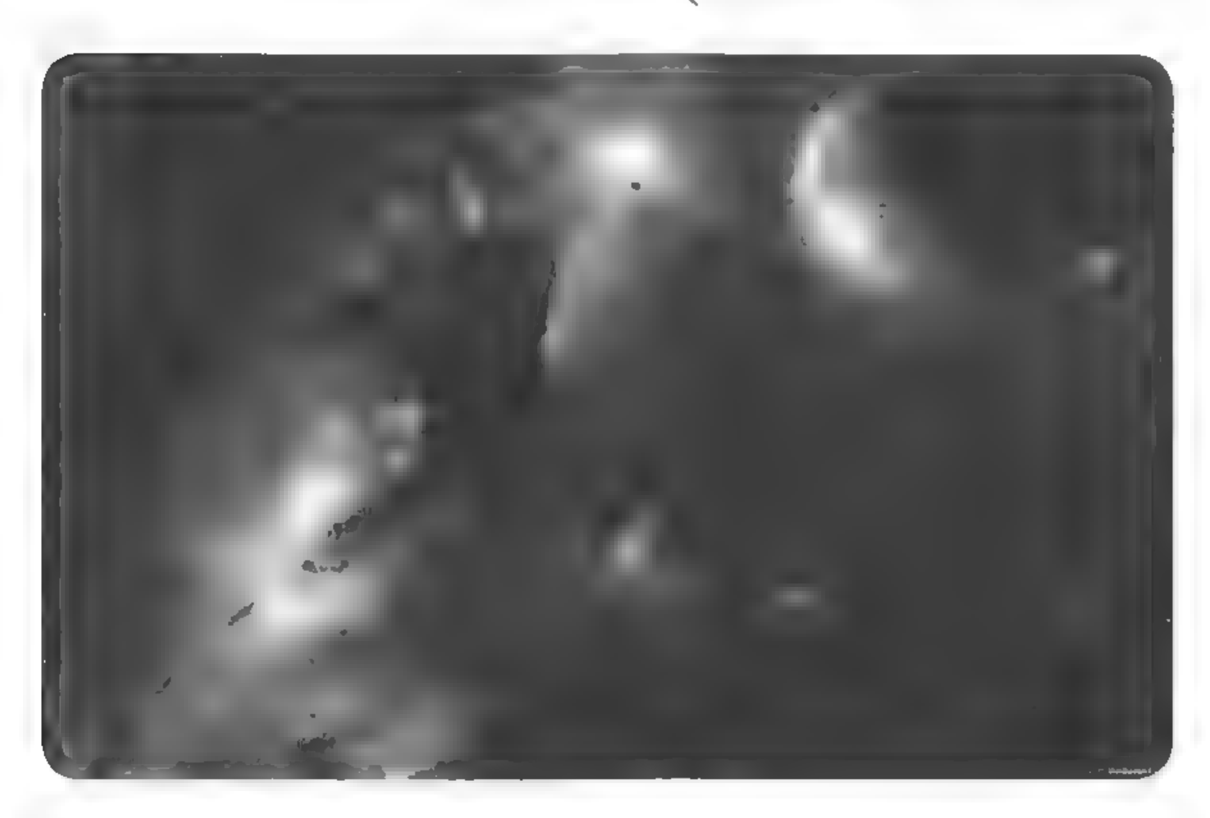
﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِىَ خَلْقَهُۥۖ قَالَ مَن يُحْيِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِىَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾ قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴿٧٩﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلشَّجَرِ ٱلْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَآ أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ﴾ [يس: ٧٨-٨٠].



(١) وهو الذي ذكره الله تعالى بقوله: ﴿أَوْ كَٱلَّذِى مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْىِۦ هَٰذِهِ ٱللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَاۖ فَأَمَاتَهُ ٱللَّهُ مِاْئَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُۥۖ قَالَ كَمْ لَبِثْتَۖ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍۖ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِاْئَةَ عَامٍ فَٱنظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْۖ وَٱنظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ ءَايَةً لِّلنَّاسِۖ وَٱنظُرْ إِلَى ٱلْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًاۚ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [البقرة: ٢٥٩].

- **قدرته تعالى على خلق السموات والأرض:**

وخلق السموات والأرض وما فيهما من عظمة وعجائب وإتقان أعظم من خلق الإنسان، فمن قدر على خلق الكبير العظيم قدر على خلق ما هو أقلّ منه، كما قال تعالى: ﴿ أَوَلَيْسَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم ۚ بَلَىٰ وَهُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ يس ٨١.



حال غير المقبورين:

من كان مات غرقًا فأكلته الأسماك، فتَفَرّق في بطونها، أو مات محترقًا فصار رَمادًا، أو أكلته السِّباع، أو غير ذلك ممن لم يموتوا موتًا طبيعيًا، ولم يُدفنوا كبقية الناس، فإن هؤلاء أيضًا يشملهم البعث والنشور.

فقد ذكر النبي ﷺ قصة رجل من السابقين «...اعطاه الله مالا وولدا، فلما حضرته الوفاة قال لبنيه: أيّ أب كنت لكم؟ قالوا: خير اب.. قال: فإني لم

اعمل خيرا قط، فإذا انا مت فاحرقوني، حتى إذا صرت فحما فاسحقوني[1]، فإذا كان يوم ريح عاصف فاذروني في البحر، فوالله لئن قدر عليّ ربي، ليُعذّبني عذابا ما عذّبه به أحدا!![2] فأخذ مواثيقهم على ذلك.

فلما مات فعلوا به ذلك، وذرّوه في يوم عاصف، فأمر الله الأرض فقال: اجمعي ما فيك منه، ففعلت، فإذا هو قائم، فقال الله: أي عبدي، ما حملك على أن فعلت ما فعلت؟ قال: خشيتك يا رب، فغفر له بذلك»[3].

نعم.. تقوم الخلائق كلها أحياءً.. ويُساقون إلى موقف الجمع يوم القيامة؛ لمجازاتهم بأعمالهم والفصل بينهم.

كيفية البعث:

أمور الغيب لا تؤخذ إلا من الوحي، وقد أخبرنا النبي ﷺ في عدد من الأحاديث عن كيفية البعث، وكم بين النفختين، وفصَّل وبيَّن، ومن ذلك قوله ﷺ:

«ما بين النفختين أربعون. **ثم قال:** ثم ينزّل الله من السماء ماء فينبتون كما ينبت البقل[4]، ليس من الإنسان شيء إلا يبلى إلا عظما واحدا وهو عجب الذنب ومنه يركب الخلق يوم القيامة»[5].

(١) اسحقوني: أي اطحنوني.

(٢) المعنى: أن هذا الرجل من شدة خوفه وفزعه من لقاء الله تعالى، وليس عنده عمل صالح، أراد أن يهرب من البعث والنشور بمثل ذلك، بأن يُحرق ثم يُطحن، ثم يُرمى الرماد في البحر ليتفرق.

(٣) متفق عليه.

(٤) البقل: كل نبات ليس شجرًا أي ليس له جذع ولا ساق، ويطلق عادة على الثوم والبصل والنعناع، ونحوها.

(٥) متفق عليه.

فبعد النفخة الأولى في الصور التي يموت فيها جميع من كان حيًا.. ويبقون زمانًا لا يعلم قدره إلا الله تعالى.. يُنزِل الله ماءً تنبت منه أجسادهم..

فإذا تكامل خلق الأجساد، سواء التي في القبور، أو التي في البحار والصَّحارَى، والجبال والوِديان.. كما قال تعالى: ﴿كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ ۚ وَعْدًا عَلَيْنَآ ۚ إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ﴾ [الأنبياء:١٠٤].

عندها يُنفخ في الصور النفخة الثانية، فتطير الأرواح إلى الأجساد، فتعود الحياة للأجساد، وتنشقّ الأرض، ويخرجون أحياء من قبورهم، كما قال تعالى: ﴿يَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلْأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعًا ۚ ذَٰلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ﴾ [ق:٤٤].

وقال تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ ٱلْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ﴾ [سورة يس:٥١].

فيخرجون من الأجداث والقبور إلى موقف القيامة.

قال ﷺ: «ثم ينفخ في الصور فلا يسمعه أحد إلا أصغى ليتًا ورفع ليتًا[1]. فأول من يسمعه رجل يلوط حوض إبله[2]، فيصعق ويصعق الناس[3]، ثم يرسل الله – أو قال: يُنزِّل الله – مطرًا كأنه الطَّلّ[4] فينبت منه أجساد الناس، ثم نُفخ فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون[5]، ثم يقال: يا أيها الناس هلمُّوا إلى ربكم، وقِفوهم إنهم مسئولون»[6].

---

(١) أصغى ليتًا: الليت هو صفحة العُنُق، والمعنى أنه أطرق وأمال رأسه وانصت بأذنه.

(٢) المعنى: يصلح الحوض لإبله ليجمع فيه الماء ليسقيها.

(٣) يصعق: يموت.

(٤) الطل: أي المطر الضعيف الصغير القطر، فينبت منه -أي بسببه- أجساد الناس.

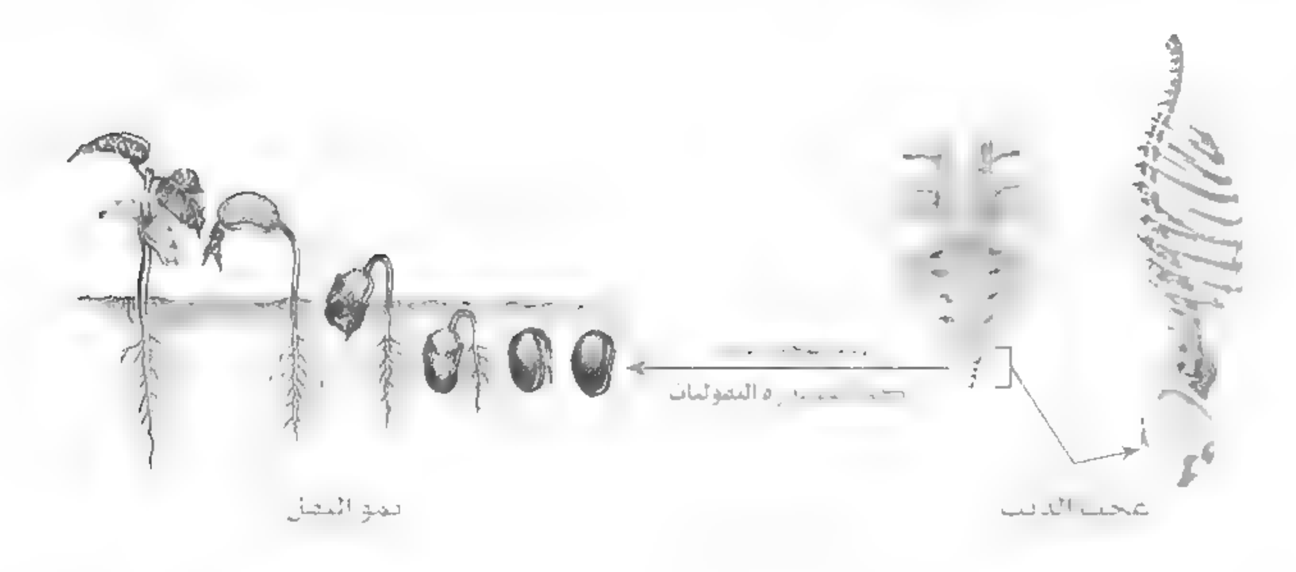
(٥) وهي النفخة الثانية التي يقوم بها الناس من قبورهم.

(٦) رواه مسلم.

الأجساد تنبت كما ينبت النبات..

نعم.. كما أن النبات يكون له بَذر ينبت منه.. كذلك الأجساد يُنزل الله تعالى عليها المطر فتنبت من عَجب الذَّنَب حتى تكتمل.. وقد وصف الله تعالى ذلك بقوله: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَٰهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنزَلْنَا بِهِ ٱلْمَآءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ ۚ كَذَٰلِكَ نُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ [الأعراف: ٥٧].

الإنسان ينمو نمو البَقل [١].. من عَجب ذَنَبِه.. وهو عظم الصُّلْب المستدير الذي في أصل العَجُز.. وهو آخر فقرات الظهر من أسفله.



وقد تقدم بيان ذلك في قوله ﷺ: «ما بين النفختين أربعون، ثم ينزل من السماء ماء، فينبتون كما ينبت البقل، وليس في الإنسان شيء إلا يبلى، إلا عظم واحد، وهو عجب الذنب منه يركب الخلق يوم القيامة» [٢].

وقال ﷺ: «كل ابن آدم تأكله الأرض إلا عجب الذنب، منه خلق، وفيه يركب» [٣].

---

(١) البقل نوع من النبات ليس شجرًا، بل يطلق على ما ليس له جذع وساق، مثل الثوم والبصل والنعناع والبقدونس، وهو عادة يتكاثر وتخضرّ منه الأرض.

(٢) رواه البخاري ومسلم.

(٣) رواه أبو داود والنسائي ومالك، صحيح.

هل يختلف الخلق عن خلقهم الأول؟



الجواب: الظاهر عند التأمل في دَلالات النصوص الشرعية من القرآن والسنة، أن طبيعة الخَلْق بعد البعث من الموت، تختلف عن طبيعته الأولى، في قدرات الجسد وتحمُّله، وغير ذلك.

وهذا لا يعني أن الذين يُبعثون يوم القيامة ويُحاسبون ويُجازون هم خلق آخر، أو أشخاص آخرون غير الذين كانوا في الدنيا، بل ما يحصل هو أن الله تعالى يعيد العباد أنفسهم الذين كانوا في الدنيا، لكنهم يختلفون في تكوينهم وقدراتهم عما كانوا عليه في الحياة الدنيا، فمِن ذلك:

إبصار العباد ما لم يكونوا يبصرون، فإنهم يبصرون في ذلك اليوم الملائكة والجن، وما الله به عليم، كما قال تعالى: ﴿لَّقَدْ كُنتَ فِى غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَآءَكَ فَبَصَرُكَ ٱلْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾.

ومِن ذلك أن أهل الجنة لا يَبْصُقون ولا يَتَغَوّطون ولا يَتَبَوَّلون.

ومن ذلك أنهم لا يموتون من شدة الجوع والعطش مع طول يوم القيامة.

وأن العصاة والكفرة منهم يحترقون في النار ولا يموتون، كما قال تعالى: ﴿وَيَأْتِيهِ ٱلْمَوْتُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ﴾.

۞ أول من تنشقّ عنه الأرض:

عند النفخ في الصور النفخة الثانية، وتشقق القبور ليخرج الناس منها، وذلك بعد اكتمال خلقهم في داخلها، فإن أول من يُبعث وتَنْشَقّ عنه الأرض هو نبينا محمد ﷺ.

كما قال ﷺ: «أنا سيد ولد آدم يوم القيامة، وأول من ينشقّ عنه القبر، وأول شافِع وأول مُشَفّع»[١].

وعن أبي هريرة قال:

«استبَّ رجل من المسلمين ورجل من اليهود[٢]، فقال المسلم: والذي اصطفى محمدًا على العالمين، فقال اليهودي: والذي اصطفى موسى على العالمين، فرفع المسلم عند ذلك يده فلَطَم اليهودي[٣]، فذهب اليهودي إلى رسول الله ﷺ فأخبره الذي كان من أمره وأمر المسلم.

فقال ﷺ: لا تخيّروني على موسى، فإن الناس يصعقون، فأكون أول من يُفيق، فإذا موسى باطش بجانب العرش[٤]، فلا أدري أكان فيمن صعق، أو كان ممن استثنى الله ﷻ[٥]»[٦].

---

(١) رواه مسلم.

(٢) يعني تخاصما فجعل كل منهما يسب الآخر.

(٣) أي غضب المسلم لأن اليهودي فضل نبي الله موسى ﷺ على نبي الله محمد ﷺ، فضرب المسلم اليهودي.

(٤) باطش أي: ممسك وآخذ بجانب عرش ربنا جل وعلا.

(٥) المعنى: أي لا أدري هل موسى عليه السلام كان ممن أصابه الصعق بالنفخة مثل ما أصاب بقية الخلق، أم أنه ممن استثناه الله تعالى من الصعق كما قال تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ﴾ [الزمر: ٦٨]، كما تقدم أن ممن لا يصعقون: الروح، والعرش، والحور العين... وقد فصّلنا ذلك عند كلامنا عن النفخ في الصور.

(٦) متفق عليه.

وفي رواية « ... فإنه يُنفخ في الصور، فيصعق من في السماوات ومن في الأرض إلا من شاء الله، ثم يُنفخ فيه أخرى فأكون أول من يُبعث، فإذا موسى آخذ بالعرش، فلا أدري: أحُوسب بصعقة الطُّور، أم بُعث قبلي »[1].

حُكم من أنكر البعث:

الإيمان بالبعث واليوم الآخر من أصول الإيمان، ومن أنكر البعث فقد كذّب الله تعالى، وأنكر القرآن.

وقد قال ﷺ:

« قال الله: كذّبني ابن آدم، ولم يكن له ذلك، وشتمني، ولم يكن له ذلك، أمّا تكذيبه إياي: أن يقول إني لن أعيده كما بدأته! وأما شتمه إياي: أن يقول اتخذ الله ولدا! وأنا الصمد الذي لم ألد ولم أُولد ولم يكن لي كُفُؤًا أحد »[2].

والإيمان بالبعث يتضمن الإيمان بإحياء الله تعالى الناس بعد موتهم، والحساب والجزاء والجنة والنار.

---

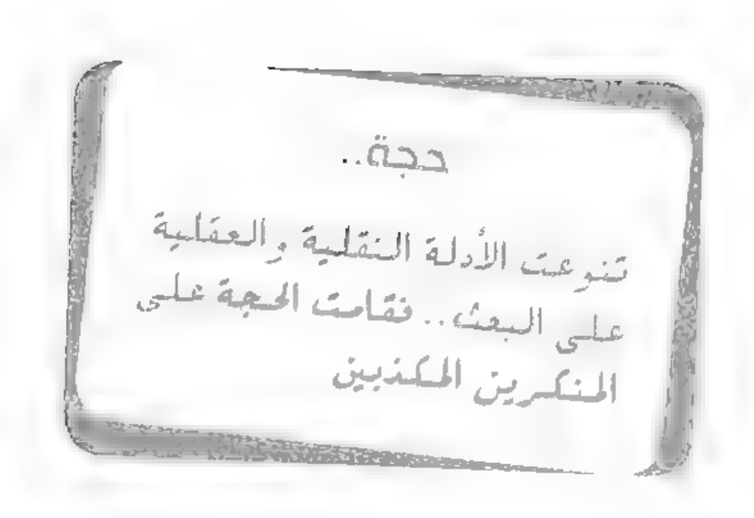
(١) متفق عليه، ويعني ﷺ بصعقة الطُّور، هي لما كلم الله تعالى موسى عليه السلام، وموسى عليه السلام عند جبل الواردة، وطلب موسى من ربه تعالى أن ينظر موسى إليه ﷻ. فأخبره الله تعالى أنه الآن وهو في الدنيا لا يستطيع ولا يتحمل رؤية الله تعالى، ثم تجلّى الله تعالى للجبل الأصمّ الصلب. فإذا بالجبل لما رأى الله تعالى صار دكًّا كَثِيبا رملًا وتفتتت صخوره الصُّمّ. فلما رأى موسى عليه السلام حال الجبل وما حصل له، صُعِق من هول ما رأى، فنبينا محمد ﷺ في هذا الحديث يقول: لا أدري هل موسى صعق بالنفخة التي صعق بها الخلائق، ثم أفاق قبل أن يفيق النبي محمد ﷺ؟ أم أنه لما صعق عند جبل الطور، أعفاه الله من الصعقة التي يصعق بها الخلائق. وقد وصف الله تعالى قصة موسى عند الطور بقوله تعالى: ﴿ وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ قَالَ رَبِّ أَرِنِىٓ أَنظُرْ إِلَيْكَ ۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِى وَلَٰكِنِ ٱنظُرْ إِلَى ٱلْجَبَلِ فَإِنِ ٱسْتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوْفَ تَرَىٰنِى ۚ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا ۚ فَلَمَّآ أَفَاقَ قَالَ سُبْحَٰنَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الأعراف: ١٤٣].

(٢) رواه البخاري.

وختامًـا.. فإن الناس إذا نُفخ في الصور وبُعثوا من قبورهم.. من كل مكان في الأرض.. أمر الله تعالى بهم فحُشروا إلى مكان واحد..

- فأين هذا المكان؟
- وماذا يحصل فيه؟
- وكيف يستدلون عليه؟

هذا ما أُفصّله في المبحث القادم..



أهوال قيام الساعة

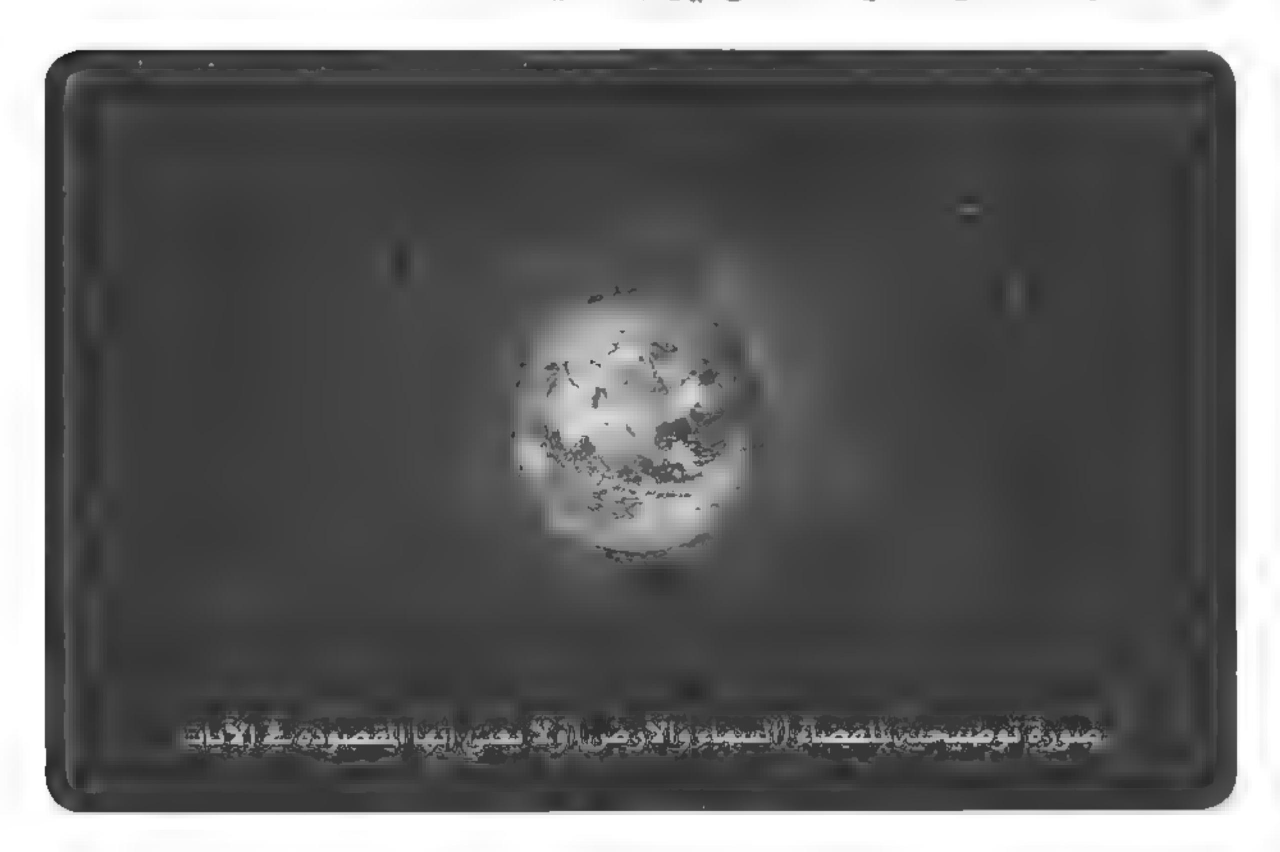
يوم القيامة تُبدَّل الأرض غير الأرض، وتبدل السموات، وتَضطرب حركة الأكوان، ويتنزَّل الجبار جل جلاله لفصل القضاء بين عباده.

- فكيف يكون حال السموات؟
- وكيف تُبدَّل الأرض؟
- وماذا يحصل للعباد عند ذلك؟

أخبرنا الله تعالى عن أهوال يوم القيامة التي تشدهُ الناس، وتزلزل قلوبهم.

فالأرض تُزَلزَل وتُدَك. والجبال تُسيَّر وتُنسَف. والبحار تُفجَّر وتُسَجَّر. والسماء تَتَشَقَّق وتَمُور. والشمس تُكوَّر وتُكسَف. والقمر ينطفئ ويُخْسَف. والنجوم تَنكَدِر ويذهب ضوؤها. وربنا يقبض الأرض بيده. ويطوي السماوات بيمينه.

حال السموات والأرض يوم القيامة:



صورة توضيحية للفضاء (السماء والأرض) ولا يعني أنها المقصودة في الآيات

دلّت نصوص الكتاب والسنة، على أن الله يقبض الأرض، ويَطوي السموات..

- **فأما السموات:**

فكما قال تعالى: ﴿ يَوْمَ نَطْوِى ٱلسَّمَآءَ كَطَىِّ ٱلسِّجِلِّ لِلْكُتُبِ ﴾ [الأنبياء: ١٠٤].

وقال تعالى: ﴿ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ﴾ [الزمر: ٦٧].

والسِّجِل هو الكاتب أي المسجّل الذي يكتب في الورق، فإذا انتهى من الكتابة طوى كتابه، أي لفّ الكتاب وطَوى بعضه على بعض، فهذا ما يحصل للسموات يوم القيامة، حيث يطوي الجبار بعضها على بعض، ويَقْبِضها بيده.. جل جلاله..

وقال ﷺ: « يقبض الله الأرض ويطوي السموات بيمينه ثم يقول: أنا الملك، أين ملوك الأرض؟ »[1].

وقال ﷺ: « يطوي الله ﷻ السماوات يوم القيامة. ثم يأخذهن بيده اليمنى، ثم يقول: أنا الملك. أين الجبارون؟! أين المتكبرون؟! ثم يطوي الأرضين بشماله، ثم يقول: أنا الملك. أين الجبارون؟! أين المتكبرون؟! »[2].

• وأما الأرض:

تكون يوم القيامة كما قال ﷺ: « تكون الأرض يوم القيامة خُبزة واحدة يتَكفَّؤُها الجبار بيده كما يكفأُ أحدكم خُبزته في السفر نُزُلاً لأهل الجنة.

فأتى رجل من اليهود فقال: بارك الرحمن عليك يا أبا القاسم. ألا أخبرك بنُزُل أهل الجنة يوم القيامة؟ قال ﷺ: بلى. **قال: تكون الأرض خُبزَة واحدة. فنظر النبي ﷺ إلى أصحابه ثم ضحك حتى بَدَت نَواجِذه، ثم قال:** ألا أخبرك بإدامهم؟ **قال:** إدامُهم بالاَمٌ وَنونٌ. **قالوا:** وما هذا؟ قال: ثَور ونُون يأكل من زائدة كبدهما سبعون ألفا »[3].

---

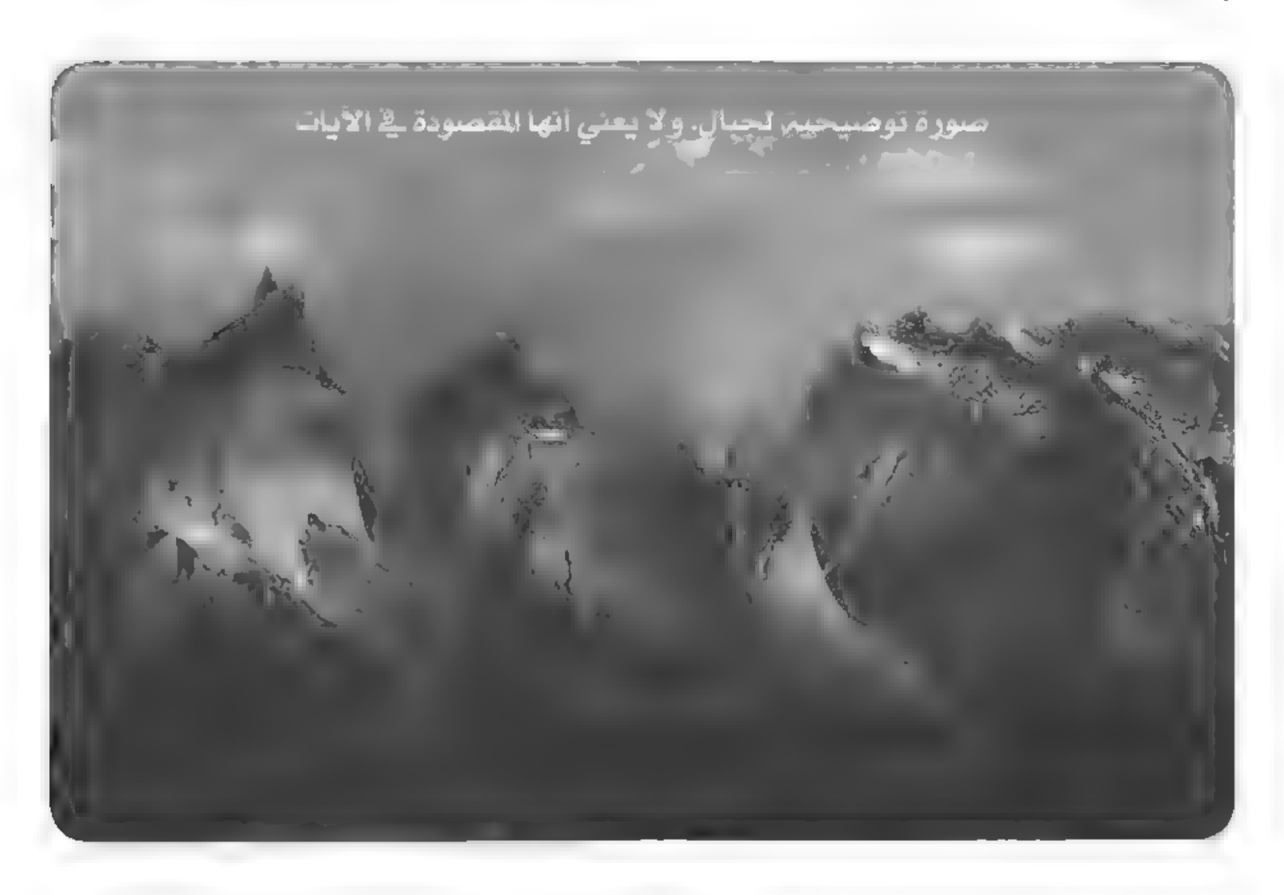
(١) متفق عليه.

(٢) متفق عليه.

(٣) متفق عليه، والمراد بالنُـزُل: هو أول ما يوضع للضيف من طعام عند نزوله، وقوله بالام أي ثور، ونون: حوت، والثور حيوان معروف كثير اللحم، والحوت معروف أيضًا سمك كبير عظيم في البحر.

نَسْف الجبال:

إذا نفخ في الصور يوم القيامة، فإن الأرض بما عليها من جبال صُمّ راسيات، وأشجار شامخات، وزروع ونباتات، تُحمل يوم القيامة فتُدَك دَكّة واحدة.


صورة توضيحية لجبال، ولا يعني أنها المقصودة في الآيات

قال تعالى: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ نَفۡخَةٞ وَٰحِدَةٞ ١٣ وَحُمِلَتِ ٱلۡأَرۡضُ وَٱلۡجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةٗ وَٰحِدَةٗ ١٤ فَيَوۡمَئِذٖ وَقَعَتِ ٱلۡوَاقِعَةُ﴾ [الحاقة: ١٣-١٥].

فتصير الجبال رملًا ناعمًا كما قال تعالى: ﴿يَوۡمَ تَرۡجُفُ ٱلۡأَرۡضُ وَٱلۡجِبَالُ وَكَانَتِ ٱلۡجِبَالُ كَثِيبٗا مَّهِيلًا﴾ [المزمل: ١٤].

بل تكون الجبال لشدة الفزع والاضطراب كالصوف اللّيِّن المَنفوش، بعدما كانت صلبة ثابتة، كما قال تعالى: ﴿وَتَكُونُ ٱلۡجِبَالُ كَٱلۡعِهۡنِ ٱلۡمَنفُوشِ﴾ [القارعة: ٥]، **والعِهْن هو الصوف.**

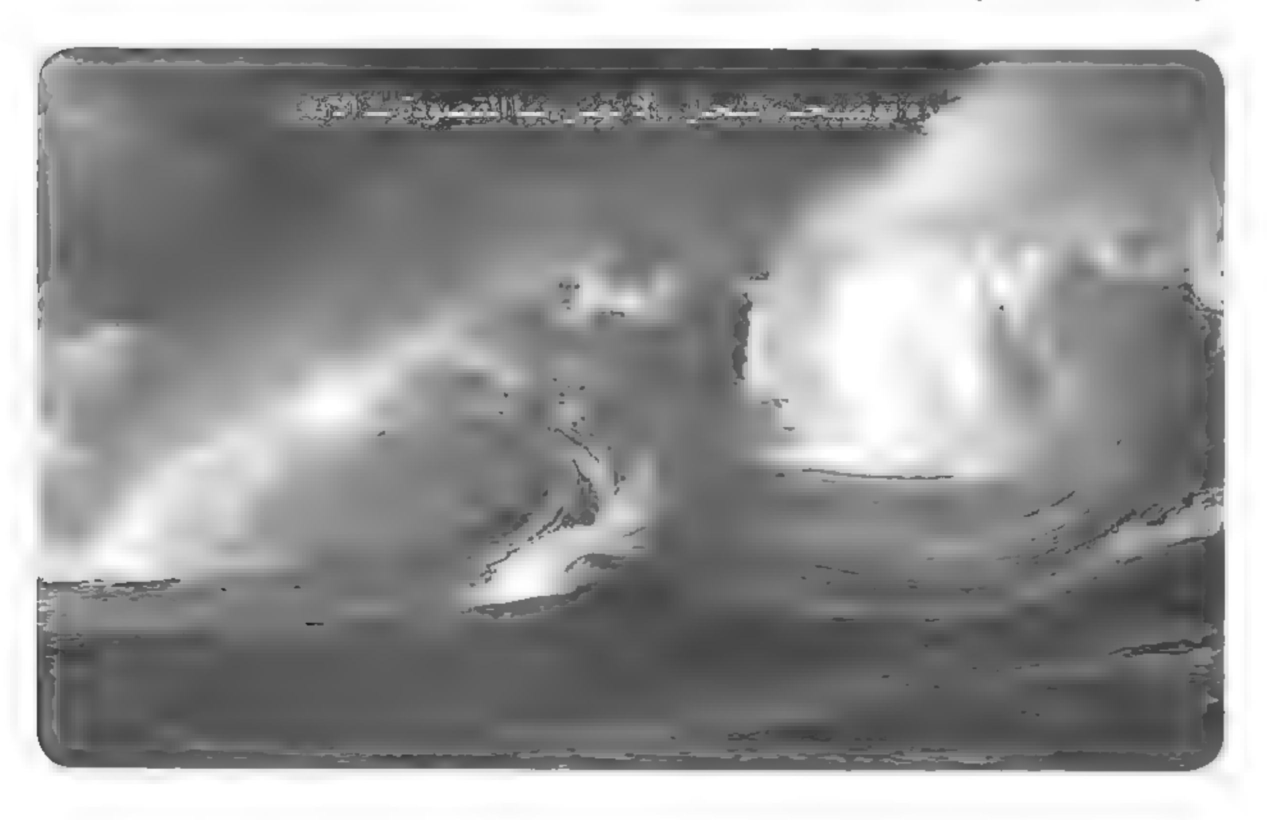
ويزيـل الله تعـالى الجبال عن مواضعها، فلا يبقـى في الأرض جبل، كما قال تعالى: ﴿ وَسُيِّرَتِ الْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا ﴾ [النبأ: ٢٠].

نعم.. تصبح الجبال سرابا يبدو لناظره من بعيد ماء، فإذا اقترب الإنسان لم يجده شيئا، ثم تُنسف الجبال وتكون ترابا تلعب به الرياح[1]، كما قال تعالى: ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا ﴿١٠٥﴾ فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا ﴿١٠٦﴾ لَّا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا وَلَا أَمْتًا ﴾ [طه: ١٠٥-١٠٧].

هـذا حـال الجبال.. عند قيام السـاعة.. أما البحار.. الـتي تغطي أكثر من ثلاثة أرباع الكرة الأرضية.. فلها شأن أعجب من شأن الجبال..

تفجير البحار وتَسْجِيرها:

البحـار العظيمـة الهائجـة، العميقة الرهيبـة، بما في باطنهـا من عوالم هائلة من الأحياء، تُفجَّر يوم القيامة، وتُسَجَّر، وتشتعل نارًا. كما قال تعالى: ﴿ وَإِذَا الْبِحَارُ فُجِّرَتْ ﴾ [الانفطار: ٣].



وتفجير البحار هو امتلاؤها وغَمْرها لليابسة، أو تفجير مائها لعُنْصُرَيه: الأوكسجين والهيدروجين؛ وتفجير ذرّات هذين الغازين [1].

وقال تعالى: ﴿ وَإِذَا ٱلْبِحَارُ سُجِّرَتْ ﴾ [التكوير: ٦].

وتَسْجِير البحار هو إشعالها نارا، وقد يكون ذلك بفعل زلزال وتَشَقُّق في قِيعان البحار فيتسرب ماء البحر ومعه المواد القابلة للاشتعال الموجودة في باطن الأرض مع سوائل مُلْتَهِبَة داخل الأرض، فتشتعل وتظهر النيران على سطح البحار.

دوران السماء وانفطارها:

في يوم القيامة تمور السماء مَوْرًا، وتضطرب اضطرابًا عظيمًا، كما قال تعالى: ﴿ يَوْمَ تَمُورُ ٱلسَّمَآءُ مَوْرًا ﴾ [الطور: ٩].

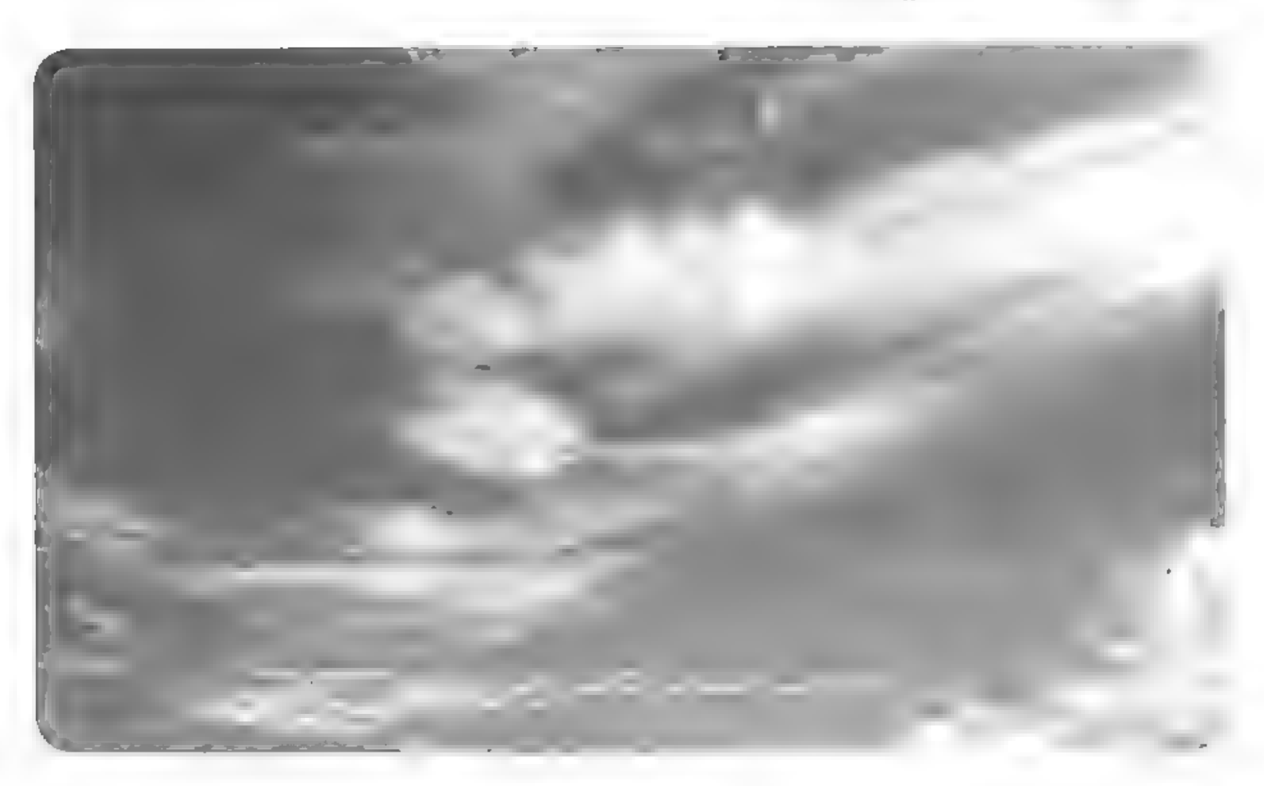
تتحرك السماء، وتدور دَورانا وهي في مكانها كما تدور الرَّحَى، وتنفَطِر وتتشقق كما قال تعالى: ﴿ إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتْ ﴾ [الانفطار: ١]، وقال: ﴿ وَيَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلسَّمَآءُ بِٱلْغَمَٰمِ ﴾ [الفرقان: ٢٥].

ولا ندري كيف تتشقق السماء، لكنه جَزْمًا هو حال مرعب عصيب، كما قال تعالى: ﴿ إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتْ ۝١ وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ ﴾ [الانشقاق: ١، ٢].

وقال تعالى: ﴿ وَٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَهِىَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ ﴾ [الحاقة: ١٦]، تتصدّع السماء، وتصبح ضعيفة واهية، بعد أن كانت شديدة عظيمة القوة.

(١) كما يقع في تفجير القنابل الذرية والهيدروجينية اليوم.

لون السماء يومئذ:



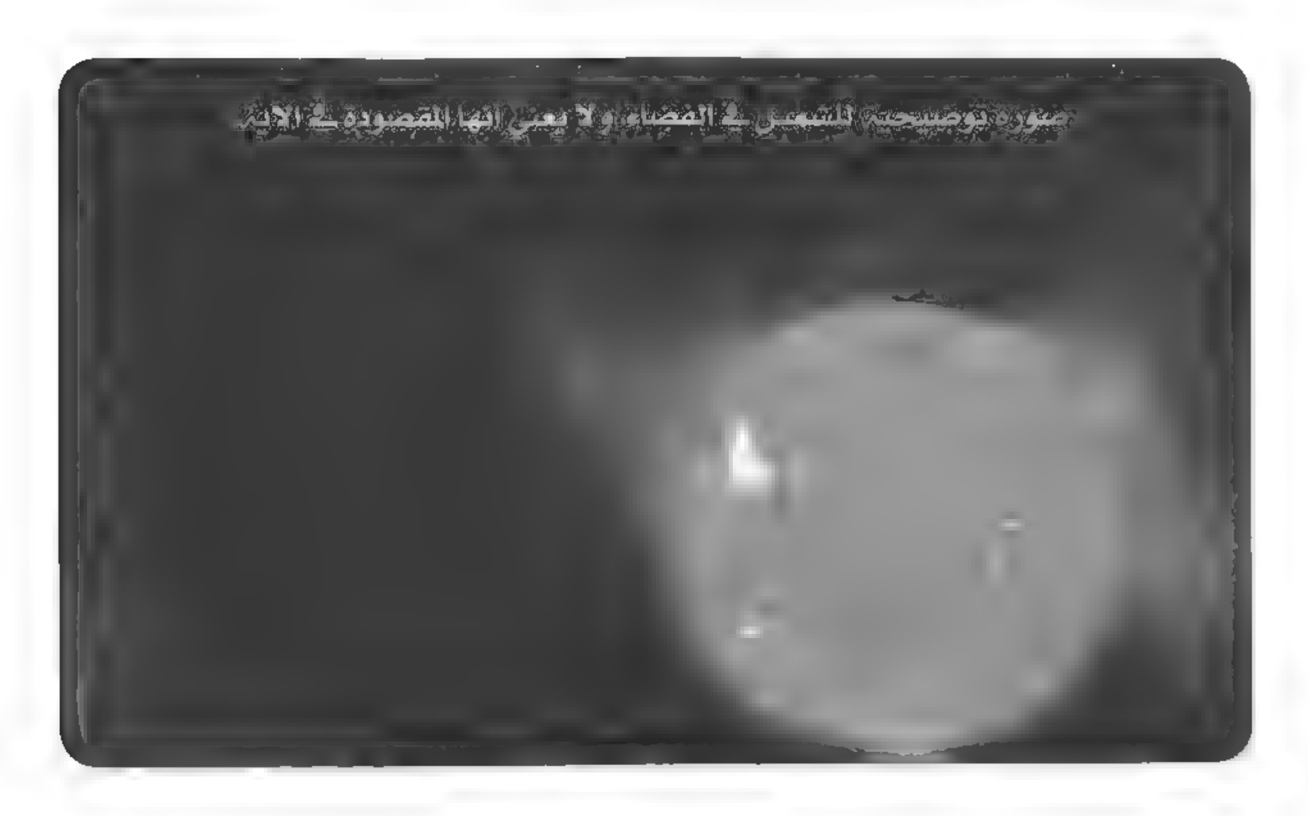
لـون السـماء الأزرق الجميـل يتغير يـوم القيامـة، وتتلون السـماء كما تتلـون الأصباغ، فتارة حمـراء، ثم صفراء، وأخرى خضـراء، ثم زرقاء، كما قال تعالى: ﴿ فَإِذَا ٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَٱلدِّهَانِ ﴾ (الرحمن: ٣٧)، فهي تتشـقّق فتكون لونًا بعد لون.

تَكْوِير الشمس:

الشمس عند قيام الساعة، ينطفئ نورها، ويذهب ضوؤها، فتُجمع وتُكوَّر، والتَّكوير: جمعُ الشيء بعضه على بعض، ومنه تكوير العمامة، فيُجمع بعض الشمس على بعض، وقد ذهب ضوؤها ورُميَ بها.

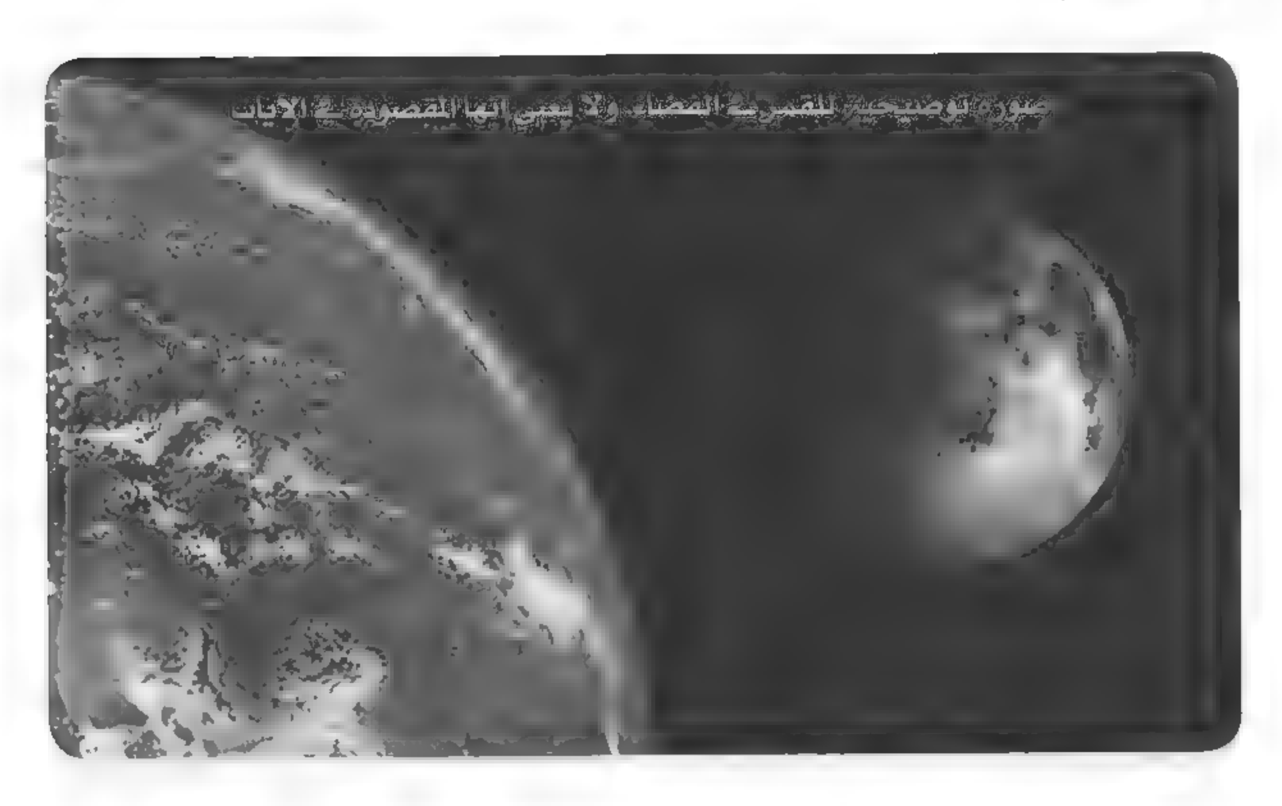
وقـد يكون المعنى أن الشـمس تـبرد وتنطفـئ وتكون بلا أشـعة ولا لهب، كقشرة الأرض.كما قال تعالى: ﴿ إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ ﴾ (التكوير: ١).

وقد يكون المعنى غير ما ذُكر، والله أعلم.



صورة توضيحية للشمس في الفضاء ولا يعني أنها المقصودة في الآية

القمر:



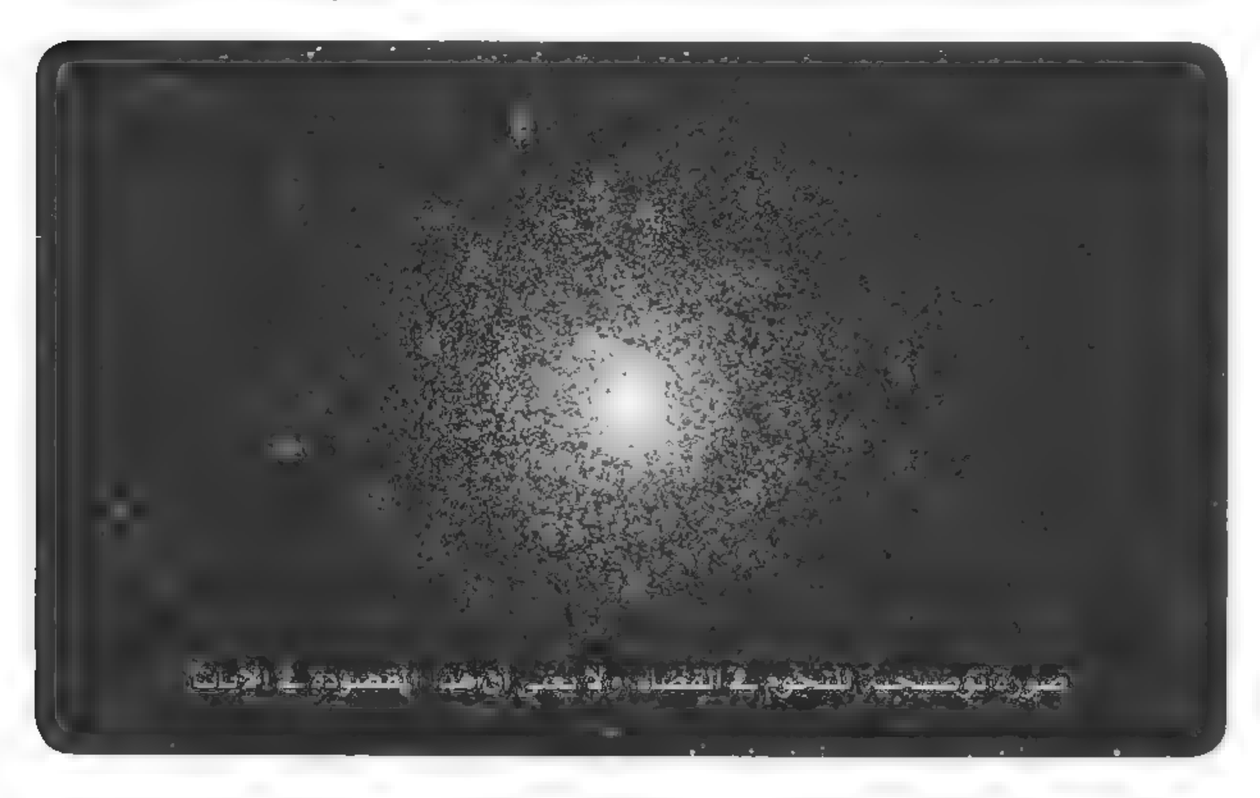
صورة توضيحية للقمر في الفضاء ولا يعني أنها المقصودة في الآيات

القمر يُخسف به ويذهب ضوؤه، كما قال تعالى: ﴿ فَإِذَا بَرِقَ ٱلْبَصَرُ ﴿٧﴾ وَخَسَفَ ٱلْقَمَرُ ﴿٨﴾ وَجُمِعَ ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ ﴿٩﴾ يَقُولُ ٱلْإِنسَٰنُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ ٱلْمَفَرُّ ﴿١٠﴾ كَلَّا لَا وَزَرَ ﴿١١﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ ٱلْمُسْتَقَرُّ ﴾ [القيامة: ٧-١٢]

قوله: ﴿ وَجُمِعَ ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ ﴾ يجْتمع الشَّمسُ والقَمَرُ في جهة واحدة، فيطلُعان مِن جهة الغرب أسْوَدينِ، لا نُورَ فيهما.

النجوم والكواكب:

نجوم السماء على اختلاف أشكالها، وتنوع أحجامها، وضوئها وجمالها، إذا قامت الساعة فإنها تَنْكَدِر وتنطفئ وتفقد جاذِبيَّتها، كما قال تعالى: ﴿ وَإِذَا ٱلنُّجُومُ ٱنكَدَرَتْ ﴾ [التكوير: ٢]، وقال ﴿ فَإِذَا ٱلنُّجُومُ طُمِسَتْ ﴾ [المرسلات: ٨]، ويتبع ذلك تناثُر الكواكب المرتبطة بجاذبية تلك النجوم، كما قال تعالى: ﴿ وَإِذَا ٱلْكَوَاكِبُ ٱنتَثَرَتْ ﴾ [الانفطار: ٢]، ويقول تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُمْسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ أَن تَزُولَا ۚ وَلَئِن زَالَتَآ إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴾ [فاطر: ٤١].



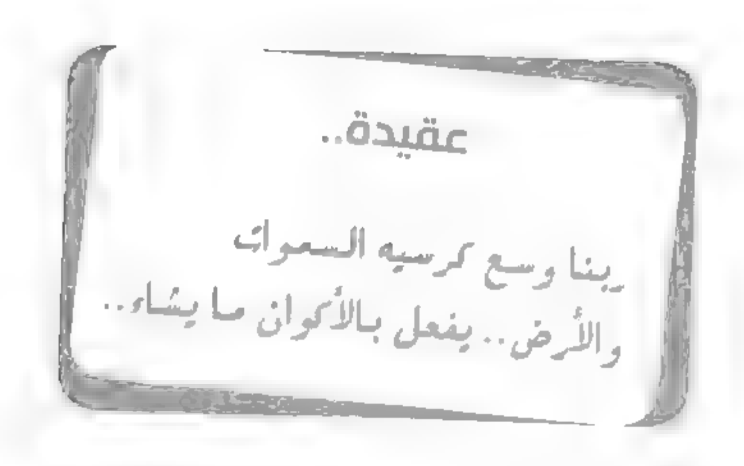
صورة توضيحية للنجوم في الفضاء، لا يعني أن هذه المقصودة في الآيات

ما هي النجوم التي يصيبها ذلك؟

مسألة

الجـواب: الله أعلم بذلك، فلا ندري قـد تكون نجوم مَجَرَّتِنا، وقـد تكون كل النجوم في السـماء، والنجـوم لا يعلم عددها ومواضعهـا إلا الله، قال تعـالى: ﴿فَلَآ أُقۡسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ ٧٥ وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٞ لَّوۡ تَعۡلَمُونَ عَظِيمٌ﴾ (الواقعة: ٧٥ - ٧٦)، **لكننـا نؤمـن أن النجوم تَنْكَدِر.**

كل هذه الأحداث والتغيُّرات تقع قبل حشر الخلائق وجَمْعهم.. ويُجمعون إلى أرض المحشر.. فكيف يُحشرون؟ وما الذي يحدث لهم في أرض المحشر؟





الحشر، كلمة قليلة في مبناها كبيرة في معناها، تكررت في القرآن والسنة.

- فما هو الحشر؟
- وكيف يُحشر الناس؟ وأين يُحشرون؟
- وما هي أرض المحشر؟
- وما هي أنواعهم وأصنافهم في المحشر؟

مدخل

الحَشْر: هو جمع المُتَفَرِّق وضمّه إلى مكان واحد.

والحشر يوم القيامة: فهو جمع الخلائق في موقف واحد لحسابهم والفصل بينهم.

سمَّى الله تعالى يوم القيامة بيوم الجمع، لأن الله يجمع العباد فيه جميعًا، كما قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَّهُ ٱلنَّاسُ وَذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ﴾ [هود: ١٠٣].

الكل يجمعهم الله.. الأوَّلون والآخِرون كما قال: ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْأَوَّلِينَ وَٱلْآخِرِينَ ﴿٤٩﴾ لَمَجْمُوعُونَ إِلَىٰ مِيقَٰتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ﴾ [الواقعة: ٤٩، ٥٠].

والله تعالى لا يُعجزه شيء، فحيثما هلك العباد فإن الله آتٍ بهم من أجواء الفضاء، وظُلُمات الماء، وأعماق الأرض، ومن بطون الطيور والحيوانات والأسماك، كل ذلك عند الله سواء، كما قال تعالى: ﴿أَيْنَ مَا تَكُونُوا۟ يَأْتِ بِكُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [البقرة: ١٤٨].

وعلمه محيط بهم، فلا ينسى منهم أحدًا، قال ربنا: ﴿إِن كُلُّ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّآ ءَاتِى ٱلرَّحْمَٰنِ عَبْدًا ﴿٩٣﴾ لَّقَدْ أَحْصَىٰهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا ﴿٩٤﴾ وَكُلُّهُمْ ءَاتِيهِ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فَرْدًا﴾ [مريم: ٩٣ - ٩٥].

نعم.. أحصى الله المخلوقات، عَرَف ذكورهم وإناثهم، وصغارهم وكبارهم، وأحصى أعمالهم وأنفاسهم وأقوالهم، وهم جميعا تحت قهره وسلطانه، وكل واحد سيأتي الله وحده، فيحكم الله في خلقه بما يشاء ﴿وَحَشَرْنَٰهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا﴾ [الكهف: ٤٧].

فإذا قامت القيامة، حشر الله تعالى الخلق جميعًا، في مكان واحد.

۞ الأدلة على الحشر:



جاء إثبات الحشر في مواضع متفرقة من كتاب الله تعالى، فمن ذلك:

قوله تعالى: ﴿وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا﴾ [الكهف: ٤٧].

وقال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ ۝٤٩ لَمَجْمُوعُونَ إِلَىٰ مِيقَاتِ يَوْمٍ مَعْلُومٍ﴾ [الواقعة: ٤٩، ٥٠].

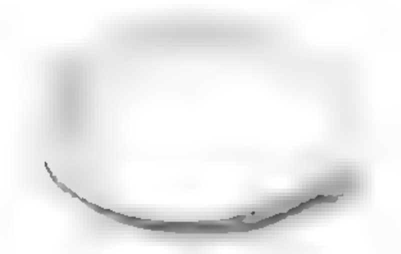
وقال تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَجَمَعْنَاهُمْ جَمْعًا﴾ [الكهف: ٩٩].

وقال ﷺ: «إن الله يجمع يوم القيامة الأوّلين والآخرين في صعيد واحد فيُسمِعهم الداعي ويُنفِذهم البصر»[١].

۞ صفة أرض المحشر:

يُحشر الخلائق يوم القيامة في أرض بيضاء نقيَّة.

قال ﷺ: «يُحشر الناس يوم القيامة على أرض بيضاء كقُرصة النَّقي ليس فيها معلم لأحد»[٢].



قوله «كقُرصة النَّقيّ» هو الخبز المستدير المصنوع من دقيق القمح أو الشعير النقي من الغش والنُّخالة.

(١) متفق عليه. في حديث الشفاعة.

(٢) متفق عليه.

۞ مكان أرض المحشر:

أرض المحشر في الشام.. فإن النبي ﷺ أشار بيده إلى الشام وقال:

« ههنا، إلى ههنا تُحشرون: رُكبانًا، ومُشاة، وتُجرّون على وجوهكم. يوم القيامة افواهكم الفدام. تُوفُون سبعين أمة انتم خيرها على الله، وأكرمهم على الله. وإن أول ما يُعرب عن أحدكم فخذه »[1].



قوله ﷺ: « أفواهكم الفِدام »:

الفِدام هي المِصفاة التي توضع على فم الإبرِيق فتمنع انسكاب الماء منه، والمعنى: أنهم مُنعوا الكلام حتى تتكلم أفخاذهم، فشبَّه ذلك بالفِدام الذي يُجعل على الإبريق، يحبِس انصباب الماء.

(١) رواه البخاري.

مقدار يوم الحشر:

يوم الحشـر فيه يُقضى بين الخلائق، وتُكشف وجوه الحقائـق، وتُفَصل خصومـات العبـاد.. فهو يوم طويل.. خمسـون ألف سـنة.. كما قـال تعالى: ﴿تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ [المعارج: ٤]. والنـاس ينتظرون في فزعهم.. إلا من أمَّنه الله تعالى ورَحِمه..

ولطول ذلك اليوم ينسـى الناس الزمن الذي عاشـوه في الدنيا.. فهو ليس بشـيء بجانب طول ذلك اليوم.. فيظن الناس أنهم لم يَلْبَثوا في الحياة الدنيا إلا ساعةً من نهار استقصارًا لها بالنسبة لطول ذلك اليوم وهَوْله..

قال تعـالى: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ كَأَن لَّمْ يَلْبَثُوٓاْ إِلَّا سَاعَةً مِّنَ ٱلنَّهَارِ يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِلِقَآءِ ٱللَّهِ وَمَا كَانُواْ مُهْتَدِينَ﴾ [يونس: ٤٥].

وقال ربنا: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُقْسِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُواْ غَيْرَ سَاعَةٍ﴾ [الروم: ٥٥].

الناس في ذلك الموقف.. لا يلتفت أحد إلى أحد.. بل كل واحد يفكر في نجاة نفسه.. يفرّ المرء من أخيه.. وأمه وأبيه.. وصاحبته وبَنِيه.. وفَصيلَته التي تُؤْيه.. ومـن في الأرض جميعًـا.. لينجو.. فلا أحد منهم يُنْجيه.. يااااااا للهَوْل.. نسـي الحبيب حبيبه.. والخليل خليله.. نسيت الوالدة ما أرضعت.. والأم ما حملت..

كمـا قـال تعـالى: ﴿فَإِذَا جَآءَتِ ٱلصَّآخَّةُ (٣٣) يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ (٣٤) وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ (٣٥) وَصَٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ (٣٦) لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ﴾ [عبس: ٣٣-٣٧].

وقـال تعـالى: ﴿يُبَصَّرُونَهُمْ يَوَدُّ ٱلْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِى مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍۭ بِبَنِيهِ (١١) وَصَٰحِبَتِهِۦ وَأَخِيهِ (١٢) وَفَصِيلَتِهِ ٱلَّتِى تُـْٔوِيهِ (١٣) وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُنجِيهِ﴾ [المعارج: ١١-١٤].

يودّ المجرم لو يفتدي.. بولده وأمه وأبنائه.. لا يهُمّهم أن يهلكوا جميعًا لينجو..

ذاك يوم شاقّ عسير.. قال الله عنه: ﴿يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا﴾ [الانسان: ١٠]..

۞ أنواع الحشر

تقدم أن معنى الحشر هو الجمع والضَّمّ، والخلائق عند قيام الساعة ينقسمون إلى نوعين، فمنهم الموتى في قبورهم، ومنهم الأحياء الذين تقوم عليهم الساعة، ويَصْعَقون بالنفخة الأولى في الصور.

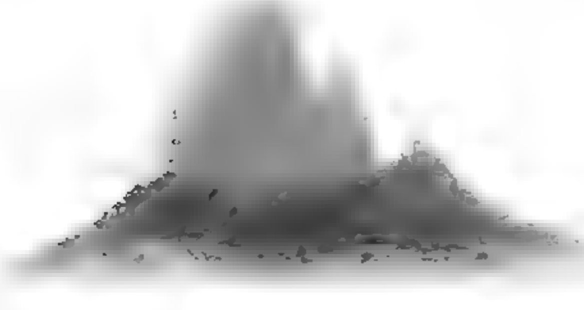
ومعلوم أن الساعة تقوم على شِرار الناس، فإن الله تعالى يرسل قبل الساعة ريحًا طيبة تقبض أرواح المؤمنين، ثم بعد ذلك يتم حشر من بقي على الأرض من الأحياء.

وقد جاء في النصوص الشرعية، في القرآن والسنة، تفصيل كيفية حشر الخلائق وجمعهم، ولم يدع الله تعالى الأمر لتخَرُّصات الناس وظنهم.

فالحشر نوعان:

- **النوع الأول: حشر الأحياء:**


صورة توضيحية لخروج نار من باطن الارض، [illegible]



وهو حشر الخلائق الأحياء، فيُجمعون من كل أنحاء الأرض إلى مكان واحد في أرض المحشر في الشام، والذي يجمعهم ويسوقهم هو نار تخرج من قُعْرَة عَدَن [1].

قال النبي ﷺ: «إن الساعة لا تكون حتى تكون عشر آيات..» أي حتى تروا قبلها عشر علامات من علامات الساعة كبار، وذكر النبي ﷺ هذه

(١) فصلت خبر هذه النار في كتابي الأول « نهاية العالم» ووضحت موضعها بالصور والخرائط.

العلامات ثم قال: « ونار تخرج من قعرة عدن تسوق الناس إلى المحشر تبيت معهم إذا باتوا وتقيل معهم إذا قالوا[1] »[2].

وقال ﷺ: « أما أول أشراط الساعة فنار تحشر الناس من المشرق إلى المغرب »[3].

وقال ﷺ « إنكم تحشرون رجالاً وركباناً، وتجرُّون على وجوهكم ههنا، وأومَأ بيده نحو الشام »[4].

المفهوم من هذه الأحاديث أن النار تسوق الناس من أنحاء الأرض إلى موضع واحد في الشام، ثم يُنفخ في الصور النفخة الأولى ويَصْعَقون.

آخر من يُحشرُ من الناس:

الناس عندما تقبل عليهم النار وتَسُوقهم، يكونون مشغولين كعادتهم في أمور حياتهم، وظروف معاشهم، فتفاجئهم النار، وقد أخبر النبي ﷺ بآخر أهل الناس حشرًا، فقال ﷺ:

« آخر من يحشر راعيان من مزينة يريدان المدينة ينعقان بغنمهما فيجدانها وحشا، حتى إذا بلغا ثنية الوداع خرا على وجوههما »[5].

(١) صفة هذه النار: أنها تخرج من قعر عدن تشتعل وتسير على الأرض تتمدد فيهرب منها الناس متجهين إلى الشام، وهذه النار تظل تسوق الناس أيامًا وليال، فهي تتوقف إذا وقفوا ليبيتوا - يناموا - وتتوقف إذا توقفوا ليقيلوا أي يناموا ظهرًا، أو قبيل الظهر.

(٢) رواه مسلم.

(٣) رواه البخاري.

(٤) رواه أحمد والترمذي والحاكم، صحيح، والمراد هنا: أن الأرض التي يحشر إليها الخلائق، ويُجمعون فيها موقعها في الشام.

(٥) رواه البخاري، والمعنى أن آخر من تسوقه النار رجلان يرعيان غنمهما، وهما من قبيلة مُزينة، وهي إحدى قبائل العرب المعروفة في نسبها وتاريخها في الجاهلية والإسلام وهي من القبائل العدنانية التي تنتسب إلى عدنان من ولد إسماعيل عليه السلام وهناك الكثير من الصحابة والتابعين والشعراء الذين يرجع نسبهم إلى هذه القبيلة.

ففـي هذا الحديث أوضـح النبي ﷺ أن هذين الراعِيَـيْن يَرْعَيان غنمهما، فيَنْعِقان بها -أي يصرخان بالغنم- فيجدانها وحشًا -أي متوحشة- تنفِر من الراعي بعد أن كانت أَلِيفَة مُستأنَسـة لهما، فيسـير هذان الراعيان إلى جهة الشمال إلى الشام، فيمرّان المدينة النبوية، فإذا بلغا ثنية الوداع[1] خرّا على وجوههما -أي سقطا-.

فهذا هو النوع الأول من الحشـر، وهو حشر الأحياء وسَوْقُهم. أما الأموات في قبورهم فلهم حشر آخر.

- النوع الثاني: حشر الموتى:

ويكون ذلك بعدما ينفخ في الصور النفخة الأولى، ثم تمر فترة من الزمن وهي: أربعون، وبعدها يُنزل الله تعالى مطرًا من تحت العرش، تنبت منه أجساد العباد وهم في قبورهم في مختلف نواحي الأرض.

فـإذا تتامّت أجسـادهم نَمـاءً، يُنفخ في الصـور النفخـة الثانية، فيخرج الأموات من قبورهم، ويُسـاقون إلى أرض المحشر، ليلتقوا بالأحياء الذي ماتوا بالنفخة الأولى.

---

(١) الثَّنِيَـة هي المكان المرتفع، وقد اختلف المؤرخون في حقيقة المكان المسـمى بثنية الـوداع بالمدينة النبوية لأن الثنية في اللغة هي الطريق في الجبل. وفي المدينة أكثر من ثنية فإحدى الثُّنِيَّات ثنية تقع بجانب جبل سَـلع من جهته الشـرقية قرب مسـجد الراية اليوم حيث يمر بها اليوم القادمون والمسـافرون إلى مدينـة خيـبر ومدينة تبوك وطريق الشـام، كما يمر بهـا الذاهبون إلى الجامعة الإسـلامية وكلية التربية بالمدينة. ولا يميزها إلا ارتفاع بسيط عما حولها، وقد غطاها اليوم الإسفلت حتى لا تكاد تظهر، لأن الأرض سُـوِّيت، وهي المعروفة اليوم بثنية الوداع لـدى أهل المدينة. وما عداها لا يطلقون عليه هذه التسمية.

❁ صفة حشر الخلائق:

الخلائق يتنوعون؛ بشر، وحيوانات، وطيور، وأسماك، وكبار، وصغار، ومسلمون وكفار، كلهم يُحشرون، ويجمعون ليوم لا ريب فيه.

كما قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَّهُ النَّاسُ وَذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ﴾ [هود: ١٠٣].

وقال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ ﴿٤٩﴾ لَمَجْمُوعُونَ إِلَىٰ مِيقَاتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ﴾ [الواقعة: ٤٩-٥٠].

والله جل وعلا عظيم لا يعجزه شيء، فحيثما هلك العباد فإن الله قادر على الإتيان بهم، كما قال تعالى: ﴿أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمُ اللَّهُ جَمِيعًا ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [البقرة ١٤٨].

وقد وصف الله تعالى أنواع الحشر، فمن ذلك:

- حشر جميع الخلائق:

كما قال تعالى: ﴿وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا﴾ [الكهف: ٤٧].

- حشر الحيوانات والوحوش:

كما قال تعالى: ﴿وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ﴾ [التكوير: ٥].

- حشر المجرمين:

وهم العصاة، بتنوع معاصيهم وجرائمهم، سواء وصلت المعصية لحد الكفر، أو لم تصل، فهؤلاء حشرهم في حال عسير، فيُحشرون زُرق العيون من هول الموقف.

كما قال تعالى: ﴿وَنَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا﴾ [طه: ١٠٢].



- **حشر الظالمين وأمثالهم:**

فأصحاب الزنا مع أصحاب الزنا، وأصحاب الربا مع أصحاب الربا، ونحو ذلك، كما قال تعالى: ﴿ٱحۡشُرُواْ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ وَأَزۡوَٰجَهُمۡ وَمَا كَانُواْ يَعۡبُدُونَ (٢٢) مِن دُونِ ٱللَّهِ فَٱهۡدُوهُمۡ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡجَحِيمِ﴾ [الصافات: ٢٢ - ٢٣].

المقصود بقوله تعالى: ﴿وَأَزۡوَٰجَهُمۡ﴾: **أشباههم ونُظراؤهم.**

هل تحشر البهائم؟

مسألة

الجواب: نعم تُحشر البهائم كما تُحشر بقية الخلائق يوم القيامة، قال تعالى: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا طَٰٓئِرٖ يَطِيرُ بِجَنَاحَيۡهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمۡثَالُكُمۚ مَّا فَرَّطۡنَا فِي ٱلۡكِتَٰبِ مِن شَيۡءٖۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمۡ يُحۡشَرُونَ﴾ [الأنعام: ٣٨].

وقال تعالى عن حشر الوحوش: ﴿وَإِذَا ٱلۡوُحُوشُ حُشِرَتۡ﴾ [التكوير: ٥].

وقال تعالى ﴿وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦ خَلۡقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِن دَآبَّةٖۚ وَهُوَ عَلَىٰ جَمۡعِهِمۡ إِذَا يَشَآءُ قَدِيرٞ﴾ [الشورى: ٢٩].

وليس من شرط الحشر والإعادة والجمع في القيامة أن يقع للحيوانات ما يقع للآدميين من المُجازاة والعقاب والثواب ودخول الجنة والنار. وأمّا القِصَاص من الشاة القَرْناء للشاة الجَلْحاء[١] فهذا يقع لها في أرض المحشر، ثم يقال لها كوني ترابًا.

كما قال ﷺ: «لتُؤدُّن الحقوق إلى أهلها يوم القيامة حتى يُقاد للشاة الجَلْحاء من الشاة القَرْناء»[٢].

(١) الشاة الجلحاء: وهيَ الجَمَّاء التي لا قرن لها، فلا تستطيع ضرب غيرها.
الشاة القرناء: الشاة التي لها قرن تنطح به، وتضرب.

(٢) رواه مسلم.

ما هو الفزع الأكبر؟

مسألة



الجواب: هو ما يصيب العباد عندما يبعثون من القبور، أما الصالحون فلا يفزعون كفزع غيرهم، لأنهم استعدوا ليوم القيامة، وأحبوا لقاء الله تعالى، كما قال تعالى: ﴿إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا ﴿١٠﴾ فَوَقَاهُمُ اللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا ﴿١١﴾ وَجَزَاهُم بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا﴾.

وقال ﷺ: «قال الله عز وجل: وعزتي لا أجمع لعبدي أمنين ولا خوفين، إن هو أمنني في الدنيا أخفته يوم أجمع عبادي، وإن هو خافني في الدنيا أمّنته يوم أجمع فيه عبادي»[1].

لواء النبي ﷺ في أرض المحشر:

من إكرام الله تعالى لنبينا محمد ﷺ في أرض المحشر أن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام تحت لواء النبي ﷺ يوم القيامة، فهو ﷺ إمام النبيّين وخطيبهم، وصاحب شفاعتهم يوم القيامة، كما قال ﷺ: «إذا كان يوم القيامة كنت إمام النبيين وخطيبهم وصاحب شفاعتهم غير فخر»[2].

وبيده ﷺ لواء الحمد، وما من نبي إلا تحت لواء نبينا محمد ﷺ:

قال ﷺ: «أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر، وبيدي لواء الحمد ولا فخر، وما من نبي يومئذ آدم فمن سواه إلا تحت لوائي، وأنا أول من تنشق عنه الأرض ولا فخر»[3].

---

(١) مسند الشاميين(٤٦٢) والصحيحة (٧٤٢) وصحيح الجامع (٤٣٣٢) صحيح لغيره.

(٢) رواه الترمذي وأحمد (حسن).

(٣) رواه الترمذي وابن ماجه (صحيح).

حال الناس في المحشر:

يوم الحشر يوم عظيم، طويل، عسير، تتعدد أنواع الناس، وتتفاوت أصنافهم، لكنهم جميعًا يكونون كما وصفهم النبي ﷺ لما قال:

« يا أيها الناس إنكم محشورون إلى الله حفاة عراة غرلا. ثُمَّ قرأ قوله تعالى: ﴿ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُ ۚ وَعْدًا عَلَيْنَا ۚ إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ ﴾ [الأنبياء: ١٠٤] »[١].

« حُفَاةً »: غير منتعلين.

« عُرَاة »: من غير لباس يستر العورات.

« غُرْلًا » : غير مَخْتُونين.

إشكال

ثبت أن الإنسان يُبعث في الثياب التي مات فيها.. كما جاء عن أبي سعيد الخدري أنه لما حضره الموت دعا بثياب جُدُد فلبِسها، ثم قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: « إن الميت يبعث في ثيابه التي يموت فيها »[٢].

وفي الحديث الذي قبله أن العباد يبعثون عراة؟

فكيف نجمع بينهما؟

الجواب: أنهم يُبعثون عُراة ثم إذا كساهم الله في الآخرة كانت أول كِسوة من جنس ما مات فيه من الثياب.

(١) متفق عليه.

(٢) رواه أبو داود، صحيح.

وقيل: المقصود بالحديث الشهداء، فإنهم الذين أمر الرسول ﷺ أن يدفنوا في ثيابهم التي ماتوا فيها، فيبعثون في ثيابهم تمييزًا لهم عن غيرهم.

وقيل: إن ما فعله أبو سعيد هو اجتهاد منه في فهم الحديث، وإلا فالمراد بالثياب في الحديث هي الأعمال الصالحة كما قال تعالى: ﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ﴾ [المدثر: 4]**؛ أي طهر عملك، فيبعث المرء على ما مات عليه من عمل إن خيرًا فخير وإن شرًا فشر.**

يُؤَيِّده قوله ﷺ: «يبعث كل عبد على ما مات عليه»[1].

لذلك استُحِبّ تلقين الميت (لا إله إلا الله) لتكون آخر كلامه من الدنيا وعليها يبعث يوم القيامة.

مسألة

يحشر الناس عراة، فهل ينظر بعضهم إلى بعض؟

الجواب: لما سمعت عائشة ﵂ هذا الحديث من النبي ﷺ، قالت: «يا رسول الله، النساء والرجال جميعا! ينظر بعضهم إلى بعض؟! **فقال ﷺ:** يا عائشة، الأمر أشد من أن ينظر بعضهم إلى بعض»[2].

يعني أن ما في قلوب الناس من الفزع، وما في نفوسهم من الرعب، وما يغشاهم من الخوف، يجعل كل واحد منشغلًا بنفسه عن النظر إلى غيره.

---

(1) رواه مسلم.

(2) رواه مسلم.

شدة فزع الناس:

وصف النبي ﷺ حال الناس فقال:

« تُدْنَى الشمس يوم القيامة من الخلق حتى تكون منهم كمقدار مِيل، فيكون الناس على قدر أعمالهم في العرق: فمنهم من يكون إلى كَعْبَيه، ومنهم من يكون إلى ركبتيه، ومنهم من يكون إلى حَقْوَيه، ومنهم من يلجمه العرق إلجاما »[1].

صورة قريبة للشمس في الفضاء ولا يعني أنها المقصود في الحديث

وقال ﷺ: « يعرق الناس يوم القيامة حتى يذهب عرقهم في الأرض سبعين ذراعا ويُلْجمهم حتى يَبْلُغ آذانهم »[2].

وقال ﷺ: « يقوم أحدهم في رشحه إلى أنصاف أذنيه »[3].

وقال ﷺ: « إذا كان يوم القيامة أدنيت الشمس من العباد حتى تكون قيد مِيل أو مِيلَين فتَصْهَرُهم الشمس »[4].

---

(١) رواه مسلم، والمعنى: أن الناس يكونون في ذلك اليوم في المشقة والعرق بحسب أعمالهم الصالحة، فمنهم من يصل العرق إلى عَقبيه أي فوق قدمه بقليل، ومنهم من يصل العرق إلى ركبتيه، ومنهم من يصل العرق إلى حَقْويه أي حوضه تحت سرته، ومنهم من يلجمه العرق أي يغطي وجهه ورأسه فيغرقه.

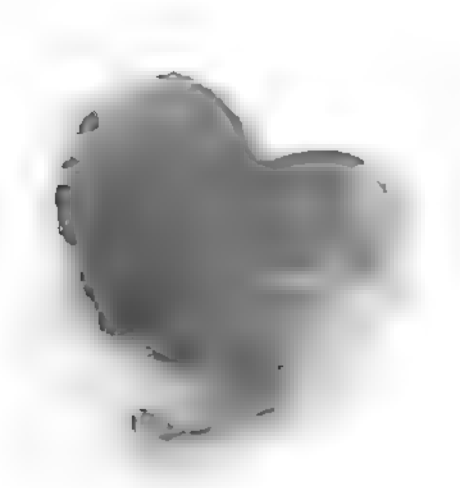
أما قدر ميل: فقال سُلَيم بن عامر أحد رواة الحديث: فوالله ما أدري ما يَعني بالمِيل أمسافة الأرض، أم الميل الذي تُكْتَحَل به العين.

(٢) رواه البخاري، والمعنى: أنه من كثرة عرق الناس تشربه الأرض حتى يذهب فيها سبعين ذراعًا، ثم يرتفع حتى يبلغ من بعضهم أذنيه.

(٣) متفق عليه، والمعنى: أن العرق يصل إلى أنصاف الأذنين.

(٤) رواه الترمذي، والمعنى: أن الشمس تقترب حتى تُذيب شحوم الناس فينصهر ويعرقون عرقًا كثيرًا.

۞ حال المؤمنين في ذلك اليوم:



مع شدة الفزع والاضطراب في المحشر، وتَبرُّؤ الناس بعضهم من بعض، يكون للمؤمنين حال آخر، فالمؤمنون تتلقاهم الملائكة الكرام.. تُهدِّئ رَوعهم. وتُطَمئن نفوسهم..

كما قال تعالى: ﴿ لَا يَحْزُنُهُمُ ٱلْفَزَعُ ٱلْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ هَٰذَا يَوْمُكُمُ ٱلَّذِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴾ [الأنبياء: ١٠٣].

نعم.. لما امتلأت قلوبهم في الدنيا خوفًا من ربهم.. وتعظيمًا لشأنه.. واستعدادًا للوقوف بين يديه..

كما قال الله تعالى عنهم: ﴿ إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا ﴾ [الإنسان: ١٠].

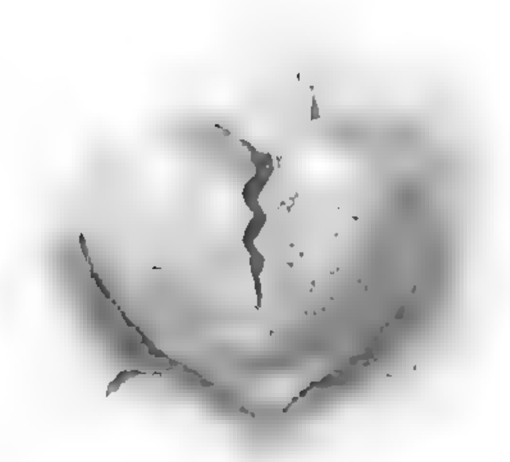
وقال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ هُم مِّنْ عَذَابِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ۝٢٧ إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ ﴾ [المعارج: ٢٧-٢٨].

وقال تعالى: ﴿ فَوَقَىٰهُمُ ٱللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمِ وَلَقَّىٰهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا ﴾ [الإنسان: ١١].

وقال ﷺ: «قال الله ﷻ: وعزتي وجلالي لا أجمع لعبدي أمنين ولا خوفين: إن هو أمنني في الدنيا أخفته يوم أجمع فيه عبادي، وإن هو خافني في الدنيا أمَّنتُه يوم أجمع فيه عبادي»[1].

(١) رواه أبو نُعَيم بإسناد حسن.

۞ هيئة حشر الكفار:



يُحشر كل إنسان يوم القيامة حسب عمله، فيُخفَّف على المؤمنين، ويُشدَّد على الكافرين، بل من شدة الغضب على الكافرين، واضطراب قلوبهم، وجَزع نفوسهم، وارتِجاف أجسادهم، وكثرة عرقهم، فإن منهم من يُحشر على أحوال تدل على الذل والصَّغار..

فمن الكفار من يُحشر على وجهه، كما قال تعالى: ﴿ وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا ۖ مَّأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ ۖ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا ﴾ [الأسراء: ٩٧].

وفي حديث أنس ﷺ: أن رجلا قال: « يا نبي الله يحشر الكافر على وجهه يوم القيامة. قال ﷺ: أليس الذي أمشاه على الرجلين في الدنيا قادرا على أن يمشيه على وجهه يوم القيامة؟ »[1].

ويُحشرون عِطاشًا، كما قال تعالى: ﴿ وَنَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وِرْدًا ﴾ [مريم: ٨٦].

قوله تعالى «وِرْدًا»: أي عِطاشًا.

وفي حديث الشفاعة الطويل قال ﷺ عن الكفار ممن عبدوا غير الله وأشركوا:

« فيقال لهم: ماذا تبغون؟ فيقولون: عطشنا يا ربنا فاسقنا. فيشار إليهم ألا تردون فيحشرون إلى جهنم كأنها سراب يحطم بعضها بعضا فيتساقطون في النار »[2].

---

(١) متفق عليه.

(٢) رواه البخاري ومسلم واللفظ له، قوله: تردون: من الورود وهو الذهاب إلى الماء والتوجه إليه، والمعنى أنهم يرون النار أمامهم فيظنونها ماءً.

أول من يُكسى يوم القيامة:

أول من يُكسى إبراهيم عليه السلام، كما قال النبي ﷺ:

«أيها الناس، إنكم تحشرون إلى الله حفاة، عراة، غُرلاً ﴿كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُ وَعْدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ﴾ ألا وإن أول الناس يكسى يوم القيامة: إبراهيم عليه السلام»[1].

ويكسو الله المؤمنين.. فهم أكرم على الله تعالى من أن يبقوا عراة كبقية الناس.. فيُكسَون الثياب الكريمة.. وتُعد لهم المراكب بحسب أعمالهم الصالحة، تحمل كلًا منهم إلى مقامه الأمين ومقاعد العز والشرف.

أول من يُدعى يوم القيامة:

أول من يُدعى يوم القيامة هو أبونا آدم عليه الصلاة والسلام.. كما قال ﷺ:

«أول من يدعى يوم القيامة: آدم، فتراءى ذريته فيقال: هذا أبوكم آدم، فيقول: لبيك وسعديك، فيقول: أخرج بعث جهنم من ذريتك، فيقول: يا رب، كم أُخرِج؟ فيقول: أخرج من كل مائة تسعة وتسعين، فقالوا: يا رسول الله، إذا أخذ منا من كل مائة تسعة وتسعون، فماذا يبقى منا؟! قال: إن أمتي في الأمم كالشعرة البيضاء في الثور الأسود»[2].

(١) متفق عليه.

(٢) رواه البخاري، والمعنى: أن آدم عليه السلام لما كان أبا البشر، يقول الله تعالى له يوم القيامة: أخرج من ذريتك من سيدخلون النار، فيسأل آدم ربه جل وعلا: من كم؟ فيقول الله تعالى: من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعين، أي واحد في الألف إلى الجنة والبقية إلى النار، فلما سمع الصحابة ذلك فزعوا وقالوا: أينا يكون ذلك الواحد الناجي، فأخبرهم ﷺ أنهم بالقياس إلى الأمم الأخرى هم قليل، فهم كالشعرة البيضاء في الثور الأسود أو الشعرة السوداء في الثور الأبيض.

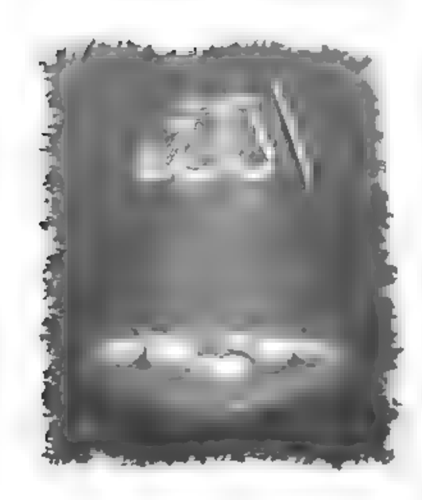
وقد ذكر بعض أهل العلم أن البعث الذين يخرجون إلى النار هم من يستحقون دخولها بسبب ذنوبهم، لكن منهم من تنقذه المغفرة، أو الشفاعة، أو يدخل النار ثم يخرج فلا يخلد فيها.

۞ أعمال تخفِّف شدة المحشر:

مع كربات يوم القيامة يحتاج الناس إلى ما يخفف عنهم ذلك الهول والشدة، وقد ثبت أن هناك أعمال تنفع في الجنة وتُثَقل الميزان، وكذلك هي تنفع في تخفيف هول الحشر وشدته. وأعمال المؤمنين متنوعة، منها ما ورد النص به أنه يُيَسِّر وقوف العبد بين يدي الله تعالى، وهؤلاء العاملون المؤمنون، أنواع:

فمن هؤلاء: الذين يظلهم الله في ظله: في ذلك اليوم العصيب، مع طوله، وعسره، وحرِّه، وفزعه.. وقد بلغ العرق والحر من الناس كل مَبْلَغ.. يميز الله تعالى أقوامًا صالحين، فيظلهم في ظل عرشه، وهم أنواع كثيرة، جاءت في أحاديث متعددة؛ منهم: السبعة الذين قال فيهم النبي ﷺ: «سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله: الإمام العادل، وشاب نشأ في عبادة ربه، ورجل قلبه معلق في المساجد، ورجلان تحابا في الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه، ورجل طلبته امرأة ذات منصب وجمال فقال: إني أخاف الله، ورجل تصدق فأخفى حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه، ورجل ذكر الله خاليًا ففاضت عيناه»[1].

ومنهم:



- **المتحابون في الله تعالى:**

  الذين أحب بعضهم بعضًا لوجه الله تعالى، لا لأجل جمال أو منصب أو منفعة دنيا.

---

(1) رواه البخاري، والإظلال في ظل العرش ليس مقصورا على السبعة المذكورين في الحديث، فقد جاءت نصوص كثيرة تدل على أن الله يظل غيرهم، وقد جمع ابن حجر العسقلاني الخصال التي يظل الله أصحابها في كتاب سماه (معرفة الخصال الموصلة إلى الظلال).

قال ﷺ: « إن الله يقول يوم القيامة: أين المتحابون بجلالي؟ اليوم أظلهم في ظلي، يوم لا ظل إلا ظلي »[1].

- **التاجر الذي يُنْظِر المُعْسِر أو يضع عنه:**



رحمة الفقير وعدم التشديد عليه لها فضيلة، ومن ذلك إنظار المعسر أي تأخير مطالبته بالدّين حتى يجد المال للسَّداد، أو مسامحته ببعض المال.

وقال ﷺ: « من أنظر معسرا أو وضع عنه، أظله الله يوم القيامة »[2]

وقال ﷺ: « من نفّس عن غريمه أو محا عنه، كان في ظل العرش يوم القيامة »[3]

- **الذي يُيَسِّر على المعسر:**

وهذا شبيه بما قبله، وهو التاجر الغني الذي يستَلِف منه الفقراء، فلا يشدد عليهم في المطالبة بالسداد، بل يرفق بهم، ويتجاوز عن بعض ماله.

قال ﷺ وهو يذكر حال الناس يوم القيامة:

« أتى الله ﷻ بعبد من عباده آتاه الله مالا. فقال له: ماذا عملت في الدنيا؟ فقال: ما عملت من شيء يا رب، إلا أنك آتيتني مالا فكنت أبايع الناس.

(١) رواه مسلم.

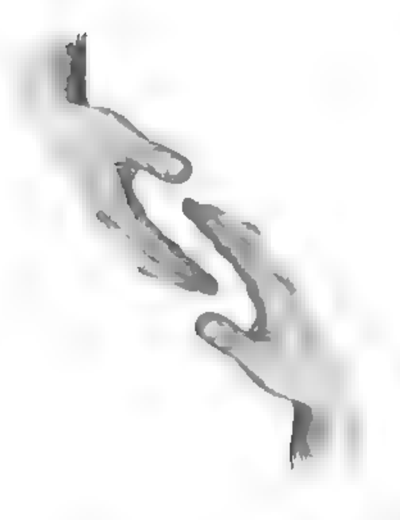
(٢) رواه مسلم وأحمد.

(٣) رواه أحمد.

وكان من خلقي أن أيسِّر على الموسر وأنظر المعسر. قال الله تعالى: أنا أحق بذلك منك، تجاوزوا عن عبدي »[1].

وفي رواية أخرى قال ﷺ: « إن رجلا لم يعمل خيرا قط، وكان يداين الناس فيقول لرسوله: خذ ما تيسر، واترك ما عسر، وتجاوز لعل الله يتجاوز عنا. فلما هلك قال: هل عملت خيرا قط؟ قال: لا، إلا أنه كان لي غلام وكنت أداين الناس فإذا بعثته يتقاضى قلت له: خذ ما تيسر، واترك ما عسُر وتجاوز لعل الله أن يتجاوز عنا. قال الله: قد تجاوزت عنك »[2].

• الذي يسعى بحاجة أخيه:



فاوت الله تعالى بين الناس في الغنى والفقر، والقوة والضعف، وكثرة العلاقات والمعارف أو قلتها، وغير ذلك..

ومن فضَّله الله تعالى بنعمة فينبغي له أن يساعد من حُرِم منها، ليظله الله في ظل عرشه يوم القيامة.

قال ﷺ: « من نفَّس عن مسلم كربة من كُرب الدنيا، نفس الله عنه كربة من كُرب يوم القيامة، ومن يسَّر على معسر، يسَّر الله عليه في الدنيا والآخرة، ومن ستر مسلما، ستره الله في الدنيا والآخرة، والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه »[3]

(١) رواه الحاكم بإسناد صحيح، وأصله في الصحيحين.

(٢) رواه النَّسائي وابن حِبّان والحاكم بإسناد صحيح.

(٣) رواه مسلم.

- **العادلون:**



العدل صفة العظماء، وسَجِيَّة الحكماء، من عمل به كان الربح جليسه، والتوفيق أنيسه، يرتاح قلبه في الدنيا، ويرتفع قدره في الآخرة، ويقل أعداؤه ومبغضوه، ويكثر أصدقاؤه ومحبوه.

أما الظلم، فهو صفة إبليس، ونازع الطهارة والتقديس، مَرتَعه وخِيم، ومُنتهاه غير قويم، يسرع البَوار لنازله، والدمار لفاعله.

ومن محبة ربنا تعالى للقسط والعدل، أنه يميز أهله يوم العرض عليه:

قال ﷺ: «إن المقسطين عند الله على منابر من نور، عن يمين الرحمن، وكلتا يديه يمين، الذين يعدلون في حكمهم وأهليهم وما وَلُوا»[1].

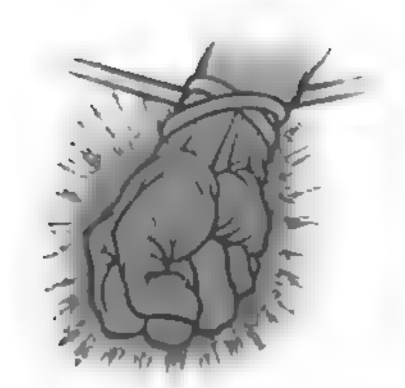
يعدلون في:

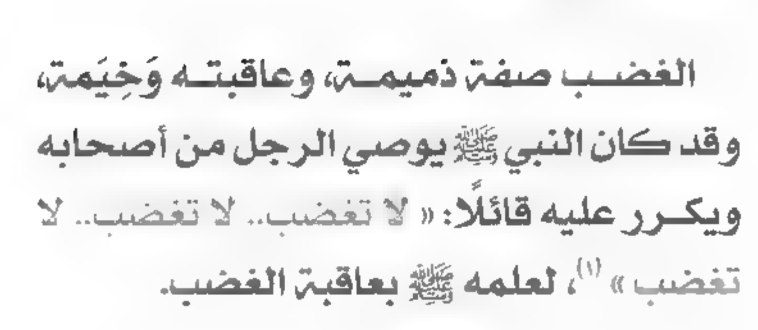
- حكمهم: إذا حكموا بين الناس في الخصومات.
- وأهليهم: لا يظلم زوجة ولا ولدًا.
- وما وُلُّوا: إذا ترأَّسوا على ولاية، فصار أحدهم ملكًا أو رئيس دولة، أو مديرًا لشركة، أو مدرسة، أو غير ذلك.

فهؤلاء إن عدلوا رفعهم الله تعالى على منابر من نور.

(١) رواه مسلم.

الكاظمون الغيظ:





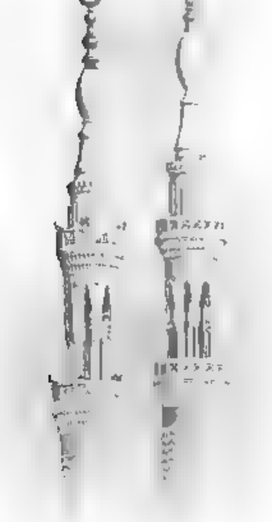
الغضب صفة ذميمة، وعاقبته وَخِيَمة، وقد كان النبي ﷺ يوصي الرجل من أصحابه ويكرر عليه قائلًا: « لا تغضب.. لا تغضب.. لا تغضب »[1]، لعلمه ﷺ بعاقبة الغضب.

فكم شتَّت الغضب شمل الأحباب، وفرَّق الأصحاب، بل وأزْهق الأرواح، ونشر الخصومات، والشجاع العاقل البطل هو الذي يملك نفسه ويحكمها عند الغضب.

قال ﷺ:« ليس الشديد بالصُّرَعة، إنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب »[2].

والكاظمون غيظهم، المتحكمون في غضبهم، يكافئهم الله تعالى يوم القيامة: قال ﷺ: « من كظم غيظًا وهو يقدر أن يُنفِذه، دعاه الله على رؤوس الخلائق يوم القيامة حتى يخيِّره في أيِّ الحور العين شاء »[3].

المؤذنون:



النداء للصلاة قربة وعبادة، ولو علم الناس فضل الأذان لتسارعوا إليه، واستَهموا عليه، وكيف لا يكون المؤذن فاضلًا وهو يرفع صوته بكلمة التوحيد، يجهر بها، ويعلنها.

قال ﷺ: « المؤذنون أطول الناس أعناقا يوم القيامة »[4].

---

(١) رواه البخاري.

(٢) الحديث متفق عليه، ومعنى: الصُّرَعة: هو القوي الذي يصرع الناس عند العراك والمصارعة.

(٣) رواه الترمذي.

(٤) رواه مسلم.

وطول العُنُق جمال، وهو مناسب لما قاموا به من عمل صالح وهو الأذان، حيث كانوا يبلغون الناس بأصواتهم كلمات الأذان التي تعلن التوحيد وتدعو للصلاة، والمؤذن يشهد له يوم القيامة، كل رَطْب ويابس بلغة صوت أذانه في الدنيا.

قال أبو سعيد الخدري لعبد الرحمن بن صَعْصَعَة: «إني أراك تحب الغنم والبادية، فإذا كنت في غنمك أو باديتك فأذّنت للصلاة فارفع بالنداء، فإنه لا يسمع مدى صوت المؤذن جن ولا إنس ولا شيء إلا شهد له يوم القيامة»[1].

- **الذين يَشيبون في الإسلام:**



الثبات على الإسلام، والموت عليه، فوز عظيم، كما قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾ آل عمران: ١٠٢.

وأمر الله تعالى بتوقير الكبير، واحترام شيبته، وإشعاره بقيمته، كما جاء في قوله ﷺ:

«ما أكرم شابٌّ شيخًا لسنه إلا قيّض الله له من يكرمه عند سنّه»[2].

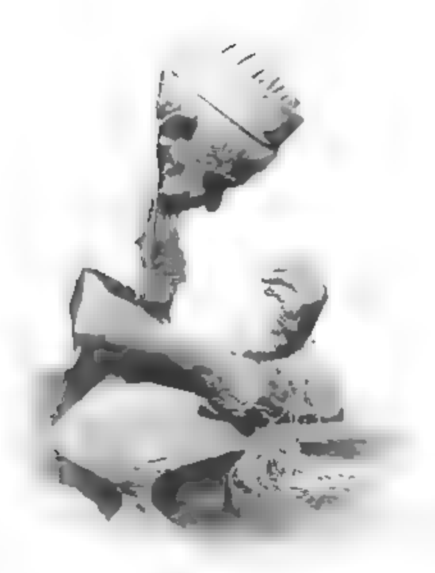
وقال ﷺ: «إن من إجلال الله إكرام ذي الشيبة المسلم، وحامل القرآن غير الغالي فيه والجافي عنه، وإكرام ذي السلطان المقسط»[3]

وقال ﷺ: «ليس منا من لم يرحم صغيرنا ويُوقّر كبيرنا»[4]

والشَّيبة المسلم يكرمه الله يوم القيامة: قال ﷺ: «من شاب شيبة في الإسلام كانت له نورًا يوم القيامة»[5]

(١) رواه البخاري.
(٢) رواه الترمذي.
(٣) رواه أبو داود.
(٤) رواه الترمذي.
(٥) رواه الترمذي.

المتوضئون:



الوضوء مفتاح الصلاة، ومفتاح قراءة القرآن، والطواف، وعدد من العبادات.. ولا يحافظ على الوضوء إلا مؤمن..

والوضوء هو شعار أمة الإسلام.. والمتوضئون يجدون أثر وضوئهم إذا وقفوا بين يدي ربهم.. عَجَلَّ..

قال ﷺ وهو يتحدث عن الناس يوم القيامة: « إن أمتي يدعون يوم القيامة غُرًّا مُحَجَّلين من آثار الوضوء »[1]

وقال ﷺ: « تبلغ الحلية من المؤمن حيث يبلغ الوضوء »[2].

والمراد به في الحديث النور. وهذه الغُرَّة، وذلك التَّحجيل يكون للمؤمن حلية تُزَيِّنه بين الناس يوم القيامة.

ففي يوم القيامة إذا اختلط الناس ببعض، وماجَت الأمم، واضطرب الأمر، عندها يعرف النبي ﷺ بصفة يختص بها أهل الوضوء والصلاة من الأمة، وهي الغُرّة والتَّحجيل.

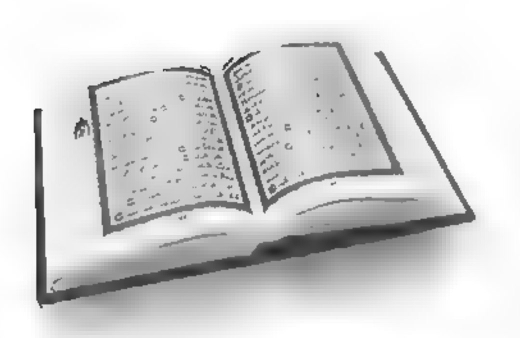
قال ﷺ: « أنا أول من يؤذن له بالسجود يوم القيامة. وأنا أول من يؤذن له أن يرفع رأسه فأنظر إلى ما بين يدي، فأعرف أمتي من بين الأمم، ومن خلفي مثل ذلك. وعن يميني مثل ذلك وعن شمالي مثل ذلك. فقال رجل:

(١) رواه البخاري، ومعنى قوله « غُرًّا»: هو جمع أغرّ، أي ذو غُرَّة، والغرة في الأصل اسم للَمعة بيضاء تكون في جبهة الفرس. ثم استعملت اللفظة في الجمال والشهرة وطيب الذكر، والمراد بها هنا: النور الكائن في وجوه أمة محمد ﷺ. قوله « محجلين»: من التحجيل، وهو في الأصل بياض يكون في ثلاث قوائم من قوائم الفرس، وأصله من الحِجْل وهو الخُلخال.

(٢) رواه مسلم.

يا رسول الله، كيف نعرف أمتك من بين الأمم فيما بين نوح إلى أمتك؟ قال: هم غُرٌّ مُحَجَّلون من أثر الوضوء »[1]

أهل القرآن:



القرآن عز في الدنيا، نجاة في الآخرة.. ومن أشغل ليله ونهاره بحفظ القرآن وتدبره لا يستوي يوم القيامة مع الكسول المعرِض..

وقد مدح النبي ﷺ قارئ سورتي البقرة وآل عمران، وأنهما تنجيانه يوم الحشر، وتخَفِّفان عليه.

فقال: « اقرؤوا القرآن فإنه يأتي يوم القيامة شفيعا لأصحابه. اقرؤوا الزَّهرَاوين: سورة البقرة، وسورة آل عمران، فإنهما يأتيان يوم القيامة كأنهما غيابتان، وكأنهما غمامتان، أو كأنهما فِرقان من طير صوافَّ، يُحاجَّان عن صاحبهما. اقرؤوا سورة البقرة. فإن أخذها بركة، وتركها حسرة، ولا تستطيعها بَطَلَة »[2].

وقال ﷺ: « يجيء صاحب القرآن يوم القيامة فيقول القرآن: يا ربِّ حلِّه، فيُلبس حُلَّة الكرامة، ثم يقول: يا رب زده، فيُلبس تاج الكرامة. ثم يقول: يا رب ارض عنه، فيرضى عنه »[3].

---

(١) رواه أحمد بإسناد صحيح.

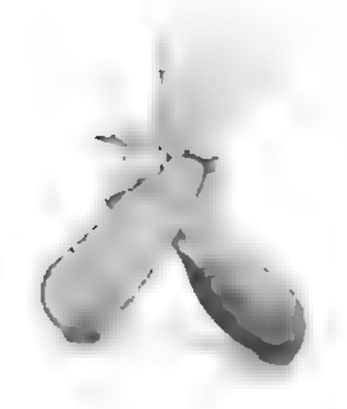
(٢) رواه مسلم. ومعنى: غبابتان وتلفظ أيضًا بالياء غيايتان: الغَيَايَة: كل شيء أظلَّ الإنسانَ فوق رأسه كالسَّحابة وغيرها - ومنه حديث هلال رمضان « فإن حَالَت دُونَه غَيَايَة» أي سَحابَة أو قَتَرة، وقوله «غمامتان»: مثنى غمامة، وهي السحابة المليئة بالمطر، وفرقان من طير صواف: أي مجمعتان من الطير الصافة في السماء، تحاجان: أي تجادلان وتدافعان عن قارئهما، وقوله عن سورة البقرة لا تستطيعها البطلة: أي لا يستطيع السحرة التأثير بسحرهم على من يقرأ سورة البقرة ويكررها.

(٣) رواه الترمذي والحاكم، حسن.

- **المحسنون:**

أهل الإحسان والجود بالجاه،والمال والعلم، الذين يتفقدون الضعفاء، ويزأفون بالفقراء، وينصرون المظلوم، ويصلون المحروم، يفرِّجون كربات المكروبين، ويخفِّفون عن المغمومين، يخفف الله عنهم وينفِّس كربات يوم القيامة. كما قال ﷺ: «من نفّس عن مؤمن كُربة من كُرب الدنيا، نفّس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة، ومن يسّر على مُعسر يسّر الله عليه في الدنيا والآخرة، ومن ستر مسلما ستره الله في الدنيا والآخرة، والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه»[1].

- **ناصرو الضعفاء:**



جعل الله تعالى الناس في مراتب متفاوتة، ورفع بعضهم فوق بعض درجات، وقد يتسلَّط بعض الأقوياء على الضعفاء، فيظلمونهم بأخذ أموالهم أو إيذاء أجسادهم، أو منعهم حقوقهم.

ولكن يوجد من الأقوياء المتمَكّنين مؤمنون أتقياء، ينصرون الضعيف، ويحمون حقه، وقد بشرهم النبي ﷺ، فقال: «من نصر أخاه بظهر الغيب نصره الله في الدنيا والآخرة»[2].

ختامًا..

هذه بعض أحوال أهل الإيمان والتقى في ذلك اليوم الذي لا ينفع فيه الإنسان مال ولا جاه ولا بنون، إلا من أتى الله بقلب سليم.

نعم.. سليم من الشرك والغش والحسد، مليء بالإيمان والصدق والتقوى.

---

(١) رواه مسلم.

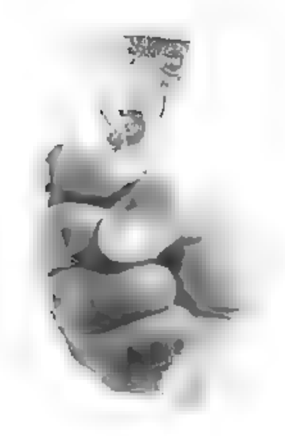
(٢) رواه أحمد والحاكم وغيرهما، وهو صحيح.

۞ حال العصاة في يوم القيامة:

كل من مات على عقيدة التوحيد، سليمًا من الشِّرك، ناجيًا من عبادة غير الله تعالى، لكنه ارتكب معاصٍ متنوعة، كبارًا كانت أو صغارًا، فهو تحت مشيئة الله تعالى إن شاء عذبه وإن شاء غفر له.

وقد جاء في أحاديث كثيرة وصف أحوال العصاة في أرض المحشر، وهم أنواع وأشكال وأحوال، وكذلك جاءت أحاديث مبشِّرة ومحذِّرة، ومرغِّبة ومرهِّبة، وقد حذر النبي ﷺ من أعمال يكون أصحابها في حال رديء في المحشر، ومن هؤلاء:

- **مانعو الزكاة:**

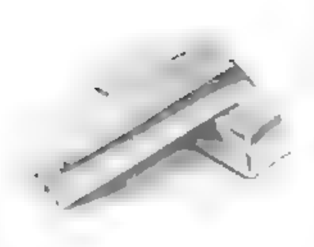


وهؤلاء على خطر عظيم، فقد منعوا حق الله تعالى في المال، ومنعوا حق الفقير أيضًا، فهم لجشعهم وبخلهم وضعف إيمانهم.. منعوا الحقوق.. وهؤلاء.. حالهم في المحشر شديد..

قال ﷺ: «من آتاه الله مالا فلم يؤدِّ زكاته مُثِّل ماله يوم القيامة شجاعا أقرع له زبيبتان، يطوّقه يوم القيامة، ثم يقول: أنا مالُك، أنا كنزك. **ثم تلا:** ﴿ وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ هُوَ خَيْرًا لَّهُم ۖ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ ۖ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا۟ بِهِۦ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ ﴾»[1].

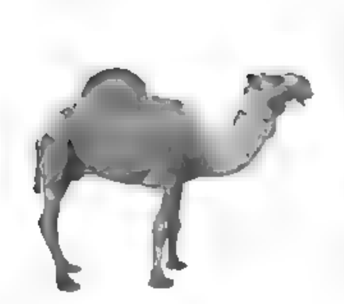
وقال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ يَكْنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٤﴾ يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِى نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ ۖ هَٰذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُوا۟ مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ ﴾ (التوبة: ٣٤ - ٣٥).

(١) رواه البخاري.



وقال ﷺ: «ما من صاحب ذهب ولا فضة لا يؤدي فيها حقها، إلا إذا كان يوم القيامة صُفّحت له صفائح من نار[1] فأحمي عليها في نار جهنم، فيُكوى بها جنبُه وجبينه وظهره، كلما بردت أعيدت عليه، في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة حتى يُقضى بين العباد، فيرى سبيله، إما إلى جنة وإما إلى نار.

قيل: يا رسول الله، فالإبل؟



قال: ولا صاحب إبل لا يؤدي منها حقها، ومن حقها حَلبها يوم ورودها إلا إذا كان يوم القيامة بُطح لها بقاع قرقر أوفر ما كانت، لا يفقد منها فصيلا واحدا، تطؤه بأخفافها وتعضه بأفواهها، كلما مر عليه أولاها رُدّ عليه أخراها[2]، في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة، حتى يقضى بين العباد، فيرى سبيله، إما إلى جنة وإما إلى نار»

قيل: يا رسول الله، فالبقر والغنم؟



قال: ولا صاحب بقر ولا غنم لا يؤدي فيها حقها، إلا إذا كان يوم القيامة بطح لها بقاع قرقر.

---

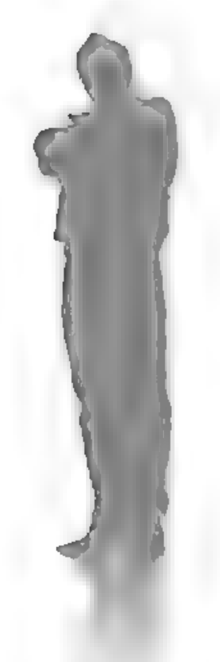
(١) صفائح: جمع صفيحة وهي القطعة العريضة من الحديد والنحاس، أو الذهب والفضة، والمعنى: أن ماله من ذهب وفضة يجعل صفائح، يحمى يوم القيامة حتى يكون نارًا، فيكوى بها.

(٢) قوله: (بطح لها بقاع قرقر) بطح أي: ألقي على وجهه، وقد يكون على ظهره، لأنه جاء في رواية البخاري يخبط وجهه بأخفافها، القاع: المستوي الواسع من الأرض، وجمعه قِيعان، والقرقر: المستوي من الأرض الواسع، وهي تمر عليه أوفر ما كانت أي: أكثر ما كانت عددًا وأسمنها وأعظمها، قوله «لا يفقد فصيلًا»: الفصيل هو صغير الإبل، أي أن جميع إبله تطؤه بأخفافها، والخُفّ هو موطئ قدم البعير، فهي عقوبة له تطؤه بأخفافها، وتعضه بأفواهها وأسنانها، إهانة له وعقوبة، وهي تتابع عليه كلما مر عليه آخرها عاد إليه أولها من جديد، فلا تزال تطؤه طوال يوم المحشر.



لا يفقد منها شيئا. ليس فيها عقصاء ولا جَلحاء ولا عضباء[1]. تنطحه بقرونها وتطؤه بأظلافها، كلما مر عليه أولاها رُدّ عليه أخراها[2]. في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة، حتى يقضي الله بين العباد، فيُرى سبيله إما إلى جنة وإما إلى نار»[3].

- **المتكبرون:**



الكبر داء وَبِيل.. والمتكبر لا يحبه الله تعالى، ولا يرفعه، بل لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر.

المتكبر ينفِر منه الناس، ويُبغضه الأكياس.. ويكرهه الكبار والصغار..

وقد بين النبي ﷺ حالهم في القيامة فقال:



«يُحشر المتكبرون أمثال الذّر يوم القيامة في صور الرجال يغشاهم الذل من كل مكان»[4].

والذَّر صغار النمل، وصغار النمل لا يعبأ به الناس، فيطؤونه بأرجلهم وهم لا يشعرون.. فكذلك المتكبرون يوم القيامة لشدة احتقارهم وازدرائهم يطؤهم الناس بأقدامهم..

---

(١) العقصاء: الملتوية القرون، والجلحاء: التي لا قرن لها، العضباء: مكسورة القرن، والمقصود بالحديث أن هذه الدواب تكون تامة الخلق ليتعذب بها.

(٢) القرون جمع قرن – وهو معروف – وهو شيء مثل العظم البارز فوق رأس الشاة من الغنم، والأظلاف جمع ظِلف وهو موضع قدم الشاة، وهي تمر عليه كلها تطؤه كلما مر آخرها رجعت من جديد إليه.

(٣) رواه مسلم.

(٤) رواه الترمذي.

❁ ذنوب لا يكلم الله أصحابها:

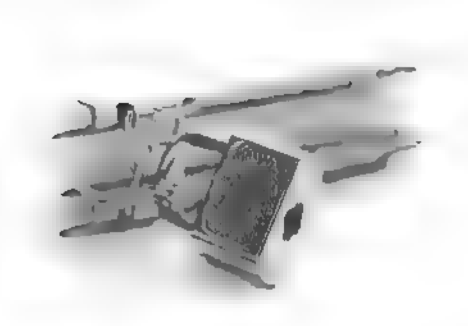
نعم.. أقوام يوم القيامة يلقون الله تعالى وقد تلطّخوا بذنوب استحقوا بها أن لا يكلمهم الله تعالى.. وذلك لشدة حقارتهم.. ودُنوّ مرتبتهم.. وقبح أعمالهم..

فالعذاب والنكال الذي يصيب المذنبين المكذبين متنوع، ومن ذلك إعراض الله تعالى عن العبد، فلا يكلمه ولا ينظر إليه.

وقد ذكر الله تعالى بعض هؤلاء في كتابه، وذكر النبي ﷺ بعضهم في سنته، تحذيرًا من فعلهم. منهم:

- **الأحبار والرهبان والعلماء:**

وهم الذين يكتمون العلم الشرعي، ويغيرون الفتوى الشرعية إرضاء لأحد، أو تحقيقًا لمصلحة شخصية، أو طلبًا لعَرَض دنيوي، ويتركون الجهر بالحق مع قدرتهم على ذلك.

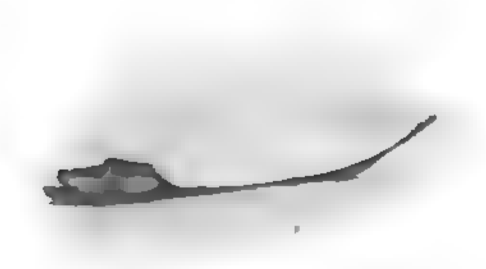


قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡتُمُونَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَيَشۡتَرُونَ بِهِۦ ثَمَنٗا قَلِيلًا أُوْلَٰٓئِكَ مَا يَأۡكُلُونَ فِي بُطُونِهِمۡ إِلَّا ٱلنَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمۡ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [البقرة: ١٧٤].

وقال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشۡتَرُونَ بِعَهۡدِ ٱللَّهِ وَأَيۡمَٰنِهِمۡ ثَمَنٗا قَلِيلًا أُوْلَٰٓئِكَ لَا خَلَٰقَ لَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ وَلَا يَنظُرُ إِلَيۡهِمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمۡ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾

[آل عمران: ٧٧].

- **المُسْبِل:**



المسبل: هو الذي يجعل ثوبه تحت الكعبين. وقد نهى النبي ﷺ عن الإسبال، كما قال ﷺ: «ما تحت الكعبين من الإزار ففي النار»[1]، **وقد حذّر ﷺ من إسبال الثياب، وأخبر بوعيد في المحشر للمسبل.**

- **المُنفِق سِلْعته بالحلف الكاذب:**

الإكثار من الحلف عمومًا أمر مكروه، يقول ربنا تعالى: ﴿وَٱحۡفَظُوٓاْ أَيۡمَٰنَكُمۡ﴾ [المائدة: ٨٩]، **فكيف إذا كان الحالف كاذبًا؟! فالأمر يكون أعظم والذنب أكبر.**

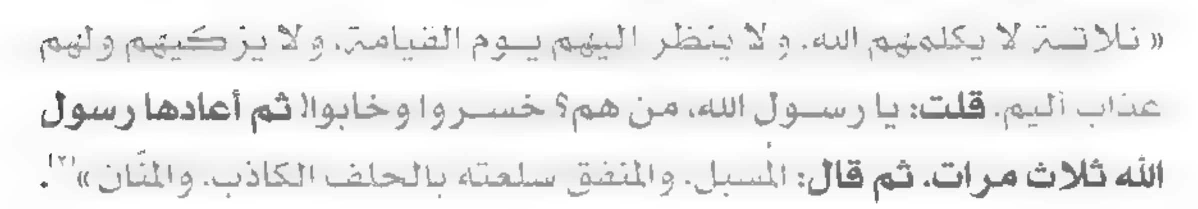
والمنفق سلعته بالحلف الكاذب: الذي يبيع بضاعة ويقسم بالله العظيم على جودة بضاعته، ليشتريها الناس، وهو كذاب.

- **المنّان:**

المنان: هو الذي يعطي الناس الشيء ثم يمتنّ عليهم به ويذكر إحسانه إليهم على سبيل الإذلال لهم.



وفي هؤلاء جميعًا، روى أبو ذر رضي الله عنه أنه ﷺ قال:



«ثلاثة لا يكلمهم الله، ولا ينظر إليهم يوم القيامة، ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم. **قلت:** يا رسول الله، من هم؟ خسروا وخابوا! **ثم أعادها رسول الله ثلاث مرات. ثم قال:** المُسبل، والمنفق سلعته بالحلف الكاذب، والمنّان»[2].

(١) رواه البخاري.

(٢) رواه مسلم.

• الباخل بالماء:



البخـل عمومًا خلق قبيـح، يدل على دنـاءة النَّفس، وخُبـث الطبع، فكيف إذا كان الإنسـان يبخل بما لا يضره بذْله، مع شدة حاجة الناس إليه، وهو أن يبخل بالماء، الذي أخبرنا النبي ﷺ أن الناس شركاء فيه.

• ناقض البيعة:



المواثيق والعهـود، والاتفاقات والعقود، وبيعـة الأمراء على الطاعة، لها شـأن كبير، والتلاعـب بالعهـود والمواثيق، أو الاحتيـال في ذلـك، عظيـم خطره، كبير ضرره.

وفي هـؤلاء جميعًا، قال ﷺ: «ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة، ولا ينظر إليهـم، ولا يزكيهم ولهم عـذاب أليم: رجل منع ابن السـبيل فضل ماء عنده، ورجل حلف على سلعته بعد العصر، ورجل بايع إمامًا، فإن أعطاه وفّى له، وإن لم يعطه لم يَفِ له»[1].

(١) رواه أحمد والترمذي وأبو داود. والمعنى: ابن السبيل هو المسافر الذي تفنى نفقته أثناء طريقه في سفره، فيحتاج إلى شربة ماء، فيقف عند رجل عنده ماء زائد عن حاجته، فيمنعه أن يشرب منه، بخلًا وجزعًا، والذي يبيع سلعته بعد العصر فيحلف أثناء عرضه سلعته للناس ليقنعهم بشرائها، وكثرة الحلف في بيع السلعة حرام حتى لو كان صادقًا، وإذا كان كاذبًا كان إثمه أعظم وأكبر، وقوله «يحلف بعد العصر» هو على الأغلب؛ لأن أكثر تبايع الناس بعد العصر، وإلا فالحلف في البيع حكمه واحد في جميع الأوقات، والثالث الرجل الذي يبايع إمامًا على أنه أمير له السمع والطاعة فإن أعطاه هذا الأمير أموالًا وعطايا وفّى له هذا الرجل ببيعته، وإن منعه الأمير ولم يعطه خانه ونقض العهد.

- **الشيخ الزاني:**



المقصود بالشيخ هنا هو الرجل الذي تقدمت به السن حتى كبُر وشاخ.

وبعض الناس لخبث نفوسهم، وضعف إيمانهم، وجرأتهم على معصية ربهم، واستخفافهم بالدين، تجد أنهم: يقعون في المعصية مع ضعف الداعي إليها.

وبالمثال يتضح المقال:

فالرجل المتقدم في سنه، الشيخ الكبير، الذي رقّ عظمه، وضعفت شهوته، وقل انجذاب جسده للشهوة، فإنه بهذا الحال إذا ارتكب فاحشة الزنا، صار ذنبه أعظم وأطَمّ وأخنَع من الشاب الذي ربما دفعته شهوته للفاحشة.

مع العلم أن:

الزنا عمومًا كبيرة من كبائر الذنوب، والزاني شيخًا أو شابًا رجلًا أو امرأة، قد هتك الستر بينه وبين الله، واستتر من الخلق، وانتهك حرمة نظر الخالق.

- **الملِك الكذاب:**

والملك الكذاب: جاء فيه هذا الوعيد؛ لأن الدافع للشخص إلى الكذب هو الرغبة في رفع شأن نفسه عند الناس فيصطنع القصص والبطولات ليرفع نفسه عند الناس، أو يكذب ليجذب أنظار الناس إليه، أو ليكتسب الدنيا..

أما الملك فهو غني عن ذلك.. فالناس مقبلون عليه.. رافعون له.. والدنيا حاضرة بين يديه.. فلماذا يكذب؟ إلا لخبث نفسه، واستخفافه بشرع الله، وعدم تعظيمه لربه..

وهذا لا يعني أن الكذب يجوز لغير الملك، كلا.. بل الكذب يهدي إلى الفجور والفجور يهدي إلى النار..

- **الفقير المتكبر:**



وكذلك العائل المستكبر: وهو الفقير، رثّ الثياب، خشِن الفراش، رديء المركب، متهدِّم البيت.. ومع ذلك يتكبر على الناس، ينظر للناس من عُلوّ، ويسلِّم بطرف يده تكبرًا، ويمشي في الأرض مرَحًا متبخترًا.. مع أنه لا يملك من متاع الدنيا ما يدعوه إلى الكبر..

مع أن الكبر مذموم مطلقًا سواء صدر من غني أو فقير. وفي هؤلاء جميعًا، قال ﷺ:

«ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا يزكيهم ولا ينظر إليهم، ولهم عذاب أليم: شيخ زان، وملك كذاب، وعائل مستكبر»[1].

فهؤلاء لا يكلمهم الله تعالى لعظم ذنبهم.

(١) رواه مسلم والنسائي.

ذنوب لا ينظر الله إلى أصحابها:

كما أن أقوامًا لا يكلمهم الله تعالى يوم القيامة، فكذلك أقوام لا ينظر الله تعالى إليهم، احتقارًا لهم، وإزراءً عليهم، وكَبتًا وإذلالًا.

وقد ذكر النبي ﷺ أنواعًا من الذنوب، لا ينظر الله تعالى إلى أصحابها، فإذا أعرض الله تعالى عن العبد، فلم ينظر إليه، فقد خاب العبد وخسر..

ومن هؤلاء الذين جاء ذكرهم في السنة:

- **المسبل إزاره خُيَلاء:**

الإسبال في الثياب، وجرّها تحت الكعبين، معصية لله، والأصل أن يلبس المسلم ثوبه وإزاره فوق الكعبين.

فإذا اجتمع الخيلاء والكبر مع الإسبال صار الذنب أعظم، فلم ينظر الله إليه يوم القيامة تحقيرًا وعقوبة.



قال ﷺ: «لا ينظر الله يوم القيامة إلى من جرّ ثوبه بَطَرًا»[1].

وقال ﷺ: «الإسبال في الإزار والقميص والعمامة، من جرّ منها شيئا تخيلا لم ينظر الله إليه يوم القيامة»[2].

(١) متفق عليه، والبطر هو: الكبر والخيلاء والغرور بالنَّفس.

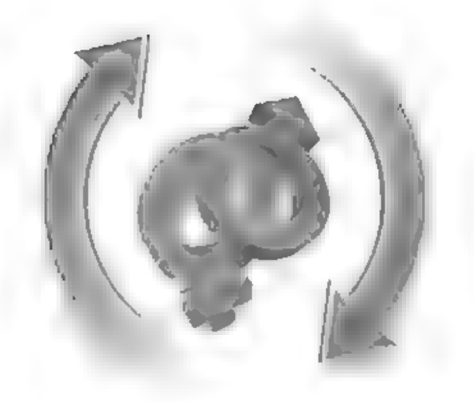
(٢) أبو داود والنسائي وابن ماجه.

- **العاقّ لوالديه:**

عقوق الوالدين ذنب عظيم، وتنَكُّر للجميل، وقد جعل الله تعالى حق الوالدين تابعًا لحقه، فقال تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا﴾ (الإسراء: ٢٣)، **وقرن الله تعالى شكره بشكر الوالدين فقال:** ﴿أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ﴾ (لقمان: ١٤).

وبر الوالدين طريق لسعادة الدارين، كما قال ﷺ: «من سرّه أن يُبسط له في رزقه، وأن يُنسأ له في أثره، فليصل رحمه»[1]، **وأخبر النبي ﷺ بسوء حال العاقّ في المحشر، فلا ينظر تعالى إليه.**

- **المرأة المتشبهة بالرجال:**



تشبه أحد الجنسين بالآخر في لباسه أو كلامه أو تصرفاته، أمر مذموم، واضطراب في الشخصية، وباب فساد في المجتمع.

وقد انتشر في زماننا هذا عبر بعض صفحات الإنترنت، وعدد من القنوات الفضائية الفاسدة الترويج لأنواع من الشذوذ والتشبُّه، فصار الرجل يلْبَس لباس المرأة، والمرأة تلبس لباس الرجل.

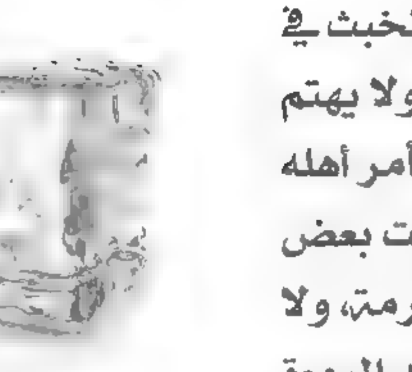
والأعظم من ذلك أن يصل التشبه بالرجل أو المرأة إلى أن يقلب جنسه الذي خلقه الله تعالى عليه إلى الجنس الآخر، وذلك بالعمليات الجراحية، وأدوية الهِرمونات، وغير ذلك، فيقلب الرجل نفسه امرأة، أو المرأة تقلب جنسها إلى رجل.

(١) رواه البخاري ومسلم.

وقد حذر النبي ﷺ من هذا كل أنواع التشبه بين الجنسين، وأخبر أن من فعله لم ينظر الله إليه يوم القيامة.

• الدَّيُوث:

الديوث هو الرجل الذي يُقِرّ الخبث في أهله؛ في زوجته وبناته وأولاده، ولا يهتم بحماية أسرته من الفساد، ولا يأمر أهله بالستر والحجاب، بل ربما وقعت بعض نسائه في المنكرات والعلاقات المحرمة، ولا يغار لذلك ولا يغضب، فهو فاقد المروءة وعديم الرجولة فهذا دَيُّوث.



وقد قال ﷺ في وصف هؤلاء جميعًا: «ثلاثة لا ينظر الله إليهم يوم القيامة: العاقّ لوالديه، والمرأة المُترجّلة المتشبهة بالرجال، والدَّيُّوث. وثلاثة لا يدخلون الجنة: العاقّ لوالديه، والمدمن الخمر، والمنّان بما أعطى»[1].

• من أتى امرأة في دُبُرها:

فطر الله تعالى الرجل والمرأة على ميل كل منهما إلى الآخر، وجعل للعلاقة بينهما طريقًا شرعيًا، وحرم غيرها، ومن أكبر الكبائر إتيان الرجل امرأته في دبرها، قال ﷺ: «ملعون من أتى امرأته في دُبُرها»[2].

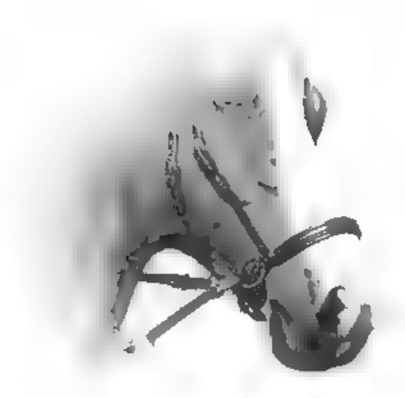
وتوعد النبي ﷺ من فعل ذلك بأن لا ينظر الله إليه يوم القيامة، فقال ﷺ: «إن الذي يأتي امرأته في دُبُرها لا ينظر الله إليه»[3].

(١) رواه النسائي، صحيح.

(٢) رواه أحمد وأبو داود، صحيح.

(٣) رواه النسائي، صحيح.

ذنوب يُلجَم أصحابها بلِجام:



واللِّجام: هو ما يوضع على فم الفرس.

وهؤلاء الذين يُلجَمون يوم القيامة بلجام من النار عياذًا بالله من النار، هم الذين يستفتيهم الناس في مسائل الدين، ومع ذلك يكتمون العلم، ولا يعلمون الناس دينهم، مع قدرتهم على نشر العلم، ولا ضرر عليهم من نشره.



قال ﷺ: «من سُئل عن علم فكتمه أُلجِم يوم القيامة بلجام من نار»[1].

أقوام يلقون الله وهو عليهم غضبان:

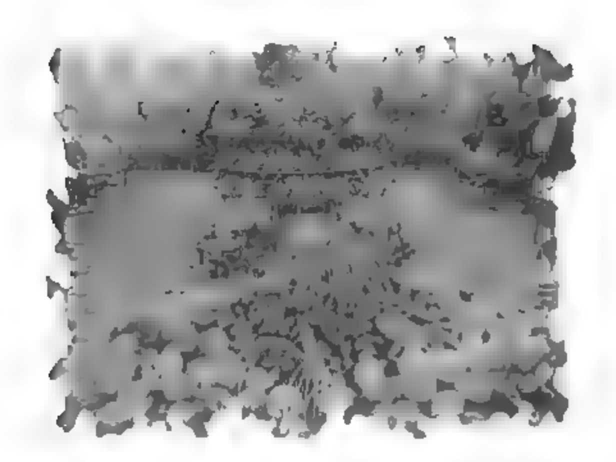
نعوذ بالله تعالى من غضبه، ونسأله تعالى أن يعمَّنا بحلمه ورحمته، قال ﷺ: «من حلف على يمين وهو فيها فاجر ليقتطع بها مال امرئ مسلم، لقِي الله ﷻ وهو عليه غضبان»[2].

- **الأثرياء المنعَّمون:**

الاستمتاع بنعم الله تعالى، مع الاعتدال في ذلك، وعدم الإسراف، أمر مباح، وقد يؤجَر المرء عليه إذا قام بشكرها وحمد الله عليها.

(١) رواه أبو داود والترمذي، صحيح.

(٢) متفق عليه.



لكـن المبالغة في الأكل والشـرب، والإسـراف في ذلـك أمـر مذموم، وقـد سمع النـبي ﷺ رجـلًا عنده تجشّأ فكأنه ﷺ كره ذلك، وقال: « كُفّ عن جُشائك، فإن أكثرهم شِبعًا في الدنيا أطولهم جوعًا يوم القيامة »[1].



وقال ﷺ: « إن المكثرين هم المقِلّون يوم القيامة إلا من أعطاه الله تعالى خيرا، فنفخ فيه بيمينه وشماله، وبين يديه وورائه، وعمل فيه خيرًا »[2].

وقـال ﷺ: « الأكثرون هم الأسـفلون يـوم القيامـة، إلا من قال بالمـال هكذا وهكذا، وكسبُه طيّب »[3].

- **حال الغادر يوم القيامة:**

الغـدر والخيانة من صفـات المنافقين، فالمنافق إذا عاهـد غدر، ومن أمَّنه الناس على أموالهم، وعهودهم، ومواثيقهم فخان وغدر، فإنه يُفضح يوم القيامة، بل أعظم من الفضيحة.

(١) رواه الترمذي وابن ماجه. صحيح، ومعنى تجشـأ أي: أخرج جُشـاءه. وهو هواء يخرج من الفم يدل على امتلاء المعدة بالطعام.

(٢) رواه البخاري.

(٣) رواه ابن ماجه.

قال ﷺ: « إذا جمع الله الأولين والآخرين يوم القيامة يرفع لكل غادر لواء، فقيل: هذه غدرة فلان ابن فلان »[1].



والغادر: هو الذي يغدِر، فيَعِد بالشيء ولا يفي به، ويخون أمانته..

واللواء: الراية العظيمة لا يمسكها إلا صاحب جيش الحرب، والناس تبَعٌ له.

فالغادر تُرفع له راية تبين أنه غادر، فيُفضح بذلك يوم القيامة.. وتُجعل هذه الراية عند مُؤَخِّرته: قال ﷺ: « لكل غادر لواء عند إسته يوم القيامة »[2].

وكلما كانت الغدرة أكبر ارتفعت الراية أكثر: قال ﷺ: « لكل غادر لواء يوم القيامة يرفع بقدر غدره، ألا ولا غادر أعظم غدرا من أمير عامة »[3].

أمير العامة: الحاكم الرئيس على الناس، لأن ضرره يتعدى إلى خلق كثير، وهو يملك القوة والسلطان فلا حاجة به إلى الغدر، وأيضًا هو إذا غدر لم يستطع المغدور أن ينتقم منه أو يستخرج حقه؛ لغلبته وسلطانه.

ويُلحق به كل رئيس، سواء على عمال في شركة فلا يوفي بعقودهم، أو مدير مدرسة أو جامعة، أو كل صاحب سلطة يتلاعب بالعقود بعد إبرامها.

---

(١) رواه مسلم.

(٢) رواه مسلم، ومعنى قوله « إسته» أي عند دبره، مقعدته.

(٣) رواه مسلم.

الغادر في الجاهلية

فائدة



كانت العرب في الجاهلية ترفع للغادر لواء في المحافل ومواسم الحج، وكذلك يُطاف بالجاني مع جنايته ، فإن كان سارقًا طافوا به بين الناس ومعه ما سرق، لفضيحته ورَدْعه.

• الغالّ من الغنيمة:

الغُلُول هو: السرقة من الغنيمة قبل أن تُقسَّم بين المجاهدين.

والغنيمة: هي ما يحصل عليه المجاهدون المسلمون، بعد انتصارهم على عدوهم، من أموال الأعداء ومتاعهم.

وقد توعد الله تعالى أهل الغُلُول، فقال ﷻ: ﴿وَمَن يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [آل عمران: ١٦١].

ولعظمة أمر الغُلُول، كان النبي ﷺ يجتهد في تحذير أصحابه منه.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «قام فينا رسول الله ﷺ ذات يوم، فذكر الغلول فعظَّمه، وعظَّم أمره، ثم قال:

« لا ألفين أحدكم يجيء يوم القيامة على رقبته بعير له رُغاء[1]، يقول: يا رسول الله أغثني! فأقول: لا أملك لك شيئا قد أبلغتك.

(١) الرُّغاء: هو صوت البعير.

لا ألفين أحدكم يجيء يوم القيامة على رقبته فرس له حمحمة، فيقول: يا رسول الله أغثني، فأقول: لا أملك لك شيئا، قد أبلغتك.

لا ألفين أحدكم يجيء يوم القيامة على رقبته شاة لها ثُغاء، يقول: يا رسول الله أغثني، فأقول: لا أملك لك شيئا قد أبلغتك.

لا ألفين أحدكم يجيء يوم القيامة على رقبته نفس لها صياح، فيقول: يا رسول الله، أغثني، فأقول: لا أملك لك شيئا قد أبلغتك.

لا ألفين أحدكم يوم القيامة على رقبته صامت، فيقول: يا رسول الله أغثني، فأقول: لا أملك لك شيئًا قد أبلغتك»[١].

فهؤلاء كلهم أهل سرقة وغُلُول.. فيأتي أحدهم حاملًا على ظهره وعلى رقبته ما غلَّه وسرقه، وهو معذَّب بحمله، متعب بثِقَله، مرعوب بصوته، مفضوح بإظهار خيانته على رؤوس الأشهاد.

ومن الغُلُول:

- **غلول الحكام من أموال بيت مال المسلمين.**
- **وغلول الموظفين من أموال وظائفهم.**
- **وغلول العمال والولاة من الأموال العامة.**

وقد ورد الوعيد والتخويف من ذلك:

---

(١) متفق عليه وهذا لفظ مسلم، ومعنى الحديث: أنه إن غل وسرق بعيرًا جاء يحمله يوم القيامة على ظهره والبعير له رغاء، والرُّغاء صوت البعير، أو فرس له حمحمة وهو صوت الفرس، أو شاة لها ثُغاء وهو صوتها، وقوله: «نفس لها صياح» أي قد غلّ وسرق أي شيء من الغنيمة، إما حيوان أو عبد مملوك، أو غيره، أو سرق وغلّ صامتًا: أي ذهبًا أو فضة.

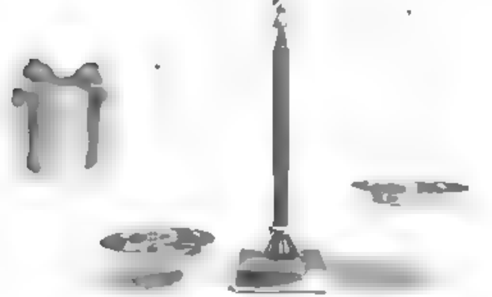
فقد كان رسول الله ﷺ يبعث بعض الصحابة ليجمعوا الصدقات من البوادي والقبائل.. فبعث رجلًا من قبيلة الأَزْد يقال له ابن اللُّتْبِيَّة ليجمع الزكاة.. فكان يأتي صاحب الإبل أو الغنم فيأخذ منه زكاته الواجبة، فكان صاحب الغنم أو الإبل يعطيه الزكاة الواجبة ليوصلها إلى رسول الله ﷺ ليقسمها للفقراء، ويعطي أيضًا ابن اللُّتْبِيَّة هدية خاصة له. فاجتمع له إبل وغنم بعضها زكاة واجبة، وبعضها هدايا له. فأقبل بها يسوقها، حتى إذا وصل المدينة توجه بها إلى رسول الله ﷺ.. وقال: هذا لكم، وهذا أُهدي لي.

فغضب النبي ﷺ كيف يأخذ هدايا وهو موظف يستلم أجره من بيت مال المسلمين، ولو فُتح الباب للعمال أن يأخذوا هدايا ربما أدى ذلك إلى تساهلهم بأعمالهم أو قبولهم لرشوة.. أو نحوه.. فأراد ﷺ أن يسد الباب تمامًا..

قام ﷺ على المنبر وقال: «ما بال العامل نبعثه على عمل، فيقول: هذا لكم وهذا لي!! أفلا جلس في بيت أبيه وأمه، فينظر أيهدى إليه أم لا؟ والذي نفس محمد بيده لا يأتي منه بشيء إلا جاء به يوم القيامة على رقبته، إن كان بعيرًا له رُغاء، أو بقرة لها خُوار، أو شاة تيعر»[1].

وهذا حديث عظيم، وذلك أن تساهل الموظفين بقبول الهدايا مع الناس، كأن يقبل المدرس هدايا طلابه، وأستاذ الجامعة كذلك، أو الموظفون في مصالح الناس في البلديات والمستشفيات العامة، والجهات الأمنية من شرطة وغيرها..

كل هذا سيؤدي إلى محاباة من يهدي وإهمال غيره، وإكرام القوي الغني وإهمال الفقير الضعيف.



(١) رواه البخاري ومسلم.

فـلا يجوز قبول الهدايـا أبدًا ما دمت أخذتها بسـبب وظيفتك، وإلا جئت بها على رقبتك تحملها يوم القيامة، ومن يغلُل يأتِ بما غَلَّ يوم القيامة.

• غاصِب الأرض:

الغاصب هو الذي يأخذ الشـيء عُنوة بالقوة والسـلطة، وقد ابتلينا اليوم بأقـوام يغصِبون أراضي النـاس، أو أراضي النفع العام، يسـتولون عليها ظلمًا بوسائل مُلتَوِية أو بالاحتيال.

وقد جاء الوعيد الشديد على من فعل ذلك.

قال ﷺ: «من أخذ من الأرض شـيئا بغير حقه خُسف به يوم القيامة إلى سبع أرضين»[1].

• الذي يسأل وله ما يُغنيه:

الفقـير المتعفف الـذي يكتفي بقوت يومه، ويحمي حُرَّ وجهه عن سـؤال الناس، ولا يُذل نفسـه لأحد، هذا أفضل ممن يسأل الناس ويستَجديهم، ويشتكي إليهم فقره وحاجته.

والأقبـح من ذلك هو الذي يسـأل الناس مُسـتَجدِيًا مسـتعطفًا، وعنده ما يكفيه من ملبس ومطعم ومشرب، وقد حذر النبي ﷺ ممن هذا حاله، فقال:

«من سـأل وله ما يغنيه، جاءت مسألته يوم القيامة خدوشًا أو خموشًا أو كدوحًا في وجهه، قيل: يا رسـول الله، وما يغنيه؟ قال: خمسون درهمًا أو قيمتها من الذهب»[2].

(١) رواه البخاري.

(٢) رواه أبـو داود والترمـذي، ومعنى قوله: خدوش، خموش، كدوح: هي مـا يصيب الوجه من أثر إذا جرح بالأظفار الصلبة الحادة، سواء أظفار إنسان أو حيوان.



• الذي لا يحافظ على الصلاة:

الصلاة أحد أركان الإسلام..
ومبانيه العظام..

الصَّلاةُ..قرَّةُ عيونِ الموَحِّدين..
ولذَّةُ أرواح المحبين..

عبادة.. عظَّم الله أمرها..
وشرَّف أهلها..

وهي آخر ما يذهب من الإسلام.. وآخر ما أوصى به النبي ﷺ.. وأول ما يسأل عنه العبد بين يدي الملك العلّام.

فنحمد الله العظيم الذي أذن لنا بالوقوف بين يديه.. والإقبال بالقلوب عليه.. وشكاية الحاجات إليه..

إنّ الصَّلاةَ صِلةٌ ولقاءٌ.. بين العبد في الأرض.. والرب في السماء..

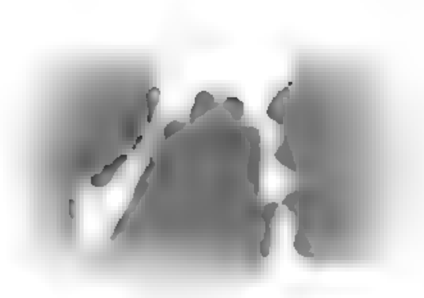
ولقد كان ﷺ إذا حَزَبه أمر فزِع إلى الصلاة..

والصلاة تنفع أصحابها في المحشر، كما قال رسول الله ﷺ في شأن الصلاة:

«من حافظ عليها كانت له نورا وبرهانا ونجاة يوم القيامة، ومن لم يحافظ عليها لم تكن له نورا ولا برهانا ولا نجاة، وكان يوم القيامة مع فرعون وقارون وهامان وأبيّ بن خَلف»[1].

(١) رواه أحمد وابن حِبّان وإسناده صحيح.

- **المُغتاب والنَّمَّام:**



- **المُغتاب: هو الواقع في الغيبة، والغيبة ذكرك أخاك في غيبته بما يكره.**

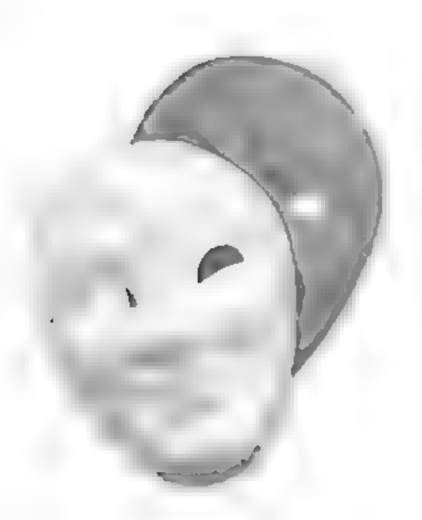
- **النَّمَّام: هو الذي ينقل الكلام السيء بين الناس للإفساد بينهم.**

وهذه أمور عَمَّ البلاء بها وحصل بسببها فساد عظيم، وأولئك من أشر الناس وأكثرهم إفسادًا إذ لهم لسان مُتَقَلِّب يتكلم بحسب الهوى والشهوة.

ولهم حال مخيف في المحشر، كما قال ﷺ:

«من أكل لحم أخيه في الدنيا قُرِّب له يوم القيامة، فيقال له: كُلْه ميتًا كما أكلته حيًا، فيأكله ويكلح ويصيح»[1].

- **ذو الوجهين:**

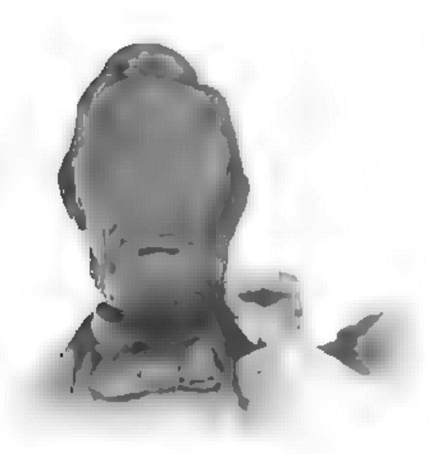


ذو الوجهين: هو المتلاعب المتلوّن المحتال، الذي يلقى هؤلاء بوجه، وهؤلاء بوجه.

قال ﷺ: «من كان له وجهان في الدنيا كان له يوم القيامة لسانان من نار»[2].

(١) رواه البخاري في الأدب المفرد، والطبراني في المعجم الأوسط، حسن الإسناد، ومعنى يكلَح: الكُلُوح: التَّكشير في عبوس، يصيح: يرفع صوته بالصراخ والبكاء.

(٢) رواه أبو داود وغيره، صحيح.



- **المصوِّرون:**

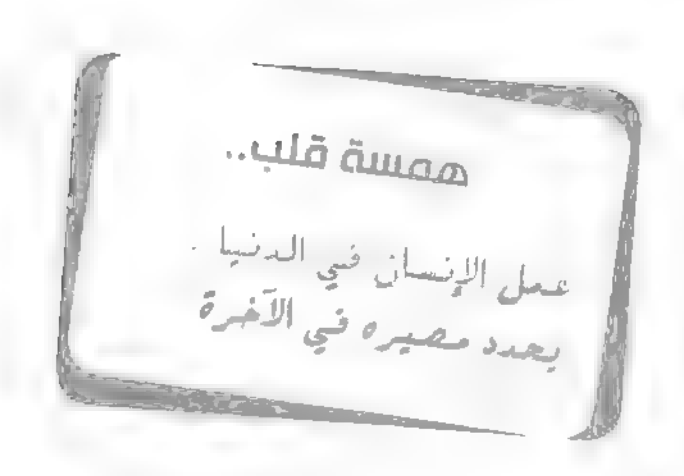
التصوير أنواع وأشكال، وقد اختلف أهل العلم في حكمه بناءً على تنوع أشكاله، لكنهم أجمعوا على تحريم صنع التماثيل، خاصة إذا كانت على صور الزعماء والعظماء.

قال ﷺ: « إن الذين يصنعون هذه الصور يعذَّبون يوم القيامة، يقال لهم: أحيُوا ما خلقتم »[1].

وقال ﷺ: « من صوَّر صورة في الدنيا كُلِّف أن ينفخ فيها الرُّوح يوم القيامة، وليس بنافخ »[2].

ختاما:

فهذه أحوال بعض الناس في يوم الحشر. أما كيف يبدأ الحساب؟ وكيف تُوزع الصحف؟ ومتى يقرأ الناس صحف أعمالهم؟ وكيف يُسألون عنها؟ فهذا ما أتحدث عنه في الصفحات التالية..



(١) متفق عليه.
(٢) متفق عليه.

نَشْر الصُّحُف

في يوم الحشـر يُعطى كل عبد كتابه المشـتمل على سجِل أعماله التي عملها في الحياة الدنيا ويقال له:

﴿ هَٰذَا كِتَٰبُنَا يَنطِقُ عَلَيۡكُم بِٱلۡحَقِّۚ إِنَّا كُنَّا نَسۡتَنسِخُ مَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴾ [الجاثية: ٢٩].

- فما الصحف؟
- وما المكتوب فيها؟
- وكيف يأخذها العباد؟

مدخل

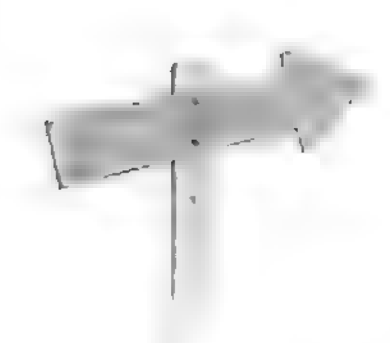
كل عبد له صحيفة مُسَجَّلة فيها أعماله خيرها وشرها، وهذه الصحيفة كتاب لا يغادر صغيروة ولا كبيرة إلا أحصاها، وفي المحشر يعطى كتابه ليقرأه وينظر أعماله.

وتختلف الطريقة التي يُؤتى بها العباد كتبهم: فأما المؤمن فإنه يؤتى كتابه بيمينه من أمامه بعد محاسبته الحساب اليسير، وينقلب إلى أهله مسرورًا، وأما أهل المعاصي والنفاق فإن أحدهم يؤتى كتابه بشماله من وراء ظهره، وعند ذلك يدعو أحدهم بالويل والثُّبور.

وبعد سؤال العباد على أعمالهم، تُنشر صحف الأعمال من حسنات وسيئات، ومعنى نشر الصحف: فتحها وتناولها، كما قال تعالى: ﴿وَإِذَا ٱلصُّحُفُ نُشِرَتْ﴾ [التكوير: ١٠].

وكل إنسان مُلزم ومُجازَى بعمله الذي سُجل في صحيفته من خير أو شر، كما قال تعالى: ﴿وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ ۖ وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كِتَٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا ﴿١٣﴾ ٱقْرَأْ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا﴾ [الإسراء: ١٣-١٤]، فكل إنسان يقرأ كتابه بنفسه، ويعلم نهايته، ويعرف نتيجته ومصيره.

قسم يُعطى كتابه بيمينه:



فيُحاسب حسابًا يسيرًا، ويرجع إلى أهله ناجيًا مسرورًا، قد زال خوفه، وفرح قلبه، ورفع رأسه بين الناس، كما قال تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَيَقُولُ هَآؤُمُ ٱقْرَءُوا۟ كِتَٰبِيَهْ ﴿١٩﴾ إِنِّى ظَنَنتُ أَنِّى مُلَٰقٍ حِسَابِيَهْ ﴿٢٠﴾ فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴿٢١﴾ فِى جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴿٢٢﴾ قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ ﴿٢٣﴾ كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ هَنِيٓـًٔۢا بِمَآ أَسْلَفْتُمْ فِى ٱلْأَيَّامِ ٱلْخَالِيَةِ﴾ [الحاقة: ١٩-٢٤].

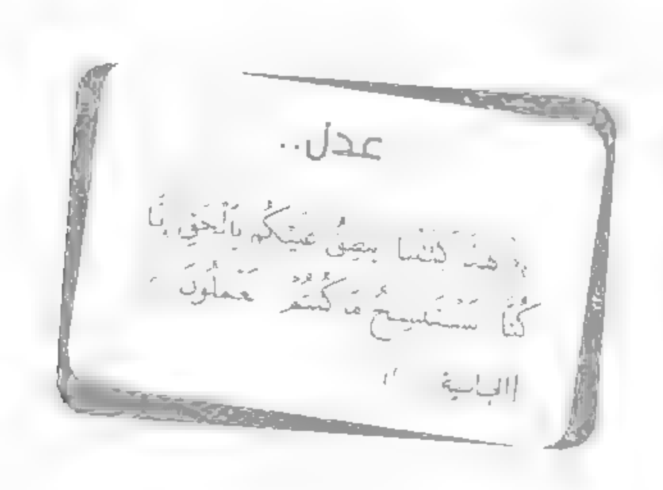
۞ قسم يُعطى كتابه بشماله من وراء ظهره:



وهو الذليل الخاسر، الهالك الفاجر، الذي ضَيّع عمره، وخسر آخرته، وأحاطت به المضائق، واسودّ وجهه في الخلائق، كما قال تعالى: ﴿ وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَـٰبَهُۥ وَرَآءَ ظَهْرِهِۦ ۝١٠ فَسَوْفَ يَدْعُوا۟ ثُبُورًا ۝١١ وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا ﴾ [الانشقاق: 10-12].

وقال تعالى: ﴿ وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَـٰبَهُۥ بِشِمَالِهِۦ فَيَقُولُ يَـٰلَيْتَنِى لَمْ أُوتَ كِتَـٰبِيَهْ ۝٢٥ وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ ۝٢٦ يَـٰلَيْتَهَا كَانَتِ ٱلْقَاضِيَةَ ۝٢٧ مَآ أَغْنَىٰ عَنِّى مَالِيَهْ ۜ ۝٢٨ هَلَكَ عَنِّى سُلْطَـٰنِيَهْ ﴾ [الحاقة: 25-29].

وقال ﷺ واصفًا حال المؤمن في ذلك اليوم: « ثم يعطى كتاب حسناته بيمينه. وأمّا الكافر أو المنافق فينادى على رؤوس الأشهاد: ﴿ هَٰؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَىٰ رَبِّهِمْ ۚ أَلَا لَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴾ [هود: 18] »[1].



(1) رواه أحمد والنسائي وابن ماجه، صحيح.

العَرْض والحساب

إذا أخذ العباد صحفهم بدأ عند ذلك عرض الأعمال والحساب، وما يتبع ذلك من وزن أعمالهم، والمرور على الصراط.. والجنة والنار.. عندئذ يكون العرض..

- فما العرض؟
- وما الذي يُعرض؟
- وما حال العبد أثناء العرض؟

مدخل

العرض له معنيان:

١- عرض الخلائق كلهم على ربهم:

وهذا العرض ليس فيه حساب، ولا نقاش أعمال، وإنما وقوف بين يدي الملك جل جلاله. فيُعرض الكل عليه.. الإنس والجن.. والحيوانات.. يُعرضون كما خلقهم أول مرة.. لا يَخفى عليه منهم شيء.

كما قال تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ﴾ [illegible].

وقال تعالى: ﴿وَعُرِضُوا عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًّا لَّقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۚ بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّن نَّجْعَلَ لَكُم مَّوْعِدًا﴾ [الكهف: ٤٨].

٢- العرض والحساب:

وفي هذا العرض تُناقَش الأعمال، ويُسأل العباد، ماذا أجَبْتم المرسلين؟ ماذا كنتم تعملون؟ ويشتد عليهم المقام، وتزل الأقدام، ويشيب الولدان، وينعقد اللسان، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم﴾ [الغاشية: ٢٥ - ٢٦].

معنى الحساب:

الحساب هو: العدّ والإحصاء، ومن عدل الله تعالى أنه يحاسب العباد يوم القيامة، فلا يستوي من عمِل وتقرَّب، مع من عصى وتقلَّب، كلهم أعمالهم معدودة، وأفعالهم مَرصودة.

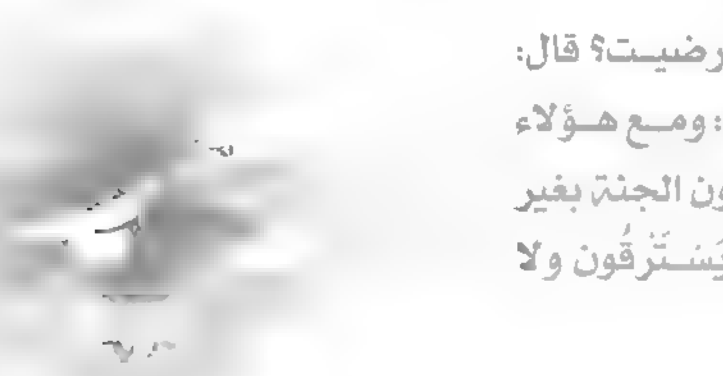
۞ أنواع الحساب في الآخرة:

يختلف الناس في طريقة الحساب على أعمالهم، فمنهم من يدخل الجنة بلا حساب، ومنهم من يُخفَّف عليه، ومنهم من يُشدَّد عليه.

- فمنهم:

من ينطلقون إلى الجنة بغير حساب.. وهم سبعون ألفًا.. هم صفوة من الأمة في الإيمان والتقى والصبر والجهاد.. وقد قال ﷺ عنهم:

« عرضت عليّ الامم بالموسم فرأيت امّتي فأعجبتني كثرتهم. وهيئتهم. قد مَلئوا السهل والجبل،



فقال: يا محمد أرضيت؟ قال: نعم أي رب. قال: ومع هؤلاء سبعون ألفًا يدخلون الجنة بغير حساب الذين لا يَسْتَرْقُون ولا يَكْتَوُون.

فقال عُكَاشة: ادع الله أن يجعلني منهم..

فقال ﷺ: اللهم اجعله منهم.

ثم قال رجل آخر: ادع الله أن يجعلني منهم. **قال:** سبقك بها عكاشة »[1].

فهؤلاء السبعون ألفًا.. لا يحاسبون على أعمالهم.. ولا يُدقّق عليهم كما يُدقّق على غيرهم.. نسأل الله تعالى أن يجعلنا منهم..

(١) متفق عليه.

- ومنهم:

من يحاسبهم الله تعالى على أعمالهم.. لكن حسابًا يسيرًا من غير نقاش ولا تدقيق، وإنما تعرض عليهم أعمالهم عرضًا ثم يتجاوز الله تعالى عنهم..

قال ﷺ: « إن الله يدني المؤمن فيضع عليه كنفه ويستره فيقول: اتعرف ذنب كذا؟ اتعرف ذنب كذا؟ فيقول: نعم، اي رب. حتى اذا قرّره بذنوبه وراى في نفسه انه هلك. قال الله: سترتها عليك في الدنيا وانا اغفرها لك اليوم، فيعطى كتاب حسناته »[1].

ويُشرع للعبد أن يدعو الله بأن يخفف عنه الحساب، فيقول: اللهم حاسبني حسابًا يسيرًا.

كما قالت أمنا عائشة ﵂: « سمعت النبيّ ﷺ يقول في بعض صلاته: اللهم حاسبني حسابا يسيرا.

فلما انصرف قلت: يا نبي الله، ما الحساب اليسير؟ قال: ان ينظر في كتابه فيتجاوز عنه »[2].

نسأل الله أن يخفف حسابنا، ويعاملنا بعفوِه وحِلْمه.. آمين.

- ومنهم:

من يُشدَّد عليه ويُوبَّخ لذنوبه ويُناقش فيها ويُدقَّق عليه: لماذا فرَّطت في صلاتك؟ كيف أدَّيت زكاتك؟ عقوق الوالدين؟ حقوق العباد؟ وفي هذا الحساب يتعذب العبد، ويضطرب، ويخاف ويغرق..

(١) متفق عليه.

(٢) رواه أحمد، صحيح.

كما قال ﷺ: «ليس أحد يحاسب يوم القيامة إلا هلك».

فَقَالَتْ عائشة ﵂: يا رسول الله، أليس قد قال الله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ۝٧ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا﴾ [الانشقاق: ٧ - ٨].

فقال رسول الله ﷺ: إنما ذلك العرض، وليس أحد يناقش الحساب يوم القيامة إلا عُذِّب»[1].

والعذاب المقصود هنا ليس العذاب في النار، إنما يتعذب بما يقع له من فزع وخوف واضطراب وخِزْي بالنظر إلى سيئاته، وذلّ بتذكر أعماله الفاسدة..

- **ومنهم:**

من يطول حسابهم ويعسر؛ بسبب كثرة الذنوب وعِظَمها، أو إصرارهم عليها ومجاهرتهم بها، أو فساد نياتهم ومراءاتهم بأعمالهم.

قال ﷺ: «إن أول الناس يُقضى يوم القيامة عليه: رجلٌ استشهد فأتي به فعرَّفه نعمه فعرفها. قال: فما عملت فيها؟ قال: قاتلت فيك حتى استشهدت. قال: كذبت، ولكنك قاتلت لأن يقال هو جريء، فقد قيل، ثم أمر به فسُحبَ على وجهه حتى أُلقي في النار.

ورجل تعلَّم العلم وعلَّمه وقرأ القرآن، فأتي به فعرَّفه نعمه فعرفها. قال: فما عملت فيها؟ قال: تعلمت العلم وعلمته وقرأت فيك القرآن. قال: كذبت، ولكنك تعلمت ليقال عالم، وقرأت القرآن ليقال هو قارئ. فقد قيل، ثم أُمر به فسحب على وجهه حتى أُلقي في النار.

(١) متفق عليه.

ورجلٌ وسع الله عليه وأعطاه من أصناف المال، فأتي به فعرفه نعمه فعرفها، قال: فما عملت فيها؟ قال: ما تركت من سبيل تحب أن ينفق فيها إلا أنفقت فيها لك، قال: كذبت، ولكنك فعلت ليقال هو جواد، فقد قيل، ثم أمر به فسحب على وجهه ثم ألقي في النار »[1].

هل كل المؤمنين يحاسبون؟

مسألة



يستثني الله تعالى فريقًا من المؤمنين لا يحاسبهم، كما قال ﷺ: « يدخل الجنة من أمتي سبعون ألفا بغير حساب، هم الذين: لا يسترقون، ولا يتطيّرون، وعلى ربهم يتوكلون »[2].

وفي رواية قال ﷺ: « مع كل ألف سبعون ألفا »[3].

---

(١) رواه مسلم.

(٢) متفق عليه.. ومعنى قوله « لا يسترقون »: لفظ مشتق من الرُّقْيَة، وهي العلاج بقراءة القرآن والأذكار الشرعية على المريض، فلا يسترقون أي: لا يطلبون من غيرهم أن يرقيهم، وطلب الرقية جائز، إلا أن الحديث يرشد المسلم إلى أنه إن استطاع أن يرقي نفسه، فهو أفضل لما فيه من التوكل على الله، وقد كان النبي ﷺ يرقي نفسه إذا اشتكى فيقرأ على نفسه بالمعوذات وينفُث، فلما اشتد وجعه قرأت عليه عائشة ومسحت عليه بيده رجاء بركتها.

وقوله « ولا يتطيرون »: يعني: لا يتشاءمون بمرئيّ، ولا بمسموع، ولا بمشموم، ولا بمُتذَوق، وقد كان العرب في الجاهلية يتطيرون، فإذا طار الطير وذهب نحو اليسار تشاءموا، والطيَرة محرمة، لا يجوز لأحد أن يتشاءم بأيام، ولا بشهور، ولا بالوجوه، ثم ختم الحديث بقوله " وعلى ربهم يتوكلون " أي يعتمدون في أمورهم على الله تعالى وحده لا شريك له " وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ» ومن كان الله حسبه فقد كُفي كل شيء.

(٣) رواه أحمد والترمذي، صحيح.

قواعد محاسبة العباد:

إذا اجتمعت الخلائق بين يدي الملك جل جلاله، في موقف رهيب.. حُفاة غير مُنتعلين، يسيرون على أقدامهم، غير راكبين.. عُراةً ليس عليهم لباس.. غُرلًا غير مختونين، قد عادوا كما خُلقوا أول مرة..

موقف رهيييييب.. تشخص أعين العُصاة، وتهتز قلوب الطغاة.. ويُذلّ المتكبرون، ويفزع الظالمون.. لا تَطْرِف أبصارهم، ولا تطمئن أفئدتهم.. كما قال تعالى: ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ (٤٢) مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَاءٌ ﴾ [إبراهيم: ٤٢، ٤٣].

نعم لا يرتد إليهم طرفهم، وأفئدتهم هواااء.. يا للهول!!

بل ترتفع القلوب لدى الحناجر، كما قال ربنا: ﴿ وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ الْآزِفَةِ إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ كَاظِمِينَ ﴾ [غافر: ١٨]، كاظمين ساكتين لا يتكلمون.

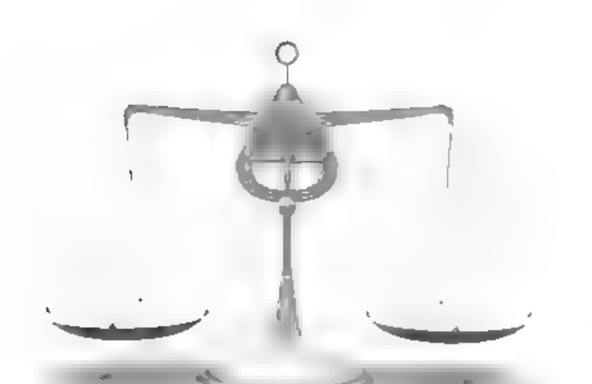
تُبدل هذه الأرض، فالجبال نُسِفَت، والسماء كُشِطَت، والنجوم انكدَرت، والكواكب انتثرت، والبحار سُجِّرَت، والشمس كُوِّرَت، والملائكة العظام فزِعَت، والرسل أُقِّتت..

يقف الجميع في المحكمة العظمى؛ محكمة يوم القيامة، حيث تبلغ القلوب الحناجر، وتدنو الشمس من الخلائق، وتكون أحوالهم عصيبة بين يدي الملك جل جلاله..

محكمة يحضرها الخَصم اللّدود، ويشهدها الشهود. الصحف منشورة، والأعذار محظورة، والقلوب ترتجف، والألسن تعترف، قال تعالى: ﴿ وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾ [البقرة: ٢٨١]

وعند التأمل في القرآن والسنة، نستخلص قواعد عامة يحاسب من خلالها العباد:

- **القاعدة الأولى: العدل التام الذي لا يشُوبه ظلم:**



فربنا الكريم العَدْل جل وعلا، لا يظلم أحدًا سبحانه.

قال تعالى: ﴿ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾ [البقرة:٢٨١].

وقال: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ ﴾ [النساء:٤٠].

وقال: ﴿ وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا ﴾

وكما قال ﷺ « يقول الله تعالى: يا عبادي: إني حرَمت الظلم على نفسي، وجعلته بينكم محرمًا: فلا تظالموا. يا عبادي! كلكم ضالٌ إلا من هديته، فاستهدوني أهدِكم. يا عبادي! كلكم جائع إلا من أطعمته، فاستطعموني أطعمكم. يا عبادي! كلكم عارٍ إلا من كسوته، فاستَكسوني أكسُكم. يا عبادي! إنكم تخطئون بالليل والنهار، وأنا أغفر الذنوب جميعًا فاستغفروني أغفر لكم. يا عبادي! إنكم لن تبلغوا ضُري فتضروني، ولن تبلغوا نفعي فتنفعوني. يا عبادي! لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنّكم كانوا على أتقى قلب رجل واحد منكم، ما زاد ذلك في ملكي شيئًا. يا عبادي! لو أن أوّلكم وآخركم وإنسكم وجِنكم كانوا على أفجر قلب رجل واحد منكم، ما نقص ذلك من ملكي شيئا. يا عبادي! لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم قاموا في صعيد واحد، فسألوني، فأعطيت كل واحد مسألته، ما نقص ذلك مما عندي إلا كما يُنقص المِخيط إذا أُدخل البحر. يا عبادي! إنما هي أعمالكم أحصيها لكم، ثم أوفّيكم إياها: فمن وجد خيرًا فليحمد الله، ومن وجد غير ذلك فلا يلومَنَّ إلا نفسه »[1]

(١) رواه مسلم.

- **القاعدة الثانية: لا يؤخذ أحد بجَرِيرة غيره:**

نعم.. غاية العدل أن يكون كل فرد مسئول عن عمله وما كسبت يداه، ولا يؤخذ بظلم غيره أو معصيته.

قال تعالى: ﴿وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا ۚ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ [الأنعام: ١٦٤].

وقال: ﴿مَّنِ اهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ ۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ۚ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ [الإسراء: ١٥].

وقال: ﴿أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَىٰ (٣٦) وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّىٰ (٣٧) أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ (٣٨) وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَانِ إِلَّا مَا سَعَىٰ (٣٩) وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَىٰ (٤٠) ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءَ الْأَوْفَىٰ﴾ [النجم: ٣٦-٤١].



مادام أن الإنسان لا يؤاخذ إلا على أعماله، فما الجواب عن قوله تعالى: ﴿لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ ۙ وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ [النحل: ٢٥].

وقوله ﷻ: ﴿وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَّعَ أَثْقَالِهِمْ﴾ [العنكبوت: ١٣].

فالله تعالى أخبر في هذه الآيات أن الإنسان قد يتحمَّل أوزار غيره، فكيف يكون ذلك؟

الجواب: أن الإنسان إذا عمل على إضلال غيره، وتسبب متعمدًا في إفساده كأن يوقعه في شرب الخمور أو يدله على مكان فساد أو يزين له أن يقيم علاقات محرمة بنساء.. فإنه يؤاخذ بما عمل ذلك الشخص من جرَّاء إفساده له، وتشجيعه ودعوته للمنكر ويحمل مثل وزره، كما قال ﷺ:

«من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه لا ينقص من أجورهم شيئا، ومن دعا إلى ضلالة كان عليه من الوزر مثل أوزار من تبعه لا ينقص من أوزارهم شيئا»[1]

نعم، من أفسد الناس حُمِّل وزره وأوزارهم..كما أن من دعا الناس إلى خير، نال من الأجر مثل أجورهم، جزاءً وفاقًا.. فسبحان الحكم العدل جل وعلا.

• القاعدة الثالثة: اطلاع العباد على ما قدّموه من أعمال:

ربنا جل وعلا لا تخفى عليه خافية، والصحف تسجل كل ما يعمل العباد من خير وشر، فيرَوْن كل ذلك حاضرًا أمامهم يوم القيامة.

قال تعالى: ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوٓءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُۥٓ أَمَدًۢا بَعِيدًا﴾ [آل عمران: ٣٠].

وقال: ﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ﴾ [الانفطار: ٥].

وقال: ﴿وَوَجَدُوا۟ مَا عَمِلُوا۟ حَاضِرًا ۗ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ [الكهف: ٤٩].

واطلاع العباد على ما قدموه يكون بإعطائهم صحائف أعمالهم، وقراءتهم لها، كما قال تعالى: ﴿وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ ۖ وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كِتَٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا ﴿١٣﴾ ٱقْرَأْ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا﴾ [الإسراء: ١٣- ١٤].

وهو كتاب شامل لجميع الأعمال كبيرها وصغيرها كما قال سبحانه: ﴿وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ فَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَٰوَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا ۚ وَوَجَدُوا۟ مَا عَمِلُوا۟ حَاضِرًا ۗ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ [الكهف: ٤٩].

(١) متفق عليه.

- **القاعدة الرابعة: مضاعفة الحسنات دون السيئات:**

من فضل الملك الكريم المحسن أن رحمته تسبق غضبه، وعفوه يغلب عقوبته، وأن الحِلم والتجاوز أحب إليه من العقوبة والعذاب.

لذا فهو سبحانه يفرح بحسنة عبده ويضاعفها، ويكره السيئة، ولا يضاعفها، بل قد يغفرها.

قال تعالى: ﴿ إِن تُقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَاعِفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ﴾ [التغابن: ١٧].

وأقل مضاعفة للحسنة هو عشرة أضعاف ﴿ مَن جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا ﴾ [الأنعام: ١٦٠].

أما السيئة فتجزى مثلها، قال تعالى: ﴿ وَمَن جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰ إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾ [الأنعام: ١٦٠].

وقال ﷺ فيما يرويه عن ربه: «إن ربكم ﷻ رحيم، من همّ بحسنة فلم يعملها كُتبت له حسنة، فإن عملها كُتبت له عشرًا إلى سبعمائة إلى أضعاف كثيرة، ومن همّ بسيئة فلم يعملها كتبت له حسنة فإن عملها كتبت له واحدة أو يمحوها الله ﷻ، ولا يهلك على الله إلا هالك»[1].

وقال ﷺ: «يقول الله ﷻ: من عمل حسنة فله عشر أمثالها وأزيد، ومن عمل سيئة فجزاؤه مثلها أو أغفر، ومن عمل قُراب الأرض خطيئة ثم لقيني لا يشرك بي شيئًا جعلت له مثلها مغفرة، ومن اقترب إليّ شبرًا اقتربت إليه ذراعًا، ومن اقترب إليّ ذراعا اقتربت إليه باعا، ومن أتاني يمشي أتيته هَرولة»[2].

(١) متفق عليه.

(٢) رواه مسلم وابن ماجه.



ومن فضل الله تعالى أن الحسنة قد تُضاعف لسبعمائة ضِعف، وأكثر:

قال تعالى: ﴿ مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِى كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّا۟ئَةُ حَبَّةٍ ۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ [البقرة ٢٦١].

- ## القاعدة الخامسة: إقامة الشهود:

الشهود هناك حاضرون، في محكمة الحساب والجزاء يوم القيامة، وهم شهود ملازمون للعبد في الدنيا، لا يتوقّعهم العبد، ولا ينتبه إلى مراقبتهم له.

الملائكة الحافظون، والحفظة الكاتبون، وأعضاء العبد.. كلها تشهد له أو عليه يوم القيامة..نعم تشهد له إن عمل طاعة.. وتشهد عليه إن فعل معصية..

قال تعالى: ﴿ وَمَا تَكُونُ فِى شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا۟ مِنْهُ مِن قُرْءَانٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ ۚ وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَلَآ أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرَ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴾ [يونس ٦١].

وقال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدًا ﴾ [النساء ٣٣].

ويبعث الله من رسله ومن شاء من مخلوقاته شهداء على العباد: كما قال تعالى عن شهادة الأنبياء على أقوامهم: ﴿ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍۭ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا ﴾ [النساء: ٤١].

وقال: ﴿ وَنَزَعْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا فَقُلْنَا هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ ﴾ [القصص ٧٥].

وقال تعالى: ﴿ وَجَآءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّعَهَا سَآئِقٌ وَشَهِيدٌ ﴾ [ق ٢١].

وممن يشهد أيضًا:

الأرض: فتشهد بما عُمل عليها.. ﴿ يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ﴾ [الزلزلة: ٤].

والليل والنهار: يشهدان بما فُعِل فيهما.

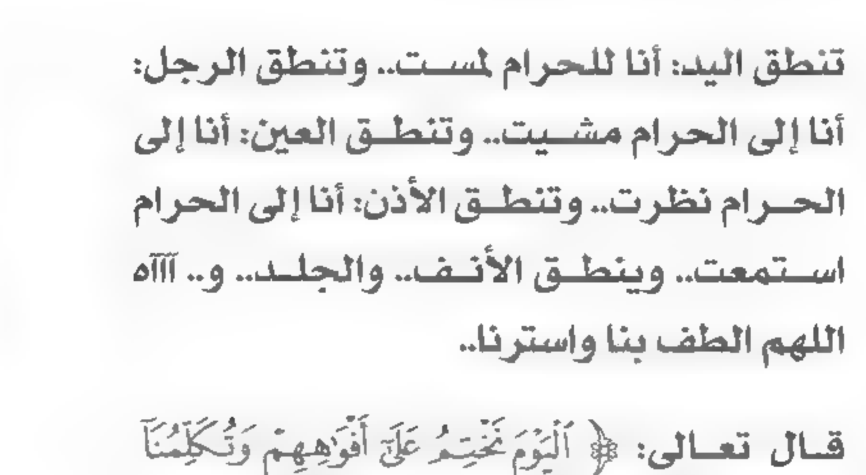
والمال: يشهد على صاحبه، من أين اكتسبه؟ وفيم أنفقه؟

والملائكة: تشهد على العباد بما كانوا يعملون.

إذا أنكر العبد شيئًا من عمله:

في يوم القيامة يُنكِر بعض العباد أعمالاً مسجلة في صحفهم، ويزعمون أنهم لم يعملوها، وإذا لجّ العبد في الخصومة وكذّب الشهود الذين شهدوا عليه، ختم الله على فِيه وأمر أعضاءه فنطقت..وأخبرت بما فعلت..

ما!!!! أصعب ذلك الموقف؟!!





تنطق اليد: أنا للحرام لمست.. وتنطق الرجل: أنا إلى الحرام مشيت.. وتنطق العين: أنا إلى الحرام نظرت.. وتنطق الأذن: أنا إلى الحرام استمعت.. وينطق الأنف.. والجلد.. و.. آآآه اللهم الطف بنا واسترنا..

قال تعالى: ﴿ ٱلْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰٓ أَفْوَٰهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَآ أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴾ [يس: ٦٥].

قال أبو موسى الأشعري: «يُدعى الكافر والمنافق يوم القيامة للحساب فيَعرِض عليه ربه عمله فيجحده، ويقول: أي ربِّ! وعزتك لقد كَتب عليَّ هذا المَلك ما لم أعمل! فيقول المَلك: أما عملت كذا في يوم كذا في

مكان كذا؟! فيقول: لا، وعزتك أي رب ما عملته! فإذا فعل ذلك خُتم على فيه وتكلمت أعضاؤه ثم تلا ﴿ ٱلْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰٓ أَفْوَٰهِهِمْ ﴾»[1].

وقال ﷺ: «يقول العبد: يا ربِّ ألم تجرني من الظلم؟ فيقول: بلى، فيقول العبد: فإني لا أجيز على نفسي إلا شاهدًا مني، فيقول: كفى بنفسك اليوم عليك شهيدًا، وبالكرام الكاتبين شهودًا، ثم يختم على فيه ويقال لجوارحه: انطقي! فتنطق بأعماله، ثم يخلى بينه وبين الكلام فيقول: بُعدًا لكُنَّ وسحقًا فعنكُنَّ كنت أُناضل»[2].

وقال تعالى: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا مَا جَآءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَٰرُهُمْ وَجُلُودُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ [فصلت ٢٠].

الأمور التي يُسأل عنها العباد:

﴿ وَقِفُوهُمْ ۖ إِنَّهُم مَّسْـُٔولُونَ ﴾ [الصافات ٢٤]، **هكذا قال ربنا تبارك وتعالى، يُسأل العباد عن أعمالهم، ونياتهم وأقوالهم، وقد وردت النصوص في أشياء يُسأل عنها العباد:**

• أولا: أعظم الذنوب الشِّرك:



أعظم ذنب عند الله تعالى أن تجعل لله نِدًّا وهو خلقك، والشرك لا يغفره الله أبدًا، كما بين الله تعالى ذلك بقوله: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفْتَرَىٰٓ إِثْمًا عَظِيمًا ﴾ [النساء ٤٨].

(١) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره عند كلامه عن الآية.

(٢) رواه مسلم.

وفي ذلك اليوم يتَبرّأ المعبودون ممن عبدوهم، ويُقرّع الله المشركين، كما قال تعالى: ﴿ وَقِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٩٢﴾ مِن دُونِ ٱللَّهِ هَلْ يَنصُرُونَكُمْ أَوْ يَنتَصِرُونَ ﴾ [الشعراء: ٩٢- ٩٣]. وقال ﴿ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴾ [القصص: ٧٤].

ويُسأل الذين كانوا يذبحون لغير الله.. كمن يذبح تقربًا إلى الأصنام، أو القبور، كما قال تعالى: ﴿ وَيَجْعَلُونَ لِمَا لَا يَعْلَمُونَ نَصِيبًا مِّمَّا رَزَقْنَٰهُمْ ۗ تَٱللَّهِ لَتُسْـَٔلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَفْتَرُونَ ﴾ [النحل: ٥٦].

ويُسألون عن تكذيبهم للرسل.. كما قال تعالى: ﴿ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَآ أَجَبْتُمُ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٦٥﴾ فَعَمِيَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَنۢبَآءُ يَوْمَئِذٍ فَهُمْ لَا يَتَسَآءَلُونَ ﴾ [القصص: ٦٥- ٦٦].

- **ثانيا: يُسأل العبد عمّا عمله في دنياه:**

يسأل العبد عن أعماله من حسنات وسيئات، كما قال تعالى: ﴿ فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٢﴾ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ [الحجر: ٩٢- ٩٣].

نعم يسألهم أجمعين.. الكل يُسأل: الغني والفقير.. والملك والأمير.. والعربي والأعجمي.. والأبيض والأسود.. والحر والعبد.. كلهم مسئولون.. عما كانوا يعملون..

بل يُسأل الرُسل عن أقوامهم.. ويُسأل الأقوام عن رُسُلهم.. كما قال تعالى: ﴿ فَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٦﴾ فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيْهِم بِعِلْمٍ ۖ وَمَا كُنَّا غَآئِبِينَ ﴿٧﴾ وَٱلْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ ۚ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٨﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُم بِمَا كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يَظْلِمُونَ ﴾ [الأعراف: ٦- ٩].

وقال ﷺ: «لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يُسأل عن أربع: عن عمره فيم أفناه، وعن علمه ماذا عمل به، وعن ماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه، وعن جسمه فيم أبلاه»[1].

---

(١) رواه الترمذي.

- **ثالثا: يُسأل عن النعيم الذي تمتّع به:**

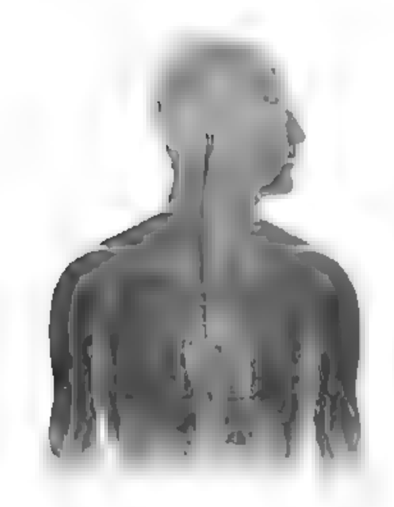
البيوت الواسعة.. والسيارات الفارهة.. والمشارب والمطاعم اللذيذة.. اللباس الناعم.. والخَدَم والحَشَم.. شِبَع البطون.. وبارد الماء.. وظلال المساكن.. واعتدال الخلق.. ولذة النوم.. حتى شَرْبة العسل..

قال تعالى: ﴿ ثُمَّ لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ ﴾ [التكاثر: ٨].

وقال ﷺ: «إن أول ما يسأل العبد عنه يوم القيامة من النعيم أن يقال له: ألم نُصحَّ لك جسمك؟ ونُرويك من الماء البارد»[١].

ولا ينبغي للعبد أن يحتقر شيئًا من النعيم:

سأل رجل عبد الله بن عمرو فقال: ألسنا من فقراء المهاجرين؟ **فقال عبد الله:** ألك امرأة تأوي إليها؟ **قال:** نعم. **قال:** ألك مسكن تسكنه؟ **قال:** نعم. **قال:** فأنت من الأغنياء. **قال:** فإن لي خادما. **قال:**فأنت من الملوك!![٢].



- **رابعًا: يُسأل عن السمع والبصر والفؤاد:**

يتفاوت الناس في النعم، والقدرات والحواس، وكلما كان العبد أقدر، كان الحساب أدقّ، قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَـٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴾ [الإسراء: ٣٦].

(١) رواه الترمذي.

(٢) هو في عمدة التفسير – أحمد شاكر ١/٦٥٧، إسناده صحيح.

قـال قتادة: « لا تقـل: رأيت، ولم تـر! وسمعت، ولم تسـمع! وعلمت، ولم تعلم! فإن الله سائلك عن ذلك كله .. »[1].

أول من يُحاسَب من الأمم:



مع طول انتظار الحساب يوم القيامة، والناس في فزعهم، وخوفهم، وقد عرضت النـار أمامهم، وخـاف الأنبياء، واضطرب الأولياء، وتحيّر المؤمنـون، وعرِق العصاة والمذنبون، وطـال انتظارهم.. عندها يبدأ الحساب.

ومـن رحمة الله تعـالى بأمتنـا، وحب الملك لنبينا، أن أول من يُحاسب من الأمم أمة محمد ﷺ.

كمـا قـال ﷺ: « نحن آخـر الأمم، وأول من يُحاسـب[2]. يقـال: أين الأمة الأميَّة، ونبيها؟ فنحن الآخِرون الأوَّلُون »[3].

وقـال ﷺ: « نحن الآخرون من أهل الدنيـا، والأوَّلون يوم القيامة، المقضي لهم قبل الخلائق »[4].

---

(١) تفسير ابن كثير، عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا﴾ [الإسراء: ٣٦].

(٢) المعنى: نحن آخر الأمم وجودًا في الأرض، لأن نبينا محمدًا ﷺ هو آخر الأنبياء، ونحن أول من يحاسـب تخفيفًا على أمة الإسلام.

(٣) رواه ابن ماجه، صحيح.

(٤) روه مسلم.

أول ما يُقضى فيه بين الناس:



من أعظم الجرائم والذنوب أن يسفك العبد دمًا بغير حق، وفي زماننا مع الأسف مع انتشار آلات وأسلحة القتل من مسدسات متنوعة سهلة الاستعمال، وغيرها، وقع عند بعض الناس تساهل وتسرع في ذلك، وقد أخبر النبي ﷺ أن ذلك من أشراط الساعة، فقال:

«لا تقوم الساعة حتى يكثر الهرج. **قالوا:** وما الهرج؟ **قال:** القتل القتل»[1].

ولعظيم حق الدماء، قال ﷺ: «أول ما يقضى بين الناس يوم القيامة في الدماء»[2].

وقال ﷺ: «يجيء الرجل آخذا بيد الرجل، فيقول: يا رب هذا قتلني، فيقول الله له: لم قتلته؟ فيقول: قتلته لتكون العزة لك، فيقول: فإنها لي. ويجيء الرجل آخذا بيد الرجل، فيقول: إن هذا قتلني، فيقول الله له: لم قتلته؟ فيقول: لتكون العزة لفلان، فيقول: إنها ليست لفلان، فيبوء بإثمه»[3].

فعلى العبد أن يحذر من سفك الدم بغير حق، وأن يبتعد عن الخصومات والمشاجرات، ومواضع التُّهم، وأن يملك نفسه عند الغضب، ويسأل الله تعالى السلامة والعافية.

---

(١) متفق عليه.

(٢) متفق عليه.

(٣) رواه النسائي، صحيح.

حال العباد يوم الفصل والقضاء:

يوم المحشر والقضاء، والفصل والنداء، طويل عسير، إلا على من يسره الله تعالى عليه، والناس في ذلك اليوم على أحوال:

فعند العرض على الكريم الجبار جل جلاله، في رهبة الموقف، وخوف المُقتَرِف، يتبرأ الناس بعضهم من بعض، وينسى كل ذي نسب نسبه وقرابته، كما قال تعالى: ﴿ فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ ﴾ [المؤمنون: ١٠١].

ومهما بلغت قوة صداقة الرجلين، وارتقت درجة المحبة بين اثنين، إلا أنهما يتبرّءان من بعضهما يوم القيامة، وكل يقول: نفسي.. نفسي.. كما قال تعالى: ﴿ وَلَا يَسْـَٔلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا ﴾ [المعارج: ١٠].

بل يَفِرّ المرء من أهله وأحبابه، ويهرب من إخوانه وأصحابه.. وقد ذلّت للملك الرِّقاب، ولانت له الصِّعاب، وخضع أولو الألباب.. ﴿ وَعَنَتِ ٱلْوُجُوهُ لِلْحَيِّ ٱلْقَيُّومِ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا ﴾ [طه: ١١١].

فما أفظع ذاك الموقف!.. اللهم الطف بنا..

الناس يرتجفون.. والرسل يتضرعون.. الألسُن مُنعَقِدة.. والعقول مُتَوَقِّدَة.. والأعمال متنوعة متعددة..

قال ﷺ: «ولا يتكلم يومئذ إلا الرُسُل»[1].

وفي ذلك اليوم.. يجد العباد ما عملوا حاضرًا بين أيديهم، كما قال تعالى: ﴿ يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوٓءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُۥٓ أَمَدًۢا بَعِيدًا وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴾ [آل عمران: ٣٠]، ولا يغيب في ذلك اليوم ما عمله الإنسان في حياته..

(١) متفق عليه.

وآثارهم..

﴿ إِنَّا نَحْنُ نُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا۟ وَءَاثَـٰرَهُمْ ۚ وَكُلَّ شَىْءٍ أَحْصَيْنَـٰهُ فِىٓ إِمَامٍ مُّبِينٍ ﴾ [يس: ١٢].

هكذا قال ربنا تعالى.. واصفًا حال الإنسان وعمله.. يُكتب ما قدّم قبل موته.. ويُكتب ما ترك من أعمال وهي آثاره..



نعم.. الحساب دقيق.. حيث يحضر بين يديه ما عمله قبل أن يموت وما تركه من عمله بعد موته.. فإن كان ورّث مصحفًا.. أو حفر بئرًا.. أو أجْرى نهرًا.. أو كفل يتيمًا.. أو نشر علمًا.. أو ترك ولدًا صالحًا.. فكلها تبقى تحسب له عمل صالح حتى بعد موته..

وكذلك من ترك شيئًا محرمًا.. كمن مات وترك محلًا يبيع الخمور.. أو مَرقصًا.. أو قناة فضائية تنشر الفساد.. أو كُتبًا سيئة..

كله يجده الإنسان أمامه.. كما قال تعالى:

﴿ يُنَبَّؤُا۟ ٱلْإِنسَـٰنُ يَوْمَئِذٍۭ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ ﴿١٣﴾ بَلِ ٱلْإِنسَـٰنُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ بَصِيرَةٌ ﴿١٤﴾ وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرَهُۥ ﴾ [القيامة: ١٣ - ١٥].

ومهما احتقر الإنسان معصية فإنه يستعظمها يوم القيامة..

قــال ﷺ: «اياكم ومحقَّرات الذنوب، فانما مثل محقَّرات الذنوب كمثل قوم نزلوا بطن وادٍ فجاء ذا بعُود وذا بعُودٍ، حتى جمعوا ما انضجوا به خبزهم، وإن محقرات الذنوب متى يؤخذ بها صاحبها تهلكه»[1].

(١) رواه ابن حِبّان وأحمد، صحيح.

❁ أنواع أداء الحقوق يوم القيامة:

الحق هو الواجب الذي يطالَب الإنسان بأدائه لغيره، وقد جعل الله تعالى للإنسان حقوقًا، وجعل عليه حقوقًا، وقد ضمن الله تعالى له حقوقه، وحذره بالمحاسبة على ما عليه من حقوق إن قصَّر فيها.

- **حقوق الله تعالى:**

حق الله تعالى على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئًا، ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة، وبقية العبادات.. فأول ما يسأل عنه الناس: ماذا كنتم تعبدون؟ ماذا أجبتم المرسلين؟

ومن حقوق الله تعالى على العبد أن يؤدي العبادات التي أوجبها عليه.

وأول ما يحاسب عليه العبد من العبادات هي الصلاة،

قال ﷺ: «إن أول ما يحاسب به العبد يوم القيامة من عمله صلاته: فإن صلحت فقد أفلح وأنجح، وإن فسدت فقد خاب وخسر، فإن انتقص من فريضته شيئا قال الرب تبارك وتعالى: انظروا هل لعبدي من تطوُّع فيكمل بها ما انتُقص من الفريضة، ثم يكون سائر عمله على ذلك»[1].

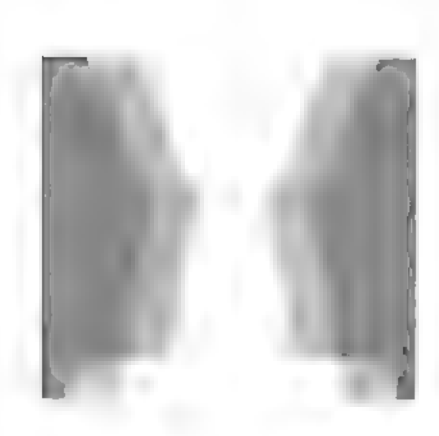
وقال ﷺ: «إن أول ما يحاسب الناس به يوم القيامة من أعمالهم: الصلاة، يقول ربنا ﷻ لملائكته: انظروا في صلاة عبدي أتمها أم نقصها؟ فإن كانت تامة كُتبت له تامة، وإن كان انتقص منها شيئا، قال: انظروا هل لعبدي من تطوّع؟ فإن كان له تطوع، قال: أتموا لعبدي فريضته من تطوعه، ثم تؤخذ الأعمال بعد ذلك»[2].

---

(١) رواه الترمذي والنسائي.

(٢) رواه أبو داود.

• حقوق العباد:



جعل الله تعالى للعباد حقوقًا لبعضهم على بعض: فجعل للأب حقًا على ولده، وللولد حقًا عليه، وجعل للجار حقًا على جاره، وجعل للزوجين حقوقًا على بعضهما، بل جعل للحيوان حقًا.. وللأشجار حقًا.. وجعل بين العباد مباحات ومحرمات..

وأول ما يحاسب عليه العبد من حقوق العباد: الدماء.. فمن مات مقتولًا.. أو ضُرب فجُرح وسال دمه.. أو شُجّ رأسه.. فهي أول شيء يُقضى فيه من حقوق العباد فيما بينهم..

كما قال ﷺ: «أول ما يقضى بين الناس يوم القيامة في الدماء»[1].

من يضرب الناس:

الذي يعتدى على غيره بالضرب، يُقتصّ منه بالضرب في يوم القيامة، كما قال ﷺ: «من ضرب بسوط ظلما اقتُصّ منه يوم القيامة»[2]

وقال ﷺ: «ما من رجل يضرب عبدا له إلا أقيد منه يوم القيامة»[3].

وعن أم سلمة زوج النبي ﷺ، قالت: «كان رسول الله ﷺ في بيتي وكان بيده سواك. فدعا وصيفة له، أو لها، حتى استأثر الغضب في وجهه.

(١) متفق عليه.

(٢) رواه البيهقي والبخاري في الأدب المفرد، صحيح.

(٣) أخرجه البزّار في مسنده، صحيح لغيره.

فخرجت أم سلمة إلى الحجرات، فوجدت الوَصِيفَة وهي تلعب ببهيمة، فقالت:

ألا أراك تلعبين بهذه البهيمة ورسول الله ﷺ يدعوك؟

فقالت: لا والذي بعثك بالحق ما سمعتك!!

فقال رسول الله ﷺ: لولا خشية القود، لأوجعتك بهذا السواك »[1].

فإذا كان هذا خوفه ﷺ وهو نبي مُقرَّب، فما بالك بغيره من عامة الناس!

صاحب الدَّيْن:



حقوق الناس لا تضيع، بل يُعطي الله تعالى كل ذي حق حقه، ولو كان شيئًا يسيرًا، كما قال ﷺ:

« من كانت عنده لأخيه مظلمة فليتحلَّله اليوم قبل أن لا يكون دينار ولا درهم، إن كان له عمل صالح أُخذ من حسناته بقدر مظلمته، فإن لم يكن له حسنات أُخذ من سيئات صاحبه فحُمل عليه »[2].

فالمَدِين الذي مات وللناس في ذمته مال، لم يسدده لهم في الدنيا فإن أصحاب الأموال في الآخرة يأخذون من حسناته بمقدار ما لهم عنده، كما قال ﷺ: « من مات وعليه دينار أو درهم قُضي من حسناته، ليس ثَمَّ دينار ولا درهم »[3].

(١) رواه أبو يَعلى الموصلي في مسنده، حسن، ومعنى الوصيفة: هي الجارية الصغيرة التي تخدم أهل البيت، والقَوَد هو: القصاص يوم القيامة.

(٢) رواه البخاري.

(٣) رواه ابن ماجه، صحيح.

الذي يقذِف الناس:

القَذف: رمي المرأة أو الرجل بالزنا أو ما يجري مَجراه، فالذي يقذف أحدًا بالزنـا أو غيره فإنه يُقتصّ منه في الدنيـا والآخرة، ومن قذف مملوكه بالزنا يقام عليه الحد في يوم القيامة إن كان كاذبًا، كما قال ﷺ:

«من قذف مملوكه بالزنا يُقام عليه الحد يوم القيامة إلا أن يكون كما قال»[1].

وقـال ﷺ: «من قذف مملوكه وهو بريء مما قال، جُلد يوم القيامة، إلا أن يكون كما قال»[2].

المُتسلّط على الضعفاء:

من تسلط على الضعفاء بقوته، أو سلطته، أو استغل منصبه أو علاقاته، أو ذكاءه، لظلم الضعفاء وقهرهم، فإنه يُقتص منه يوم القيامة.

كما في حديث عائشة ﵂: «أن رجلا قعد بين يدي النبي ﷺ فقال:

يا رسول الله، إن لي مملوكين يكذبونني، ويخونونني، ويعصونني، وأشتُمهم وأضربهم، فكيف أنا منهم؟

قال ﷺ: يُحسب مـا خانوك وعصوك وكذبوك، وعقابـك إياهم: فإن كان عقابـك إياهم بقدر ذنوبهم، كان كفافا لا لك ولا عليك، وإن كان عقابك إياهـم دون ذنوبهـم، كان فضلا لك، وإن كان عقابـك إياهم فوق ذنوبهم، اقتُصّ لهم منك الفضل.

فتنحّى الرجل فجعل يبكي ويهتف.

(1) رواه مسلم.

(2) رواه البخاري.

فقال رسـول الله ﷺ: أما تقرأ كتاب الله: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ﴾ [الأنبياء: ٤٧].

فقال الرجل: والله يا رسول الله ما أجد لي ولهؤلاء شيئا خيرا من مفارقتهم، أُشهدكم أنهم أحرار كلهم »[١].

ولما كان هذا شأن الظلم فحَرِيٌّ بنا أن نخافه ونحذره ونجتنبه، وقد أخبر النبي ﷺ أن الظلم يكون ظلمات على صاحبه يوم القيامة، فقال ﷺ: « اتقوا الظلم، فإن الظلم ظلمات يوم القيامة »[٢].

كيف يقتص من العبد يوم القيامة؟

مسألة

الجواب: من كانت عليه مظالم للعباد فإنهم يأخذون من حسناته بقدر ما ظلمهم، فإن لم يكن له حسنات أو فَنِيَت حسناته، فإنه يؤخذ من سيئاتهم فتُطرح فوق ظهره. كما قال ﷺ:

« من كانت له مظلمة لأحد من عرضه أو شيء فليتحلله منه اليوم، قبل أن لا يكون دينار ولا درهم، إن كان له عمل صالح أُخذ منه بقدر مظلمته، وإن لم تكن له حسنات أخذ من سيئات صاحبه فحُمل عليه »[٣].

(١) رواه الترمذي وأحمد، صحيح.
(٢) رواه مسلم.
(٣) رواه البخاري.

- **حقوق البهائم:**



من عدل الله تعالى ودقة حكمته بين خلقه، أنه لا يأخذ الحقوق من البشر لبعضهم البعض، بل حتى البهائم يُقتص لبعضها من بعض، كما قال ﷺ:

« لَتُؤَدُّنَّ الحقوق إلى أهلها يوم القيامة حتى يُقاد للشاة الجَلْحاء من الشاة القَرْناء»[1].



بل يُحكم ما بين البشر والبهائم: فمن آذى بهيمة في الدنيا، حوكم وعوقب يوم القيامة، كما قال ﷺ:

« عُذِبت امرأة في هِرَّة حبستها حتى ماتت فدخلت فيها النار، لا هي أطعمتها وسقتها إذ هي حبستها، ولا هي تركتها تأكل من خَشاش الأرض »[2].

فهذا غاية العدل والإنصاف.. فإن الله تعالى يفصل الخصومات بين عباده، وينتصر للمظلوم على الظالم، ويؤتي كل ذي حق حقه، فيعيد للمسروق حقه من السارق، وللضعيف حقه من القوي.

(١) رواه مسلم، ومعنى الشاة الجلحاء: هي الشاة التي لا قرن لها، فلا تستطيع ضرب غيرها، والشاة القرناء: هي التي لها قرن تنطح به، وتضرب.

(٢) متفق عليه.

الشهود في محكمة القيامة:

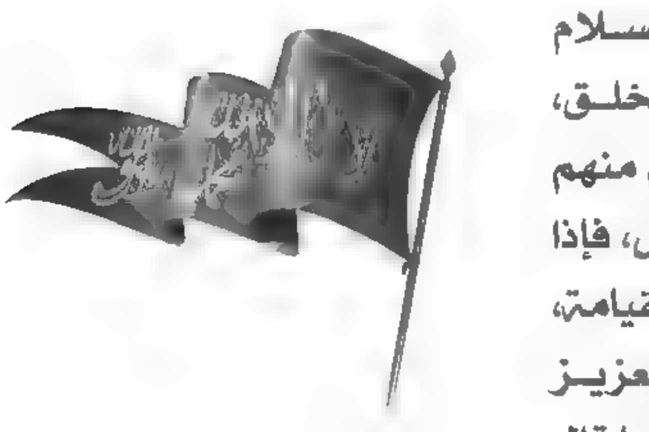
في يوم القيامة تُشرق الأرض بنور ربها حين يتجلّى الله تعالى لفصل القضاء بين خلقه، والحكم بينهم، ويُؤتى بالنبيين والشهداء، كما قال تعالى: ﴿وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ الْكِتَابُ وَجِيءَ بِالنَّبِيِّينَ وَالشُّهَدَاءِ﴾ [الزمر: ٦٩].

وعندها في تلك المحكمة الكبرى يُفصل بين الخلائق.. فمن شهود المحكمة؟ وعلى ماذا يشهدون؟

أول من يخبر العباد بأعمالهم هو الله جل جلاله.. فهو شهيدٌ على عباده، مُطّلع عليهم، لا يخفى عليه منهم شيء، كما قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا تَعْمَلُونَ﴾ [آل عمران: ٩٨].

- **نبينا محمد ﷺ وأمّته يشهدون على الأمم:**

الرسل عليهم الصلاة والسلام أرسلهم الله تعالى رحمة للخلق، مبشرين ومنذرين، وأقوامهم منهم مُهْتَدٍ ومنهم مكذب معرض، فإذا اجتمع الرسول بأمته يوم القيامة، ووقفوا جميعًا بين يدي العزيز الحكيم جل وعلا، فكانوا كما قال تعالى:



﴿فَلَنَسْأَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْأَلَنَّ الْمُرْسَلِينَ ۝٦ فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيْهِم بِعِلْمٍ ۖ وَمَا كُنَّا غَائِبِينَ﴾ [الأعراف: ٦-٧].

فإذا كذّب الأقوام وأنكروا أن رسولهم بلغهم، عندها يشهد نبينا محمد ﷺ وأمّته للرسل بالبلاغ، يشهدون أنّ الرسل بلّغوا أممهم، كما قال تعالى: ﴿لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾ [البقرة: ١٤٣].

وقال ﷺ: «يُدعى نوح يوم القيامة فيقول: لبّيك وسعديك يا رب؟ فيقول: هل بلغت؟ فيقول: نعم. فيقال لأمته: هل بلغكم؟ فيقولون: ما أتانا من نذير! فيقول: من يشهد لك؟ فيقول: محمد، وأمته. فتشهدون أنه قد بلغ. فذلك قوله جل ذكره: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَـٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ [البقرة: ١٤٣]، والوسط العدل»[1].

فأمّة محمد ﷺ يوم القيامة يكونون شهداء على الناس.. وفي رواية أن أمّة محمد ﷺ تشهد لجميع الأنبياء على أممهم، قال ﷺ:

«يجيء النبي يوم القيامة ومعه الرجل، والنبي ومعه الرجلان، وأكثر من ذلك. فيُدعى قومه، فيقال لهم: هل بلّغكم هذا؟ فيقولون: لا. فيقال: من يشهد لك؟ فيقول: محمد و أمّته. فتُدعى أمة محمد ﷺ، فيقال: هل بلغ هذا؟ فيقولون: نعم فيقول: و ما علمكم بذلك؟ فيقولون: أخبرنا نبينا ﷺ بذلك أن الرسل قد بلّغوا فصدقناه»[2].

- **نبينا محمد ﷺ يشهد على أمته:**



فإنه شهيد على أمته، يشهد أنه بلّغهم، وبيّن لهم، وأنذرهم، وما ترك خيرًا إلا دلّهم عليه، ولا شرًا إلا حذّرهم منه، كما قال تعالى: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍۭ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَـٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا﴾ [النساء: ٤١].

(١) رواه البخاري.
(٢) رواه أحمد، صحيح.

وقال تعالى: ﴿وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ [البقرة: ١٤٣].

ومن رحمته ﷺ بأمته.. ومحبته لهم.. أنه تَذكَّر شهادته على أمته يوم القيامة.. فبكى.. حتى بلّ الدمع وجهه الشريف.. بأبي هو وأمي وروحي ﷺ.. فإنه جلس إليه عبد الله بن مسعود رضي الله عنه يومًا.

فقال له ﷺ: « اقرأ عليّ.

فقال ابن مسعود: يا رسول الله، أقرأ عليك وعليك أنزل؟!!

قال: نعم، إني أحب أن أسمعه من غيري.

قال: فقرأت سورة النساء حتى أتيت إلى هذه الآية: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا﴾ [النساء: ٤١].

فقال ﷺ: حسبك الآن.. فالتفتُ إليه فإذا عيناه تذرفان »[١].

فما أرقّ تلك الدمعات الطاهرات منه على أمته ﷺ.. وحَرِيٌّ بنا نحن أن نُحْسِن العمل لنلقى الله تعالى وهو راضٍ عنا، ونلقى رسولنا ﷺ فيفرح بنا.

- كل رسول يشهد على أمته:

يأتي بقية الرسل عليهم الصلاة والسلام شهداء على أقوامهم، يشهدون أنهم بلغوهم الدين، وحذروهم من الشرك، كما قال تعالى:

﴿وَنَزَعْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا فَقُلْنَا هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ فَعَلِمُوٓا۟ أَنَّ ٱلْحَقَّ لِلَّهِ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ﴾ [القصص: ٧٥].

والمقصود بالشهيد هنا رسولهم الذي أرسل إليهم.

(١) متفق عليه.

• الملائكة الحافظون:

فالملائكة لا يفارقون العبد في حضر ولا سفر، ولا يقظة ولا مَنام، يُحصون عليه أفعاله، ويكتبون أقواله وأعماله، ولا يفوتهم شيء من حركاته ولا سكناته، كما قال تعالى: ﴿وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا﴾ [يونس: ٦١].

فهؤلاء يشهدون على العبد يوم القيامة، فقد رأوه لما صلى، وسمعوه لما دعا، وراقبوه لما مشى، وصحِبوه في سفره، وأقاموا معه في حضره.

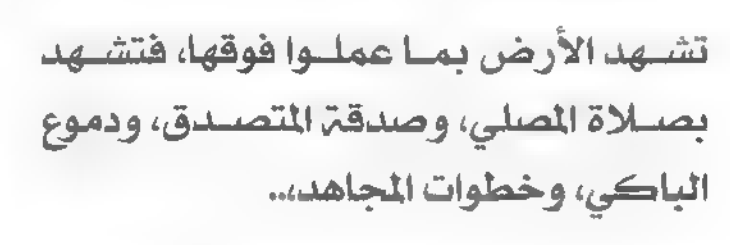
فيُجاء بهم يوم القيامة فيشهدون، كما قال تعالى: ﴿وَجِاْىٓءَ بِٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلشُّهَدَآءِ﴾ [الزمر: ٦٩].

• شهادة الإنسان وإقراره على نفسه:

فيشهد على نفسه، ويُقر بعمله، فيشهد الكفار على أنفسهم بالكفر، ويشهد العصاة على أنفسهم بالمعصية، ولا يملكون الإنكار، ولا الكذب، لكثرة الشهود عليهم، كما قال تعالى: ﴿وَشَهِدُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُواْ كَٰفِرِينَ﴾ [الأعراف: ١٣٠].

• شهادة الأرض:




تشهد الأرض بما عملوا فوقها، فتشهد بصلاة المصلي، وصدقة المتصدق، ودموع الباكي، وخطوات المجاهد..

وتشهد أيضًا.. بفجور الزاني، وطغيان السارق، وجريمة القاتل..

وأنَّى للعبد أن يستتر من أرض تُقِلّه، أو سماء تُظِلّه؟! نعم.. كما قال تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ۝ بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا﴾ [الزلزلة: ٤، ٥].

قال أبو هريرة ﷺ: قرأ رسول الله ﷺ: ﴿ يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ﴾ **فقال:** « أتدرون ما أخبارها؟ **قالوا:** الله ورسوله أعلم. **قال:** أخبارها: أن تشهد على كل عبد أو أمة بما عمل على ظهرها. تقول: عمل يوم كذا: كذا وكذا. فهذه أخبارها »[1].

وقـال ﷺ: « تحفَّظوا من الأرض فإنها أُمّكم، وإنه ليس من أحد عامل عليها خيرًا أو شرًّا إلا وهي مُخبِرة به »[2].

فما دام أن العبد يعلم أنه سيقابل ربًا لا تخفى عليه من عمله خافية، فكيف يجرؤ على المعصية؟!!

• شهادة أعضاء العبد:

العين التي يبصر بها.. والأذن التي يسمع بها.. واليد التي ينطِش بها.. والرجل التي يمشي عليها.. بل يشهد عليه جلده في كل مواضع جسده.. تنطق الساق والبطن والظهر والفخذ..



كما قال تعالى: ﴿ ٱلْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰٓ أَفْوَٰهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَآ أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴾ [يس: ٦٥].

وقال تعالى: ﴿ يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ [النور: ٢٤].

فواحسرتاااه من موطن تشهد فيه الأعضاء وتنطق..

وقال أنس ﷺ: كنا عند رسول الله ﷺ فضحك، فقال:

---

(١) رواه الترمذي وقال حسن صحيح.

(٢) أخرجه الطبراني في معجمه.

« هل تدرون مم أضحك؟ قلنا: الله ورسوله أعلم. قال: من مخاطبة العبد ربه يقول: يا رب ألم تجرني من الظلم؟ فيقول: بلى. فيقول: فإني لا أجيز على نفسي إلا شاهدا مني[1]! فيقول: كفى بنفسك اليوم عليك شهيدا، وبالكرام الكاتبين شهودا، فيختم على فيه! فيقال لأركانه: انطقي. فتنطق بأعماله. ثم يخلى بينه وبين الكلام. فيقول: بعدا لكن وسحقا. فعنكن كنت أناضل »[2].

نعم.. يقال لأَركانه وهي جَوارِحه وأطْرافه، اليد والرجل.. يُقال لها: انطقي بما فعلت! فتنطق وتظهر الفضائح، وتتكلم بالقبائح، وتكشف المستور، وتُذِل المغرور، ثم إذا اعترفت ونطقت وهو يسمع ولا يملك أن يعترض لأن فَمَه مغلق وهو ممنوع من الكلام، فيؤذن له بالكلام، فيبدأ بلَوْمها وعِتابها، ويقول كنت أدافع عنكُنّ وأحُول بينكُنّ وبين النار..!!

وقال ﷺ في أثناء كلامه عن سؤال العباد يوم القيامة:

«... ثم يلقى الثالث فيقول له مثل ذلك، فيقول: يا رب آمنت بك، وبكتابك، وبرسلك، وصليت، وصمت، وتصدقت، ويثني بخير ما استطاع، فيقول: هاهنا إذا، ثم يقال له: الآن نبعث شاهدنا عليك، ويتفكر في نفسه: من ذا الذي يشهد عليّ؟!! فيختم على فيه، ويقال لفخذه ولحمه وعظامه: انطقي، فتنطق فخذه، ولحمه، وعظامه، بعمله، وذلك ليعذر من نفسه وذلك المنافق وذلك الذي يسخط الله عليه »[3].

(١) المعنى أن العبد لشدة تكذيبه لا يقبل شهادة الشهود عليه من الملائكة وغيرهم، ويقول لا أقبل شاهدًا إلا من نفسي، فأنا أشهد وأخبر بأعمالي، ولا أقبل أن يخبر غيري عني!! عندها يُغلق فمه فلا يستطيع فَتحه ليتكلم، وتؤمر جوارحه بالكلام.

(٢) رواه مسلم.

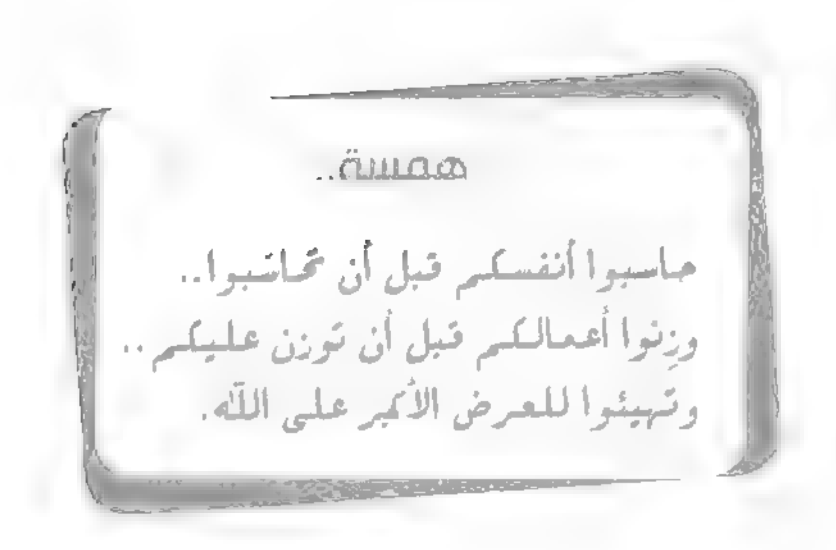
(٣) رواه مسلم.

- **شهادة الأحجار والأشجار:**



فهي تشهد للناس أو عليهم، ومن ذلك شهادتها للمؤذن يوم القيامة، وهذا من فضل الأذان أن كل من سمعه من الجن والإنس والشجر والحجـر، يشـهد للمـؤذن، كما قال ﷺ:

« فإنه لا يسمع مدى صوت المؤذن جن ولا إنس ولا شيء إلا شهد له يوم القيامة »[1].



(١) رواه البخاري.

الميزان

تمهيد: يوم المحشر ينصب الميزان لوزن أعمال العباد؛ لأن الوزن للجزاء، فيكون بعد الحساب على الأعمال، فإن حساب العباد هو لتقدير أجور أعمالهم، والوزن لإظهار مقاديرها ليكون الجزاء بحسبها.

- فما الميزان؟
- وما صفته؟ وكيف شكله؟
- وما الذي يوزن فيه؟
- وهل توزن جميع الأعمال؟

مدخل

ذكر الله تعالى الميزان في كتابه، وأمر بالاستعداد لوزن الأعمال، وبين النبي ﷺ صفته، وأوضح ما يَثقُل في الميزان من الأعمال وما يَطِيش ويخِفّ.

الأدلة على إثبات الميزان:



قال تعالى:

﴿ وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ ﴾ [الأنبياء: ٤٧].

وقال تعالى:

﴿ فَإِذَا نُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ ﴿١٠١﴾ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٢﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فِى جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ﴾ [المؤمنون: ١٠١-١٠٣].

وقال ﷺ: « كلمتان خفيفتان على اللسان، ثقيلتان في الميزان، حبيبتان إلى الرحمن: سبحان الله وبحمده، سبحان الله العظيم »[1].

وقال ﷺ عن ساقَيْ عبدالله بن مسعود رضي الله عنه: « لَهما في الميزان أثقل من أُحد » **وسيأتي الحديث كاملاً في الصفحات التالية.**

وفي الترمذي وغيره حديث البطاقة، وسيأتي ذكر الحديث كاملاً في الصفحات التالية.

(١) رواه البخاري.

۞ شكل الميزان:

دلَّت النصوص على أن الميزان حقيقي حسّي مشاهَد، وله لسان وكفتان، ويميل بالأعمال، فتَخِفّ كِفة وتَثْقُل كِفة. ولا يَعرف حجمه، ويُقدِّر قدره إلا الله تعالى، لكنه ميزان عظيم، كما قال ﷺ:

«يوضع الميزان يوم القيامة، فلو وزن فيه السماوات والأرض لوسعت. فتقول الملائكة: يا رب لمن يزن هذا؟ فيقول الله تعالى: لمن شئت من خلقي. فتقول الملائكة: سبحانك ما عبدناك حق عبادتك»[1].

۞ ميزان دقيق:

وهذا غاية العدل، يُحصي أعمالهم، دقيقها وجليلها، كبيرها وصغيرها، لا يَزيد فيها ولا يَنقُص منها، كما قال تعالى:

﴿ وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ ﴾ (الأنبياء: ٤٧).

هل هو ميزان واحد أم موازين؟



قد تكون عدة موازين، فإما أن لكل عبد ميزان لعمله، أو أن للمؤمنين ميزانًا وللكفار ميزانًا، أو لكل أمة ميزان، علم ذلك عند الله تعالى، لكن الذي يفهم من قوله تعالى: ﴿ وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴾ (الأنبياء: ٤٧) أنها عدة موازين، وقد يكون المراد بالموازين في الآية الموزونات.

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك، وقال صحيح على شرط مسلم.

ما الذي يوضع في الميزان؟

هل الموزون هو الأعمال؟ أم الصحف؟ أم العبد نفسه؟

للعلماء في ذلك أقوال، والأقرب أن هذه كلها تُوزَن في الآخرة، وقد دلّت على ذلك أحاديث النبي ﷺ.

وزن الأعمال:



وردت أحاديث أن الأعمال هي التي توضع في الميزان، كما قال ﷺ:

«كلمتان خفيفتان على اللسان، ثقيلتان في الميزان، حبيبتان إلى الرحمن: سبحان الله وبحمده، سبحان الله العظيم»[1].

وقال ﷺ: «والحمد لله تملأ الميزان»[2].

فذكر النبي ﷺ هنا أعمالًا ووصفها بأنها ثقيلة في الميزان، ففهمنا من ذلك أنها توزن، وأن بعض الأعمال أثقل من بعض.

وزن صحائف الأعمال:

والمقصود بصحائف الأعمال: الصُحُف التي تكتب فيها أعمال العباد من خير أو شر، فقد جاءت النصوص أن صحف الأعمال توزن، وقد قال ﷺ في حديث البطاقة التي فيها أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا عبده ورسوله:

(١) متفق عليه.

(٢) رواه مسلم.

«يُصاح برجل من أمتي يوم القيامة على رؤوس الخلائق. فينشر له تسعة وتسعون سجلا، كل سجل مدَّ البصر[1]. ثم يقول الله تبارك وتعالى: هل تنكر من هذا شيئا؟ فيقول: لا يا رب. فيقول: أظلمك كتبتي الحافظون؟ فيقول: لا يا رب. ثم يقول: ألك عذر؟ ألك حسنة؟ فيهاب الرجل فيقول: لا. فيقول: بلى. إن لك عندنا حسنة. وإنه لا ظلم عليك اليوم. فتخرج له بطاقة[2] فيها: أشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدا عبده ورسوله. فيقول: يا رب! ما هذه البطاقة مع هذه السجلات؟! فيقول: إنك لا تُظلم. فتوضع السجلات في كفة، والبطاقة في كفة. فطاشت السجلات، وثقلت البطاقة. فلا يثقل مع اسم الله شيء»[3]. **فهذا يدل أن صحائف الأعمال توزن أيضًا..**

لا إله إلا الله سبب لدخول الجنة..

فائدة



هذا الحديث فيه أن التوحيد يكفر الله به الخطايا التي لا تقتضي الرِدَّة والخروج من الإسلام، أما الأعمال التي تقتضي الردة فإنها تناقض كلمة التوحيد وتصبح لفظًا مجردًا لا معنى له.

قيل للحسن البصري: «إن ناسًا يقولون: من قال: لا إله إلا الله دخل الجنة. فقال: من قال: لا إله إلا الله، فأدى حقها وفرضها دخل الجنة».

فكلمة لا إله إلا الله سبب لدخول الجنة والنجاة من النار، والسبب لا ينفع إلا إذا توفرت شروطه وانتفت موانعه، فالمنافقون يقولون: لا إله إلا الله، فلا تنفعهم، وهم في الدَّرْك الأسفل من النار، لأنهم يقولونها بألسنتهم فقط من غير اعتقاد لمعناها وعمل بمقتضاها.

(١) السجل: هو صحيفة الأعمال، وهي سجلات كبار طويلة، بحيث أن كل سجل منها بقدر ما يمد الشخص نظره فلا يستطيع أن يدرك أقصاه.

(٢) البطاقة: هي رُقعة صغيرة من ورق أو غيره، يكتب فيها الكلام اليسير.

(٣) رواه أحمد والترمذي، صحيح، والمعنى أن البطاقة فيها إقراره بالتوحيد لله تعالى وعبادة الله وحده لا شريك له، بشهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله.

وقد يُوزن العامل نفسه:

وذلك بأن يوضع العبدُ نفسه في ميزان الأعمال، ويثقل وزن العبد أو يخِفّ بحسب حسن أعماله أو سوئها.

ومما يدل على ذلك ما جاء في قصة عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.. لما كان يمشي مع النبي ﷺ فمرا بشجرة فأمره النبي أن يصعدها ويختَزّ له عودًا يتسوَّك به..

فرقى ابن مسعود وكان خفيفًا نَحيل الجسم.. فأخذ يعالج العود لِقَطْعه.. فأتت الريح فحركت ثوبه وكشفت ساقيه.. فإذا هما ساقان دقيقتان صغيرتان.. فضحك القوم من دِقَّة ساقيه..

فقال النبي ﷺ: «ممّ تضحكون؟!.. من دقة ساقيه؟! والذي نفسي بيده إنهما أثقل في الميزان من أُحُد»[1].

فساقا ابن مسعود خفيفتان في الدنيا لكنهما ثقيلتان في الميزان..

ما الذي أثقلهما في الميزان؟.. إنه طول القيام.. ومداومة الصيام.. وما حملته ساقاه إلى حرام..

أما غير ابن مسعود ممن زينوا ظواهرهم.. وأهملوا بواطنهم.. بيّضوا ثيابهم وسوّدوا قلوبهم.. فقد قال فيهم أبو القاسم ﷺ:

«إنه ليأتي الرجل العظيم السمين يوم القيامة لا يزن عند الله جناح بعوضة، **ثم قال ﷺ:** اقرءوا إن شئتم: ﴿فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا﴾ [الكهف: ١٠٥]»[2].

---

(١) رواه أحمد.

(٢) الحديث متفق عليه.

۞ مصير العبد بحسب وزن أعماله:

يتحدد مصير العبد يوم القيامة بحسب نتيجة وزن أعماله: فمن رجَحت حسناته على سيئاته دخل الجنة، ومن رجَحت سيئاته بحسناته استحقّ النار. إلاّ أن يعفو الله عن العاصي، أو يشفع فيه الشفعاء، وقد قال تعالى:

﴿وَٱلْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ ۚ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٨﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُم بِمَا كَانُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا يَظْلِمُونَ﴾ [الأعراف: ٨، ٩].

من تساوت حسناته وسيئاته فما مصيره؟

مسألة

الجواب: من تساوت حسناته وسيئاته فهو من أهل الأعراف الذين يكونون بين الجنة والنار، كما قال تعالى: ﴿وَعَلَى ٱلْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّۢا بِسِيمَىٰهُمْ﴾ [الأعراف: ٤٦].



وأهل الأعراف يُؤخَّر أمرُهم حتى يدخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار، ثم يُدخل الله تعالى أهل الأعراف في الشفاعة فيدخلون الجنة، وهذا بمِنَّة ربنا وكرمه.

كما قال تعالى عن أهل الأعراف بعدما ذكر أهل الجنة وأهل النار: ﴿وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ ۚ وَعَلَى ٱلْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّۢا بِسِيمَىٰهُمْ ۚ وَنَادَوْا۟ أَصْحَـٰبَ ٱلْجَنَّةِ أَن سَلَـٰمٌ عَلَيْكُمْ ۚ لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ ﴿٤٦﴾ وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَـٰرُهُمْ تِلْقَآءَ أَصْحَـٰبِ ٱلنَّارِ قَالُوا۟ رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾ [الأعراف: ٤٦، ٤٧].

أعمال الكفار:

لا يظلم الله تعالى أحدًا كافرًا كان أو مسلمًا، بل الكل يتأثر بعمله الصحيح أو القبيح، فالكفار أيضًا توزن أعمالهم، لكنها تَخِفّ ويطيش بها الميزان، كما قال تعالى: ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا﴾ [الكهف: ١٠٥]، فأعمالُ الكفار قسمان:

- القسم الأول:

هو طغيان وبغي وإفساد في الأرض، فهذه أعمال باطلة فاسدة هم أصلًا منذ أن عملوها لا يرجون من ورائها خيرا ولا ثوابًا، وقد وصف الله تعالى هذه الأعمال بالظلمات فقال تعالى: ﴿أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُّجِّيٍّ يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِ سَحَابٌ ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكَدْ يَرَاهَا وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِن نُّورٍ﴾ [النور: ٤٠].

- القسم الثاني:

أعمال عملها الكفار في الدنيا وهم يظنونها تنفعهم عند الله، كالصدقة، وصلة الأرحام، ونُصرة المظلوم، والاختراعات النافعة للبشر، فهذه يُكافَئون بها في الدنيا، من زيادة في أموالهم، وراحة في قلوبهم، وشفاء من أمراضهم، وحماية من الأذى، لكنها لا تنفعهم في الآخرة، لأن شرط قبول العمل هو الإيمان بالله تعالى.

لكنه تعالى لا يساوي بين الكافر الذي يعمل الخبائث والكافر الذي يعمل الصالحات، بل يكافئ المحسن في الدنيا، كما قال تعالى: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ (١٥) أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبَاطِلٌ مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [هود: ١٥-١٦].

وقد ضرب الله أمثلة لهذه الأعمال التي يفعلها الكفار:

أعمالهم مثل السراب:

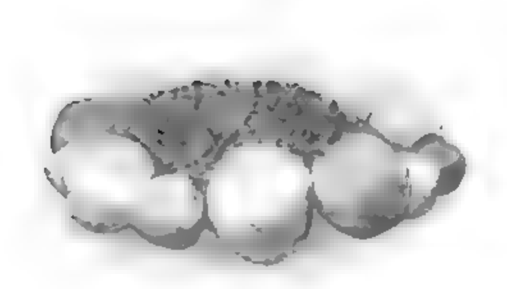
لأن الكافر يعمل العمل من إحسان وصدقة، يظن ذلك ينفعه، وهو لا ينفعه، فصار كالعطشان الذي يتبع السَّراب اللامع أمامه يظنه ماء وهو ليس كذلك. قال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَعْمَٰلُهُمْ كَسَرَابٍۭ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ ٱلظَّمْـَٔانُ مَآءً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ لَمْ يَجِدْهُ شَيْـًٔا وَوَجَدَ ٱللَّهَ عِندَهُۥ فَوَفَّىٰهُ حِسَابَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴾ [النور: ٣٩].



ظاهرة السراب كما وصفها القرآن الكريم بدقة متناهية؛ وفيها يظهر سطح مائي لامع على امتداد البصر، وما هو إلا صورة وهمية ناتجة عن انعكاس أشعة الشمس على

أعمالهم مثل الرَّماد:

والرَّماد هو ما يتبقى بعد احتراق الخشب أو الفحم، فيكون كالطّحين المائل إلى اللون الأسود، فأعمال الكفار هي مثل الرماد المجتمع الذي جاءته ريح عاصف فذرَّته في كل مكان، فكيف يستطيع صاحبه جمعه بعد تفرقه؟!!



قال تعالى: ﴿ مَّثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمْ ۖ أَعْمَٰلُهُمْ كَرَمَادٍ ٱشْتَدَّتْ بِهِ ٱلرِّيحُ فِى يَوْمٍ عَاصِفٍ ۖ لَّا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُواْ عَلَىٰ شَىْءٍ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلضَّلَٰلُ ٱلْبَعِيدُ ﴾ [ابراهيم: ١٨].

لماذا لا يقبل الله تعالى أعمال الكافرين؟

مسألة



الجواب: خلق الله تعالى الخلق لعبادته، وأمرهم بطاعته، وبعث الرسل مبشرين ومنذرين، فوضّحوا للناس السبيل، وأفهموهم الحُجَّة، وبينوا المَحَجّة.. فمن تبين له الحق، وظهر له الصدق، ومع ذلك تعمَّد الإعراض والتكذيب، من غير أن يكون مكرهًا أو مجنونًا، استحق عند ذلك العقاب على فعله..

فيوقف الله تعالى العباد جميعًا، باختلاف أجناسهم وألوانهم وأديانهم، يحاسبهم جميعًا، في محكمة يوم القيامة.. قال تعالى حاكيًا حال الكفار يوم القيامة: ﴿ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴾ [القصص ٦٢].

نعم أين شركائي؟ الذين عبدتموهم! وعظّمتموهم! وتقربتم إليهم! وزعمتم أنهم آلهة مع الله، أين هم اليوم هل ينفعونكم؟ أو ينجونكم من العذاب؟

وقال تعالى: ﴿ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَآ أَجَبْتُمُ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾ [القصص ٦٥].

وقال جل وعلا: ﴿ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ ﴿٨﴾ فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ ﴿٩﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا هِيَهْ ﴿١٠﴾ نَارٌ حَامِيَةٌۢ ﴾ [القارعة ٨-١١]، **وأي ميزان أخفّ وأخسر من ميزان الكافر.**

وقوله تعالى ﴿ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فِى جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ﴿١٠٣﴾ تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَٰلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ أَلَمْ تَكُنْ ءَايَٰتِى تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴾ [المؤمنون ١٠٣-١٠٥]

نعم، خسروا أنفسهم التي أكرموها في الدنيا، ودلّلوها، وأعزّوها، فخسروها يوم القيامة فلم ينتفعوا بها..

هل الكفار يُحاسبون؟

مسألة



الجواب:

نعم، الكل يُسألون ويحاسبون، وتوزن أعمالهم.

ما دام أن مآل الكفار إلى النار، فلماذا يحاسبون وتوزن أعمالهم وهي أعمال حابطة؟!

إشكال



﴿ وَقِفُوهُمْۖ إِنَّهُم مَّسْـُٔولُونَ ﴾ [الصافات: ٢٤].. **هكذا قال ربنا جل وعلا، يحاسبهم ويسألهم عن أعمالهم، لأمور:**

- إقامة الحجة عليهم، وإظهار عدل الله فيهم:

حتى لا يبقى لهم عذر ولا حجة، قال تعالى: ﴿ وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ فَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَٰوَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَاۚ وَوَجَدُوا۟ مَا عَمِلُوا۟ حَاضِرًاۗ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴾ [الكهف: ٤٩]

- أن الله يحاسبهم لتوبيخهم وتقريعهم:

كما قال تعالى: ﴿ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُوا۟ عَلَىٰ رَبِّهِمْۚ قَالَ أَلَيْسَ هَٰذَا بِٱلْحَقِّۚ قَالُوا۟ بَلَىٰ وَرَبِّنَاۚ قَالَ فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴾ [الأنعام: ٣٠].

فأي حسرة عند ذلك تحيط بهم! وأي ندم وحزن يغشاهم! وقد عرفوا الحق وتعمدوا مخالفته..

- أن الكفار مُكلَّفون بأصول الشريعة كما هم مكلفون بفروعها:

فيُسألون عما قَصَّروا فيه وخالفوا فيه الحق.

فيسألهم ربنا عن منعهم للزكاة وتركهم للصلاة.. مع حسابه لهم على كفرهم..

كما قال تعالى: ﴿وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ ۝٦ الَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ الزَّكَوٰةَ وَهُم بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ﴾ [فصلت: ٦ - ٧].

وقال عن المجرمين: ﴿مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ ۝٤٢ قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ ۝٤٣ وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمِسْكِينَ ۝٤٤ وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ ۝٤٥ وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ الدِّينِ﴾ [المدثر: ٤٢ - ٤٦].

- أن الكفار يتفاوتون في كفرهم وذنوبهم ومعاصيهم:

وبالتالي فإن الحساب لبيان مراتب العذاب لا لأجل دخول الجنة، كما أخبر النبي ﷺ عن عمه أبي طالب، وقد مات كافرًا، فحدثنا النبي ﷺ عن حاله في الآخرة فقد سأله العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه فقال:

يا رسول الله! هل نفعت أبا طالب بشيء؟ فإنه كان يحُوطك ويغضب لك، **فقال ﷺ:** «نعم، هو في ضحضاح من نار، ولولا أنا لكان في الدَّرْك الأسفل من النار»[1].

فأبو طالب في النار أخفّ عذابًا من أبي لهب.

(١) رواه مسلم، ومعنى: «يحوطك» يصونك ويحفظك ويذبّ عنك أذى قريش. قوله «ضَحضاح» هو في الأصل الماء الرقيق على وجه الأرض الذي يصل إلى نحو الكعبين، واستُعير هنا في وصف ما يصيبه من النار. قوله «الدّرك»: هي الطبقة من طبقات النار، والدرك الأسفل من النار هو قعر جهنم، وأقصى أسفلها.

كيف توزن أعمال الكفار؟ وهل عندهم أعمال صالحة توضع في الكفة الأخرى؟



توزن أعمال الكفار في كفّتَي الميزان.. فالكفة الأولى من ميزان الكافر يوضع فيها كفره وسيئاته، بينما لا يوجد له حسنة تُوضع بالكفة الأخرى، فترجح كفة السيئات وتَغلِب.

وقد تقدّم أن الكافر إذا عمل حسنة في الدنيا كافأه الله بها وعجّل جزاءه عليها في الدنيا، براحة قلبه، واطمئنان نفسه، والبركة في رزقه، وتكثير ماله.. ولا يظلم ربك أحدًا.

قال تعالى: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ﴿١٥﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا۟ فِيهَا وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [هود: ١٥ - ١٦].

والشِّرك يحبط الأعمال الحسنة فلا تنفع في الآخرة، كما قال تعالى: ﴿لَّهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٦٣﴾ قُلْ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ تَأْمُرُوٓنِّىٓ أَعْبُدُ أَيُّهَا ٱلْجَٰهِلُونَ ﴿٦٤﴾ وَلَقَدْ أُوحِىَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٦٥﴾ بَلِ ٱللَّهَ فَٱعْبُدْ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾ [الزمر: ٦٣ - ٦٦].

وصَحّ عنه ﷺ أن الكافر يُطعَم بحسنته في الدنيا، فيأتي يوم القيامة وليس له حسنات، كما قال ﷺ:

«إن الله لا يظلم مؤمنا حسنة يعطى بها في الدنيا ويجزى بها في الآخرة، وأما الكافر فيطعم بحسنات ما عمل بها لله في الدنيا حتى إذا أفضى إلى الآخرة لم تكن له حسنة يجزى بها»[1].

(١) رواه مسلم.



مادام ان الكفار يسألون، فكيف نوجه

قوله تعالى: ﴿وَلَا يُسْأَلُ عَن ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ﴾ [القصص: ٧٨] ؟

وقوله: ﴿هَٰذَا يَوْمُ لَا يَنطِقُونَ ۝ وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ﴾ [المرسلات: ٣٥-٣٦] ؟

الجواب: أن حال الكفار يوم القيامة يكون على أحد حالين:

- **أن الكفار لا يُسألون عن ذنوبهم سؤال حساب لحسنات أو سيئات، كما يُسأل غيرهم من المؤمنين، وإنما يُسألون سؤال تَقْريع على أعمالهم، فيُوبَّخ ويُعاتَب: لماذا سَرق؟ لماذا زنى؟..**

- **أن يوم القيامة طويل جدًا، فيه أحداث ومواطن، حساب وصحف وصراط وحوض.. فهم يُسألون في موطن دون موطن.**

فالقيامة مَواطن، فمَوطن يكون فيه سؤال وكلام، وموطن لا يكون ذلك.

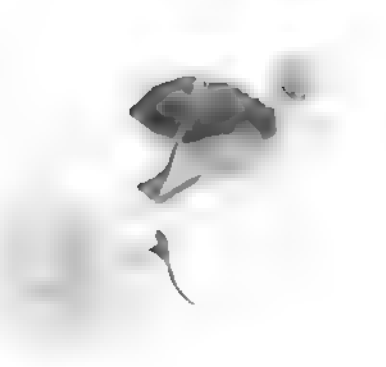
۞ أثقل شيء في الميزان !!

كلما كان العمل أحب إلى الله تعالى كان أثقل في الميزان، وإذا ثقل الميزان بالعمل الصالح، أفلح العبد ونجح.

والأعمال متنوعة متفاوتة، بعضها أفضل من بعض، منها الكبير والصغير، والخفيف والثقيل، وقد أخبرنا النبي ﷺ عن بعض الأعمال أنها ثقيلة في الميزان، فمن ذلك:

- **حُسْنُ الخُلُق:**

حسن الخلق شيء هيِّن، وجه طليق وكلام ليِّن..



فمن رُزِق حسن الخلق، ودوام الابتسامة، ولطف التعامل، ولين الجانب، فعمله ثقيل في الميزان ثقيل، حبيب إلى الرحمن.

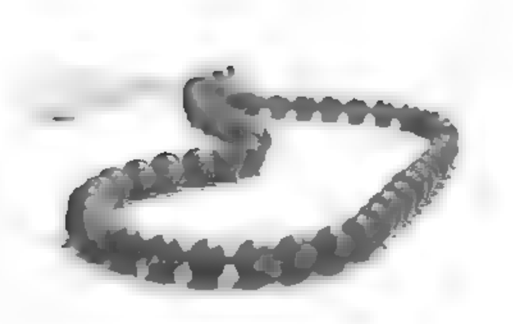
وقد كان رسول الله ﷺ أحسن الناس خلقًا، وأكرمهم معشرًا، حتى مدحه الله تعالى بقوله: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ [القلم: ٤].

وقال تعالى: ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ﴾ [آل عمران: ١٥٩].

وقد مدح النبي ﷺ حسن الخلق فقال: «إن أثقل شيء يوضع في ميزان العبد يوم القيامة خلق حسن، وإن الله يبغض الفاحش البذيء»[1].

- **ذِكْر الله:**

كثرة ذكر الله تعالى، والتسبيح والتحميد والتهليل، تجعل العبد محبوبًا قريبًا إلى الله تعالى، ومَن أحب شيئًا أكثر من ذكره، فمَن أحب الله تعالى أكثر من ذكره.



(١) رواه الترمذي وقال: حسن صحيح.

قال تعالى: ﴿ فَٱذْكُرُونِيٓ أَذْكُرْكُمْ ﴾ [البقرة: ١٥٢].

وقــال: ﴿ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴾ [الأحزاب: ٣٥].

والنـبي ﷺ يقـول: «ألا أنبئكم بخير أعمالكم وأزكاها عند مليككم وأرفعها في درجاتكم وخير لكم من إنفاق الذهب والفضة، وخير لكم من أن تلقوا عدوكم فتضربوا أعناقهم ويضربوا أعناقكم؟

قالوا: بلى.

قال: ذكر الله تعالى»[1].

وجاء رجل إلى رسـول الله ﷺ فقال: يا رسـول الله، إن شرائع الإسلام قد كثـرت علـيّ، فمُرني بأمر أتشبث بـه. **فقال ﷺ:** «لا يزال لسانك رطبًا بذكر الله عز وجل»[2].

والذكر ثقيل في الميزان.. كما قال ﷺ:

«كلمتان خفيفتان على اللسان، ثقيلتان في الميزان، حبيبتان إلى الرحمن: سبحان الله وبحمده، سبحان الله العظيم»[3].

ومن أفضل الذكر قول: الحمد لله.. وهي ثقيلة في الميزان.. كما قال ﷺ:
«الطهور شطر الإيمان، والحمد لله تملأ الميزان، وسبحان الله والحمد لله تملآن **-أو تملأ-** ما بين السماء والأرض»[4].

(١) رواه أحمد والترمذي، صحيح.
(٢) رواه أحمد.
(٣) رواه البخاري ومسلم.
(٤) رواه مسلم.

- **الوقف في سبيل الله:**



الوقف أن يخصص المرء شيئًا من ماله كعَقَار أو مزرعة أو أثاث، فلا يبيعه، بل يجعل ما يُستخرج من أجرته يُنفق في أوجه البر تقربًا إلى الله تعالى.

وهو صدقة جارية. قال ﷺ:

« إذا مات بن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية، أو علم يُنتفع به، أو ولد صالح يدعو له »[1].

وقال ﷺ: « إن مما يلحق المؤمن من عمله و حسناته بعد موته: علما علمه ونشره، وولدا صالحا تركه، أو مصحفا ورثه، أو مسجدًا بناه، أو بيتا لابن السبيل بناه، أو نهرا أجراه، أو صدقة أخرجها من ماله في صحته وحياته تَلْحَقه من بعد موته »[2].

وقال ﷺ: « من احتبس فرسا في سبيل الله إيمانا بالله وتصديقا بوعده كان شبعه وريُّه وروثه وبوله حسنات يوم القيامة »[3].

وهذا كله مما ذكر يدل على فضل الوقف كذلك.

وقال جابر بن عبد الله رضي الله عنه: «لم يكن أحدٌ من أصحاب النبي ﷺ ذا مقدرة إلا وقف ».

---

(١) رواه مسلم.

(٢) رواه ابن ماجه والبيهقي، بإسناد حسن.

(٣) رواه البخاري.

وقد كان أبو طلحة أكثر أنصاري بالمدينة مالًا، وكان أحب أمواله إليه بَيْرُحاء وهو بستان من نخل بجوار المسجد النبوي وكانت مستقبلة المسجد. وكان رسول الله ﷺ يدخلها ويشرب من ماء فيها طيب.

فلما نزل قوله تعالى: ﴿لَن تَنَالُواْ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ [آل عمران: ٩٢] قام أبو طلحة إلى الرسول ﷺ فقال: «إن الله تعالى يقول في كتابه: ﴿لَن تَنَالُواْ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ وإن أحب أموالي إلي بَيْرُحاء، وإنها صدقة لله أرجو بِرّها وذُخرها عند الله، فضعها يا رسول الله حيث شئت. فقال ﷺ: بخ، ذلك مال رابح، ذلك مال رابح، قد سمعت ما قلت فيها، وإني أرى أن تجعلها في الأقربين. فقسّمها أبو طلحة في أقاربه وبني عمه»[1].

وقال ابن عمر رضي الله عنه: «أصاب عمر أرضًا بخيبَر فأتى النبي ﷺ يستأمره فيها، فقال: يا رسول الله، إني أصَبت أرضًا بخيبر لم أُصِب مالًا قط هو أنفَس عندي منه فما تأمرني به؟ فقال له رسول الله ﷺ: إن شئت حَبست أصلها وتصدقت بها.

فتَصدّق بها عمر: أنها لا تُباع ولا تُوهَب ولا تُورَّث، وتَصدَّق بها في الفقراء وفي القربى وفي الرقاب وفي سبيل الله وابن السبيل والضيف، لا جُناح على من وَلِيَها أن يأكل منها بالمعروف ويطعم غير مُتَموِّل.»[2].

---

(١) رواه البخاري.

(٢) متفق عليه، ومعنى غير متمول: أي غير متخذ منها ملكًا لنفسه.

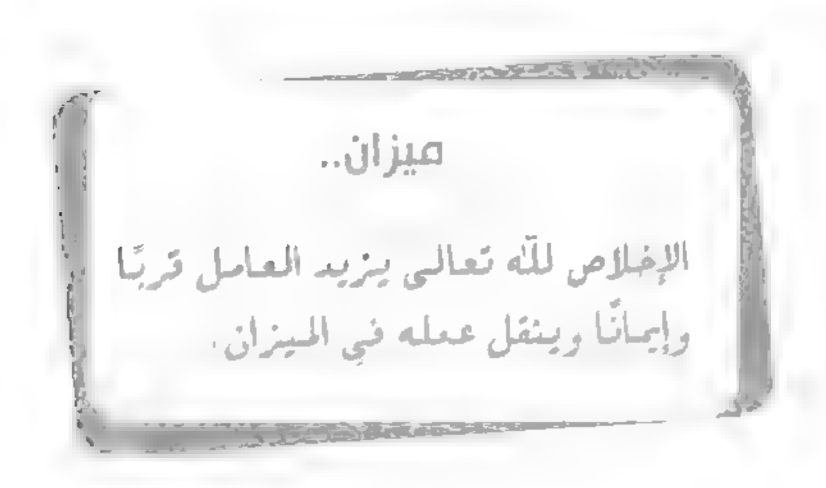
والوقف من خصائص الإسلام [1].. والوقف ثقيل في الميزان: قال ﷺ: «من احتبس فرسًا في سبيل الله إيمانًا واحتسابًا وتصديقًا بوعده، كان شبعه وريّه ورَوثه في ميزانه يوم القيامة»[2].

والمقصود بالحديث الحث على أن يوقف المسلم شيئًا يناله نفعه، فمن احتبس فرسًا في سبيل الله فإن الله تعالى يجعل شبعه بالطعام وريه بالماء بل وروثه – العائد الخارج منه – كل ذلك يكون مُثَقِّلًا لميزان حسناته يوم القيامة.

وأخيرًا..

على العبد أن يحرص أن يثقّل موازينه يوم القيامة بالإكثار من الحسنات والهمّ بها، فقد قال ﷺ: «الحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف»[3].

وقال ﷺ: «من همّ بحسنة فلم يعملها كتبت له حسنة»[4].



(١) الوقف أنواع:

الوقف على الذرية والأقارب: فيجعل غلّة الوقف تنفق على المحتاج الفقير من ذريته أو أقاربه.

الوقف الخيري: وهو ما يصرف ريعه على جهة خيرية كالفقراء والمساكين وبناء المساجد والمستشفيات ودور الأيتام وغيره.

الوقف المشترك: فيوقف أولا لجهة خيرية لمدة معينة ثم بعدها للذرية والأقارب فيقول أوقفت الدار للفقراء سنة ثم لأولادي.

(٢) رواه البخاري.

(٣) متفق عليه.

(٤) رواه مسلم.

الحَوْض

يَلتقي المؤمنون بنبيهم ﷺ عند الحوض، فيسقيهم بيده الشريفة شربة هنيئة لا يظمئون بعدها أبدًا، ويُطرد أقوام من المنافقين والمرتدين عن حوض النبي ﷺ، فلا يشربون.

- فما الحوض؟
- وأين موضعه؟
- وما صفات الشاربين منه؟



مدخل

إذا طـال وقوف الناس يوم القيامة في أرض المحشـر، وقد ازدحمت الأمم، مـن لدنْ آدم عليه السلام إلى آخر ميت من أمتنا، يحشـرون يوم القيامة وقد اشـتد العطش، وعظم الفزع، واشـتاقت الأفْواه إلى شربة ماء، تبُل بها ريقها. عندها يبـدو لكل أمة حوض نبيها، ليشـرب منـه أتباعه من أمته، فمـن الناس من يشرب، ومنهم من يُطرَد.

والحوض هو الموضع الذي يجتمع فيه الماء، أما حوض النبي ﷺ فهو موضع ماء طيب يكرم الله تعالى به عبده ورسـوله محمدًا ﷺ في الموقف العظيم يوم القيامة، وهو حوض: واسـع الأرجاء، غايـة في الصفاء، ماؤه أبيض من اللبن، أحلى من العسل، ريحه أطيب من المسك، أبارِيقه كعدد نجوم السماء، حوض ترِد عليه أمة نبينا ﷺ. من شرب منه شَربة لا يظمأ بعدها أبدًا.

هل الحوض خاص بنبينا محمد ﷺ؟

مسألة



لكل نبي مـن الأنبياء يوم القيامة في المحشـر حوض، ولكنه ﷺ يرجـو أن يكون حوضه أكثرهم وارِدةً، أي أكثر أتباعًا، يأتون ليشربوا من حوض نبيهم.

كمـا قـال ﷺ: «إن لـكل نبي حوضـا، وإنهم يتباهـون أيهم أكثر واردة، وإني أرجو أن أكون أكثرهم واردة»[1].

أي يتنافـس الأنبياء في كثـرة المؤمنين من أممهم، فكل من كثُر المؤمنون من أمته، ازداد فرحًا وفخرًا على بقية الأنبياء.

(١) رواه الترمذي، صحيح.

❁ منبر النبي ﷺ على حوضه:

وذلك من إكرام الله تعالى، ورفعه قدر نبينا ﷺ بين الناس، فهو سيد ولد آدم يوم القيامة.

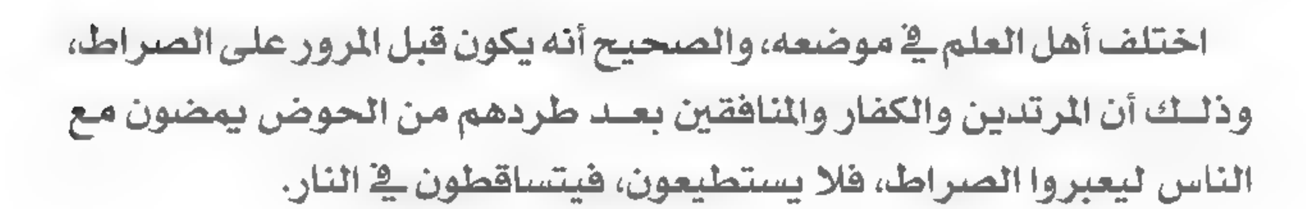
قال ﷺ: «ما بين بيتي ومنبري روضة من رياض الجنة، ومنبري على حوضي»[1].

والمؤمن يشتاق إلى رؤية نبينا ﷺ في عَرَصات القيامة، والشرب من يده الشريفة شربة من الحوض المبارك.

❁ موضع الحوض، وترتيبه في الآخرة:

إذا اجتمع الناس في المحشر يوم القيامة، واشتد فزعهم، وعطشهم، ثم اشتاقوا أن يرِدوا حوض ماء يشربون منه.

فهل يكون ورود المؤمنين ليشربوا من الحوض قبل عبورهم الصراط، أم قبله؟



اختلف أهل العلم في موضعه، والصحيح أنه يكون قبل المرور على الصراط، وذلك أن المرتدين والكفار والمنافقين بعد طردهم من الحوض يمضون مع الناس ليعبروا الصراط، فلا يستطيعون، فيتساقطون في النار.

❁ نهر الكَوْثَر وعلاقته بالحوض:

الكوثر وصف يدل على المبالغة في الكثرة، وهو النهر الذي يغذِّي الحوض بالماء.

---

(١) رواه البخاري.

وقد وردت أحاديث تصف نهر الكوثر وصفًا يشبه الوصف الذي ورد في الحوض؛ مما جعل بعض أهل العلم يرى أن الكوثر الوارد في القرآن في قوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ﴾ [illegible] أن المقصود به الحوض.

والذي يظهر أن الحوض يكون في أرض المحشر يوم القيامة، أما الكوثر فنهر في الجنة، لكن العلاقة ما بين الحوض والنهر هي أن نهر الكوثر يصُبّ في الحوض ويغذيه بالماء، فصار الحوض كأنه فرع وامتداد لنهر الكوثر، فتداخلت أوصافهما، وسيأتي تفصيل الكلام في وصف نهر الكوثر وبيان طبيعة مجراه، ومن أين ينبع عند كلامنا عن وصف الجنة.

صفات الحوض

الحوض موضع يجتمع فيه ماء من الجنة، يشرب منه المؤمنون يوم المحشر، وقد ثبتت أحاديث في وصف الحوض، وذِكر من يشربون منه، ومن يُرَدُّون عنه.

ومجموع ما ثبت في الأحاديث في وصفه، أنه:

- حوض واسع الأرجاء.
- ماؤه أبيض من اللبن، وأحلى من العسل، وريحه أطيب من المسك.
- أباريقه وكِيزانه كثيرة جدًا كعدد نجوم السماء.
- يأتيه هذا الماء الطيب من نهر الكوثر.
- تَرِد عليه أمة نبينا محمد ﷺ.
- من شرب منه شربة لا يظمأ بعدها أبدًا.

• حوض واسع:

جاءت أحاديث كثيرة في وصف سعة الحوض، وكِبَر حجمه، ليسع الناس، فلا يتزاحمون، ولا يتأخر أحد في الشرب. وتقريبًا لحجمه، قدّره النبي ﷺ بالمسافات بين البلدان، فذكر بلدان كثيرة، تقريبًا للفهم، وتشويقًا لذلك الحوض.

قال ﷺ: « أمامكم حوض كما بين جرباء وأذرح »[1].

وقال ﷺ: « إن قدر حوضي كما بين أيلة وصنعاء من اليمن »[2].

وقال ﷺ: « ما بين ناحيتي حوضي كما بين صنعاء والمدينة »[3].

وقال ﷺ: « إن حوضي أبعد من أيلة من عدن »[4].

وقال ﷺ: « حوضي من عدن إلى عمّان البلقاء »[5].

وقال ﷺ: « حوضي ما بين الكعبة وبيت المقدس »[6].

---

(١) رواه البخاري، جَرْباء وأذرُح: جرباء وأذرح متلازمتان في الذكر عادة، كما يقال: مكة والمدينة، أو دجلة والفرات، وهما اليوم قريتان في المملكة الأردنية الهاشمية، تقعان شمال غربي مدينة معان على قرابة ٢٢ كم، وطريقهما يفرق من مدينة معان، إذا كنت سائرًا في معان متجها إلى عمان رأيت لوحة تشير إلى اليسار، كتب عليها: إلى أذرح والجربا.

(٢) متفق عليه. وبلدة أيلة: هو الاسم القديم لمدينة العقبة الأردنية، وسميت أيلة، وإيلات، وهي عند قمة خليج العقبة، وهو الميناء الوحيد للمملكة الأردنية على البحر الأحمر، وهي بلدة تحيط بها الجبال، فتحها المسلمون سنة ٦٣١م الموافق سنة ١٠هجرية.

وصنعاء: مدينة باليمن، وهي عاصمة الجمهورية اليمنية اليوم.

(٣) رواه مسلم، صنعاء عاصمة اليمن اليوم، والمدينة: هي المدينة النبوية، الواقعة اليوم في غرب المملكة العربية السعودية، وقد سماها النبي ﷺ: طَيْبَة.

(٤) رواه مسلم، عَدن: بلدة تقع جنوب اليمن، وأيلة: العقبة الأردنية، وقد تقدمت قبل قليل.

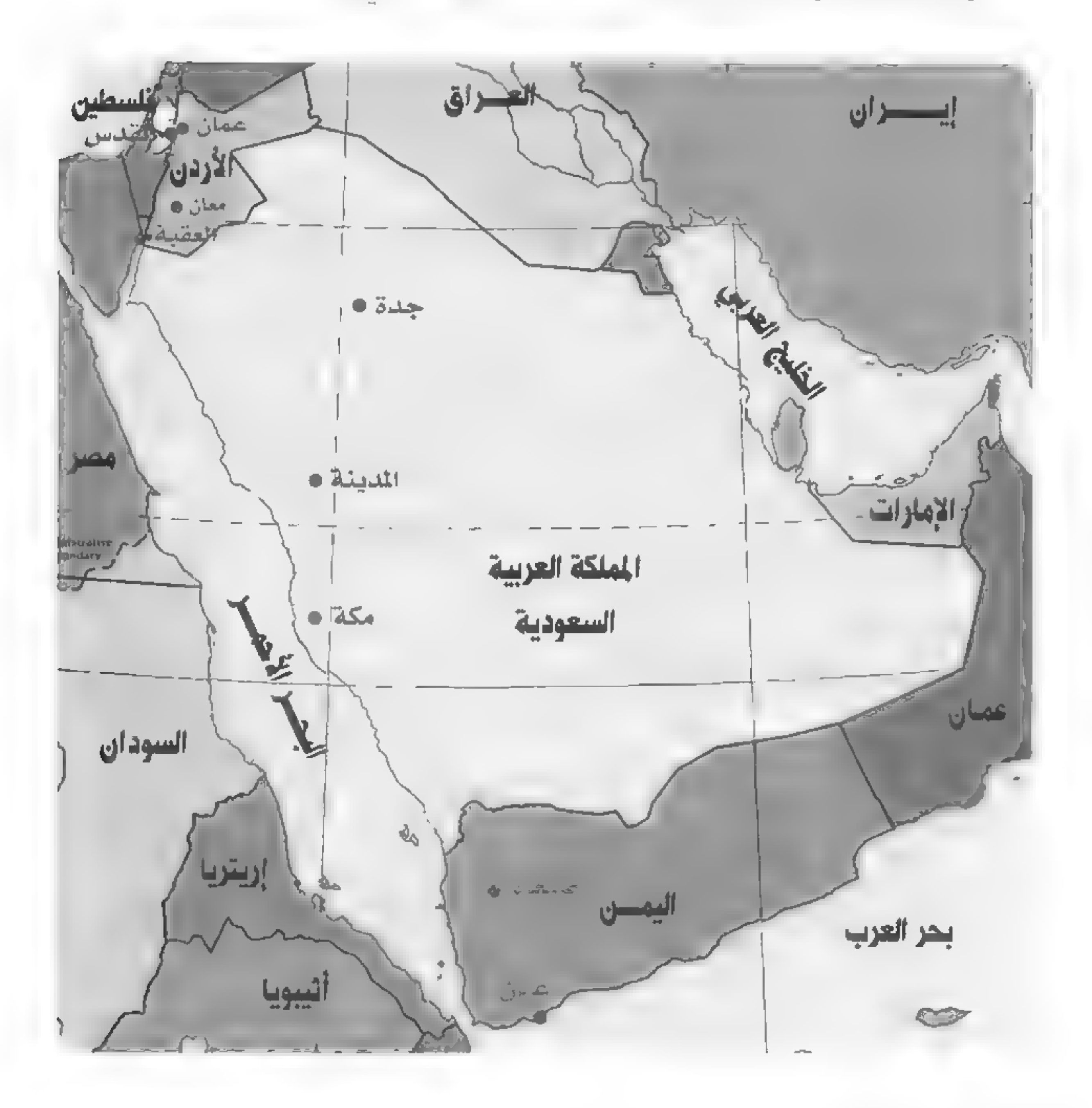
(٥) رواه الترمذي، صحيح، عمان: هي مدينة عمان المشهورة اليوم عاصمة المملكة الأردنية الهاشمية.

قوله «عمّان البلقاء»: هو اسم إقليم من أرض الشام في المملكة الأردنية، تتوسطه مدينة عمان عاصمة الأردن، ومن أشهر مدن هذا الإقليم: عمان والسلط ومادبا والزرقاء والرصيفة.

(٦) رواه ابن ماجه، صحيح، الكعبة: يعني المسجد الحرام في مكة، وبيت المقدس: المسجد الأقصى، في مدينة القدس بفلسطين.

وقال ﷺ: « اني فرطكم على الحوض وإن عرضه كما بين أيلة الى الجحفة »[1].

وسُئل ﷺ عن عرض حوضه، فقال: « مِن مقامي إلى عمَان »[2].



---

(١) رواه مسلم، ومعنى فَرطكم: أي أسبقكم إلى الحوض، أيلة: العقبة الأردنية، وقد تقدمت قبل قليل.
الجُحفة: مدينة شمال جدة، تبعد عن جدة ١٠٠كم، وهي اليوم غائبة المعالم، وأشهر المدن حولها مدينة رابغ حيث تبعد عنها ٢٢كم.

(٢) رواه مسلم، من مقامي: أي من المدينة.
عمان: عاصمة الأردن اليوم، وقد تقدمت قبل قليل.

التنويع في ذكر المدن..

فائدة

الملاحظ في هذه الأحاديث أن النبي ﷺ نوّع ذكر المدن، زيادةً في الإيضاح والبيان، فمن لم يعرف موضع مدينة، عرف الأخرى.

• الحوض مُرَبَّع:

الناظر في الأحاديث يجد أن شكل الحوض، عرضه مسيرة شهر وطوله مسيرة شهر، فهما سواء.

قال ﷺ: «حوضي مَسِيرَة شهرٍ، وزواياه سَواءٌ»[1].

• عدد أباريقه:

يَـرِد المؤمنون على الحوض، ويشربون منه بأباريق كثيرة جدًا، لا يختلفون عليها، ولا يزدحمون.

قال ﷺ: «[illegible] عدد نجوم السماء»[2].

(١) متفق عليه. ومعنى مسيرة شهر: أي المسافة ما بين كل زاوية الى الاخرى. مسيرة شهر، اي يسير الإنسان من زاوية إلى أخرى شهرًا كاملا، من طول ما بين الزوايا.

زواياه سواء: أي المسافة ما بين كل زاوية والأخرى من زواياه الأربع متساوية.

(٢) رواه مسلم.

• مصدر ماء الحوض:

ماء الحوض ينبع من الجنة، يصب فيه نهر الكوثر، كما قال ﷺ:

«يشخَب فيه ميزابان من الجنة»[1]

• صفة ماء الحوض:

ماؤه أطيب وأعذب وأحلى الماء، ولا عجب في ذلك فهو من الجنة، قال ﷺ في وصف ماء الحوض: «أشد بياضا من اللبن، وأحلى من العسل، ينشخب فيه ميزابان يمدانه من الجنة، أحدهما من ذهب والآخر من ورق»[2].

وقال ﷺ: «وريحه أطيب من المسك، وكيزانه كنجوم السماء»[3].

• شربة واحدة تروي الظمأ:

من طيب ماء الحوض أن شربة واحدة منه، يجد الشارب من لذتها، وطيبها، وأثرها ما يقضي به على عطشه، ولا يظمأ بعدها أبدًا.

كما قال ﷺ: «فيه أباريق كنجوم السماء، من ورده فشرب منه شربة لم يظمأ بعدها أبدا»[4].

---

(١) رواه مسلم، معنى يشخب: أي يصب ويسيل فيه.
ميزابان: مثنى ميزاب، والميزاب هو ما يسيل منه الماء من موضع عال.

(٢) رواه مسلم، ومعنى الوَرِق: الفضة.

(٣) رواه مسلم، والمسك: أطيبُ الطيب والعطر.

(٤) رواه مسلم.

۞ أول الناس ورودا عليه:

حوض نبينا ﷺ جعله الله تعالى كرامة لنبيه ﷺ، وربنا سبحانه أهل للكرم والجود، ونبينا ﷺ يستحق الإكرام والإحسان.

وكلما كان المؤمن أكثر إيمانًا وتصديقًا، وبذلًا للخير، صار أسبق للشرب من الحوض، وأول الناس شربًا منه هم فقراء المهاجرين الذين بذلوا أرواحهم، وسفكوا دماءهم، وأنفقوا أموالهم في سبيل الله، كما وصفهم العليم بظاهرهم وباطنهم بقوله تعالى:

﴿ لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَـٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَـٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّـٰدِقُونَ ﴾ الحشر ٨

وأولهم أبو بكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم.. وبقية الصحابة الكرام..كما قال ﷺ: «وأكوابه عدد نجوم السماء من شرب منه شربة لم يظمأ بعدها أبدا، أول الناس ورودا عليه: فقراء المهاجرين، الشعث رؤوسا، الدنس ثيابا، الذين لا ينكحون المتنعمات، ولا تفتح لهم السدد»[1].

۞ تقديم أهل اليَمَن:



أهل اليمن، أرقّ الناس قلوبًا، وألينهم أفئدة، وهم أول من جاء بالمصافحة، لحسن أخلاقهم، وطيب طباعهم.

---

(١) الحديث رواه الترمذي، صحيح، المعنى: أن فقراء المهاجرين الضعفاء، الذين تركوا ديارهم وأموالهم وفروا بدينهم إلى المدينة، خوفًا على دينهم، وإقبالًا إلى ربهم تعالى. هؤلاء هم أسبق الناس إلى الحوض، وهم لفقرهم شُعث الرؤوس أي شعورهم مُغبَرة، وثيابهم قديمة بالية، زوجاتهم فقيرات ضعيفات، لا تفتح لهم السُّدَد أي البيوت والأبواب، التي تفتح عادة للأغنياء.

فهم يكونون من السابقين إلى الحوض، ويُقَدِّمهم النبي ﷺ في الشرب قبل غيرهم.

قال ﷺ: «إني لبعُقْر حوضي أذود الناس لأهل اليمن أضرب بعصاي حتى يرفَضّ عليهم»[1].

وفي الحديث فضيلة لأهل اليمن، فمعناه أُبعد الناس عن الحوض ليتقدم أهل اليمن، ويسيل الماء عليهم.

وهذه كرامة لأهل اليمن في تقديمهم في الشرب مجازاةً لهم بحسن صنيعهم في الدنيا للإسلام.

۞ الواردون على الحوض:

كلما ازداد المرء صلاحًا صار أسرع تقدمًا إلى الحوض، وأصلحُ هذه الأمة هم صحابة رسول الله ﷺ، وأصلحهم الأربعة الخلفاء، الأئمة الحُنَفاء، أبو بكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم، والأنصار لهم تقدم أيضًا.

كما قال ﷺ للأنصار رضي الله عنهم: «إنكم ستلقون بعدي أثرة، فاصبروا حتى تلقوني على الحوض»[2].

الأَثَرة: لفظ مأخوذ من الإيثار، وهو تقديم أحد على أحد، والمعنى أن الأنصار يُقدم عليهم غيرهم في العطاء والمال مع أنهم أولى وأحق لخدمتهم الإسلام وجهادهم.

---

(١) رواه مسلم، قوله « لَبِعُقْر»: العُقر: هو المكان الذي تقف فيه الإبل قبل شربها من الحوض عادة، وهو أمام البئر، وقيل في مؤخرة البئر، قوله « يرفضُ عليهم» أي يسيل الماء بقوة.

(٢) متفق عليه. معنى أثرة: أي يُؤثر غيركم ويُقدم عليكم في العطايا والهبات، وأنتم أحق منه، لأنكم من أول من نصر الإسلام، لكن لا تنازعوا الأمر أهله، ولا تحدثوا خصومات، وإنما اصبروا حتى تلقوني على الحوض.

وبيّن النبي ﷺ أن الذين ارتدوا عن الإسلام بعد موته ﷺ، والمنافقين الذين يبطنـون الكفر ويظهـرون الإسـلام، فإن هـؤلاء جميعًا تنكشـف حقائقهم وتُفضح سرائرهم يوم القيامة، ويُطردون عن الحوض. كما قال ﷺ:

«أنا فرطكم على الحوض أنتظركم ليرفع لي رجال منكم حتى إذا عرفتهم اختلجوا دوني، فأقول: رب أصحابي، أصحابي، فيقال: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك».

وفي رواية: «إنهم ارتدوا بعدك على أدبارهم القهقرى»[1].

ليس قدحًا في الصحابة..

هـذا الحديث ليـس قدحًـا في الصحابة الكرام ﷺ، بـل معناه: أن الذين يُطردون عن الحوض هم الذين ارتدوا عن الإسلام في عهد أبي بكر بعد وفاة النبي ﷺ، فقاتلهم أبو بكر، فماتوا على الكفر.

ومعلوم عند كل مؤمن أنه لم يرتدّ من الصحابة المشهورين أحد، وإنمـا ارتد قوم من جفاة وجهلة الأعراب ممن لم يكن له نصرة للدين، ولا مخالطة للنبي ﷺ، ولا طول مجالسة، ولا طلب للعلم، ولا حفظ للحديث.

وأيضًا من هؤلاء الذي يراهم النبي ﷺ فيعرفهم، ويظنهم أصحابه، هـم المنافقـون، كعبد الله بن أبيّ بن سـلول، وغـيره، ممن كانوا يبطنون الكفر ويظهرون الإسلام، والله تعالى أعلم بسرائرهم.

---

(١) رواه البخاري، ومعنى الحديث: أنا فرطكم أي أسـبقكم إلى الحوض أنتظركم لأسقيكم، فيأتي رجال يراهم النبي ﷺ فيتذكر أنه رآهم في الدنيا، فينتظر أن يصلوا إلى الحوض ليشـربوا، فتمنعهم الملائكة من الشـرب، فيقـول ﷺ: ربّ أصحابي، أي لمـاذا يُمنعون؟! فيقـال: إنهم ارتدوا علـى أدبارهم القهقرى، ومعنى القهقرى: هو تراجع الرجل للخلف ماشيًا، كأن أحدًا يدفعه للخلف وهو يريد التقدم للأمام.

۞ حوض نبينا ﷺ لأمته فقط:

لكل نبي يوم القيامة حوض، يشرب منه المؤمنون من أمته، وقد أخبر ﷺ أن حوضه مخصص لأمته لا يشرب منه غيرهم، بل كل أمة تشرب من حوض نبيها، كما قال ﷺ:

« [illegible]

[illegible] فقال الصحابة: يا نبي الله، أتعرفنا؟ قال: [illegible]

[illegible]

طائفة منكم فلا يصلون [illegible] من أصحابي!! فيجيبني ملك فيقول: وهل تدري ما أحدثوا بعدك »[1].

وهذا الحديث يؤيد أن المطرودين عن الحوض هم المنافقون الذين يبطنون الكفر ويظهرون الإسلام، وكانوا يجالسون النبي ﷺ، فكأنه يقول لهم محذرًا في الدنيا: إن أشخاصًا منكم أيها الجالسون معي سيطردون يوم القيامة عن حوضي، لأن الله تعالى سيعاملهم يوم القيامة على حقيقتهم، وهؤلاء المنافقون بعضهم فُضح في عهد النبي ﷺ، كالذين خرجوا معه إلى معركة أُحُد، فلما وصلوا إلى موقع المعركة، رجعوا وكانوا ثلاثمائة رجل!!

وقال ﷺ في حديث أبي هريرة رضي الله عنه: « [illegible] [illegible] الإبل »[2].

---

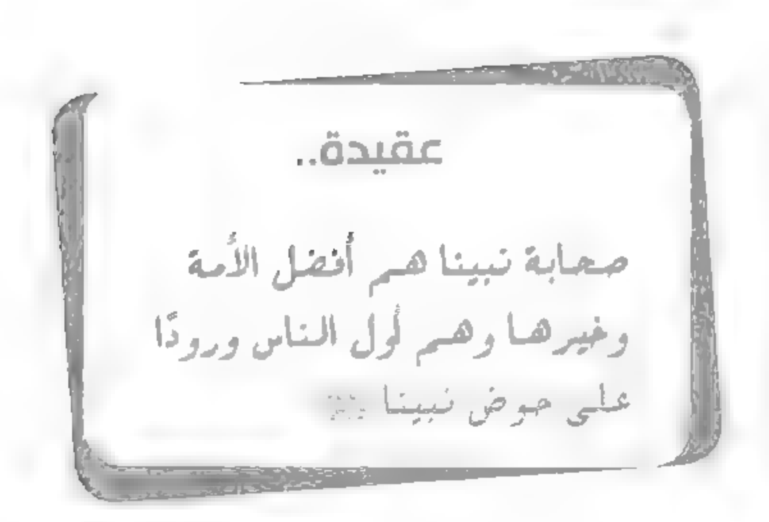
(١) رواه مسلم، والمعنى أنه ﷺ يذود الامم الأخرى: أي يبعد الامم الأخرى عن الشرب من حوضه لأنهم إن كانوا مؤمنين شربوا من حوض نبيهم، ولما سأله الصحابة هل تعرفنا يوم القيامة أخبرهم ﷺ أن لأمته سيما أي صفة وعلامة تتميز بها عن غيرها من الأمم، فإن أمته يردون عليه غُرًا مُحجَّلِينَ من آثار الوُضوء، والغرة والتحجيل هو بياض ونور في الجبهة والقدمين، يميز الله تعالى به هذه الأمة لوضوئهم وصلاتهم.
وتقدم بيان أن المقصود بمن يطردون عن الشرب من الحوض هم المُرتدُّون بعد وفاة النبي ﷺ، والمنافقون الذين كانوا يصلون معه، ويراهم في مجالسه، وهم يظهرون الإسلام ويبطنون الكفر.

(٢) رواه مسلم، ومعنى الحديث: أذود أي أبعد الأمم الأخرى عن الشرب لأنهم ان كانوا مؤمنين شربوا من حوض نبيهم، أو أبعد رجالًا كانوا معي في الدنيا لكنهم منافقون أعداء للدين، كما تُطرد الناقة أو البعير الغريب عن مجموعة الإبل.

والأمم يوم القيامة كثيرة جدًا، والخلق لا يحصيهم إلا الله، والزحام عظيم، والخَطْب جسيم، وأمة محمد ﷺ من أقل الأمم عددًا مقارنة بأعداد الأمم يوم القيامة.

وأثناء عَرَصات القيامة، وفي حال شدة العباد، يحتاج الناس إلى من يشفع لهم عند ربنا جل وعلا، فتكون للأنبياء والرسل والملائكة والشهداء والصالحين عدة شفاعات..

سيأتي تفصيلها في الفصل التالي..



الشّفاعة

الشفاعة من أعظم أحداث يوم القيامة، ولها في القيامة تأثير كبير، وتخفيف وتيسير، يرغب العباد فيها إلى سادة الأتقياء، فيعتذر عنها الرسل والأنبياء، ثم يبعث الله نبينا محمدًا ﷺ للمقام المحمود، والرفعة والصُّعود..

- فما الشفاعة؟
- وما شروطها؟
- وكم أنواعها؟
- وهل هي خاصة بنبينا ﷺ أم لبقية الأنبياء أيضًا؟
- وهل يمكن أن يشفع غير الأنبياء؟

۞ مدخل:

إذا اجتمع الخلائق يوم القيامة، وطال وقوفهم، واشتد فزعهم، وبكت عيون المفرِّطين، وخابت ظنون الخاسرين، وخافت الرسل الكرام، واضطربت الملائكة العظام، وبلغت القلوب الحناجر، وخاب كل كافر وفاجر.

عندها يبحث الناس عن من يشفع لهم إلى الملك العظيم، ليبدأ حسابهم، ونشر صحفهم.. وبعد طول طلب وانتظار، ومرور على الرسل الأخيار، يقوم سيد البشر شافعًا، وللواء الحمد رافعًا، ويسجد بين يدي ربه داعيًا، مبتهلًا راجيًا.. فيقبل الله تعالى شفاعته.. ثم يشفع ﷺ بعدها شفاعات، يخرج بها أقوام من النار إلى الجنة، ويرفع درجات بعض المؤمنين في الجنة.. وغيرها..

كما قال ﷺ: «أعطيت خمسًا لم يُعطهن أحد قبلي: نُصرت بالرعب مسيرة شهر، وأحلت لي الغنائم ولم تحل لأحد قبلي، وجعلت لي الأرض مسجدًا وطهورًا، فأيما رجل من أمتي أدركته الصلاة فليصل، وأعطيت الشفاعة، وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة وبُعثت إلى الناس عامة»[1].

۞ تعريف الشفاعة:

مصدر شَفَعَ يَشْفَعُ شَفَاعَةً مأخوذة من الشَفْع: وهو ضم الواحد إلى الواحد، وهو ضد الوِتْر.

والشفاعة هي: سؤال الخير للغير، وسميت شفاعة لأن الشخص يكون في البداية منفردًا في طلب حاجته، فإذا انضم إليه آخر يطلبها معه صاروا شَفْعًا، أي اثنين.

---

(١) متفق عليه

۞ شروط الشفاعة:

ذكر الله تعالى في القرآن شرطين، لا بد من توافرها لتكون الشفاعة مقبولة عند الله تعالى، نافعة للمشفوع له، وهذان الشرطان هما:

- إذن الله تعالى للشافع بأن يشفع سواء كان هذا الشافع نبيًا أو شهيدًا أو ملكًا، كما قال تعالى: ﴿ وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنۡ أَذِنَ لَهُۥ ﴾ [سبأ: ٢٣]



- رضا الله تعالى عن المشفوع له بأن يكون عاصيًا معصية دون الشرك، فإن كان المشفوع له كافرًا، لم يقبل الله تعالى أن يشفع له أحد، لأن الله تعالى لا يغفر أن يشرك به؛ لذا قال تعالى عن الكافرين: ﴿ فَمَا تَنفَعُهُمۡ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ ﴾ [المدثر: ٤٨]

وقال تعالى: ﴿ لَّا يَمۡلِكُونَ ٱلشَّفَٰعَةَ إِلَّا مَنِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحۡمَٰنِ عَهۡدٗا ﴾ [مريم: ٨٧]، والعهد هو شهادة أن لا إله إلا الله.

وقيل العهد هو الصلاة لقوله ﷺ: «العهد الذي بيننا وبينهم الصلاة فمن تركها فقد كفر»[1]..

فالكافر ليس له عند الله عهد توحيد وإيمان، فلا تُقبل فيه شفاعة الشافعين..

وقال ﷺ: «شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي»[2]،

يعني: أنه يشفع للعصاة عمومًا وإن كانوا من فاعلي الكبائر، أما من وقع فيما هو أعظم من الكبائر وهو الشرك، فلا يشفع له.

(١) رواه أحمد والترمذي، صحيح.

(٢) رواه أبو داود وغيره، صحيح.

وجمع الله تعالى شرطَيْ الشفاعة في آية واحدة، فقال تعالى:

﴿ يَوْمَئِذٍ لَّا تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَٰنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا ﴾ [طه: ١٠٩].

فقوله ﴿ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَٰنُ ﴾ أي أذن للشافع أن يشفع.

قوله ﴿ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا ﴾ أي رضي عن المشفوع له أنه لم يأت بشرك.

ولا يملك الإذن بالشفاعة إلا الله تعالى، كما قال تعالى: ﴿ قُل لِّلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا ﴾ [الزمر: ٤٤].



أهمية الشفاعة:



نَيل شفاعة النبي ﷺ، ثم نَيل شفاعة من أكرمهم الله تعالى بالشفاعة من الشهداء وغيرهم، هو شرف عظيم، ونجاة ونجاح للمشفوع له.

ومن أهمية الشفاعة أن النبي ﷺ خيّره الله تعالى بين أن يُدخِل نصف أمته الجنة وبين الشفاعة، فاختار الشفاعة، كما قال ﷺ:

« أتدرون ما خيّرني ربي الليلة؟ قلنا: الله ورسوله أعلم. قال: فإنه خيرني بين أن يدخل نصف أمتي الجنة، وبين الشفاعة، فاخترت الشفاعة. قلنا: يا رسول الله، ادع الله أن يجعلنا من أهلها. قال: هي لكل مسلم. »[1]

(١) رواه أحمد وابن ماجه، صحيح

۞ لكل نبي دعوة مستجابة:

ومن حرصه ﷺ على الشفاعة أنه كان يفرح بها ويستعد لها وهو في الدنيا، ومن ذلك أن لكل نبي دعوة مستجابة، فدعا كل نبي بها في الدنيا.

أما رسول الله ﷺ، فبالرغم مما أصابه من تعب ولأواء في الدنيا، وكم احتاج إلى هذه الدعوة المستجابة، ومع ذلك خبّأها ليوم القيامة.

كما قال ﷺ: «لكل نبي دعوة مستجابة، فتعجّل كل نبي دعوته، وإني اختبأت دعوتي شفاعة لأمتي يوم القيامة، فهي نائلة إن شاء الله من مات من أمتي لا يشرك بالله شيئا»[1].

ومن فضل الله تعالى ومِنَّته وكرمه أنه قد وعد الله نبيه ﷺ أن يُدخل الجنة من أمته سبعين ألفًا بغير حساب ولا عذاب، ومعهم غيرهم.

كما قال ﷺ: «وعدني ربي أن يدخل الجنة من أمتي سبعين ألفا لا حساب عليهم ولا عذاب، مع كل ألف سبعون ألفا، وثلاث حثيات من حثياته»[2]

۞ أنواع الشفاعة

كل الخلائق يوم القيامة تتمنى نيل الشفاعة، فمنهم من يُقبَل ومنهم من يُطرد، ومن أعظم المطرودين الخاسرين أناس كانوا في الدنيا يتقربون لقبور وأقوام، وأحجار وأصنام، يبذلون لهم الدعاء، ويرجونهم كشف البلاء، وينحرون عند قبورهم الذبائح، ويصبُّون العطور ونفائس الطيب، فإذا جاء يوم القيامة تبرأ المعبودون من دون الله ممن عبدوهم، ولم ينفعوهم أو يُنجوهم.

---

(١) رواه مسلم.

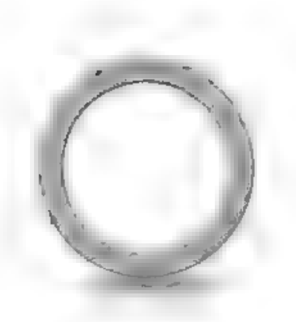
(٢) رواه الترمذي وابن ماجه وأحمد بنحوه، صحيح.

وما أحسن قول الله تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ۗ وَلَوْ يَرَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ إِذْ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ أَنَّ ٱلْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعَذَابِ ﴿١٦٥﴾ إِذْ تَبَرَّأَ ٱلَّذِينَ ٱتُّبِعُوا۟ مِنَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوا۟ وَرَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ ٱلْأَسْبَابُ ﴿١٦٦﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوا۟ لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُوا۟ مِنَّا ۗ كَذَٰلِكَ يُرِيهِمُ ٱللَّهُ أَعْمَٰلَهُمْ حَسَرَٰتٍ عَلَيْهِمْ ۖ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ ﴾ [البقرة: ١٦٥ - ١٦٦].

وقد دلّت الأدلة الشرعية على أن الشفاعة، منها مقبول مأذون به، نافع يوم القيامة، ومنها مردود لا ينفع الشافع ولا المشفوع له.

فالشفاعة نوعان:

- **أولًا: شفاعة مقبولة:**



وهي الشفاعات الثابتة في القرآن والسنة، سواء لرسول الله ﷺ، أو للأنبياء عليهم السلام، أو للملائكة أو الشهداء، أو المؤمنين، وهي أنواع وأقسام، ومراحل، وبعضها عام لجميع الناس من أمتنا والأمم الأخرى، وبعضها خاص لأمتنا فقط.

- **ثانيا: الشفاعة المرفوضة:**



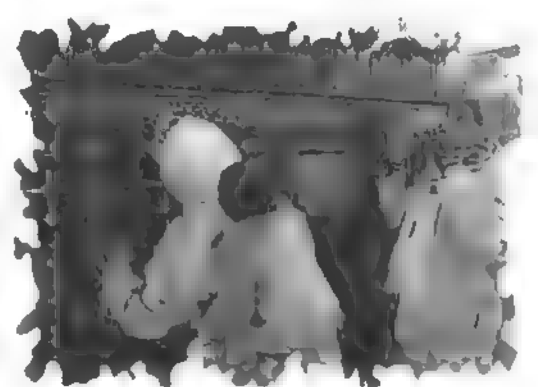
فهي ما يعتقده المشركون والنصارى في آلهتهم، وما يعتقده المبتدعون في مشايخهم، وما يظنه عُبّاد القبور في المقبورين، فيبذلون لهم الدعاء والذبح والتَّمَسُّح والصلاة، رغبة في شفاعتهم يوم القيامة.

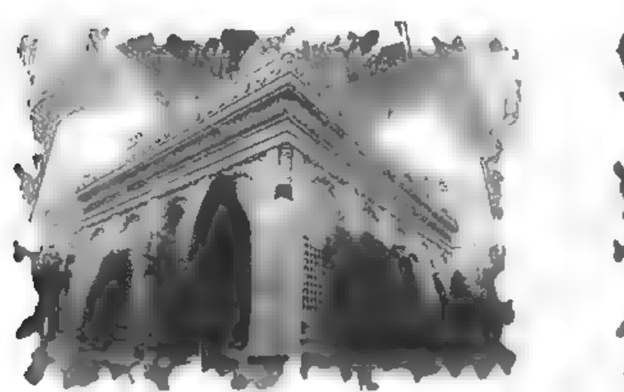
وقد كذّب الله أصحابها، فلا أحد يشفع في ذلك اليوم إلا بإذن الله، ولا يشفع إلا إذا رضي الله عن الشافع والمشفوع.

قال تعالى: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦ﴾ [البقرة: ٢٥٥].

وقال: ﴿وَلَا يَشۡفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرۡتَضَىٰ﴾ [الأنبياء: ٢٨].

فمن تقرب إلى قبر بصرف شيءٍ من أنواع العبادة له، من ذبح، أو توسُّل، أو دعاء، أو طواف، أو صلاة.. فهو في ضلال بعيد، وبالشفاعة غير سعيد.





الشفعاء يوم القيامة:

من إكرام الله تعالى لأصحاب قُربه، وأهل عبادته - أنه يقبل شفاعتهم ووساطتهم يوم القيامة في إنقاذ بعض أهل النار منها.

وقد تقدّم الحديث عن أنواع الشفاعة وشروط قبولها، وذكرنا أن أحد هذه الشروط أن يأذن الله تعالى للشافِع بالشفاعة.

وفي ضوء الأدلة الشرعية نجد أن الشفعاء يوم القيامة هم:

الأنبياء:

الأنبيـاء هم أصفياء الله من البشـر، اصطفاهم ليُخرجوا الناس من الظلمات إلى النـور، وهـم درجات عند الله، وهو سـبحانه يكـرم ويرفع من يشـاء، يقول تعـالى: ﴿ تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَٰتٍ ﴾ [الجاثية: ٢٨]، ومن أعظم الإكرام والإعزاز يوم القيامة قبول الشفاعة من الشافع.



سنعرض أولًا شفاعات نبينا محمد ﷺ -نسأل الله أن لا يحرمنا شفاعته-، وبعضها خاص به، وبعضها يشترك معه فيها غيره من الأنبياء والشهداء..

وهذه الشفاعات هي:



الشفاعة الأولى:

هي الشفاعة العظمى يوم القيامة في أهل الموقف جميعًا، وهي من المقام المحمود في قوله تعالى:

﴿ عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا ﴾

[الإسراء: ٧٩].

وهذه الشفاعة خاصة بالنبي ﷺ، لأن كل الأنبياء يعتذرون عنها، وهي أعظم الشفاعات، فيشفع ﷺ لأهل الموقف، وهم في المحشر، فزعين مضطربين، يشفع لهم ليقضي الله بينهم، ويتخلّصوا من الغم والكرب وهَول الموقف.

كما قال ابن عمر رضي الله عنه: «إن الناس يَصيرونَ يوم القيامة جُثًا[١] كل آمة تَتبَع نبيها، يقولون: يا فُلان، اشْفَع يا فُلان، اشْفَع! حتى تَنْتهي الشفاعة إلى النبي ﷺ، فذلك يوم يبعثه الله المَقام المحمود»[٢].

وفي حديث ابن عمر رضي الله عنه أيضًا أنه سمع النبي ﷺ يصف حال الناس يوم القيامة، في حديث طويل، قال فيه النبي ﷺ: «... فيشفع ليُقضى بين الخلق، فيمشي حتى يأخذ بحَلْقَة الباب، فيومئذ يبعثه الله مقاما محمودا، يحمَده أهل الجَمْع كلهم»[٣].

واختصاص النبي ﷺ بهذه الشفاعة، هو لبيان شرفه، وإظهار مقامه، وقد قال ﷺ: «أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر، وأنا أول من تنشق عنه الأرض يوم القيامة، وأنا أول شافع وأول مشفع ولا فخر»[٤].

(١) جثًا: جمع جاثٍ، أي من شدة الهول لم يستطع الوقوف على قدميه، فقام على ركبتيه، كما قال تعالى: ﴿وَتَرَىٰ كُلَّ أُمَّةٖ جَاثِيَةٗ﴾.

(٢) رواه البخاري عند قوله تعالى: ﴿عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا﴾.

(٣) رواه البخاري.

(٤) رواه ابن ماجه.

ولأنها الدعوة المدّخرة لرسول الله ﷺ، فقد سأل رجل رسول الله ﷺ: « يا رسول الله ألا سألت ربك مُلكًا كملك سليمان؟ **فضحك رسول الله ﷺ ثم قال:** لعل لصاحبكم عند الله أفضل من مُلك سليمان. إن الله لم يبعث نبيا إلا أعطاه دعوة. منهم من اتخذها دنيا فأعطيها، ومنهم من دعا بها على قومه إذ عصوه فأهلكوا بها. فإن الله أعطاني دعوة فاختبأتها عند ربي شفاعة لأمتي يوم القيامة »[1].

الأنبياء يعتذرون عنها إلا نبينا محمد ﷺ:

هذه الشفاعة جاءت مُفصَّلة في عدة أحاديث، وقد جمعت رواياتها هنا، فقد أخبرنا النبي ﷺ: أن الله يجمع الأولين والآخرين في صعيد واحد.. يُسمعهم الداعي.. ويَنفُذهم البصر.. وتدنو الشمس.. فيبلغ الناس من الغم والكرب ما لا يطيقون ولا يحتملون.. فإذا اشتد عليهم ذلك.. ورجوا أن يفصل الله بينهم القضاء.. قال بعضهم لبعض:

ألا ترون ما أنتم فيه.. وما قد بلغكم؟ ألا تنظرون من يشفع لكم إلى ربكم ﷻ؟ فيقول بعض الناس: أبوكم آدم..

فيأتون آدم فيقولون: يا آدم أنت أبو البشر.. خلقك الله بيده.. ونفخ فيك من روحه.. وأمر الملائكة فسجدوا لك.. فاشفع لنا إلى ربك.. ألا ترى إلى ما نحن فيه؟ ألا ترى ما قد بلغنا؟ فيقول آدم عليه السلام: إن ربي ﷻ قد غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله.. ولن يغضب بعده مثله.. وإنه نهاني عن الشجرة فعصيت. نفسي.. نفسي.. نفسي[2].. اذهبوا إلى غيري.. اذهبوا إلى نوح..

فيأتون نوحا فيقولون: يا نوح.. أنت أبو الرسل إلى أهل الأرض.. وسمَّاك الله عبدا شكورًا.. فاشفع لنا إلى ربك.. ألا ترى إلى ما نحن فيه؟! ألا ترى

---

(١) أخرجه الحاكم، والطبراني، والبزّار، صحيح.

(٢) المعنى: أنه عليه الصلاة والسلام لشدة تعظيمه لله تعالى وخوفه منه، يقول نفسي نفسي، أي ابحث عن نجاة نفسي، وإنقاذ نفسي.

الى مـا قد بلغنا؟! فيقـول نوح: إن ربي قد غضب اليـوم غضبًا لم يغضب قبلـه مثلـه.. ولن يغضب بعده مثلـه.. وانه كانت لي دعـوة على قومي، نفسي نفسي.. نفسي نفسي.. اذهبوا إلى غيري.. اذهبوا الى إبراهيم..

فيأتون إبراهيم فيقولون: يا إبراهيم.. انت نبي الله.. وخليله من أهل الأرض.. فاشـفع لنـا إلى ربك.. الا ترى ما نحـن فيه؟! الا ترى ما قـد بلغنا؟! فيقول إبراهيـم : إن ربي قد غضب اليوم غضبا.. لم يغضب قبله مثله.. ولن يغضب بعده مثله.. فذكر كذباته.. نفسي.. نفسي.. نفسي.. اذهبوا الى موسى..

فيأتون موسـى فيقولون: يا موسى أنت رسـول الله.. اصطفاك برسالاته.. وبتكليمه على الناس.. اشـفع لنـا إلى ربك.. ألا ترى الى ما نحن فيه؟! ألا تـرى الى ما قد بلغنـا؟! فيقول لهم موسـى: ان ربي غضب اليـوم غضبا.. لم يغضـب قبله مثله.. ولن يغضب بعده مثله.. واني قتلت نفسًـا لم أؤمر بقتلها.. نفسي نفسي.. نفسي نفسي.. اذهبوا إلى غيري.. اذهبوا إلى عيسى..

فيأتون عيسـى فيقولون: يا عيسى أنت رسـول الله.. وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه.. وكلمت الناس في المهد.. فاشـفع لنا إلى ربك.. ألا ترى إلى ما نحن فيه؟!ألا ترى إلى ما قد بلغنا؟! فيقول لهم عيسـى: إن ربي قد غضـب اليـوم غضبًا.. لم يغضب قبله مثله.. ولـن يغضب بعده مثله.. ولم يذكر ذنبًا.. اذهبوا إلى غيري.. اذهبوا إلى محمد..

قـال ﷺ: فيأتونـي فيقولون: يا محمد.. أنت رسـول الله.. وخاتم النبيين.. غفـر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر.. فاشـفع لنا إلى ربك.. ألا ترى إلى مـا نحن فيه؟! ألا ترى إلى مـا قد بلغنا؟! فأقوم فاقف تحت العرش.. فاقع ساجدًا لربي ﷻ.. ثم يفتح الله علي ويُلهمني من مَحامده.. وحُسن الثناء عليه.. ما لم يفتحه على أحد قبلي.. فيقال: يا محمد ارفع رأسـك.. وسل تُعطَ.. واشفع تُشفّع.. فأقول: يا رب أمتي أمتي.. يا رب امتي امتي.. يا

رب امتي أمتي.. فيقول: يا محمد ادخل من أمتك من لا حساب عليه من الباب الأيمن من ابواب الجنة.. وهم شركاء الناس فيما سواه من ابواب.. ثم يفصل الله القضاء بين الناس.[1]

فهذا ما يقع في الموقف العظيم، والخطب الجسيم، عند اضطراب الأمر، وحيرة الفكر، يشفع سيد الأنبياء، ورأس الأتقياء..

فهذه هي الشفاعة الأولى.. تفزع فيها جميع الأمم إلى النبي ﷺ..

- **الشفاعة الثانية:**

وهي بعدما يؤمر بأهل الجنة إلى الجنة.. فيبحثون عن من يشفع لهم بدخول الجنة.. فيأتي المؤمنون آدم عليه السلام، فيقولون: يا أبانا، استفتح لنا الجنة، **كما قال ﷺ:**

« يجمع الله تبارك وتعالى الناس، فيقوم المؤمنون حتى تزلف لهم الجنة، فيأتون آدم فيقولون: يا ابانا، استفتح لنا الجنة، فيقول: وهل أخرجكم من الجنة إلا خطيئة ابيكم ادم!! لست بصاحب ذلك اذهبوا الى ابني إبراهيم خليل الله، فيقول إبراهيم: لست بصاحب ذلك، إنما كنت خليلا من وراء وراء[2]، اعمدوا الى موسى عليه السلام الذي كلمه الله تكليما، فيأتون موسى عليه السلام فيقول: لست بصاحب ذلك، اذهبوا إلى عيسى كلمة الله وروحه، فيقول عيسى عليه السلام: لست بصاحب ذلك، فيأتون محمدا ﷺ فيقوم فيؤذن له »[3].

فنبينا محمد ﷺ يشفع في استفتاح باب الجنة ودخولها، وهي من المقام المحمود أيضًا، وهذه الشفاعة خاصة بالنبي محمد ﷺ دون غيره، ودلّ على ذلك حديث ابن عمر لما قال: « ... فيمشي حتى يأخذ بحَلْقَة الباب »[4].

(١) رواه أحمد والترمذي، وأصله في البخاري.

(٢) أي من خَلفِ حِجاب.

(٣) رواه مسلم.

(٤) رواه البخاري.

وقال ﷺ: « آتي باب الجنة يوم القيامة فاستفتح، فيقول الخازن: من أنت؟ فأقول: محمد، فيقول: بك أمرت لا أفتح لأحد قبلك »[1].

فهذا هو النوع الثاني من الشفاعات التي يكرم الله تعالى بها نبيه محمدًا ﷺ، وهذه الشفاعة ينتفع بها أمته ﷺ وغيرها من المؤمنين من أهل الجنة.

- **الشفاعة الثالثة:**

وهي خاصة بالمؤمنين الذين ليس عليهم حساب ولا عقاب، يشفع لهم نبينا محمد ﷺ إلى الله تعالى أن يؤذن لهم بدخول الجنة. قال ﷺ: « أنا سيد الناس يوم القيامة، وهل تدرون ممّ ذلك؟ يجمع الله الناس الأولين والآخرين في صعيد واحد، يُسمعهم الداعي ويُنفذهم البصر، وتدنو الشمس، فيبلغ الناس من الغم والكرب ما لا يطيقون ولا يحتملون...

ثم قال في آخر الحديث: « ثم يقال: يا محمد ارفع رأسك، سل تعطه، واشفع تُشَفَّع، فأرفع رأسي فأقول: أُمَّتي يا رب، أُمَّتي يا رب، فيقال: يا محمد أدخل من أمتك من لا حساب عليهم من الباب الأيمن من أبواب الجنة، وهم شركاء الناس فيما سوى ذلك من الأبواب، والذي نفسي بيده، إن ما بين المِصراعين من مَصاريع الجنة كما بين مكة وحِمْيَر، أو: كما بين مكة وبُصرى »[2].



وهذه الشفاعة أيضًا من المقام المحمود الذي اختصّ الله تعالى به نبينا محمدًا ﷺ.

(١) رواه مسلم.

(٢) متفق عليه. و مكة المكرمة: مدينة معروفة، وهي قبلة المسلمين، وحِميَر: بكسر الحاء وسكون الميم وفتح الياء. وهي قبيلة مسكنها صنعاء اليمن. وهي نسبة إلى حمير بن سبأ. أما بُصرى فهي: مدينة في الشام.

- **الشفاعة الرابعة:**

من فضل الله تعالى وإحسانه لعباده المؤمنين، أنه يعاملهم بعفوه وحلمه، قبل أن يعاملهم بغضبه وعقوبته.

فمن رحمته تعالى بالخلق، أنه أذن لنبينا ﷺ أن يشفع في قوم دخلوا النار من عصاة المؤمنين الموحِّدين ممن ماتوا وليس عندهم شرك بالله تعالى، لكنهم ماتوا وهم مُصِرّون على معصيةٍ عالمين بتحريمها.



فأخبرنا ﷺ أنه يشفع فيهم أيضًا، كما قال ﷺ في حديث الشفاعة:

«... فانطلق فأستأذن على ربي فيؤذن لي عليه، فإذا رأيت ربي وقعت له ساجدًا، فيدعني ما شاء الله أن يدعني، ثم يقال لي: ارفع محمد، وقل يُسمع، وسل تعطه، واشفع تُشفَّع، فأحمد ربي بمحامد علّمنيها، ثم أشفع، فيحُدّ لي حَدًّا فأدخلهم الجنة.

ثم أرجع فإذا رأيت ربي وقعت ساجدا، فيدعني ما شاء الله أن يدعني، ثم يقال: ارفع محمد، وقل يُسمع، وسَل تُعطه، واشفع تشفّع، فأحمد ربي بمحامد علّمنيها، ثم اشفع، فيَحُدّ لي حدًّا فأدخلهم الجنة.

ثم ارجع، فإذا رأيت ربي وقعت ساجدا، فيدعني ما شاء الله أن يَدعني، ثم يقال: ارفع محمد، قل يسمع، وسل تُعطه، واشفع تُشفَّع، فأحمد ربي بمحامد علّمنيها، ثم أشفع، فيحدّ لي حَدًّا فأدخلهم الجنة.

ثم أرجع فأقول: يا رب ما بقي في النار إلا من حبسه القرآن، ووجب عليه الخلود.

يخرج من النار من قال: لا إله إلا الله، وكان في قلبه من الخير ما يزن شعيرة.

ثم يخرج من النار من قال: لا إله إلا الله، وكان في قلبه من الخير ما يزن برّة.

ثم يخرج من النار من قال: لا إله الا الله، وكان في قلبه ما يزن من الخير ذرّة »[1].

وقال ﷺ: « شفاعتي لأهل الكبائر من امتي »[2].

وقال ﷺ في رواية أخرى: « فيقال: انطلق فمن كان في قلبه مثقال حبة من بُرة، أو شعيرة من إيمان، فاخرجه منها. فانطلق فافعل.. ثم أرجع الى ربي فاحمده بتلك المحامد، ثم اخرّ له ساجدا.

فيقال لي: يا محمد، ارفع رأسك، وقل يُسمع لك، وسل تُعطه، واشفع تشفع، فأقول: أمتي.. أمتي، فيقال لي: انطلق، فمن كان في قلبه مثقال حبة من خردل من ايمان فاخرجه منها، فانطلق فأفعل.

ثم أعود الى ربي فاحمده بتلك المحامد ثم أخرّ له ساجدا، فيقال لي: يا محمد، ارفع رأسك، وقل يسمع لك، وسل تعطه، واشفع تشفع، فأقول: يا رب، امتي.. امتي، فيقال لي: انطلق فمن كان في قلبه ادنى، ادنى، أدنى، من مثقال حبة من خَردل من إيمان فاخرجه من النار. فانطلق، فافعل.

وقال في آخر الحديث: فأقول: يا رب ائذن لي فيمن قال لا اله إلا الله، قال: ليس ذاك لك، أو قال: ليس ذاك إليك، ولكن وعزتي، وكبريائي، وعظمتي، وجبريائي، لأخرجن من قال: لا اله إلا الله »[3].

---

(١) رواه البخاري ومسلم بنحوه، والشعيرة: جمعها شعير، وهو من أصناف الحبوب التي تزرع ويصنع منها الخبز ونحوه. والبُرَّة: جمعها بُرّ، وهو من أصناف الحبوب أيضًا التي تزرع ويصنع منها الخبز ونحوه، وهو يشبه الشعير إلا أن حجم حبته أصغر من حبة الشعير، والذرة: تطلق على الشيء الصغير جدًا الذي لا يكاد يُرى.

(٢) رواه أحمد وأبو داود والنسائي والحاكم، صحيح.

(٣) رواه مسلم، ومعنى «حبة من خردل»: الخردل جمع خَزدلة، وهو نبات عُشبي يضرب به المثل في شدة الصِّغر.

صفة الخارجين من النار بالشفاعة:

وصَف النبي ﷺ حال بعض عصاة الموحدين إذا خرجوا من النار بشفاعته ﷺ، بعدما تعذَّبوا فيها، فقال: « يخرج من النار بالشفاعة كأنَّهم الثَّعارير »[1].

قوله « الثَّعارير »: هي القِثّاء الصغار، والقِثّاء هو نبات الخيار المعروف، أو هو مثل الخيار لكنه أطول منه.



أحد أشكال نبات القِثّاء

والمعنى أنهم لما أصابتهم النار غيّرت أجسادهم، فتغيرت أشكالهم وأحجامهم من شدة ما أصابهم، فصاروا كالثَّعارير.

وبيّن النبي ﷺ خروج أهل التوحيد من النار، وإن عُذِبوا فيها، فقال:

« يخرج قوم من النار بعد ما مسّهم منها سفع فيدخلون الجنة فيسميهم أهل الجنة: الجَهَنَّمِيّين »[2].

وهذه الشفاعة في إخراج غير المشركين من النار، بعدما يُطهرون من ذنوبهم، ليست خاصة بالنبي ﷺ وأمته، بل هي عامة للمؤمنين من جميع الأمم، يشاركه فيها الرسل والأنبياء والصالحون، وغيرهم ممن شاء الله، ولكن لنبينا محمد ﷺ منها النصيب الأوفَر.

---

(١) رواه البخاري.

(٢) رواه البخاري، قال ابن حجر: « قوله «سفع» أي سواد فيه زُرقة أو صُفرة. يقال: سفَعته النار إذا لفحته فغيرت لون بشرته وفيه رواية: «قد امتَحَشوا» وفي رواية مسلم: «إنهم يصيرون فحمًا» وفي رواية: «حِممًا» ومعانيها متقاربة ». والمراد بالجهنميين: أي الذين منّ الله تعالى عليهم فأخرجهم من جهنم إلى الجنة.

- **الشفاعة الخامسة:**

وهي شفاعة خاصة من النبي ﷺ لعمه أبي طالب، دون غيره ومع أن الكفار قد قال الله تعالى فيهم:

﴿فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ﴾ [المدثر: ٤٨].

إلا أن الله تعالى استثنى أبا طالب، فنفعته شفاعة النبي ﷺ ليس في إخراجه من النار، ولكن في تخفيف العذاب عنه، بحيث يكون في ضَحضاح من النار[1].

وهو أهون أهل النار عذابًا، لكنه لا يخرج من النار.

وقد جاء تفصيل حال أبي طالب في أحاديث أخرى، فقال ﷺ عن عمه أبي طالب: «إنه وجده في غَمَرات النار فشفع له حتى صار في ضَحضاح من النار».

فشفع لعمه أبي طالب فقط في تخفيف عذاب النار عنه لا في خروجه منها؛ لأن أبا طالب مات كافرًا، والكافر قد حرم الله عليه دخول الجنة.

وقد اجتهد النبي ﷺ في دعوة عمه أبي طالب، ولم ييأس من ذلك أبدًا، حتى إنه كان واقفًا عند رأس أبي طالب أثناء احتضاره، يناشده أن يقول: لا إله إلا الله، وأبو طالب يأبى ويقول: إنه على مِلّة عبد المطلب.

(١) ضحضاح من النار: الضحضاح هو القليل من العذاب، والعرب تسمي الماء القليل ضحضاحًا، قيل لأعرابي: إن فلانًا يدّعي الفضل عليك! فقال لو وقع في ضحضاح مني لغرق! أي في القليل من مياه كرمي ومالي، وقيل الضحضاح هو ما يبلغ الكعبين، وكل ما رقّ من الماء على وجه الأرض فهو ضحضاح.

فشـفع له ﷺ في أن يخفـف الله عنه العذاب فصـار في ضَحضَاح من النار، بسـبب ما بذل من نصرة للنبي ﷺ وتعبه وحمايته له، وهذا مـن الآيات الدالـة على أنـه ﷺ على جلالة قدره، وعلـوّ منزلته عند الله تعـالى، إلا أنه كما قال الله تعالى:

﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ ﴾ [القصص:٥٦].

وقال تعالى: ﴿ لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ ﴾ [البقرة:٢٧٢].

وقـال ﷺ: « أهـون الناس عذابًا يوم القيامة أبو طالـب، فإنه في ضحضاح من النار يغلي منه دِماغُه »[1].

وقـال ﷺ: « إن أهون أهل النار عذابا يـوم القيامة من يكون له نعلان من النـار يغلي منهمـا دماغُه، فهو يرى أنه أشـد الناس عذابـا، وهو أهونهم عذابًا »[2].

وفي روايـة قـال ﷺ: «أهون أهل النار عذابا أبو طالب وهـو مُنتعل بنعلين يغلي منهما دماغه »[3].

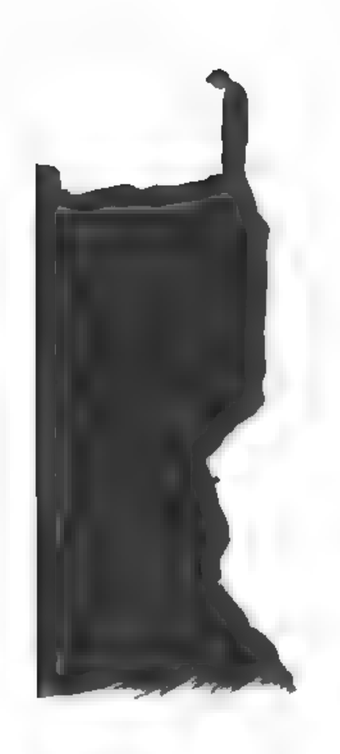
نسأل الله العافية والسلامة من عذابه، والثبات على دينه حتى الممات.

(١) متفق عليه.

(٢) أخرجه الحاكم، وأحمد، صحيح.

(٣) رواه مسلم.

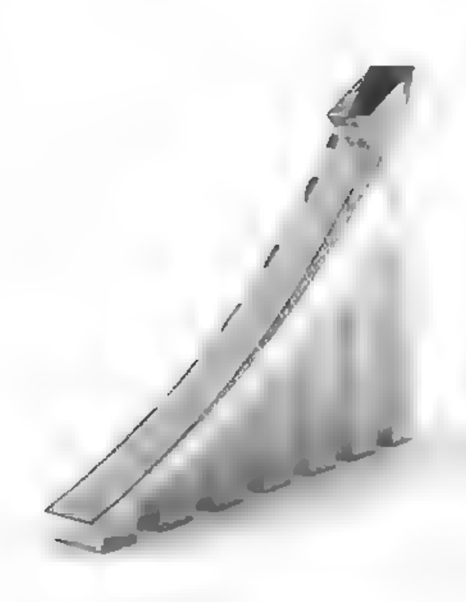
- **الشفاعة السادسة:**



وهي أن يشفع فيمن استحقّ دخول النار بسبب معاصيه، وتقصيره، أن ينجو منها، فلا يدخلها، وهذه غير شفاعته فيمن دخلها من المؤمنين المُصلّين أن يخرج منها.

وهذه الشفاعة ليست خاصة بنبينا محمد ﷺ بل تكون لغيره أيضًا من الأنبياء والصديقين والصالحين والملائكة، يشفع الملائكة، يشفع الأنبياء، ويشفع المؤمنون أيضًا، كل هؤلاء يُشفِّعهم الله تعالى فيمن دخل النار أن يخرج منها، أو فيمن استحق دخول النار أن لا يدخلها.

- **الشفاعة السابعة:**



هي الشفاعة لأناس من أهل الإيمان دخلوا الجنة أن يزدادوا رفعة ودرجات في الجنة، كما قال ﷺ داعيًا لأبي سلمة بعد وفاته رضي الله عنه:

« اللَهمّ اغفر لأبي سَلمة، وارفع درجته في المَهْدِيِّين، واخلُفه في عَقِبه في الغابرين، واغفر لنا وله يا ربّ العالمين، وأفسِح له في قبره، ونوِّر له فيه »[1].

(١) رواه مسلم، ومعنى اخلفه في عقبه في الغابرين: أي احفظ أولاده وأهله الذين بقوا أحياء.

- **الشفاعة الثامنة:**

وهي الشفاعة لمن يصبر على لأْواء المدينة وتعبها، فيقيم فيها ولا يغادرها للسكنى في غيرها، كما قال ﷺ: « لا يصبر على لأْواء المدينة وشدتها أحد من أمتي، إلا كنت له شفيعا يوم القيامة، أو شهيدا »[1].

- **الشفاعة التاسعة:**

الشفاعة لمن يموت بالمدينة، كما قال ﷺ: « من استطاع أن يموت بالمدينة فليمت، فإني أشفع لمن يموت بها »[2].

فطوبى لمن وفقه الله لسُكنى المدينة، وطوبى لمن مات فيها.



(١) رواه مسلم.

(٢) رواه أحمد وغيره.

وهذه الشفاعات التسع هي التي ينفرد بها النبي ﷺ، أو يكون شفاعته فيها غالبة على شفاعة غيره، وهناك شفاعات وشفعاء آخرون، ثبت أنها تقع يوم القيامة، غير هذه الشفاعات، سيأتي الكلام عنها.

الملائكة والمؤمنون:

الملائكة لهم عند الله تعالى مقام وإكرام، والصالحون من المؤمنين كذلك، قال ﷺ: «... فيشفع: النبيون. والملائكة. والمؤمنون. فيقول الجبار: بقيت شفاعتي. فيقبض قبضة من النار. فيخرج أقواما قد امتحشوا. فيلقون في نهر بأفواه الجنة يقال له: ماء الحياة. فينبتون في حافتيه كما تنبت الحبة في حميل السيل. قد رأيتموها إلى جانب الصخرة وإلى جانب الشجرة فما كان إلى الشمس منها كان أخضر وما كان منها إلى الظل كان أبيض. فيخرجون كأنهم اللؤلؤ فتجعل في رقابهم الخواتيم. فيدخلون الجنة. فيقول أهل الجنة: هؤلاء عتقاء الرحمن. أدخلهم الجنة بغير عمل عملوه. ولا خير قدموه. فيقال لهم: لكم ما رأيتم ومثله معه»[1].

وفي رواية قال ﷺ: «... فيقول الله ﷻ شفعت الملائكة وشفع النبيون وشفع المؤمنون ولم يبق إلا أرحم الراحمين فيقبض قبضة من النار فيخرج منها قوما لم يعملوا خيرا قط قد عادوا حمما فيلقيهم في نهر في أفواه الجنة»[2].

(١) الحديث متفق عليه. والمعنى: أن الله تعالى يخرج من النار بعض الموحدين غير المشركين، بعدما امْتُحِشوا أي: احترقوا، فيُلقون في ماء الحياة في الجنة، فتنبت أجسادهم من جديد كما تنبت الحبة في حميل السيل. أي: وحميل السيل هو ما يجيء به السَّيل من طين أو غُثاء وغيره فإذا اتَّفَقَت فيه حبَّة واستَقَرَّت على شَطِّ مَجرَى السَّيل فإنها تَنْبُت في يوم وليلة، فشبّه النبي ﷺ سُرعة عَوْد أبدانهم وأجسامهم إليهم بعد إحراق النَّار لها، وبعدما تكتمل أجسادهم، ويتم حسنهم، يُجعل في رقابهم الخواتيم: والخواتيم جمع خاتم، وهي علامات أو أسورة من ذهب تدل على منة الله تعالى عليهم أن أدخلهم الجنة بلا عمل عملوه، لكن بمغفرته ورحمته، فيدخلون الجنة وهم لم يعملوا خيرًا قط، إلا أنهم لم يقعوا في الشرك. فيقول أهل الجنة: هؤلاء عتقاء الرحمن. أي أعتقهم الرحمن وخلّصهم من النار. ثم يقال لهؤلاء الناجين: لكم ما رأيتم من النعيم، ومثله معه، أي كل ما تقع أعينكم عليه هو لكم مضاعفًا.

(٢) الحديث رواه مسلم، وقوله «حممًا» جمع حُمَمَة، وهي: الفحمة السوداء.

الشهداء:



الشـهداء هم من بذلوا أرواحهم في سبيل الله تعـالى، فبهم يرفـع الله رايـة التوحيد، وبجهادهم يُعبد الواحد المجيد، فارقوا الأهل والأوطـان، والأحبـاب والخِـلّان، وتغرَّبـوا في البـلاد، بـلا أهـل ولا أولاد، طالبين رضا الكريـم المتعال، عندها كافأهـم الله تعالى بأن جعلهم يوم القيامة من الشفعاء.

قال ﷺ: «يشفع الشهيد في سبعين من أهل بيته»[1].

رجال صالحون:



وهـم مـن أحبـوا ربهـم ﷻ فأحبهـم، وتقرّبـوا إليـه، فقرّبهـم، واسـتعانوا بـه فأعانهـم، فلِمنزلتهـم عنـد الله تعـالى يأذن لهم فيشـفعون، كما جاء عن رجل من أصحاب النبي ﷺ أنه سمع النبي ﷺ يقول:

«يدخل الجنة بشفاعة رجل من أمتي أكثر من بني تميم. **قيل:** يا رسول الله سواك؟ **قال:** سواي.

قال الراوي: فلما قام النبي ﷺ قلت: من هذا؟ **قالوا:** هذا ابن أبي الجَذْعاء»[2].

---

(١) رواه أبو داود، صحيح.

(٢) رواه الترمـذي، وعبـد الله بـن أبي الجدعـاء ﷺ هو صحابي جليـل من خيرة أصحـاب النبي ﷺ، كان صاحب عبادة، وقُربة، وصدق، وهو يشفع يوم القيامة لعدد كبير.

القرآن:



القرآن كلام الله تعالى، قُربة إلى الله تعالى، ولقارئه بكل حرف حسنة، وهو عِزٌّ لقارئه في الدنيا، ونجاة له في الآخرة، وهو شافع يوم القيامة لأصحابه، كما قال ﷺ:

«اقرءوا القرآن فإنه يأتي يوم القيامة شفيعا لأصحابه...الحديث»[1].

وقال ﷺ: «يجيء القرآن يوم القيامة فيقول: يارب حَلِّه، فيلبس تاج الكرامة، ثم يقول: يارب زده، فيُلبس حُلة الكرامة، ثم يقول: يارب ارض عنه فيرضى عنه، فيقول: اقرأ وارق، ويُزاد بكل آية حسنة»[2].

وقال ﷺ: «إن القرآن يلقى صاحبه يوم القيامة حين ينشقّ عنه قبره كالرجل الشاحب.. فيقول: هل تعرفني؟ فيقول: ما أعرفك، فيقول: أنا صاحبك القرآن، الذي أظمأتك في الهواجر، وأسهرت ليلك، وإن كل تاجر من وراء تجارته، وإنك اليوم من وراء كل تجارة، فيعطى الملك بيمينه، والخلد بشماله، ويوضع على رأسه تاج الوقار، ويكسى والداه حُلّتين لا تقوم لهما الدنيا، فيقولان: بمَ كُسينا هذا؟ فيقال: بأخذ ولدكما القرآن، ثم يقال: اقرأ، واصعد، في دُرج الجنة، وغرفها، فهو في صعود، ما دام يقرأ، حدرا كان أو ترتيلًا»[3].

---

(١) رواه مسلم.

(٢) رواه الترمذي، حسن.

(٣) رواه ابن ماجه وأحمد بسند قال فيه الهيثمي: رجاله رجال الصحيح.

فالقــرآن يأتــي شــافعًا لقارئه يــوم القيامة، وســورتا البقــرة وآل عمران تُحاجّــان عن قارئهما يــوم القيامة، فمن أكثر قراءة القــرآن، خاصة قراءة سورتي البقرة وآل عمران، استحق الشفاعة يوم القيامة.

فقــد قــال ﷺ: «اقرءوا القــرآن فإنه يأتي يــوم القيامة شــفيعا لأصحابه. اقــرءوا الزَهراويــن: البقــرة وســورة آل عمران، فإنهمــا تأتيان يــوم القيامة كأنهمــا غمامتان، أو كأنهما غيايتان، أو كأنهمــا فرقان من طير صواف، تُحاجان عن أصحابهما»[1].

موت الأولاد صغارًا:



مــوت الولد جُــرح في قلب أبيــه، لا يكاد يبرأ أبدًا، وإذا صبر الأب أو الأم، واحتسب أجره عند الله، فهــو على خير عظيم. فقــي عهد النبي ﷺ كان رجــل يأتي رســول الله ﷺ، ومعــه ابن له، ففقده النبي ﷺ فقال:

«ما فعل ابن فلان؟ **قالوا:** يا رسول الله، مات.

فقــال النبي ﷺ لأبيه: أما تحــب أن لا تأتي بابا من أبواب الجنة إلا وجدته ينتظرك؟

فقال رجل: يا رسول الله، أَلَهُ خاصةً، أو لِكُلِّنا؟ **قال:** بل لكلكم»[2].

---

(١) الحديث رواه مسلم. قوله «غمامتان»: مثنى غمامة وهي السحاب في السماء، «غيايتان»: هي ما أظلك من فوقك من سحاب أو غيره، «فرقان من طير صواف»: أي مجموعتان من طير كثيرة صافة فوقه تطير بانتظام، تأتي تحاجّان عن صاحبهما أي تدافع عنه وتشفع لإنجائه من العذاب.

(٢) رواه أحمد.

دعاء الأولاد:



دعاء الأبناء لآبائهم ينفع الآباء يوم القيامة، ويرفع درجة الآباء بعد الموت، كما قال ﷺ:

« إن الله ﷻ ليرفع الدرجة للعبد الصالح في الجنة. فيقول: يا رب أنَّى لي هذه؟! فيقال: باستغفار ولدك لك »[1].

الصيام:



الصيام من أعظم وأجلّ وأنفع العبادات.

قال ﷺ: « كل عمل ابن آدم له الحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف، يقول الله ﷻ: إلا الصيام فإنه لي وأنا أجزي به، ترك شهوته وطعامه وشرابه من أجلي، للصائم فرحتان: فرحة عند فطره، وفرحة عند لقاء ربه، ولخُلُوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك »[2]..

وقال ﷺ: « من صام يوما في سبيل الله باعد الله بذلك اليوم وجهه عن النار سبعين خريفا »[3]..

---

(١) رواه أحمد.

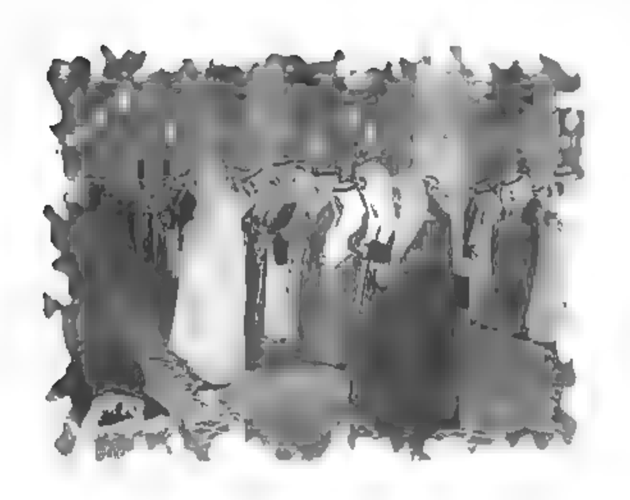
(٢) متفق عليه.

(٣) رواه مسلم.

وفي الجنة باب يُقال له الرَّيّان يدخل منه الصائمون لا يدخل منه أحد غيرهم فإذا دخلوا أُغلق فلم يدخل منه أحد..

والصوم يشفع للعبد يوم القيامة، كما قال ﷺ: «الصيام القرآن يشفعان للعبد يوم القيامة. يقول الصيام: أي رب منعته الطعام والشهوات بالنهار، فشفّعني فيه. ويقول القرآن: منعته النوم بالليل فشفعني فيه. قال: فيشفعان»[1].

شفاعة المصلين على الميت:



صلاة الجنازة على الميت المسلم، هي حق للميت على الأحياء، وللمصلي على الجنازة أجر كبير، قال ﷺ: «من شهد جنازة حتى يصلّى عليها: فله قيراط، ومن شهدها حتى تُدفن؛ فله قيراطان، قيل: وما القيراطان؟ قال: مثل الجبلين العظيمين»[2].

كما قال ﷺ: «ما من ميت يصلي عليه أمة من المسلمين يبلغون مائة، كلهم يشفعون له، إلا شُفِّعوا فيه»[3].

فقوله «كلهم يشفعون له»: أي يدعون له، ويسألون الله تعالى له المغفرة والرحمة.

(١) رواه أحمد وغيره، صحيح.
(٢) متفق عليه.
(٣) رواه مسلم.

۞ الطريق لنيل شفاعته ﷺ:

نيل شفاعة النبي ﷺ يوم القيامة، فوز كبير، وربح وفير.. وقد ذكر النبي ﷺ أسبابًا وأعمالًا تجعل العبد قريبًا من شفاعة النبي ﷺ له، وحرص المرء على هذه الأعمال دليل على إيمانه بالشفاعة، وتصديقه بها، ومن هذه الأعمال:

الذِّكر بعد الأذان:

الإكثار من ذكر الله تعالى له فضل كبير، وقد أخبرنا النبي ﷺ بذكر إذا حافظنا عليه بعد الأذان، حلَّت لنا شفاعته ﷺ يوم القيامة، كما قال ﷺ:

«من قال حين يسمع النداء: اللهم رب هذه الدعوة التامة، والصلاة القائمة، آت محمدا الوسيلة والفضيلة، وابعثه مقاما محمودا الذي وعدته. حلَت له شفاعتي يوم القيامة»[1].



كثرة الصلاة على النبي ﷺ:

نبينا محمد ﷺ أحب الخلق إلى قلوبنا، بل هو أحب إلينا من أرواحنا وأبنائنا، وكثرة ذكره، وتذاكُر سيرته، والصلاة عليه، دليل على محبته، وسبيل لنيل شفاعته، كما قال ﷺ:

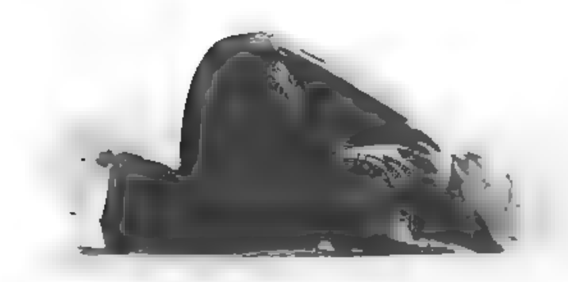
« من صلى عليّ حين يصبح عشرا وحين يمسي عشرا أدركته شفاعتي يوم القيامة »[2].

---

(١) رواه البخاري.

(٢) رواه الطبراني، وحسنه السيوطي، وضعفه عدد من أهل العلم.

كثرة صلاة النافلة:



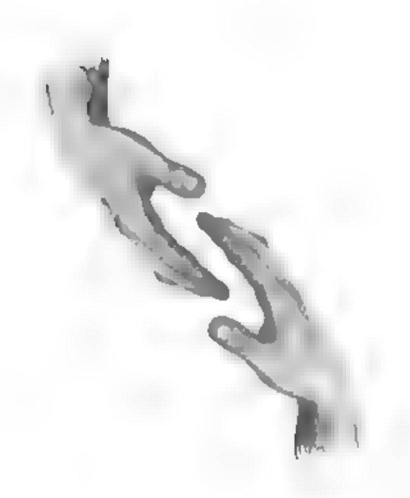
الصلاة أحب الأعمال إلى الله، كما قال ﷺ:

« واعلموا أن خير أعمالكم الصلاة »[1].

والصلاة الفريضة والنافلة طريق للخير ونيل الشفاعة، كما قال ربيعة بن كَعْب ﷺ وهو يخدُم النبي ﷺ:

« ... حاجتي أن تشفع لي يوم القيامة. **فقال ﷺ:** فأعنِّي بكثرة السجود »[2].

قضاء حوائج المسلمين:



خلق الله تعالى الناس مراتب، فرفع بعضهم فوق بعض درجات، منهم الغني والفقير، والرئيس والمرؤوس، وجعل للجاه زكاة كما أن للمال زكاة، وزكاة الجاه هي الشفاعة للضعفاء والمساكين، والسعي في حاجاتهم.

كما قال ﷺ: « من قضى لأخيه حاجة، كنت واقفاً عند ميزانه، فإن رجح وإلا شفعت له »[3].

---

(١) رواه أحمد في مسنده، ومالك في الموطأ، صحيح.

(٢) رواه أحمد، صحيح.

(٣) أخرجه أبو نعيم في الحلية، صحيح.

التآخي في الله:



المؤمنون ربطهم الله تعالى برابطة الأخوة، فقال تعالى:

﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ [الحجرات: ١٠].

فالأخوّة في الله قرينة الإيمان، فالمؤمنون روح واحدة حلّت في أجسام متعددة، ومن أحب أخاه في الله ولأجل الله، وآخاه، استحقا شفاعة النبي ﷺ، كما قال ﷺ:

« أنا شفيع لكل رجلين تحابا في الله، من مبعثي الى يوم القيامة »[1].

فهذه قربات أخبر النبي ﷺ أنها سبيل لنيل شفاعة النبي ﷺ، وحريٌّ بالعبد أن يحرص على الاشتغال بها، وتحصيلها.

كثرة اللّعن تمنع الشفاعة:

كما قال ﷺ:

« إن اللعانين لا يكونون شهداء، ولا شفعاء، يوم القيامة »[2].

---

(١) أخرجه أبو نُعَيم في الحلية، صحيح.

(٢) رواه مسلم.

أسعد الناس بشفاعة النبي ﷺ:

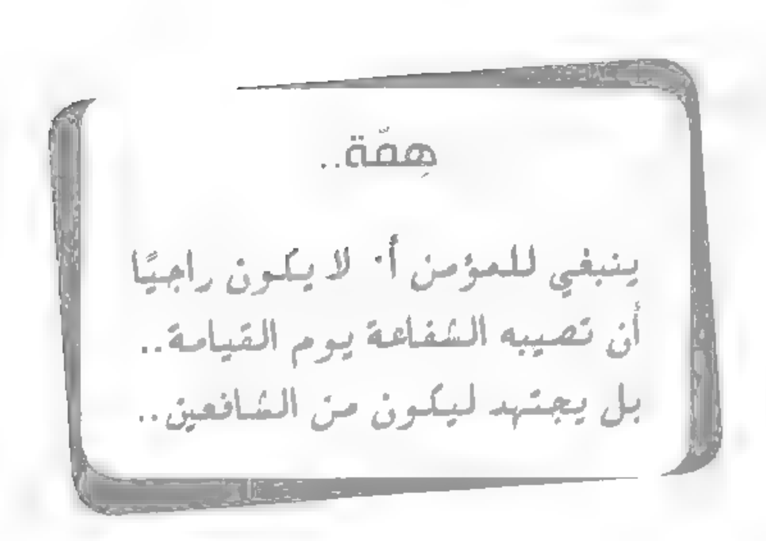
سأل أبو هريرة النبي ﷺ فقال: « يا رسول الله من أسعد الناس بشفاعتك يوم القيامة؟

فقال ﷺ: لقد ظننت يا أبا هريرة أن لا يسألني عن هذا الحديث أحد أول منك. لما رأيت من حرصك على الحديث. أسعد الناس بشفاعتي يوم القيامة. من قال: لا إله إلا الله خالصًا من قِبَل نفسه. ».

وقال ﷺ: « من قال لا إله إلا الله مخلصا دخل الجنة.

قيل: يا رسول الله: ما إخلاصها؟

قال: أن تحجزه عن محارم الله »[1].



(١) أخرجه الترمذي الحكيم في نوادر الأصول.

كل أُمّة تَتّبَع إلهَها

في ختـام هذا اليوم: يوم الحشـر، يُصرف العباد إمـا إلى جنة وإما إلى نار، وهما المأوى الأخير الذي يصير إليه العباد جميعًا، فليس بعد الموت من دار إلا الجنة أو النار.

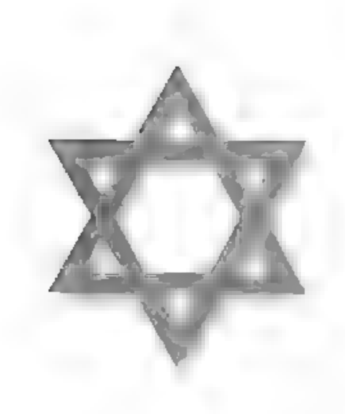
وفي آخـر ذلـك اليوم العظيـم تؤمر كل أمـة أن تَتْبَع الإلـه الذي كانت تعبـده في الدنيـا، وتظهر أنـواع الآلهة التي كانـت تُعبد في الدنيـا، فيتبعها عابدوها. فمن كان يعبد الشـمس يتبع الشـمس. والـذي كان يعبد القمر يتبـع القمر. والذي كان يعبد الأصنام تصور لهم آلهتهم أمامهم ويتبعونها. والـذي كانـوا يعبدون فرعـون يتبعونه فتسـير بهـم الآلهـة الباطلة وهم يتبعونها كما تبعوها في الدنيا، حتى تقع في النار، ويتسـاقط عبادها وراءها، كما قال تعالى عن فرعون:

﴿يَقْدُمُ قَوْمَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ فَأَوْرَدَهُمُ ٱلنَّارَ ۖ وَبِئْسَ ٱلْوِرْدُ ٱلْمَوْرُودُ﴾ [هود: ٩٨].



ولا يبقى بعد ذلك إلا المؤمنون وبقايا أهل الكتاب.. وقد بيّن النبي ﷺ كل ذلك بقوله:

«إذا كان يوم القيامة أذّن مؤذن: لتَتّبع كل أمّة ما كانت تعبد. فلا يبقى أحد كان يعبد غير الله سبحانه من الأصنام والأنصاب إلا يتساقطون في النار. حتى إذا لم يَبْق إلا من كان يعبد الله من بَرٍّ وفاجرٍ، وغُبَّر أهل الكتاب[1].

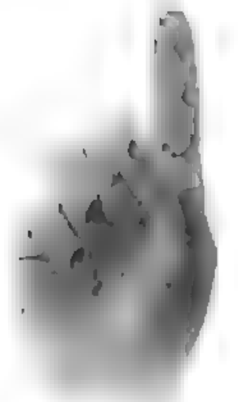


فيُدعى اليهود، فيقال لهم: ما كنتم تعبدون؟ قالوا: كنا نعبد عُزير ابن الله! فيُقال: كَذبتم ما اتخذ الله من صاحبة ولا ولد، فماذا تبغون؟ قالوا: عَطِشنا يا ربنا، فاسقنا. فيُشار إليهم: ألا تردُون؟ فيُحشرون إلى النار كأنها سَرابٌ يَحطِم بعضها بعضًا، فيتساقطون في النار.



ثم يُدعى النصارى فيقال لهم: ما كنتم تعبدون؟ قالوا: كنا نعبد المسيح ابن الله! فيقال لهم: كذَبتم، ما اتخذ الله من صاحبة ولا ولد. فيقال لهم: ما تبغون؟ فيقولون: عَطِشْنا، يا ربنا فاسقنا. فيُشار إليهم: ألا تَردون؟! فيُحشرون إلى جهنم كأنها سَراب يَحْطِم بعضها بعضًا، فيتساقطون في النار.

(١) أي بقايا من أهل الكتاب من اليهود والنصارى.



حتى إذا لم يَبقَ إلا من يعبد الله تعالى من برٍّ وفاجر، أتاهم ربُّ العالمين سبحانه وتعالى في أدنى صورة من التي رأوه فيها.

قال: فماذا تنتظرون؟ تتبع كل أمة ما كانت تعبد. قالوا: يا ربنا، فارقنا الناس في الدنيا أفقر ما كنا إليهم، ولم نصاحبهم.

فيقول: أنا ربكم. فيقولون: نعوذ بالله منك، لا نشرك بالله شيئًا.. نعوذ بالله منك، لا نشرك بالله شيئًا.. نعوذ بالله منك، لا نشرك بالله شيئًا.. حتى إن بعضهم ليكاد أن ينقلب[1]، فيقول: هل بينكم وبينه آية فتعرفونه بها؟ فيقولون: نعم، فيُكشف عن ساق. فلا يبقى من كان يسجد لله من تلقاء نفسه إلا أذن الله له بالسجود ولا يَبقى من كان يسجد اتقاءً ورياءً إلا جعل الله ظهره طبقة واحدة كلما أراد أن يسجد خرَّ على قفاه[2]، ثم يرفعون رؤوسهم وقد تحوَّل في صورته التي رأوه فيها أول مرة، فقال: أنا ربكم، فيقولون: أنت ربنا. ثم يُضرب الجِسر على جهنم، وتحلّ الشفاعة، ويقولون: اللهم سَلِّم سَلِّم.

قيل: يا رسول الله، وما الجِسر؟ قال: دَحضٌ، مَزِلّة، فيه خطاطيف، وكلاليب، وحسك تكون بنجد فيها شُويكة يقال لها: السّعدان. فيمر المؤمنون كطرف العين، وكالبرق، وكالطير، وكأجاويد الخيل، والرِّكاب، فناجٍ مسلَّم، ومخدوش مُرسَل، ومكدوس في نار جهنم»[3]

(١) المعنى: أنه لشدة امتحان المؤمنين يوم القيامة، فإن بعضهم يكاد أن ينقلب أي يرجع عن الصواب، لولا تثبيت الله تعالى له.

(٢) المعنى: أن ظهره لا يصبح ليّنا يستطيع أن يحنيه ويثنيه كما كان يفعل في الدنيا، وإنما يكون ظهره كأنه قطعة من صفيحة حديد لا ينثني معه، فإذا حاول أن يثنيه سقط على ظهره، وهذا جزاء له لأنه كان في الدنيا تاركًا للصلاة، أو كان يصلي رياء وسمعة.

(٣) الحديث رواه مسلم، وأجاويد الخيل والركاب: هي السريعة النشيطة من الخيل، والركاب أي الإبل، والمكدوس: المدفوع من ورائه.

فهـذا وصف عام لما يقـع للأمم قبل الأمـر بعبور الصـراط، فلا يبقى في المحشـر إلا من ينتسـب إلى الإسـلام بأصنافهم، فيهم البَرّ والفاجر، والمتَّبِع والمبتدع، ويبقى أيضًا بقايا من أهل الكتاب.

- فماذا يقع بعد ذلك؟
- وكيف يعبرون الصراط؟
- وكيف يحشر الكافرون إلى النار؟
- هذا ما يتم تفصيله بإذن الله في الفصول التالية.



كيفية حشر الكافرين إلى النار

أخبرنا ربنـا الملك العظيم جـل جلاله، بكيفية حشـر المؤمنـين إلى الجنة، في كرامـة ومِنّـة، وسـعادة واطمئنان، وربح بلا خسـران، وأخبرنا سـبحانه عن كيفِيّة حشـر الكافرين إلى النار، في خِزْي وصغار، وذلٍ وانكسار، جاء ذلك في كتاب ربنا بأوضح البيان، ومن أصدق قيلًا من الكريم المنان.

- فكيف يساق الكفار إلى النار؟
- وما حال آلهتهم؟
- وما موقف النار منهم إذا اقتربوا منها؟



الناظر في كتاب الله تعالى يجد لذلك عددا من الصور، منها:

الصورة الأولى:

أنهم يُحشرون كقُطْعان الماشية جماعات، يُصاح بهم من هنا وهناك.

كما قال تعالى: ﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا﴾ [الزمر: ٧١].

وقال تعالى: ﴿يَوۡمَ يُدَعُّونَ إِلَىٰ نَارِ جَهَنَّمَ دَعًّا﴾ [الطور: ١٣].

وقال: ﴿وَيَوۡمَ يُحۡشَرُ أَعۡدَآءُ ٱللَّهِ إِلَى ٱلنَّارِ فَهُمۡ يُوزَعُونَ﴾ [فصلت: ١٩].

فهم يُوزَعون أي يُجمعون ويزدحمون ويدفع بعضهم بعضًا، كما يفعل البشر بالبهائم.

الصورة الثانية:

أنهم يُحشرون إلى النار على وجوههم، لا كما كانوا يمشون في الدنيا على أرجلهم، كما قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يُحۡشَرُونَ عَلَىٰ وُجُوهِهِمۡ إِلَىٰ جَهَنَّمَ أُوْلَٰٓئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ سَبِيلًا﴾ [الفرقان: ٣٤].

وأقبل رجل إلى النبي ﷺ فسأله قال: يا رسول الله، كيف يُحشر الكافر على وجهه يوم القيامة؟ فقال ﷺ: «أليس الذي أمشاه على رجليه في الدنيا قادر على أن يُمشيه على وجهه يوم القيامة؟»[1].

---

(١) متفق عليه.

ومع حشرهم على هذه الصورة المؤلمة المخزية على وجوههم فإنهم يُحشرون عُميًا لا يَرون، وبُكمًا لا يتكلمون، وصُمًّا لا يَسمعون.

قال ربنا الملك جل جلاله: ﴿وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا﴾ [الإسراء: ٩٧].

الصورة الثالثة:

أنهم يحشرون مع آلهتهم الباطلة وأعوانهم وأتباعهم، كما قال تعالى: ﴿احْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ (٢٢) مِن دُونِ اللَّهِ فَاهْدُوهُمْ إِلَىٰ صِرَاطِ الْجَحِيمِ﴾ [الصافات: ٢٢ - ٢٣].

والمقصود بقوله تعالى: ﴿وَأَزْوَاجَهُمْ﴾ أي أشباههم ونظراؤهم، والمرء يوم القيامة يُحشر مع من أحبّ، فمن أحب شيئًا حُشِر معه.

الصورة الرابعة:

أنهم في حشرهم هذا مغلوبون مقهورون أَذِلّاء صاغرون، غير مُكَرَّمين ولا محترمين، كما قال تعالى: ﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوا سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمِهَادُ﴾ [آل عمران: ١٢].

الصورة الخامسة:

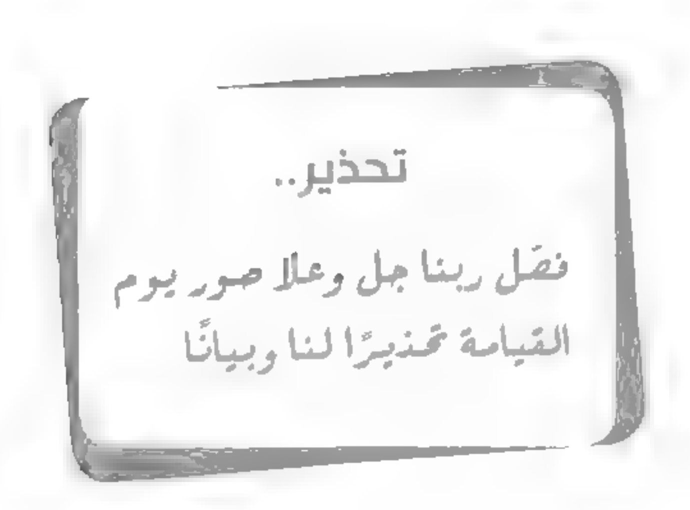
أنهم تَصُكّ مسامعهم أصوات النار وزَفِيرها، فتمتلئ قلوبهم رعبًا وهَلَعًا، كما قال ربنا الملك: ﴿إِذَا رَأَتْهُم مِّن مَّكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا﴾ [الفرقان: ١٢].

الصورة السادسة:

عندما يقبلون على النار، ويعاينون أهوالها، يندمون ويتَمَنَّون العودة إلى الدنيا كي يؤمنوا، كما قال تعالى: ﴿ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُوا۟ عَلَى ٱلنَّارِ فَقَالُوا۟ يَٰلَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الأنعام: ٢٧]، ولكنهم لا يجدون من النار مفرًّا، قال تعالى: ﴿ وَرَءَا ٱلْمُجْرِمُونَ ٱلنَّارَ فَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُم مُّوَاقِعُوهَا وَلَمْ يَجِدُوا۟ عَنْهَا مَصْرِفًا ﴾ [الكهف: ٥٣]

الصورة السابعة:

وأخيرًا، يُدفع المجرمون بكل ذلّ إلى النار وبئس المصير، كما وصف الله تعالى حالهم فقال: ﴿ فَٱدْخُلُوٓا۟ أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۖ فَلَبِئْسَ مَثْوَى ٱلْمُتَكَبِّرِينَ ﴾ [النحل: ٢٩].



الصِّراط

من أبرز أحـداث القيامـة، المرور على الصراط، وهو عسـير المـرور، مُفزِع المنظر، يثبِّت الله عليه أقـدام المؤمنين كما ثبت قلوبهم في الدنيا على الدين، وتزِلّ فيه أقدام الخاسرين، كما زلّت قلوبهم في الدنيا عن التصديق واليقين. فهو تَمْحيص كبير، واختبار عسير، من نجى منه فاز، وأعظم الجوائز حاز، ومن تردّى وخاب، فقد حق عليه العذاب.

- فما الصراط؟
- وما صفته؟
- وأين يكون موقعه؟
- وما حال الناس عليه؟

مدخل

ذكر النبي ﷺ أحوال القيامة، وعَرَصاتها، ومن ذلك المرور على الصراط، وبيّن أن الرسل يخافون ويرجون، وأن أمته بشفاعته ينتفعون، وهذا الصراط له صفات، والمارّون عليه لهم أحوال.

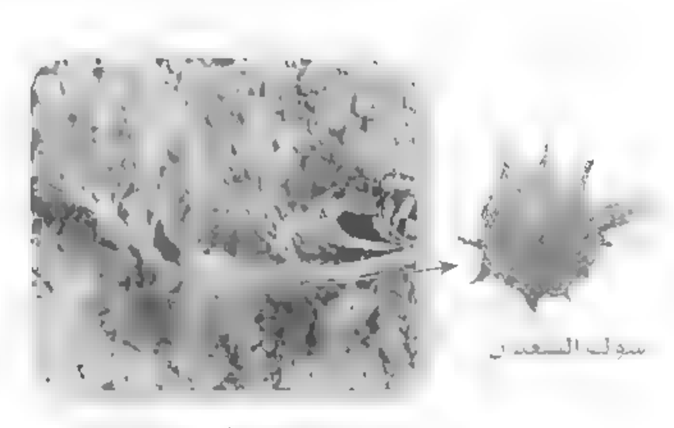
- والصراط في اللغة: هو الطريق الواضح.
- والصراط في الآخرة: جسر ممدود على مَتْن جهنم، يعبر عليه الأوَّلُون والآخِرون.

صِفات الصراط:

الصراط جِسر ممدود على متن جهنم، أحَدّ من السيف.. وأدَقّ من الشعرة.. عليه حَسَك[1] كشَوك السَّعدان، وكَلاليب[2] تخطِف الناس، طوله شهر.. تغشاه الظُلْمة..



احد اشكال الكلاليب



شوك السعدان

نبات السعدان

(١) الحَسَك: هو الشوك الصغير.

(٢) الكلاليب هي جمع كُلّاب.. وهو: الخُطّاف، وهو عصا من حديد معقوف آخرها، تُجذب بها الاشياء وتُخطف.

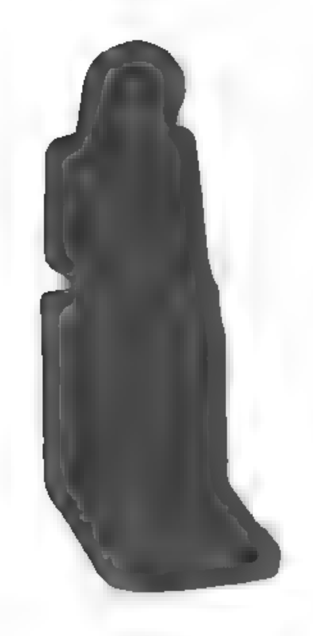
قـال ﷺ: «... ثم يُؤتى بالجسـر فيجعل بين ظهري جهنم. **قلنا:** يا رسـول الله، وما الجسـر؟ **قال:** مدحضة، مزلّة، عليه خطاطيف، وكلاليب، وحسكة مفلطحة لها شوكة عقيفاء تكون بنجد يقال لها السّعدان»[1].

وقال أبو سعيد رضي الله عنه: «بَلَغَني أن الجسر أدقّ من الشعرة وأحَدُّ من السيف»[2].

موقع الصراط:

المـرور على الصراط يكون بعد تطايُـر الصحف، ووزن الأعمال، وحصول بعض أنواع الشفاعة، وورود الحوض، والحساب والفصل بين العباد.

المشركون لا يمرون على الصراط!



وذلك أن الناس يوم القيامة أقسام: مؤمن مخلص يعبد الله وحده لا يشـرك به شـيئًا، منافق، ومشـرك يعبد مع الله غيره.

فأمـا المشـركون فإنهم لا يمرون علـى الصراط، وإنما يقعـون في النار قبل وضع الصراط. ويمر على الصـراط كل من انتسـب إلى الإسـلام، ولم يقع في الشِّرك، فيمر المؤمنون والمنافقون.

(١) متفق عليه.

(٢) رواه مسلم.

المنافقون والصراط!

يقف أتباع الرسل الموحدون وفيهم أهل الذنوب والمعاصي وفيهم أهل النفاق، وتُلقى عليهم الظلمة قبل الجسر، ثم تُوزع عليهم الأنوار كل حسب ما معه من إيمان وعمل صالح.

كما قالت عائشة ﵂: سُئل الرسول ﷺ: أين يكون الناس يوم تُبدّل الأرض غير الأرض والسماوات؟ فقال: «هم في الظلمة دون الجسر»[1].

وفي هذا الموضع يفترق المنافقون عن المؤمنين، ويتخلفون عنهم، ويسبقهم المؤمنون، ويُفصَل بينهم بسور عظيم يمنع المنافقين من الوصول إلى المؤمنين، كما قال تعالى:

﴿ يَوْمَ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱنظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ قِيلَ ٱرْجِعُوا۟ وَرَآءَكُمْ فَٱلْتَمِسُوا۟ نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُۥ بَابٌۢ بَاطِنُهُۥ فِيهِ ٱلرَّحْمَةُ وَظَٰهِرُهُۥ مِن قِبَلِهِ ٱلْعَذَابُ ﴾ الحديد: ١٣.

فالمؤمنون الذين اتبعوا نور القرآن والسنة، يُعطَون في يوم القيامة نورًا يكشف لهم الظلمات يوم القيامة، ويُثبِّت أقدامهم على مزِلّة الصراط.



أما المنافقون الذين أعرضوا عن نور الكتاب والسنة في الدنيا، فهم يوم القيامة يتخبّطون في الظلمات، كما حرموا أنفسهم في الدنيا من النور.

فيطلب المنافقون من أهل الإيمان أن ينتظروهم ليستضيئوا بنورهم فيقال لهم: ارجعوا وراءكم فالتمسوا نورًا، فيتقهقر المنافقون خائبين، ويتقدم المؤمنون، فإذا تمايز الفريقان ضرب الله بينهم بسور له باب، باطنه

---

(١) رواه مسلم.

فيه الرحمة، وظاهره من قِبَله العذاب، ويكون مصير المؤمنين والمؤمنات الجنة، ومصير المنافقين والمنافقات النار.

۞ مقدار نور المؤمن:

الذين يمرون على الصراط، قد أُعطي كل إنسان نورًا، من المؤمنين والمنافقين، كما قال ﷺ في رؤية الله ﷻ:

« ... فيتجلى لهم يضحك، فينطلق بهم ويتبعونه، ويُعطى كل إنسان منهم، منافق، أو مؤمن، نورا، ثم يتبعونه، وعلى جسر جهنم كلاليب، وحسك، تأخذ من شاء الله، ثم يُطفأ نور المنافقين، ثم ينجو المؤمنون، فتنجو أول زمرة وجوههم كالقمر ليلة البدر سبعون ألفا لا يُحاسَبون »[1].



ويُعطى كل مؤمن نوره على قدر عمله الصالح، ويسير المؤمن على الصراط ويُسرع على قدر النور الذي بين يديه، فبمقدار قوة الإضاءة أمامه يستطيع أن يسرع في السير.

كما قال ﷺ: « فمنهم من يعطى نوره مثل الجبل بين يديه، ومنهم من يُعطى نوره فوق ذلك، ومنهم من يعطى نوره مثل النخلة بيمينه، ومنهم من يُعطى دون ذلك بيمينه، حتى يكون آخر من يُعطى نوره في إبهام قدمه، يضيء مرة ويطفئ أخرى، إذا أضاء قدّم قدمه، وإذا انطفأ قام، قال: فيمرون، ويمرون على الصراط »[2].

(١) رواه مسلم.

(٢) رواه الطبراني في الكبير، صحيح.

دعاء المؤمنين عند الصراط:



أخبر الله تعالى أن دعاء المؤمنين عندما يسعى نورهم بين أيديهم هو:

﴿رَبَّنَآ أَتۡمِمۡ لَنَا نُورَنَا وَٱغۡفِرۡ لَنَآۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ﴾ [التحريم: ٨].

أصناف العابرين على الصراط:

الناس يَرِدون النار ثم يصدرون منها بأعمالهم، وهم ثلاثة أصناف:

- ناجٍ مُسلَّم.
- ناجٍ مَخْدوش.
- مَكْدُوس في النار.

كما قال ﷺ: «يُوضع الصراط بين ظهراني جهنم على حسك كحسك السّعدان ثم يستجيز الناس: فناجٍ مُسلَّم، ومخدوج به ثم ناجٍ، ومُحتبس به ومَنْكوس فيها»[1].

(١) رواه أحمد وابن ماجه والحاكم، صحيح. والمعنى أن العابرين على الصراط منهم: الناجي السالم من عذابها ونكالها، ومنهم الناجي من النار المجاوز للصراط: لكنه مخدوش أي مصاب في جسده بحروق منها، ومنهم من ينطفئ نوره، وتزلّ قدمه في النار، فينتكس فيها، عياذًا بالله من الخسران. وحسك السعدان: هو شوك صغير حاد يلتصق بالجلد والثياب عادة فيسبب أذى.

وفي حديث أبي سعيد رضي الله عنه أنّه ﷺ قال عن الجسر:


شوك السعدان

« ... عليه خطاطيف وكلاليب وحسَكة مُفلطحة لها شوكة عُقيفاء تكون بنجد يُقال لها السّعدان. المؤمن عليها كالطَّرف، وكالبرق، وكالريح، وكأجاويد الخيل، والرِّكاب. فناجٍ مُسَلَّم، وناجٍ مخدُوش، ومَكدُوس في نار جهنم، حتى يَمُرّ آخرهم يُسحب سحبًا »[1].

وأخبر ﷺ أن هذا الشوك الذي على الصراط كبير الحجم، كما قال ﷺ: « ... وفي جهنم كلاليب مثلُ شوك السّعدان، هل رأيتم السعدان؟ **قالوا: نعم، يا رسول الله. قال:** فإنها مثلُ شوك السعدان، غير أنه لا يعلم ما قدرُ عِظَمها إلا الله، تخطف الناس بأعمالهم، فمنهم الموبق بقي بعمله، أو الموثق بعمله، ومنهم المُخَرْدَل أو المُجَازَى أو نحوه »[2].

مقدار سرعة العابر على الصراط:

يتفاوت العابرون على الصراط في سرعة عبورهم، بحسب قوة الإضاءة التي يرونها أمامهم فيسيرون، وقد وصف النبي ﷺ أحوالهم في السير، فقال:

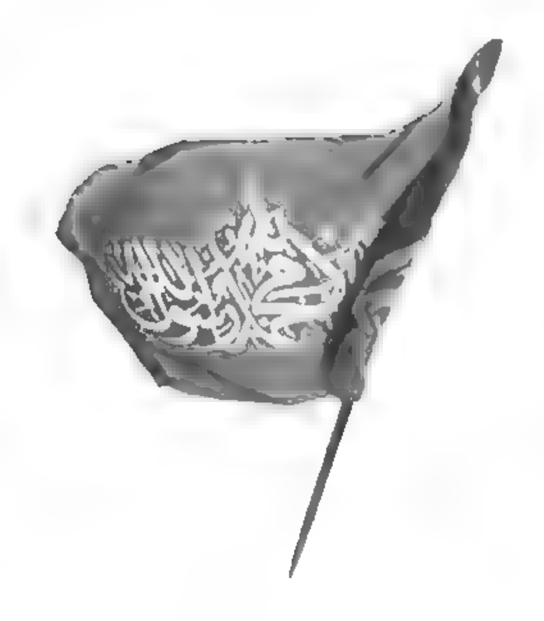
« ... والصراط كحدِّ السيف، دحضٌ، مزلّة، ويقال لهم: امضوا على قدر نوركم، فمنهم من يمرّ كانقضاض الكوكب، ومنهم من يمر كالريح، ومنهم من يمر كالطَّرف، ومنهم من يمر كشدّ الرجل يرمُل رملا على قدر أعمالهم، حتى يمر الذي نوره على إبهام قدمه، تخِرّ يد وتَعلق يد، وتخر

(١) متفق عليه. وذكر ابن جرير الطبري عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾ «هو المرور على الصراط فوق النار، ثم أورد عن قتادة رحمه الله، في قوله « يُسحب سحبًا»: أي لا يستطيع المشي، ولا الزحف، فيُسحب سحبًا».

(٢) متفق عليه.

رجل وتعلق رجل، وتصيب جوانبه النار. فيخلصون. فإذا خلصوا، قالوا: الحمد لله الذي نجّانا منك بعد ان أراناك، لقد اعطانا ما لم يُعطِ احدا »[1].

أول من يُجيز الصراط:



بعد نصب الجسر، ووضع الصراط، فإن أول من يجيز عليه ويمر مُكرّمًا محفوظًا من الزلل، هو نبينا محمد ﷺ، وأمّته تتبعه بعده، كما قال ﷺ:

« ويُضْرَبُ الصِّراط بين ظهري جهنم، فأكون أنا وأمتي أول من يُجيزها، ولا يتكلم يومئذٍ إلا الرسل، ودعوى الرسل يومئذ: اللهم سَلِّم سَلِّم »[2].

---

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك، والبيهقي في شعب الإيمان، ومعنى قوله « كحد السيف» أي دقيق حاد، وهو دحض: أي شديد الانزلاق، وهو مَزلّة: أي موضع تزلّ وتنزلق فيه الاقدام.
وقوله: امضوا على قدر نوركم: أي تكون سرعة كل شخص بحسب قوة النور الذي بين يديه.
وقوله: يمر كانقضاض الكوكب أي سرعة مروره كسرعة انقضاض الشهاب من السماء.
وقوله: يمر كالريح أي مثل سرعة الريح في هبوبها ومسيرها.
وقوله: يمر كالطرف أي مثل لمح العين في سرعته .
وقوله: يمر كشد الرجل أي كمشي الرجل السريع. الرَّمَل هو المشي السريع مع تقارب الخطى.
قوله: نوره على إبهام قدمه أي نوره ينبعث من أصبع الإبهام في قدمه، فلقلّة نوره وحدّة الصراط تنزلق إحدى رجليه ويتعلق بالأخرى، وتنزلق إحدى يديه ويتعلق بالأخرى، وتصيب جوانبه النار: أي مع انزلاقه من فوق الصراط تصيب النار جوانبه فتحرق بعض جسده.
قوله: فيخلُصون فإذا خلصوا: أي يمرون من فوق الصراط ويتخلّصون منه، فإذا خلصوا: أي إذا جاوزوا الصراط، حمدوا الله تعالى أن نجوا من النار وقالوا: الحمد لله الذي نجانا منك.

(٢) رواه الشيخان.

النبي ﷺ على الصراط يدعو لأمته:

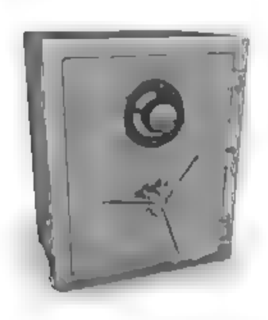
أعمال الذين يمرون على الصراط تجري بهم، ومنهم من يمر مثل مرّ الطير، ومرّ الريح، والبرق، والنبي ﷺ قائم على الصراط يقول: رب: سلّم، سلّم.

كما قال ﷺ: «فيمر أولكم كالبرق، ثم كمرّ الريح، ثم كمرّ الطير، وشد الرجال، تجري بهم أعمالهم، ونبيكم قائم على الصراط يقول: رب سلّم، سلم، حتى تعجز أعمال العباد حتى يجيء الرجل فلا يستطيع السير إلا زحفا»[1].

الرَّحِم والأمانة على جانبي الصراط:

بعض الأعمال الصالحات تحضر عند الصراط، ينتفع بها أصحابها، ومن ذلك أن الرّحِم والأمانة تقومان جَنَبَتَي الصراط، يمينًا وشمالًا، كما قال ﷺ في حديث أبي هريرة رضي الله عنه:

«... وتُرسل الأمانة والرحم فتقومان جنبتي الصراط يمينًا وشمالا»[2].



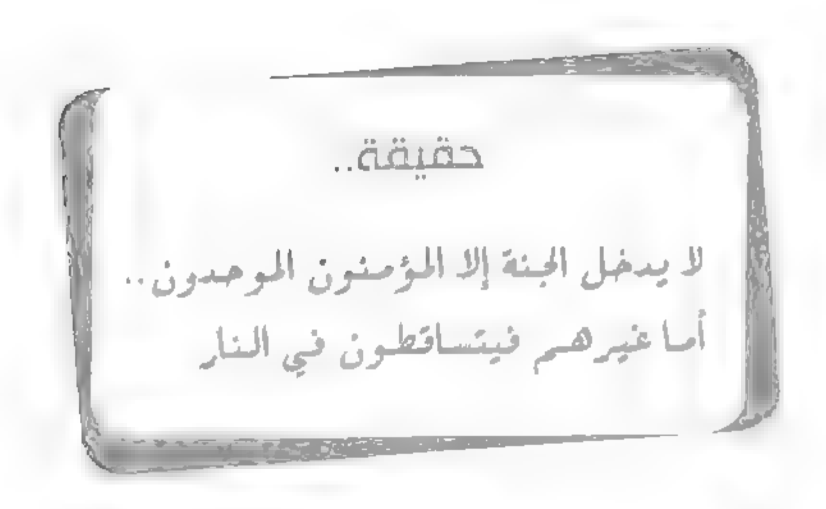


(١) رواه مسلم، ومعنى الحديث مثل ما قبله وهو أن الناس يتفاوتون في قدرتهم على المرور على الصراط، وسرعتهم، ونجاتهم، بحسب أعمالهم، فمنهم السريع كالبرق، وكالريح، وكالطير، والرجل الراكض، حتى يكون آخرهم أقلهم عملًا صالحًا فهو يزحف زحفًا.

(٢) رواه مسلم، والمعنى أن الأمانة وهي ضد الخيانة، بمعنى عدم الغدر والخيانة في المال ولا الولد ولا الوظيفة، والرحم وهو صلة الرحم والإحسان إليهم، تحضران حول الصراط، لأجل أن تثبتا وتعينا من كان حريصًا عليهما، قائمًا بهما.

ختامًا:

في هـذا الموقف الرهيـب.. تَوهّم نفسـك إذا صرت على الصـراط ونظرت إلى جهنم تحتك سـوداء مظلمة، قد لَظَى سعيرها، وعلا لهيبها. وأنت تمشي أحيانًـا، وتزحـف أخرى. والخلائق بـين يديك يزِّلون، ويَعْثُـرون، وتتناولهم زَبانية النار بالخطاطيف والكَلاليب وأنت تنظر إليهم، كيف يُنَكَّسـون إلى جهـة النار رؤوسـهم وتعلو أرجلهم! فيا له من منظـر ما أفظعه! ومرتقى ما أصعبه! ومجاز ما أضيقه!



قِصاص المؤمنين بعد الصِّراط

بعد عبور المؤمنــين الصراط، ونجاتهم من النار، يبقى بين بعضهم البعض، حقـوق ومظـالم كانـت بينهـم في الدنيا، وربنـا جل جلالـه يريد أن يصفـي نفـوس بعضهم علـى بعض قبـل أن يدخلـوا الجنة، كما قـال تعالى:
﴿ ٱدْخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ ءَامِنِينَ (٤٦) وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَٰنًا ﴾ [الحجر: ٤٦ - ٤٧].

- فكيف يتم القصاص بينهم؟
- وهل هو حساب من جديد؟
- وهل يتعذبون بذلك أو يتألمون؟

۞ مدخل :

الدليل في القِصاص بين المؤمنين قبل دخول الجنة، هو قوله ﷺ:



« إذا خلص المؤمنون من النار، حبسوا بقنطرة بين الجنة والنار، فيتقاصون مظالم كانت بينهم في الدنيا، حتى إذا نُقُّوا وهُذِّبوا، أُذن لهم بدخول الجنة، فوالذي نفس محمد بيده لأحدهم بمسكنه في الجنة أدلّ بمنزله كان في الدنيا »[1].

فهم يقفون ويحاسبهم الله تعالى فيما بينهم، ويقتص لبعضهم من بعض مظالم كانت بينهم في الدنيا، حتى لا يدخل الجنة أحد وهو يحقد على إخوته، بل طابت نفوسهم، وزالت الضغائن والبغضاء والشحناء التي بينهم.

۞ كيفية القِصاص بينهم :

قنطرة القصاص بين المؤمنين، تكون قبل دخول الجنة، وبالتالي لا تزال شدة المحشر، وتعبه يحيط بالناس، ومن ذلك القصاص بين المؤمنين.

وفي ذلك اليوم لا مال ولا ولد، ولا دينار ولا درهم، ويكون القصاص بينهم بالحسنات والسيئات. فمن كانت عليه مظالم للعباد، من أخذٍ لأموالهم في الدنيا، أو شتْم، أو ضرب، فإنهم يأخذون من حسناته بقدر ما ظلمهم، حتى إذا لم تبق عنده حسنة، بأن ذهبت حسناته لمن ظلمهم، عندها يؤخذ من سيئاتهم فتطرح عليه. من رحمة الله تعالى بالناس.. أنه يصلح بين المتخاصمين.. ليعفو عن الظالم ويُرضي المظلوم..

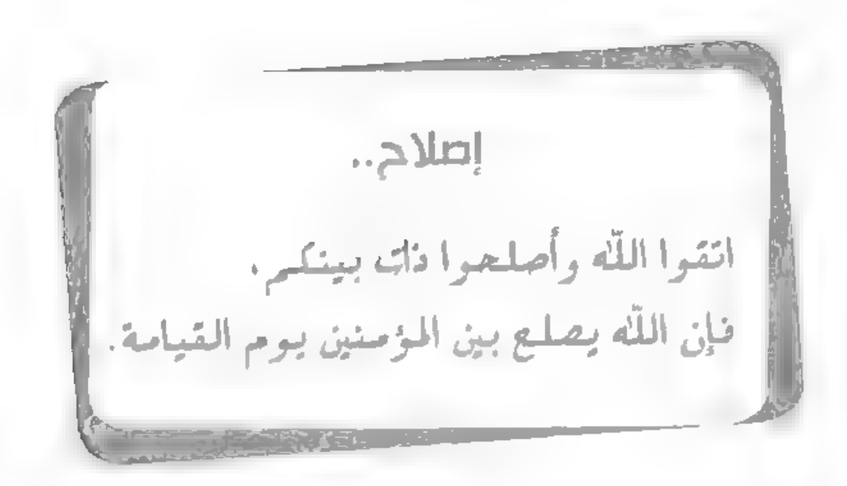
---

(١) الحديث رواه البخاري، والمعنى: أن المؤمنين إذا جاوزوا الصراط، ونجوا من دخول النار، حُبسوا أي أوقفوا بقَنْطَرة بين الجنة والنار، والقنطرة هي جسر متقوِّس يُبنى فوق النهر يعبر الناس عليه عادة، فيتقاصّون مظالم كانت بينهم في الدنيا أي يأخذ الله تعالى حقوق بعضهم من بعض ليدخلوا الجنة صافية قلوبهم طيبة نفوسهم. فإذا دخلوا الجنة توجهوا إلى قصورهم ومساكنهم مباشرة، فرحين مستبشرين، يعرفون مواضعها، ويستدلّون على مكانها، أكثر مما يستدلون على بيوتهم في الدنيا.

۞ إرضاء الخَصْمَيْن:

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: « **بينما رسول الله ﷺ ذات يوم جالس إذ رأيته ضحك حتى بَدَت ثناياه، فقيل له: مم تضحك يا رسول الله؟** قال: رجلان من امتي جثيا بين يدي ربي عز وجل فقال احدهما: يا رب خذ لي مظلمتي من اخي. فقال الله تعالى: أعط أخاك مظلمته، فقال: يا رب ما بقي من حسناتي شيء! فقال: يا رب، فليحمل من اوزاري. **وفاضت عينا رسول الله ﷺ، ثم قال:** ان ذلك اليوم ليوم يحتاج الناس فيه إلى ان تُحمل عنهم أوزارهم. ثم قال الله تعالى للطالب حقه: ارفع بصرك، فرفع رأسه فقال: يا رب ارى مدائن من ذهب! و قصورا من ذهب! مكلّلة باللؤلؤ! لاي نبي هذا؟ او لاي صِدّيق هذا؟ او لأي شهيد هذا؟ فقال: لمن اعطاني ثمنه. قال: ومن يملك ثمن ذلك؟! قال: انت. قال: بم اذاً؟ قال: بعفوك عن أخيك، قال: يا رب فإني قد عفوت عنه. قال: خذ بيد أخيك فادخله الجنة. **ثم قال رسول الله ﷺ:** فاتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم، فان الله يصلح بين المؤمنين يوم القيامة »[1].

وهذا إكمال للحساب الذي ابتُدئ معهم قبل عبور الصراط، ومعلوم أن من اقتُص منه، وأُخذت منه حقوق الناس، لا شك أنه يتألم بذلك، ولكن كل ذلك يزول عنه، بمجرد دخوله على الجنة.



(١) رواه أبو يَعْلى المَوْصِلي، وفي سنده ضعف.

حال أهل الفَتْرَة

يكون بين الناس يوم الحشــر أقوام لم يعرفوا الإسلام، أو عاشوا في زمن قبل بعثــة نبينا محمد ﷺ، لكنهم لم يُدرِكوا مَن قبله من الأنبياء، وهم ما يسميهم أهل العلم أهل الفَتْرَة[1]، أو أقوام بلغهم الإسلام بصورة مشوّهة.

- فمن هم هؤلاء؟
- وما حُجّتهم؟
- وماذا يفعل الله تعالى بهم؟

---

(١) أهل العلم بينهم خلاف في مسألة وجود قوم يسـمون أهل الفَتْرَة. فبعضهم يقول: إن الأديان لم تنقطع عن البشـر، فإذا مات نبي بقي دينه الذي بعثـه الله به. إلى أن يبعث الله النبي الآخر، وبعـض أهل العلم قال: بل يوجد من البشر من لم يأتهم رسول، ولم يسمعوا عن دين أصلاً.

مدخل

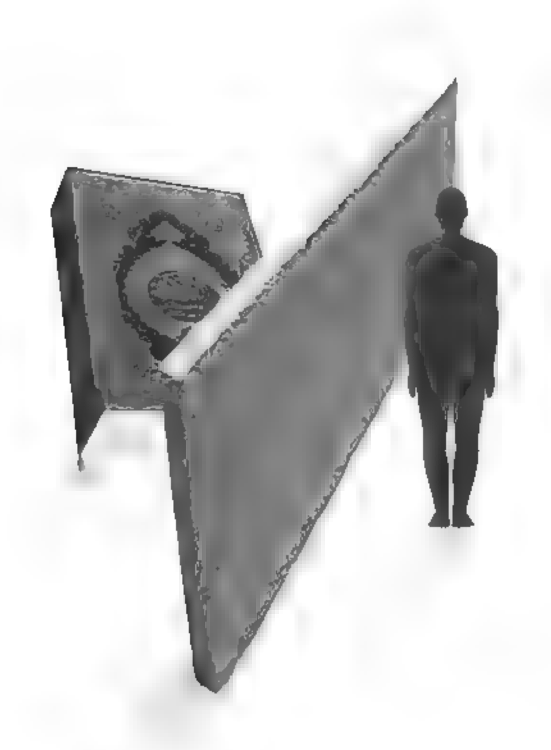
أرسل الله تعالى الرسل مبشرين ومنذرين، ويحاسب الله تعالى العباد يوم القيامة بحسب موقفهم من هؤلاء الرسل وما دعوهم إليه، كما قال تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ [الإسراء: ١٥].

فلم يترك ربنا الخَلق سُدىً، بل أرسل الرسل، وأنزل الكتب، ولا يُهلِك الله أُمّة بعذابٍ إلا بعد الرسالة إليهم والإنذار.

قال تعالى عن النار يوم القيامة: ﴿كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ ۝٨ قَالُوا بَلَىٰ قَدْ جَاءَنَا﴾ [الملك: ٨ - ٩].

فمَن بلغه الحق فاستقام عليه واتَّبعه، واتَّبَع النور الذي بُعِث به محمد ﷺ فإنه يكون قد اهتدى، وتكون عاقبة هُداه على نفسه. ومن ضَلّ عن الحق، وزاغ عن سبيل الرشاد، فإنما يجني على نفسه، ويَعُود وَبَال سَعْيه عليه هو، ولا يَحمل أحد ذنب أحد، ولا يجني جانٍ إلا على نفسه.

حال من لم تبلُغه الدعوة:



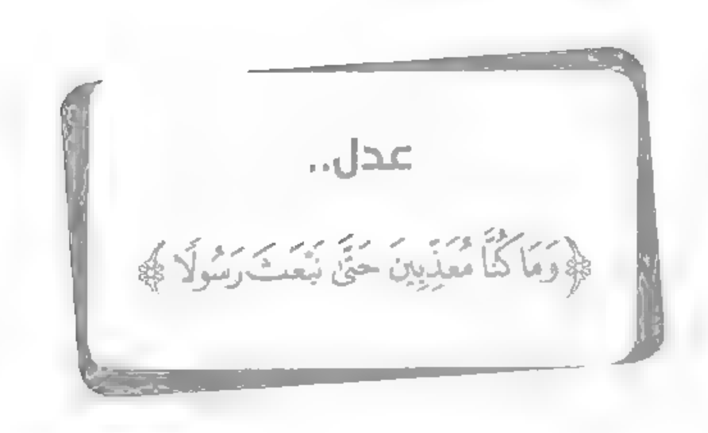
من لم تبلغه الدعوة ولم يسمع بالإسلام، كمن يعيش في أدغال أفريقيا، أو غابات بعيدة، أو جبال القطب الشمالي أو الجنوبي، أو سمع بالإسلام بصورة سيئة مُشوَّهة، كما يُنشر في بعض وسائل الغربية أو مواقع الإنترنت، ففهموا معنى الإسلام على غير حقيقته.

أو ربما وُلد الشخص وهو أَصَمّ لَا يَسمَع شيئًا، أو أحمق سفيه لا يكاد يَعقل ولا يَفهم، ورجل هَرِم طاعن في السن خَرِف لا يَعقل ما حوله، فهؤلاء ينطبق عليهم قول الله تعالى:

﴿ وَلَوْ أَنَّآ أَهْلَكْنَٰهُم بِعَذَابٍ مِّن قَبْلِهِۦ لَقَالُواْ رَبَّنَا لَوْلَآ أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ ءَايَٰتِكَ مِن قَبْلِ أَن نَّذِلَّ وَنَخْزَىٰ ﴾ [طه: ١٣٤].

وقال تعالى: ﴿ وَلَوْلَآ أَن تُصِيبَهُم مُّصِيبَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَيَقُولُواْ رَبَّنَا لَوْلَآ أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ ءَايَٰتِكَ وَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [القصص: ٤٧].

فلا يُعذِّب الله تعالى أحدًا إلا بعد الإنذار والإعذار على ألسنة الرسل عليهم الصلاة والسلام. ومنهم من ذهب إلى أنهم يُمتحنون يوم القيامة في العَرَصَات، فمن أطاع دخل الجنة وانكشف علم الله فيهم بسابق السعادة، ومن عصى دخل النار داخرًا، وانكشف علم الله فيه بسابق الشقاوة. وهذا القول يجمع بين الأدلة كلها.. والله أعلم.



النّار

مِن عدل الله تعالى وحكمته، أنه بَيَّن الطريقين، وهَدى الإنسان النَّجدَين إما شاكرًا وإما كفورًا.. ووعد الطائعين بالجِنان، والرحمة والغفران.. وتوعد العاصين بالنيران، والحسرة والحرمان.. فمن اهتدى فإنما يهتدي لنفسه.. ومن ضلّ فإنما يضلّ عليها..

- فما النار ؟
- وما صفاتها ؟
- ومن أهلها ؟
- ولماذا دخلوها ؟

مدخل

فرّق الله تعالى بين حال أهل الجنة، وحال أهل النار فقال تعالى:
﴿ لَا يَسْتَوِيٓ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ وَأَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِۚ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴾ [الحشر: ٢٠].

وقد خلق الله الخلق لعبادته، وأمرهم بطاعته، ووعد المؤمنين بالجنة، وتوعّد المكذبين بالنار، وأرسل الرسل الكرام، مبشرين ومنذرين، كما قال ﷺ:

« إنما مَثلي ومثل الناس كمثل رجل استوقد نارا، فلما أضاءت ما حوله جعل الفراش وهذه الدواب التي تقع في النار يقعن فيها، فجعل ينزعهن ويغلبنه فيقتحمن فيها، فأنا آخذ بحُجَزكم عن النار، وأنتم تَقتَحِمون فيها »[1].

الاستعاذة من النار:

كان النبي ﷺ يستعيذ بالله تعالى من النار، ويأمر أصحابه بالاستعاذة والهرب منها، فكان ﷺ يُعلمهم هذا الدعاء كما يُعلمهم السورة من القرآن يقول:

« قولوا: اللهم انا نعوذ بك من عذاب جهنم، واعوذ بك من عذاب القبر، واعوذ بك من فتنة المسيح الدجال، واعوذ بك من فتنة المحيا والممات »[2].

---

(١) متفق عليه، قوله « بحُجَزكم» جمع حُجزة وهي معقد الإزار والسراويل، قوله « تقحمون»: أي تقعون وتسقطون، والجَنادب: جمع جُندَب وهو نوع من الجراد يقفز ويطير.

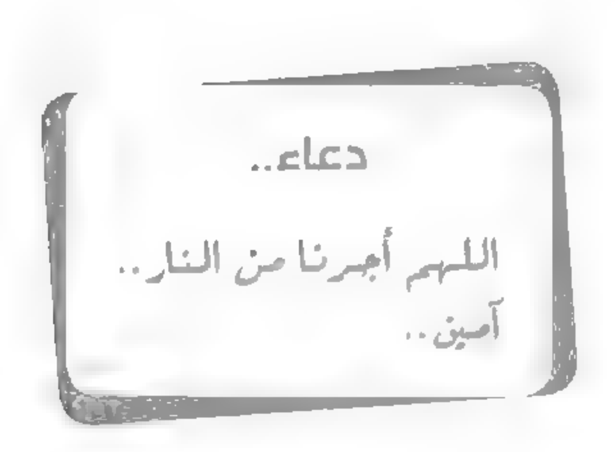
(٢) رواه مسلم. والمقصود بفتنة المحيا والممات: قال ابن دقيق العيد: فتنة المحيا ما يعرض للإنسان مدة حياته من الافتتان بالدنيا والشهوات والجهالات، وأعظمها والعياذ بالله أمر الخاتمة عند الموت، وفتنة الممات يجوز أن يراد بها الفتنة عند الموت أضيفت إليه لقربها منه. ويكون المراد بفتنة المحيا، على هذا ما قبل ذلك ويجوز أن يراد بها فتنة القبر. انتهى. نقله السِّندي في شرح جامع الترمذي.

الترهيب من النار:

كان رسول الله ﷺ يذكر صفة النار، مرهِّبًا من دخولها، ومرغِّبًا في النجاة منها، فكان يدعو الله أن ينجيه منها: فكان أكثر دعاء النبى ﷺ: « اللهم ربنا آتنا في الدنيا حسنة، وفي الآخرة حسنة، وقنا عذاب النار »[1].

وقد وصف الصحابة ذلك، فقال عَدِيٌّ بن حاتم: « ذكر النبي ﷺ النار، فتعوّذ منها وأشاح بوجهه. ثم ذكر النار، فتعوَّذ منها، وأشاح بوجهه. ثم قال: اتقوا النار ولو بشقّ تمرة، فإن لم تجد فبكلمة طيبة »[2].

وعن النُّعمان بن بشير قال: « سمعت رسول الله ﷺ يخطب فقال: أنذرتكم النار، أنذرتكم النار، أنذرتكم النار. فما زال يقولها حتى لو كان في مقامي هذا لسمعه أهل السوق، وحتى سقطت خَميصة كانت عليه عند رجليه »[3].



(1) صحيح البخاري.
(2) صحيح البخاري.
(3) رواه الدارمي في سننه، صحيح، والخميصة: رداء من صوف ونحوه.

أسماء النار

كثرة الأسماء للشيء تدل على أهميته، وهذا أمر معروف مشهور في لغة العرب.

- فهل للنار أسماء؟
- وما دلالة هذه الأسماء؟

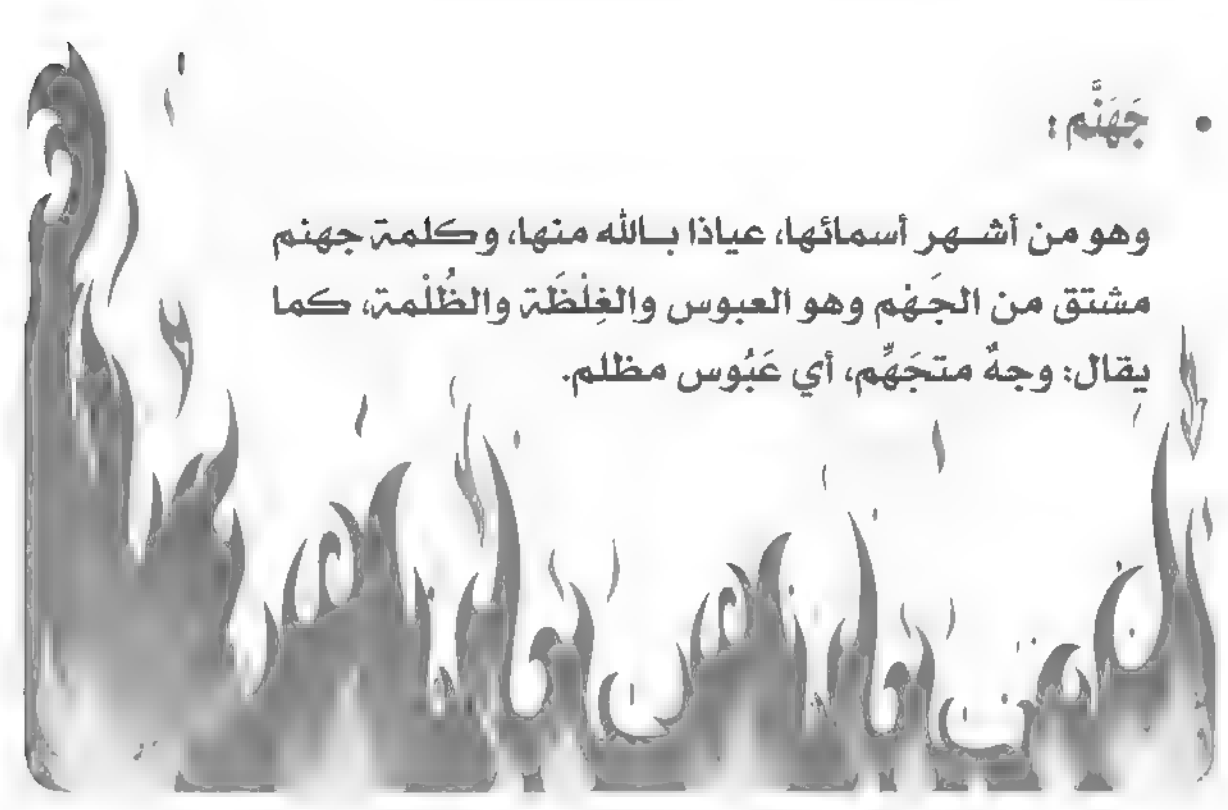
مدخل:

لِعِظم شأن النار، وشدة عذابها، وحسرة أهلها، كثرت أسماؤها.. وقد ذكر الله تعالى في كتابه عدة أسماء للنار، تحذيرًا وإنذارًا..

منها..

- **جَهَنَّم:**

وهو من أشهر أسمائها، عياذا بالله منها، وكلمة جهنم مشتق من الجَهْم وهو العبوس والغِلْظَة والظُلْمة، كما يقال: وجهٌ متجَهِّم، أي عَبُوس مظلم.



وقد ذكرها الله تعالى بهذا الاسم مرارًا، كما في قوله تعالى عن المجرمين:

﴿ يَوْمَ يُدَعُّونَ إِلَىٰ نَارِ جَهَنَّمَ دَعًّا ﴾ [الطور: ١٣].

فهم يُدَعُّون إلى جهنم، أي يُدفعون إليها دفعًا عنيفًا..

- **لَظَى:**

لظى هي الشُّعلة الحارقة من النار، فنار جهنم يخرج منها لظى يحرق الأبدان، ويشوي الجلود.

قال تعالى: ﴿ كَلَّآ إِنَّهَا لَظَىٰ ۝١٥ نَزَّاعَةً لِّلشَّوَىٰ ﴾ [المعارج: ١٥، ١٦].

- **الحُطَمَة:**

الحُطَمَة لفظ مشتق من التحطيم والتكسير والهَدْم، فنار جهنم من شدة حرارتها يُحطِّم بعضها بعضًا، وتحطم من فيها.

قال تعالى: ﴿ كَلَّا لَيُنۢبَذَنَّ فِى ٱلْحُطَمَةِ ۝٤ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْحُطَمَةُ ۝٥ نَارُ ٱللَّهِ ٱلْمُوقَدَةُ ۝٦ ٱلَّتِى تَطَّلِعُ عَلَى ٱلْأَفْـِٔدَةِ ۝٧ إِنَّهَا عَلَيْهِم مُّؤْصَدَةٌ ۝٨ فِى عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍۭ ﴾ [الهمزة: ٤- ٩].

- **السَّعِير:**

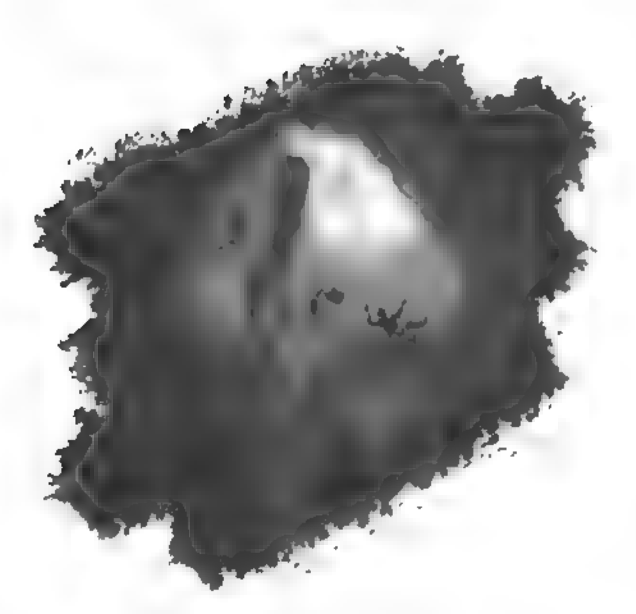
السعير هو شدة الاشتعال والاحتراق، فكانت العرب تقول: سعّرت النار، إذا أشعلها ووضع عليها حطبًا صغارًا، لتكبر وتشتعل.



قال تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا وَتُنذِرَ يَوْمَ ٱلْجَمْعِ لَا رَيْبَ فِيهِ ۚ فَرِيقٌ فِى ٱلْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِى ٱلسَّعِيرِ ﴾ [الشورى: ٧].

- **الهاوية:**

الهاويـة لفـظ مشـتق مـن الهَوْي وهو السـقوط الشديد إلى المكان العميق، فأهل النار أمُّهـم هاوية أي مسـتقرهم ومكانهم النار.



صورة رمزية توضح معنى الهوي، ولا يعني أنها المقصودة في الآية

قـال تعـالى: ﴿ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ ﴿٨﴾ فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ ﴿٩﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا هِيَهْ ﴿١٠﴾ نَارٌ حَامِيَةٌۢ ﴾ [القارعة: ٨ - ١١].

- **الجحيم:**

والجحيم لفظ مشتق من الجَحْم وهو شدة إشعال النار، حتى تصبح نارًا شديدة لها لهيب عظيم.

قال تعالى: ﴿ خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ ٱلْجَحِيمَ صَلُّوهُ ﴾ [الحاقة: ٣٠ - ٣١].

أي يقـال لخزنة جهنم: خذوا هذا المجرم الأثيم، فاجمعوا يديه إلى عنقه بالأغلال، ثم أدخلوه الجحيم ليقاسي حَرَّها.

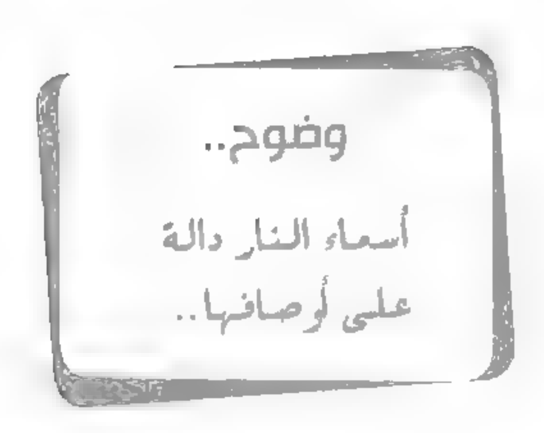
- **سَقَر:**

كانت العرب تقول: يوم مسقر، إذا كان شديد حرارة الشمس، فالسَّقر هو شدة الحرارة المؤَدِّيَة إلى الانصهار.

قال تعالى: ﴿ يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي ٱلنَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ ذُوقُواْ مَسَّ سَقَرَ ﴾ [القمر: ٤٨].

وقال تعالى: ﴿ سَأُصْلِيهِ سَقَرَ ﴿٢٦﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا سَقَرُ ﴿٢٧﴾ لَا تُبْقِي وَلَا تَذَرُ ﴿٢٨﴾ لَوَّاحَةٌ لِّلْبَشَرِ ﴿٢٩﴾ عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ ﴾ [المدثر: ٢٦-٣٠].

فهـذه أسماء النار عياذًا بالله منها، أسماؤهـا دلت على أوصافها، بُعدًا لذي الأسماء والأوصاف.



الأعمال المُنجية من النار

خلـق الله تعـالى الجنة والنار، ووصـف لنا كلتا الداريـن، ثم لم يتركنا هملًا، بل دلّنا على طريق الجنة، وعرّفنا بطريق النار، ولم يُكرهنا الله تعالى علـى أحد الطريقين، بـل هدانا، ودلّنـا، وعلّمنا، ورغّبنا، وحذّرنـا.. لئلا يلوم الإنسان إلا نفسه..

- فما الأعمال التي تقي من النار؟
- وما أنواعها؟

مدخل:

لمـا كان الكفـر هو السـبب في الخلود في النـار فإن النجاة مـن النار تكون بالإيمـان والعمل والصالح، ولذا فإن المسـلمين يتوسّـلون إلى ربهم بإيمانهم كي يُخلّصهم من النار.

قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ إِنَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾ آل عمران: ١٦.

وقد جاء في الكتاب والسنة الأعمال المنْجية من النار، ومنها:

- **الشهادتان بإخلاص:**

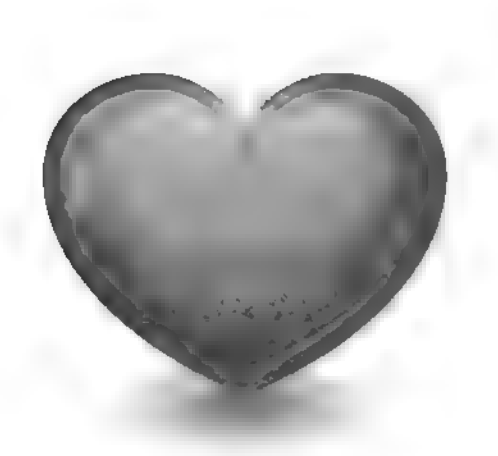
شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسـول الله، هـي علامـة الإيمان، ومفتـاح الجِنـان، هـي حبـل الله المتِين، وصراطه المستقيم.



وهي شـرط الإسـلام، وبطاقة الدخول لدار السـلام. وهـي المُنْجِية من النيران، الجالِبَة رحمة الرحمن.

قال ﷺ: «من شهد ان لا إله إلا الله وان محمدا رسول الله حرَم الله عليه النار»[1].

• محبة الله، ومحبة رسوله ﷺ:



المحبـة عمـل مـن أعمـال القلـوب، يتقـرب العبد بها إلى عـلام الغيوب، فالعبـد يصدق مـع ربـه في محبته، لـيرى وجهه العظيـم في جنته، ومن أحب الله وأحب رسوله ﷺ، دفعه ذلك إلى طاعـة الله تعـالى ذلًا لـه وحُبًـا، واتباع رسوله ﷺ طاعة له وحُبًا.

« **سأل رجل النبي ﷺ فقال:** متى الساعة؟ **فقال ﷺ:** وماذا أعددت لها؟

قال: لا شيء إلا أني أحب الله ورسوله ﷺ. **فقال ﷺ:** أنت مع من أحببت.

قال أنس: فما فرِحنا بشيء فرَحنا بقول النبي ﷺ: أنت مع من احببت.

قـال أنـس: فأنا أحب النـبي ﷺ وأبا بكـر وعمر، وأرجـو أن أكون معهم بحبِّي إياهم، وإن لم أعمل بمثل أعمالهم. »[2].

---

(١) رواه مسلم.

(٢) متفـق عليه. قال النووي رحمه الله: «فيه فَضل حُبّ الله ورسـوله ﷺ والصالحـين، وأهل الخير، الأحياء والأموات. ومن فَضل محبة الله ورسوله امتثال أمرهما، واجتناب نَهيهما، والتأدُّب بالآداب الشرعية. ولا يُشترَط في الانتفاع بمحبة الصالحين أن يعمل عملهم؛ إذ لو عَمِلَه لكان منهم ومِثْلهم» ا.ه، شرح النووي على مسلم.

- **الصدقة:**



وهـي مـن أفضـل القربـات، وأعظم الخيرات، تـدل على طهـارة النَّفس، وصفاء السَّريرة.

كمـا قـال ﷺ: «من استطاع منكم أن يستَتِر من النار ولو بشِقِّ تمرة فليفعل»[1].

وقال ﷺ: «ما منكم من أحد إلا سيكلِّمه الله ليس بينه وبينه ترجُمان، فينظر أيمن منه فلا يرى إلا ما قدَّم، وينظر أشأم منه فلا يرى إلا ما قدَّم، وينظر بين يديه فلا يرى إلا النار تلقاء وجهه، فاتقوا النار ولو بشقِّ تمرة»[2].

ففيـه الحث علـى الصدقة وأنه لا يمتنـع منها لقلَّتها، وأن قليلها سـبب للنجاة من النار.

- **صيام التَّطوع:**

الصوم من العبادات العظيمة، التي يقي الله تعالى أصحابها من النيران.

قال ﷺ: «الصيام جُنَّةٌ من النار كجُنَّةِ أحدكُم من القتال»[3].

وصوم النافلة له فضله، كما قال ﷺ: «من صام يومًا في سبيل الله باعد الله بذلك اليوم وجهه عن النار سبعين خريفًا»[4].

قوله: «في سبيل الله» **يعني يصوم مُخلِصًا نيته لله، ويُحتمل أن المراد أنه صام أثناء الغزو في سبيل الله.**

---

(١) متفق عليه.

(٢) متفق عليه.

(٣) رواه أحمد وابن ماجه، صحيح.

(٤) متفق عليه.

• الحفاظ على صلاة الجماعة:

المحافظة على صلاة الجماعة من علامات الإيمان ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ﴾ [التوبة: ١٨]، **وإذا سئل أهل النار يوم القيامة** ﴿مَا سَلَكَكُمْ فِى سَقَرَ (٤٢) قَالُوا۟ لَمْ نَكُ مِنَ ٱلْمُصَلِّينَ﴾ [المدثر: ٤٢ - ٤٣]، **فالصلاة سبب للنجاة من النار.**

وقال ﷺ: «من صلى لله أربعين يومًا في جماعة يدرك التكبيرة الأولى كُتِبت له براءتان: براءةٌ من النار. وبراءةٌ من النفاق»[1].

وقال ﷺ عن الصلاة: «من حافظ عليها كانت له نورًا وبُرهانًا ونجاة يوم القيامة. ومن لم يحافظ عليها لم يكن له بُرهان ولا نورٌ ولا نجاةٌ، وكان يوم القيامة مع قارون وهامان وفرعون وأُبيّ بن خَلَف.»[2].



(١) رواه الترمذي، حسن لغيره.

(٢) رواه ابن حِبّان، صحيح.

- **صلاة الفجر والعصر في جماعة:**

جميع الصلوات لها أهميتها وقدرها، ويجب على الرجال صلاتها في جماعة، خاصة صلاتين يكثر تقاعُس الناس عنهما، صلاة الفجر وصلاة العصر.

قال ﷺ: « لن يلج النار أحد صلى قبل طلوع الشمس وقبل غروبها»[1].

- **أذكار الصباح والمساء:**

الذكر والدعاء من أسباب النجاة من النار، قال ﷺ: « من قال حين يُصبح أو يمسي: اللهم إني أصبحت أشهدك وأُشهد حملة عرشك وملائكتك وجميع خلقك أنك أنت الله لا إله إلا أنت وأن محمدا عبدك ورسولك. أعتق الله رُبعه من النار، فمن قالها مرتين أعتق الله نصفه، ومن قالها ثلاثا أعتق الله ثلاثة أرباعه، فإن قالها أربعا أعتقه الله من النار »[2].

- **الاستجارة من النار:**



الدعاء سيف لا ينبُو، ومَعِين لا يخبُو، وسلاح المؤمنين، وغيظ الكافرين.

وقد وصف الله المؤمنين فقال: ﴿ وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ﴿٦٥﴾ إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴾ الفرقان ٦٥ - ٦٦.

وقال ﷺ: « ما يسأل رجل مسلم الله الجنة ثلاثا إلا قالت الجنة: اللهم أدخله. ولا استجار رجل مُسلم الله من النار ثلاثا، إلا قالت النار: اللهم أجره »[3].

(١) رواه مسلم.

(٢) رواه أبي داود، حسن.

(٣) رواه أحمد، صحيح.

يعني يقول العبد: اللهم إني أسـألك الجنة، اللهم أَجِزني من النار، يقول ذلك ثلاث مرات.

اللهم أجِزني من النار، سبع مرات:

وهـذا مـن الدعاء الـذي يُرجى أن يكون مسـتجابًا: قـال ﷺ: « إذا صليت الغداة فقل قبل أن تكلّم أحدا: اللهم أجرني من النار، سبع مرات، فإنك إن مـتّ من يومك كتب الله ﷻ لك جوازا من النار، سـبع مرات، وإذا صليت المغـرب فقل قبل أن تُكلّم أحدا: اللهم أجرني من النار، سـبع مرات، فإنك إن مِتّ من ليلتك كتب الله لك جوازا من النار »[1]

يعني كتب الله لك أن تُجاوز النار، وتمرّ فوق الصراط ناجيًا منها.

- **صلاة أربع ركعات قبل الظهر وأربع بعدها:**



الصـلاة محبوبـة إلى رب العالمـين، ولا يـزال العبـد يتقـرب إلى الله تعالى بالنَّوافل حتى يحبه الله، وأحب الأعمال إلى الله الصلاة المفروضات، ثم النوافل.

قال ﷺ: « من حافظ على أربع ركعات قبل الظهر وأربع بعدها حرَّمه الله على النار»[2].

يعني صلاة أربع ركعات قبل الظهر ركعتين وركعتين، ويصلي مثلها بعد الظهر.

(١) رواه أحمد والطبراني، حسن.

(٢) رواه الترمذي، صحيح.

- **اغبرار القدمين في سبيل الله:**



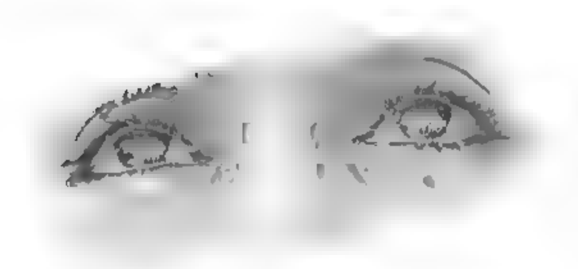
الجهاد ذِروة سَنام الإسلام، وطريق إلى دار السلام، ومن قاتل في سبيل الله عز وجل ولو بقدر فَواق ناقة – وهو زمن حلب الناقة – وَجَبَت له الجنة.

قال ﷺ: «من اغبرّت قدماه في سبيل الله حرّمه الله على النار»[1].

وقال ﷺ: «ما اغبرّت قدما عبد في سبيل الله فتمسّه النار»[2].

- **البكاء من خشية الله، والجهاد في سبيله:**

رأس الحكمة مخافة الله، وهي طريق إلى الجنة ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ﴾ [الرحمن: ٤٦].



وقال ﷺ: «لا يلج النار من بكى من خشية الله حتى يعود اللبن في الضَّرع. ولا يجتمع غُبار في سبيل الله ودُخان جهنم في مُنْخَرَي مسلم أبدا»[3].

وقال ﷺ: «عينان لا تمسّهما النار: عين بكت من خشية الله وعين باتت تَحْرُس في سبيل الله»[4].

---

(١) رواه البخاري.

(٢) رواه البخاري.

(٣) رواه النسائي والترمذي، صحيح.

(٤) رواه الترمذي، حسن.

• عِتْقُ الرِّقاب:



إعتاق العبيد والمماليك من رِقِّهم، ومنحهم الحرية، عمل محبوب إلى رب العالمين، وهو من أسباب النجاة من النار.

قال ﷺ: «من أعتق رقبة مسلمة، أعتق الله بكل عُضْو منه عُضْوا من النار، حتى فَرْجه بفَرْجه»[1].

وجاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: دُلَّني على عمل يُقرِّبني من الجنة ويُباعدني من النار. **قال ﷺ:** لئن كنت أقصرت الخطبة لقد أعرضت المسألة: أعتق النَّسمة وفكَّ الرقبة. **قال:** يا رسول الله، أوَليسا واحدًا؟! **قال:** لا، عتق النَّسمة أن تفرد بعتقها، وفك الرقبة أن تعين في ثمنها، والمنحة الوكوف[2]، والفيء على ذي الرحم الظالم[3]، فإن لم تُطق ذلك فكُفَّ لسانك إلا من خير»[4].

• أداء أركان الإسلام:

كان رسول الله ﷺ في سفر، فعرض له أعرابي فأخذ بخِطام ناقته، أو بزِمامها، ثم قال:

يا رسول الله، أو يا محمد، أخبرني بما يقربني من الجنة، وما يباعدني من النار؟

(١) متفق عليه.
(٢) المِنْحة الوَكُوف: هي الصدقة بالناقة الغزيرة اللبن.
(٣) الفيء على ذي الرحم الظالم: الفيء هو الظل، يعني الرجوع على أقربائك الظالمين لك بالإحسان.
(٤) رواه الدارقطني، صحيح لغيره.

فكـفّ النبي ﷺ، ثم نظـر في أصحابه، ثم قال: لقد وُفِّـق -أو لقد هُدي-، فقال ﷺ: كيف قلت؟

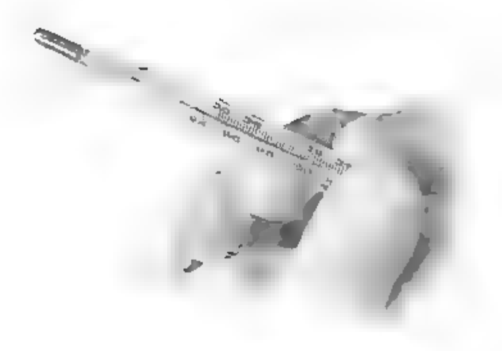
فأعاد الأعرابي كلامه، فقال النبي ﷺ: تعبد الله لا تشرك به شيئا. وتقيم الصلاة. وتؤتي الزكاة. وتصل الرحم. ثم قال للأعرابي: دع الناقة »[1].

- **الذَّب عن عِرض المسلم:**

من حق المسلم على المسلم أن يحفظ حقه في غَيبته، ويدافع عنه وينصره، وأن لا يرضى أن يُهان أخوه المسلم أو يُنتَقص منه، وهو قادر على نصرته.

قـال ﷺ: « مـن ذبَّ عـن عرض أخيـه بالمغيب كان حقا على الله ﷻ أن يُعتقه من النار »[2].

- **مرض الحُمَّى:**



الأمراض من البلاء الذي يؤجَر عليه العبـد، ويُكفِّـر الله بـه مـن خطاياه، ومن ذلك الحُمَّى، وهي ارتفاع حرارة الجسد.

قـال ﷺ: « الحُمَّى كيرٌ من جهنم فما أصاب المؤمن منها كان حظَّه من جهنم »[3].

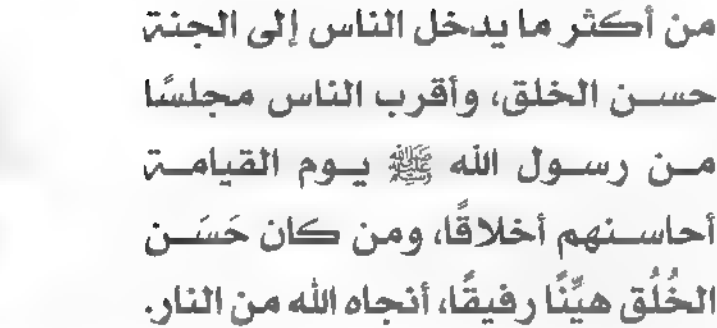
---

(1) رواه مسلم.

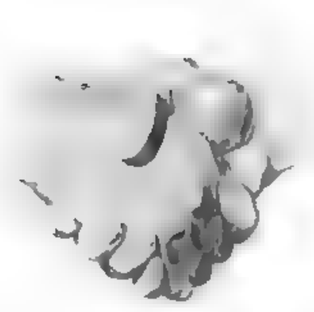
(2) رواه الطبراني في المعجم الكبير، حسن.

(3) رواه احمد، حسن لغيره.

- **حُسْنُ الخُلُق:**



من أكثر ما يدخل الناس إلى الجنة حسن الخلق، وأقرب الناس مجلسًا من رسول الله ﷺ يوم القيامة أحاسنهم أخلاقًا، ومن كان حَسَن الخُلُق هيِّنًا رفيقًا، أنجاه الله من النار.



قال ﷺ: «ألا أخبركم بمن يحرُم على النار، أو بمن تحرُم عليه النار؟ على كل قريب، هيّن، ليّن، سهل»[1].

- **قَول العدل، وإعطاء الفَضْل:**

«أقبل أعرابي إلى النَّبيّ ﷺ فقال: أخبرني بعملٍ يُقرِّبني من الجنة ويباعدني عن النار.

فقال النبي ﷺ: أو هما أعملتاك؟ **قال:** نعم. **قال:** تقول العدل، وتُعطي الفضل. **قال:** والله لا أستطيع أن أقول العدل كل ساعة، وما أستطيع أن أعطي الفضل. **قال:** فتُطعم الطعام، وتُفشي السلام. **قال:** هذه أيضا شديدة. **قال:** فهل لك إبل؟ **قال:** نعم. **قال:** «فانظر إلى بعير من إبلك وسقاء، ثم اعمد إلى أهل بيت لا يشربون الماء إلا غبًا فاسقهم: فلعلك لا يهلك بعيرك ولا يتخرّق سقاؤك حتى تجب لك الجنة.

فانطلق الأعرابي يُكَبِّر، فما انخرق سقاؤه، ولا هلك بعيره حتى قُتِل شهيدًا» [2]

(١) رواه الترمذي، حسن صحيح.

(٢) رواه الطبراني في الكبير، صحيح.

• الصبر عند موت الولد:



المصائب مكفرات للخطايا، رافعات للدرجـات، ومـن أعظـم المصائـب فقـدان الأولاد، وإنما أولادنا بيننا، أكبادنا تمشي على الأرض، وموت الولد هو جُرح في الفؤاد لا يَبرأ أبدًا، لذا كان وقاية من النار.

قال ﷺ: «لا يموت لأحد ثلاثة من الولد فيحتسبهم إلا كنّ له جُنّة من النار»[1].

وقـال ﷺ للنسـاء: «ما منكن امرأة تقـدم ثلاثة من ولدهـا إلا كان لها حجابا من النار. **فقالت امرأة:** واثنين؟ **فقال:** واثنين.»[2].

• الصبر على تربية البنات:

تربية البنات كان العرب في الجاهلية يتهرَّبون منها ويكرهونها، لأنه يربي الولد لنفسه، فينفع أباه إذا كبر، ويحمل اسمه، بينما يربي البنت لتتزوج، وتذهب عنه، وتنشغل بزوجها وأولادها، غالبًا، فجاء الإسـلام، وقضى على هـذه الجاهلية وجعل للبنـت حقًا، كما أن للولد حقًا. بـل فَضَّل النبي ﷺ تربية البنات على تربية الأولاد، وجعل تربية البنات حجابًا من النار.

فقال ﷺ: «من كنّ له ثلاث بنات، أو ثلاث أخوات، أو ابنتين، أو أختين، اتقى الله فيهنّ، وأحسن إليهنّ، حتى يبنّ، أو يمتن، كُنّ له حجابا من النار.»[3].

(١) الآحاد والمثاني، صحيح.

(٢) رواه البخاري.

(٣) رواه أحمد، صحيح، ومعنى حتى يبنّ: أي يفارقنه بزواج، أو يمتن: أن تبقى من غير زوج، فأبوها أو أخوها يربيها ويعتني بها ويخدمها، حتى ينقضي عمرها ويتوفاها الله.

• أعمال متنوعة تنجي من النار:

العمل الصالح عمومًا هو طريق إلى الجنة ونجاة من النار، وقد كان الصحابة يسألون رسول الله ﷺ مسائل نافعة، يبحثون لها عن النجاة من النار.

قال أبو ذر رضي الله عنه: « قلت: يا رسول الله ماذا يُنَجِّي العبد من النار؟ قال: الإيمان بالله.

قلت: يا نبي الله، إن مع الإيمان عمل. قال: يُرضخ مما رزقه الله.

قلت: يا رسول الله أرأيت إن كان فقيرًا، لا يجد ما يُرْضَخ به؟ قال: يأمر بالمعروف، وينهى عن المنكر.

قلت: يا رسول الله، أرأيت إن كان عَيِيًّا لا يستطيع أن يأمر بالمعروف، ولا ينهى عن المنكر؟ قال: يَصْنع لِأَخْرَق.

قلت: أرأيت إن كان أخرَق لا يستطيع أن يصنع شيئًا؟ قال: يعين مظلوما.

قلت: أرأيت إن كان ضعيفا، لا يستطيع أن يعين مظلومًا؟ فقال: ما تريد أن تترك في صاحبك من خير!! تمسك الأذى عن الناس.

فقلت: يا رسول الله إذا فعل ذلك دخل الجنة؟ قال: ما من مُسلم يفعل خصلة من هؤلاء، إلا أخذت بيده حتى تُدخله الجنة. »[1].

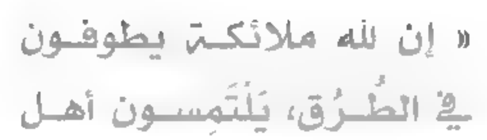
---

(١) المعجم الكبير للطبراني، صحيح لغيره.

• مجالس الذكر:



مجالس الذكر والخير، سبيل للخير والعلم، والتعلم والتعليم، وهي أيضًا طريق للنجاة من النار، قال ﷺ:



« إن لله ملائكة يطوفون في الطُرُق، يَلْتَمِسون أهل الذكر. فإذا وجدوا قوما يذكرون الله تنادوا هلُمّوا الى حاجتكم. فيحُفّونهم باجنحتهم الى السماء الدنيا. فيسألهم ربهم وهو اعلم منهم: ما يقول عبادي؟ قالوا: يقولون يسبّحونك، ويكبّرونك، ويحمدونك ويمجّدونك. فيقول: هل راوني؟ فيقولون: لا والله ما راوك. فيقول: وكيف لو رأوني؟ يقولون: لو راوك كانوا أشد لك عبادة، وأشدّ لك تمجيدا، وأكثر لك تسبيحا. يقول: فما يسألوني؟ يقولون: يسالونك الجنة. يقول: وهل رأوها؟ يقولون: لا والله يا رب ما رأوها. يقول: فكيف لو أنهم رأوها؟ يقولون: لو أنهم رأوها كانوا أشد عليها حرصا، وأشد لها طلبا، وأعظم فيها رغبةً. قال: فمم يتعوّذون؟ يقولون: من النار، قال: وهل رأوها؟ يقولون: لا والله ما رأوها، يقول: فكيف لو رأوها؟ يقولون: لو رأوها كانوا أشد منها فرارا، وأشد لها مخافة. فيقول: فأشهدكم أني قد غفرت لهم. يقول ملك من الملائكة: فيهم فلان ليس منهم إنما جاء لحاجة. قال: هم الجلساء لا يشقى بهم جليسهم »[1].

---

(١) رواه البخاري.

- **الباقيات الصالحات:**

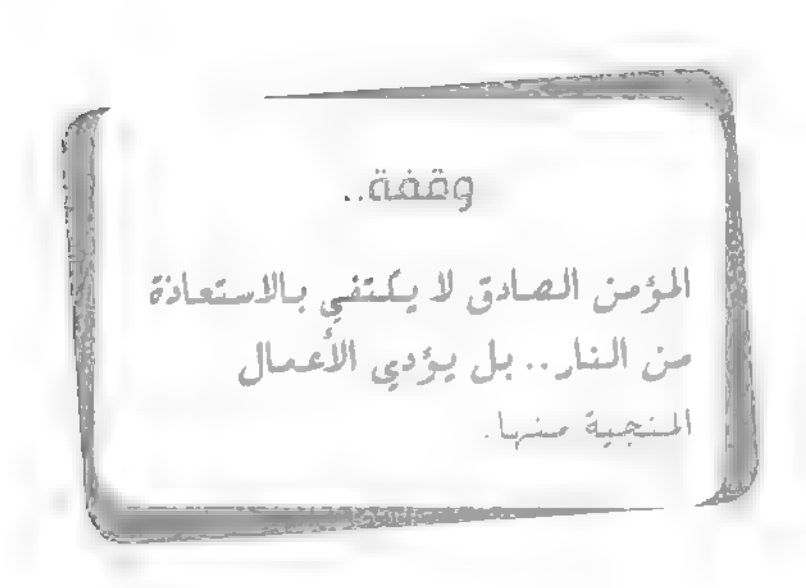
﴿وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ مَّرَدًّا﴾ [مريم: ٧٦]..

هكذا قال ربنا جل وعلا، مُوَجِّهًا لنا للحرص على الفضائل.

وقال رسول الله ﷺ: «خذوا جُنّتكم. **قلنا: يا رسول الله: من عدو قد حضر؟ قال:** لا، جُنّتكم من النار. قولوا: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر. فإنهن يأتين يوم القيامة مُنجيات ومُقدّمات وهُنّ الباقيات الصالحات»[1].

وبعد..

فهذه أمور مُنْجية من النيران، جالبة لرضا الرحمن.. فحريٌّ بالحريص على نجاته أن يسلك سبيل الرسل الأتقياء.. والصالحين الأولياء..



(١) أخرجه الحاكم في المستدرك، حسن.

خَزَنَة النار

يقوم على النار ملائكة شِدَاد.. خَلقهم جَسيم، وبَأسهم عظيم.. فهم خَزَنتها..

- **فكم عددهم؟**
- **ومن كبيرهم؟**

مدخل:

خَزَنة النار ملائكة عِظام لا يعصون الله ما أمرهم، ويفعلون ما يُؤمرون، كما قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ عَلَيۡهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٞ شِدَادٞ لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ ﴾ [التحريم: ٦].

عدد خَزَنة النار:

الملائكة الموكَّلون بالنار، الذين هم خزنتها، حجمهم، وقوتهم، وقدرتهم، أمور لا نملك تقديرها بعقولنا القاصرة.. عددهم تسعة عشر ملكًا، كما قال تعالى:



﴿ سَأُصۡلِيهِ سَقَرَ ٢٦ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا سَقَرُ ٢٧ لَا تُبۡقِي وَلَا تَذَرُ ٢٨ لَوَّاحَةٞ لِّلۡبَشَرِ ٢٩ عَلَيۡهَا تِسۡعَةَ عَشَرَ ٣٠ وَمَا جَعَلۡنَآ أَصۡحَٰبَ ٱلنَّارِ إِلَّا مَلَٰٓئِكَةٗ ﴾



[المدثر: ٢٦-٣١]



وهـؤلاء الملائكـة هم خزنـة جهنم، قـال تعـالى: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ فِي ٱلنَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ٱدْعُواْ رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِّنَ ٱلْعَذَابِ ﴾ (غافر: ٤٩).

وظائف خَزَنة النار:



للملائكة العظام خزنة النار، وظائف وأعمال يقومون بها، فهم يتولَّون عذاب أهـل النـار، وتَبْكِيـت أهلهـا، وزَجْرهم، وإشـعال النـار، وزيـادة لهيبهـا. وهـم غِـلاظٌ على أهـل النار، شِـدادٌ عليهم إذا استرحموهم، لأنَّ الله ﷻ خلقهم وجعل من طبيعتهم الغِلْظة والشِدة والغضب. فهم غلاظ القلوب، شِداد الأبدان، ضِخام الأجسام، أقوياء. ليس في قلوبهم رحمة، إنَّما خُلقوا للعذاب.

قـال المِنْهال بن عمـرو: «إذا قال الله تعالى: ﴿ خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ﴾ (الحاقة: ٣٠)، ابْتَدَره سـبعون ألف مَلَك، وإنَّ الملَك منهم ليقول هكـذا - يعني: يفتح يديه - فيُلقي سبعين ألفًا في النار»[1].

وقال تعالى واصفًا ما يفعله خزنة النار عند دخول أهلها إليها:

﴿ وَسِيقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًاۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَآ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَاۚ قَالُواْ بَلَىٰ وَلَٰكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ ٱلْعَذَابِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ (الزمر: ٧١)

(١) أورده ابن كثير في تفسيره.

كبير خَزَنة النار:

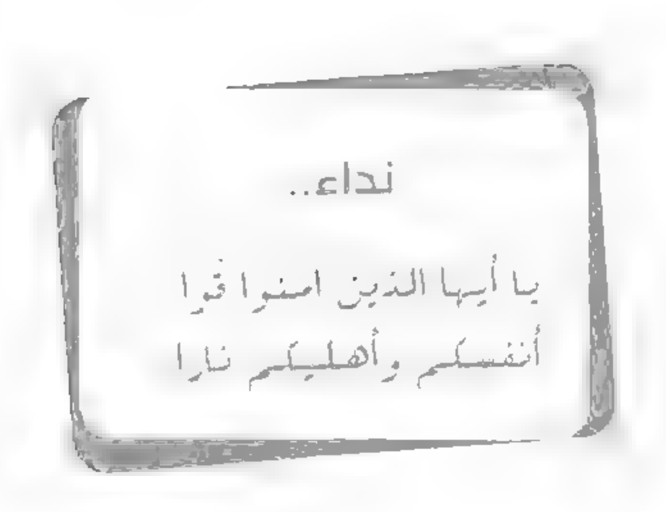
كبير خزنة جهنم ورئيسهم هو مَلَك عظيم اسمه: مالِك، ذكره الله تعالى في قوله: ﴿وَنَادَوْا يَٰمَٰلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ ۖ قَالَ إِنَّكُم مَّٰكِثُونَ﴾ [الزخرف: ٧٧].

وقد رأى النبي ﷺ رؤيا طويلة، ذكر فيها أنواعًا من العذاب، ومن ذلك قال ﷺ:

«... فانطلقنا، فأتينا على رجل كريه المرآة كأكره ما أنت راءٍ رجلا مرآة، فإذا هو عند نار يحشها ويسعى حولها، قال: قلت لهما: ما هذا؟ قالا لي: انطلق انطلق... **حتى قال ﷺ في آخر الحديث:** وأما الرجل الكريه المرآة الذي عند النار يَحُشُّها فإنه مالك خازن جهنمَ»[1].

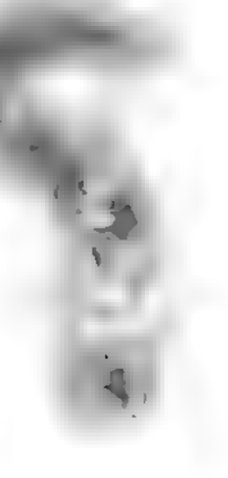
وبعد:

فهذا وصف خزنة النار، ووظائفهم، بيّنها الله تعالى لنا تحذيرًا وتخويفًا، نسأل الله تعالى النجاة منها برحمته وكرمه.. آمين.



(١) رواه البخاري.

أبواب النار



قد وصف الله تعالى النار، وأبوابها، وأغلالها.. تحذيرًا وتخويفًا وإنذارًا..

- فكم عدد أبواب النار؟
- وهل هي مفتوحة أم مُغلقة؟

وهل هي على جوانبها؟ أم بعضها فوق بعض؟

مدخل:

كما أن للجنة أبوابًا واسعة، يدخل من خلالها أهلها فرحين ومستبشرين، وجوههم كالقمر ليلة البدر، لا اختلاف بينهم، ولا تباغُض. كذلك فإن أهل النار يدخلونها من أبوابها.. لكن بوجوه كالِحَة.. وقلوب مظلمة.. يَكْفر بعضهم ببعض.. يَلْعن بعضهم بعضًا.. يُدفعون إلى أبوابها.. يتضاغَطُون ويحترقون..

عدد أبواب النار:

للنار سبعة أبواب يدخل أهلها منها، وذلك لكثرة أهلها، ولكل باب قَدْر معلوم من المجرمين الطُّغاة، قال تعالى: ﴿ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٣﴾ لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِكُلِّ بَابٍ مِنْهُمْ جُزْءٌ مَقْسُومٌ ﴾ [الحجر: ٤٣، ٤٤].

وعندما يرد الكفار النار تُفتح أبوابها، ثم يدخلونها خالدين فيها، قال تعالى:

﴿ وَسِيقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًاۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا فُتِحَتۡ أَبۡوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمۡ خَزَنَتُهَآ أَلَمۡ يَأۡتِكُمۡ رُسُلٞ مِّنكُمۡ يَتۡلُونَ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِ رَبِّكُمۡ وَيُنذِرُونَكُمۡ لِقَآءَ يَوۡمِكُمۡ هَٰذَاۚ قَالُواْ بَلَىٰ وَلَٰكِنۡ حَقَّتۡ كَلِمَةُ ٱلۡعَذَابِ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٧١﴾ قِيلَ ٱدۡخُلُوٓاْ أَبۡوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَاۖ فَبِئۡسَ مَثۡوَى ٱلۡمُتَكَبِّرِينَ ﴾ [الزمر: ٧١-٧٢]

أبوابها بعضها فوق بعض:

أبواب النار متطابقة بعضها فوق بعض، قال علي رضي الله عنه: « أبواب جهنم سبعة بعضها فوق بعض، فيمتلئ الأول، ثم الثاني، ثم الثالث، ثم تمتلئ كلها »[1].

قال ابن جُرَيْج: « لها سبعة أبواب: أولها جهنم، ثم لَظَى، ثم الحُطَمَة، ثم السَعِير، ثم سَقَر، ثم الجحيم، ثم الهاوية »[2].

أبوابها مغلقة:

أبواب النار مُغَلَّقة على المجرمين، تنكيلًا لهم وتعذيبًا، كما قال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِنَا هُمۡ أَصۡحَٰبُ ٱلۡمَشۡـَٔمَةِ ﴿١٩﴾ عَلَيۡهِمۡ نَارٞ مُّؤۡصَدَةُۢ ﴾ [البلد: ١٩-٢٠].

فهؤلاء أصحاب الشِّمال الذين يُؤْتَون كتاب أعمالهم يوم القيامة بشِمالهم، وهم الذين عَنَاهم تعالى بقوله: ﴿ وَأَصۡحَٰبُ ٱلشِّمَالِ مَآ أَصۡحَٰبُ ٱلشِّمَالِ ﴿٤١﴾ فِي سَمُومٖ وَحَمِيمٖ ﴿٤٢﴾ وَظِلّٖ مِّن يَحۡمُومٖ ﴿٤٣﴾ لَّا بَارِدٖ وَلَا كَرِيمٍ ﴾ [الواقعة: ٤١-٤٤].

نعم أبوابها يوم القيامة مُؤْصَدة أي مغلقة، يدخلون النار فتُوصَد أبوابها عليهم، ويُطبِق عليهم العذاب فلا يستطيعون منه فِكاكًا.

(١) أورده الطبري في تفسيره عند كلامه عن الآية، بسند حسن.

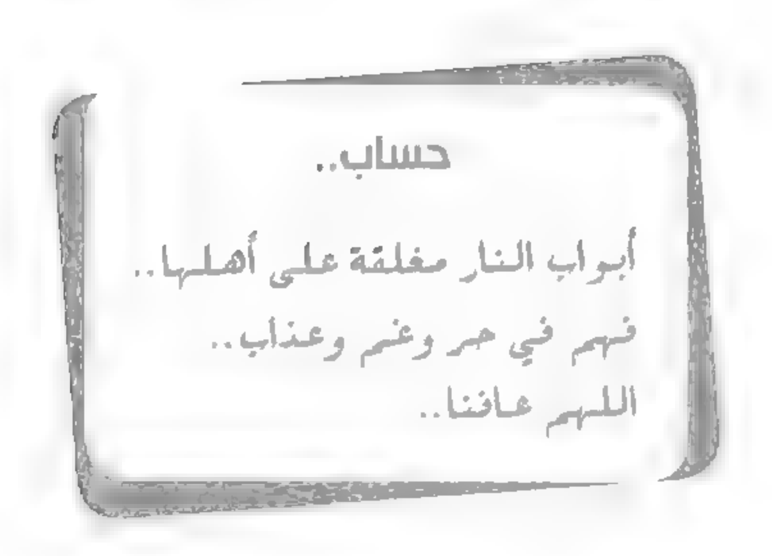
(٢) أورده الطبري في تفسيره عند كلامه عن الآية، بسند صحيح.

أما في الدنيا فأبوابها مُفتَّحة، تغلق في رمضان، وقد قال ﷺ: «إذا جاء رمضان فُتِّحت أبواب الجنة وغُلِّقت أبواب النار وصُفِّدت الشياطين»[1].

كل باب لأهل عمل:

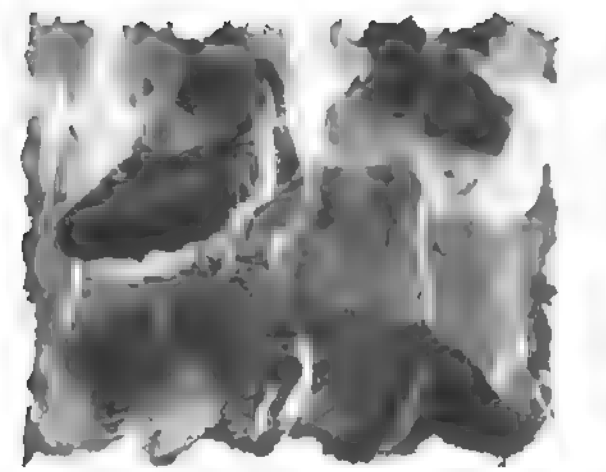
كما أن أبواب الجنة يدخل أهل كل عمل صالح من باب، فيدخل أهل الجهاد من باب الجهاد، وأهل الصيام من باب الرَّيَّان..

كذلك قد ذكر بعض أهل العلم أن أبواب النار، يدخل كل أهل عمل فاسد من خلال باب، لذلك تغلق أبواب النار في رمضان تشجيعًا للعصاة وحثًّا لهم على الاشتغال بالعمل الصالح.



(١) رواه مسلم، ومعنى صفدت: ربطت وقيدت.

وقود النار


صورة لنار الدنيا ونار الآخرة هي سبعون ضعفا مثلها

النار دائمة الاشتعال، لا تضعُف ولا تخبُو، وَقودها دائم، وعذاب أهلها مقيم.. يستغيثون ولا مُغيث، ولا مَهرب لهم من الله إلا إليه، لكنهم قد كفروا به وكذبوا من قبل، فكيف يهربون اليوم إليه، أو ينتظرون رحمته! مأواهم النار هي مولاهم وبئس المصير..

- فما وقودها؟
- وما الحكمة من دخول الأصنام فيها؟

مدخل:

النار مع حرارتها واشتعالها الدائم، لا بد أن يكون فيها ما يبقى يحترق لتبقى مشتعلة، مع ما فيها من السواد والظُّلمة، والعقارب والحيَّات. إضافة لصرُاخ أهلها وعَويلهم وبكائهم.

وقودها:

الأحجار والفَجَرَة الكفار هم وقود النار، كما قال تعالى:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ ﴾ [التحريم: ٦]

وقال تعالى: ﴿ فَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ ٱلَّتِي وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُۖ أُعِدَّتۡ لِلۡكَٰفِرِينَ ﴾ [البقرة: ٢٤].

ولا يخفى ما في هذا من التهويل إذ أنَّ هذه النار تُوقد وتشتعل بهؤلاء، فهم يتَعذَّبون ويحترقون، وهي تبقى حية مشتعلة ما داموا يحترقون فيها. وهذه الحجارة هي حجارة من كِبريت أسود في النار[1]، وغيرها من أنواع الحجارة الحارة الحارقة.

ومما تُوقد به النار الآلهة التي كانت تُعبد من دون الله، قال تعالى:

﴿ إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَٰرِدُونَ ۝٩٨ لَوْ كَانَ هَٰٓؤُلَآءِ ءَالِهَةً مَّا وَرَدُوهَا ۖ وَكُلٌّ فِيهَا خَٰلِدُونَ ۝٩٩ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَهُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُونَ ﴾ [الأنبياء:٩٨-١٠٠]

ومعنى الآية: أنكم أيها الكفار الذين عبدتم غير الله، تكونون يوم القيامة في النار تشتعل بكم، أنتم والآلهة التي عبدتموها من أصنام وحجارة وغيرها فأنتم حَصَب جهنم أي: وقودها وحَطَبها أنتم لها واردون مع أصنامكم.

مسألة



لماذا تدخل الأصنام النار، وهي جماد، لا تعقل، وليس عليها ذنب؟

الجواب: يُدخِل الله تعالى الأصنام في النار، لا تعذيبًا لها، وإنما بيانًا لكذب من اتخذها آلهة، ليَرَوا آلهتهم التي كانوا يعظِّمونها، ويرجون نفعها، فإذا هي معهم في النار، عندها يزداد عذابهم وحسرتهم.

(١) أورده الطبري في تفسيره عند كلامه عن الآية، بسند حسن صحيح.

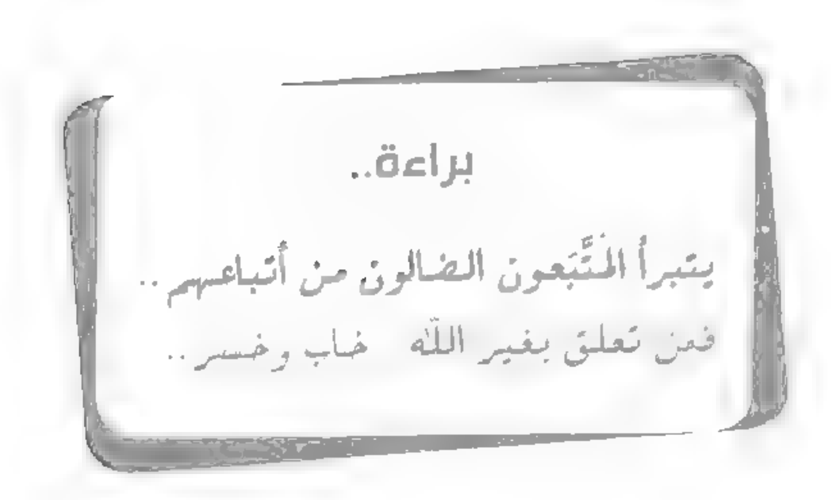
إشكال

من ضمن ما يعبده الكفار في الدنيا المسيح عيسى بن مريم عليه السلام! وكذلك الملائكة عبدها بعض الكفار! فهل يكونون في النار ايضا!!

الجواب: نبي الله المسيح عيسى عليه السلام، ونبي الله عُزَير عليه السلام، والملائكة ونحوهم، ممن عُبِد من الأولياء والصالحين، لا يُعذبون في النار، ولا يدخلونها، فإن الله تعالى بعد قوله: ﴿ إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَٰرِدُونَ ﴾ [الأنبياء: ٩٨].

قال تعالى بعدها: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا ٱلْحُسْنَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ﴿١٠١﴾ لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا ۖ وَهُمْ فِى مَا ٱشْتَهَتْ أَنفُسُهُمْ خَٰلِدُونَ ﴾ [الأنبياء: ١٠١ – ١٠٢].

فهذا وقود النار، عافانا الله منها، ووقانا شرها وحرها.. آمين.



في شِدة حرها وزَمْهَرِيرها

أمـر الله تعـالى الخلق بطاعتـه، وحذرهم من مخالفتـه، ووعد الطائعين بالجِنـان، وتوعـد العاصين بالنـيران، ووصف الله تعالى شـدة حرهـا، وبعد قَعْرها.

- **فما صفة هذا السعير؟**
- **وما هو ظل النار؟**
- **وما نسبة نار الدنيا لنار الآخرة؟**

مدخل:

جعل الله تعالى نار الدنيا تذكرة بنار الآخرة، فقال تعالى: ﴿ أَفَرَءَيْتُمُ ٱلنَّارَ ٱلَّتِي تُورُونَ (٧١) ءَأَنتُمْ أَنشَأْتُمْ شَجَرَتَهَآ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنشِـُٔونَ (٧٢) نَحْنُ جَعَلْنَٰهَا تَذْكِرَةً ﴾ [الواقعة: ٧١ - ٧٣].

وقـال ﷺ: « نار كـم هذه التي يوقد ابن آدم جزء من سـبعين جزءًا من حر جهنـم. **قالـوا:** والله إن كانت لكافيةً يا رسـول الله! **قال:** فإنهـا فُضِّلت عليها بتسعةٍ وسِتين جزءًا كلها مِثْلَ حَرِّهَا »[1].

أصحاب الشِّمال:

قال تعـالى: ﴿ وَأَصْحَٰبُ ٱلشِّمَالِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلشِّمَالِ (٤١) فِي سَمُومٍ وَحَمِيمٍ (٤٢) وَظِلٍّ مِّن يَحْمُومٍ (٤٣) لَّا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ ﴾ [الواقعة ...].

---

(١) رواه مسلم.

يعـني أن أصحاب الشـمال أهل النـار، الذين أعرضـوا في الدنيا عن الحق، يعطون كتبهم بشـمائلهم، ويقفون في المحشـر ذات الشـمال، فما يُدريك ما يكون عليه حالهم؟

فإنهم يكونون في حر شديد ينفُذ إلى أجسادهم من مَسامِ الجلد، ويشربون من ماء حميم شديد الحرارة، وفوقهم ظل من دخان أسود لا باردٍ، ولا كريم.

وذكر سبحانه هَول النار في آية أخرى، فقال تعالى: ﴿ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ ﴿٨﴾ فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ ﴿٩﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا هِيَهْ ﴿١٠﴾ نَارٌ حَامِيَةٌۢ ﴾ [القارعة: ٨ - ١١].

نعم.. وما أدراك ما الهاوِية؟ وحرّها وعذابها؟ إنها نار مُلتهبة شديدة الحر، يهوِي فيها المجرم الظالم، جزاءً وفاقًا، فهو لما هوى في الدنيا واتبع الشـيطان.. يهوي يوم القيامة في النار..

ظِلّ النار:

ظـل النار لا بارد المَدخل ولا كريم المَنظر، إنه ظِلّ من يَحمُوم، وقد ذكر الله تعالى هذا الظل فقال: ﴿ ٱنطَلِقُوٓا۟ إِلَىٰ ظِلٍّ ذِى ثَلَٰثِ شُعَبٍ ﴿٣٠﴾ لَّا ظَلِيلٍ وَلَا يُغْنِى مِنَ ٱللَّهَبِ ﴿٣١﴾ إِنَّهَا تَرْمِى بِشَرَرٍ كَٱلْقَصْرِ ﴿٣٢﴾ كَأَنَّهُۥ جِمَٰلَتٌ صُفْرٌ ﴾ [المرسلات: ٣٠ - ٣٣].

دائمة الاشتعال:

النار لا يخبُو أَوَارُها، ولا ينطفئ اشتعالها، مع تطاول الزمان، ومرور الأيام، قال تعالى: ﴿ فَذُوقُوا۟ فَلَن نَّزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا ﴾ [النبأ: ٣٠]. والنار تسعّرُ كل يوم..

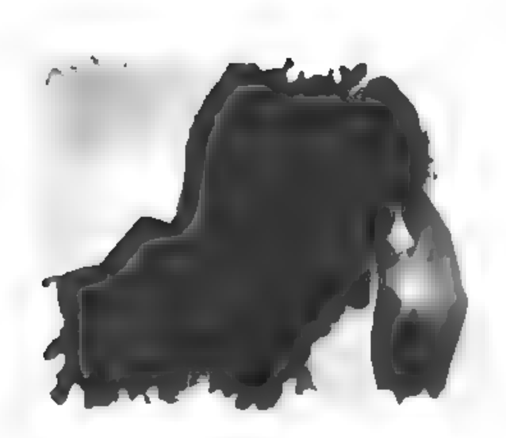
قال عمرو بن عَبَسَة السُّلَمي: « كنت وأنا في الجاهلية أظن أن الناس على ضلالةٍ وأنهم ليسـوا على شـيء وهم يعبدون الأوثان. فسـمعت برجلٍ بمكة يخبر أخبارا. فقعدت على راحلتي فقدمت عليه. فإذا رسول الله ﷺ مُستخفيًا

جُـرَءَاءُ عليه قومه. فتَلَطَّفْت حتى دخلت عليه بمكة، فقلت له: من أنت؟ قال: أنـا نبي. فقلت: وما نبي؟ قال: ارسلني الله. فقلت: وبأي شـيء أرسـلك؟ قال: ارسلني بصلة الأرحام وكسر الأوثان وأن يُوحّد الله لا يُشرك به شيء.

وفي الحديث قال عمرو: أخبرني عن الصلاة؟ قال: صلّ صلاة الصبح. ثم أقصر عن الصلاة حتى تطلع الشمس حتى ترتفع فإنها تطلع حين تطلع بين قرني شيطان، وحينئذٍ يسجد لها الكفار. ثم صل فإن الصلاة مشهودة محضورةٌ حتى يستقلّ الظّل بالرّمح. ثم اقصر عن الصلاة. فإن حينئذٍ تُسجر جهنم. فإذا اقبل الفيء فصلّ. فان الصلاة مشهودةٌ محضورةٌ، حتى تصلّيَ العصر. ثم أقصر عن الصلاة حتى تغرب الشمس. فإنها تغرب بين قرنَيْ شيطانٍ، وحينئذٍ يسجد لها الكفار»[1].

وتُسَعَّر النار أيضًا يوم القيامة، عندما تستقبل أهلها، كما قال ربنا: ﴿وَإِذَا الْجَحِيمُ سُعِّرَتْ﴾ [التكوير: ١٢]. أي: أُوقدت وأُحميت.

شِدة الحر من فيْح جهنم:



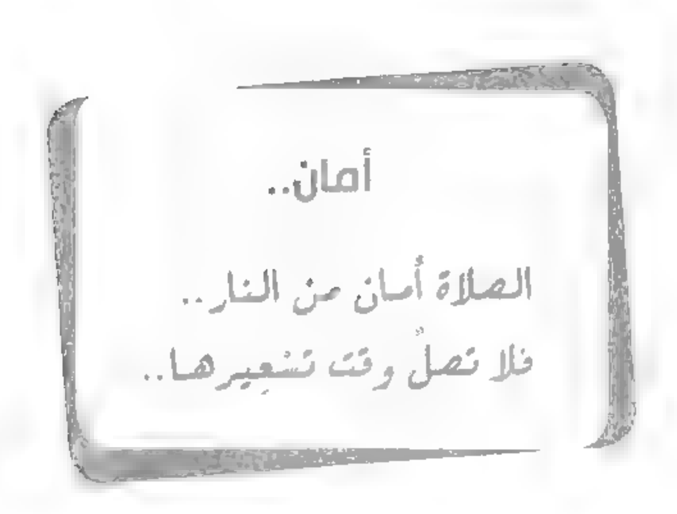
شدة ما يجده الناس في الدنيا من الحر، هو من فَيْح جهنم أي من تنفُّسها! مع أن الحر الشديد في الدنيا، ربما مات منه بعض الناس، ومرض آخرون بضربات الشمس، وغيرها.

قال ﷺ: «إذا اشتد الحرّ فابردوا بالصلاة، فإن شدة الحر من فيح جهنم. واشتكت النار إلى ربها، فقالت: يا رب اكل بعضي بعضا. فاذن لها بنفسين:

(١) رواه مسلم.

نفس في الشتاء ونفس في الصيف، فهو أشد ما تجدون من الحر، وأشد ما تجدون من الزَّمْهَرير»[1].

والزَّمْهَرير هو شدة البرد، نسأل الله النجاة والرحمة.



(1) رواه ابن حِبّان، صحيح.

كِبَر النار وبُعد قعرها

النــار كبيرة في حجمهــا، لكنها ضيقة بأهلهــا، يتضاغَطــون في جَنَباتها، جِســد الواحد منهم يضخم حتى يكون ضِرْســه في النار مثــل جبل أُحُد، وما بين مَنْكِبَيه مسيرة ثلاثة أيام.

- فما حجمها وكِبَرها؟
- وما بُعد قَعْرها؟
- وهل يخرج أحد منها بعد أن يدخلها؟

مدخل:

﴿يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ ٱمْتَلَأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ﴾ [ق:٣٠]، هكذا قال ربنا تعالى واصفًا حال النار وعذابها وشوقَها إلى تعذيب من يدخلونها..

وهي كبيرة عظيمة.. قال ﷺ: «يُؤْتى بجهنم يومئذ لها سبعون ألف زِمام مع كل زِمام سبعون ألف ملَك يجرونها».[1]



فلــك أن تتخيل عِظــم هذا المخلوق الرهيــب النــار الــذي احتــاج إلى هــذا العــدد الهائــل مــن الملائكــة الأشــداء الأقوياء الذين لا يعلم مدى قوتهم إلا الله تبارك وتعالى.

(١) رواه مسلم.

بُعدُ قعرها:

النار مظلمة عظيمة، عميقة بعيد قَعرها، قال ﷺ: «لو أن حجرًا يُقذف به في جهنم هوى سبعين خريفًا قبل أن يبلغ قعرها»[1]

دَرَكات النار:

النار متفاوتة في شـدة حرها، ومـا أعده الله من العذاب لأهلها، قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا ﴾ [النساء: ١٤٥]

الدَّرْك هو كل ما انخفض ونزل للأسفل.

والدَّرَج هو كل ما تعالى وارتفع.

فيقال لطبقات الجنة درجات، ولطبقات النار دَرَكات.

من هم الجهنميون؟ وهل يخرجون من النار بعد دخولها؟

مسألة



الجواب: نعم، هم أقوام من الموحدين لله، غير المشـركين به، لكن عندهم معاصٍ دخلوا بسببها النار، فيُعذبون ما شاء الله، ثم يخرجون منها، قال ﷺ:

«يخـرج الله أناسـًا من المؤمنـين من النار بعدما يأخـذ نقمته منهـم[2]، **قـال:** لمـا أدخلهـم الله النـار مـع المشـركين، قـال المشـركون: أليس كنتم تزعمون في الدنيـا أنكم أولياء! فما لكـم معنا في النار؟ فإذا سمع الله ذلك منهم أذن في الشـفاعة.

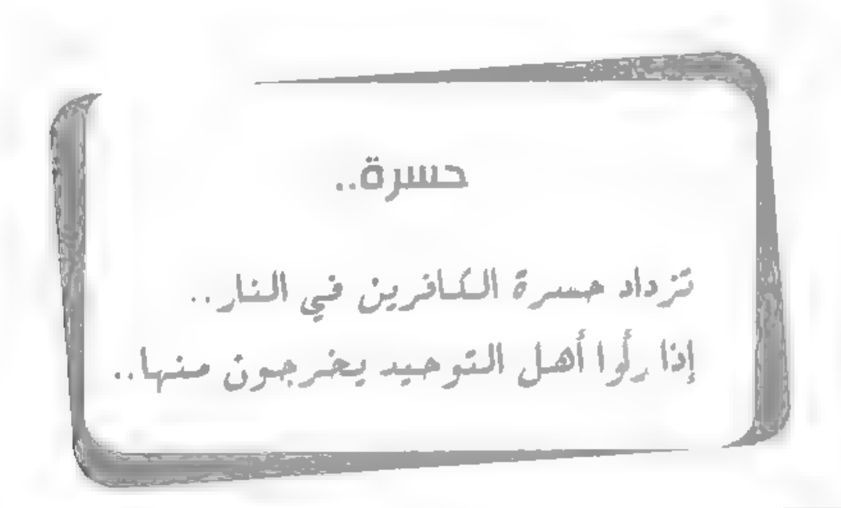
(١) رواه ابن حِبّان، صحيح.

(٢) يأخذ نِقمته: النِّقمة هي الغضب، أي يأخذ غضبه وعقوبته.

فيتشفع لهم الملائكة والنبيون حتى يخرجوا بإذن الله. فلما أخرجوا، قالوا: يا ليتنا كنا مثلهم، فتدركنا الشفاعة. فنُخرجُ من النار. فذلك قول الله جل وعلا: ﴿ رُّبَمَا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْ كَانُوا۟ مُسْلِمِينَ ﴾ [الحجر: ٢]. فيُسمّون في الجنة الجهنّميِّين من أجل سواد في وجوههم، فيقولون: ربنا أذهب عنا هذا الاسم، فيأمرهم فيغتسلون في نهر في الجنة فيذهب ذلك منهم »[١].

وقال ﷺ: « ... حتى إذا فرغ الله من القضاء بين العباد وأراد أن يُخرج برحمته من أراد من أهل النار أمر الملائكة أن يُخرجوا من النار من كان لا يشرك بالله شيئا ممن أراد الله أن يرحمه ممن يشهد أن لا إله إلا الله فيعرفونهم في النار بأثر السجود. تأكل النار ابن آدم إلا أثر السجود حرم الله على النار أن تأكل أثر السجود، فيخرجون من النار قد امتُحِشوا فيُصَبّ عليهم ماء الحياة فينبتون تحته كما تنبُت الحبَّة في حَميل السّيل »[٢].

وأخبر النبي ﷺ أن اسمهم «الجَهَنَّمِيُّون» فقال:« يخرج قوم من النار بشفاعة محمد فيدخلون الجنة ويُسمَّون الجهنّميِّين »[٣].



(١) رواه ابن حِبّان، حسن.

(٢) متفق عليه.

(٣) رواه أبو داود وابن ماجه.

تفاوُت أهل النار في العذاب



لما كانت النار دَرَكات بعضها أشد عذابا وهَوْلًا من بعض كان أهلها متفاوتين في العذاب، وهذا من عدل الله تعالى بين الناس.

- فما هو هذا التفاوت؟
- وهل يتفاوت الكفار في عذابهم؟
- وأيهم أخف عذابًا وأيهم أشد؟

مدخل:

﴿وَوَجَدُواْ مَا عَمِلُواْ حَاضِرًاۗ وَلَا يَظۡلِمُ رَبُّكَ أَحَدٗا﴾ [الكهف: ٤٩] هكذا قال ربنا جل وعلا، يكافئ الخلائق يوم القيامة على قدر أعمالهم في الدنيا.

نعم.. إنما هي أعمالهم يحصيها عليهم ثم يوفِّيهم إياها، فمن وجد خيرًا فليحمد الله، ومن وجد غير ذلك فلا يلومَنّ إلا نفسه. والدليل على أن أهل النار يتفاوتون في عذابهم، قوله ﷺ:

«إن أهون أهل النار عذابا يوم القيامة، رجل تُنتعَل بنعلين من نار، يغلي منهما دماغه، ومنهم من في النار إلى ركبتيه، مع أجزاء العذاب، ومنهم من هو على أرديته، مع أجزاء العذاب، ومنهم من هو إلى ترقُوته، مع أجزاء العذاب، ومنهم من قد اغتُمِر فيها»[1].

---

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك، صحيح.

غصاة المسلمين يتفاوتون:

عذاب عصاة الموحدين في النار بحسب أعمالهم، فليست عقوبة أهل الكبائر كعقوبة أهل الصغائر، وقد يخفَّف عن بعضهم بحسنات أخرى له، أو بما شاء الله من الأسباب.

الكفار أنواع ومراتب:

الكفــار يتفاوتون في مقــدار كفرهم، فعقوبة الكافر المســالم الذي كفر وأشرك بالله تعالى لكنه لم يقتل ولم يسرق، لكنه كفر بالله العظيم، وكذَّب الرسل الكرام، واتبع شهواته، وأطاع الشيطان، فهذا عقوبته أخفّ ممن كفر وطغى وتمرَّد وعصى، وتجبَّر وأذى، وقاتل الأنبياء، وفتك بالمســلمين، وأفسد في الأرض وهَتَــك أعراض الناس. لذا فإن أبا طالب هو أخفّ أهل النار عذابًا، فيوضع تحت قدميه جَمْرَتين من نار يغلي منهما دماغه.

أهْوَن أهل النار عذابا:

أخبر النبي ﷺ عن أدنى أهل النار عذابًا، ووصف حاله، وبيّن في أحاديث أنه مع خِفَّة عذابه عن غيره، يرى أنه أشدهم عذابًا.

قــال ﷺ: « [illegible] حرارة نَعْلَيه »[1].

وقال العباس بن عبد المطلب: « يا رســول الله، هل نفعت أبا طالب بشــيء؟ فإنــه قد كان يحُوطك ويغضب لغضبك. **قــال ﷺ:** [illegible] النار »[2].

---

(١) رواه مسلم.

(٢) رواه مسلم، ومعنى: « يحوطك» يصونك ويحفظك ويذُبّ عنك أذى قريش، قوله «ضحضاح» هو في الأصل الماء الرقيق على وجه الأرض الذي يصل إلى نحو الكعبين. واستعير هنا في وصف ما يصيبه من النار. قوله «الدرك»: هي الطبقة من طبقات النار. والدرك الأسفل من النار هو قعر جهنم، وأقصى أسفلها.

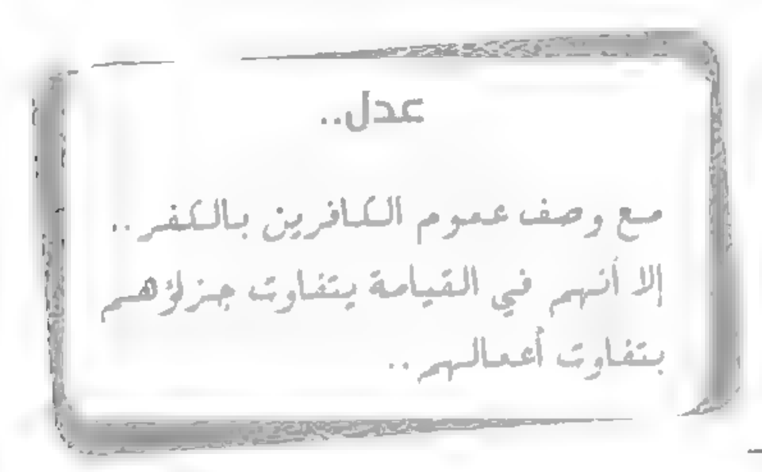


أعمال الكفار الصالحة لا تقبل عند الله، فكيف تنفعهم وتخفف عنهم العذاب؟

الجواب: شرط قبول العمل عند الله هو الإسلام، لذا قال تعالى: ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾ [illegible]. **فأعمال الكفار لا تنفعهم ولا تقبل منهم في الخروج من النار، لكنها قد تخفف عنهم العذاب، كما في حال أبي طالب عم النبي ﷺ، فإنه خُفِّف عنه بدفاعه عن النبي ﷺ، لكن لأنه كان عابدًا للأصنام، مشركًا بالله، غير موحد لله، فإنه لا يدخل الجنة، ولا ينجو من النار، لكن عذابه أخفّ من غيره. وقد قال تعالى:** ﴿ إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴾ [illegible].

نَدَم أهل النار:

الدنيا بالنسبة للآخرة مثل أن يضع أحدنا أصبعه في البحر ثم أخرجه منه، فإذا رأى الذين كفروا العذاب، نسُوا لذات الدنيا، ونَدِموا وتحسّروا على كفرهم وضلالهم. قال ﷺ: «[illegible]»[1].



(١) رواه البخاري.

شراب أهل النار

ذكـر الله تعـالى طعام أهـل النار وشـرابهم، وهو من أنـواع عذابهم، وفي القرآن ذِكر أنواع من شراب أهل النار..

- فما هذه الأنواع؟
- وما الفائدة من ذكرها بأسمائها؟
- وهل يشربونها باختيارهم؟



معرفـة العبـد بتفاصيل الشـيء تجعله أكثـر إيمانًا بـه وتصديقًا، وقد فصـل الله تعالى لنا ديننا، ووصف جزاء المتقـين، وعقوبة المعرضين المكذبين. ومن ذلك أن الله تعالى ذكر لنا أربعة أشربة لأهل النار، وهي:

الحَمِيم :

الحميم: هو الماء الحار المغلي بنار جهنم، يُذاب بهذا الحميم ما في بطونهم، وتَسيل به أمعاؤهم، وتتناثر جلودهم.

قال تعالى: ﴿ وَسُقُوا مَآءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَآءَهُمْ ﴾ [محمد: ١٥].

الغَسَّـاق :

الغساق هو الشراب شديد البرودة الذي لا يستطيعون أن يذوقوه من شدة برده. قال تعالى: ﴿ هَٰذَا فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ ﴾ [ص: ٥٧].

الصَّديد:

وهو ما يسيل من لحم الكافر، وجلده، قال تعالى: ﴿ مِّن وَرَآئِهِۦ جَهَنَّمُ وَيُسْقَىٰ مِن مَّآءٍ صَدِيدٍ ﴿١٦﴾ يَتَجَرَّعُهُۥ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُۥ وَيَأْتِيهِ ٱلْمَوْتُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ وَمِن وَرَآئِهِۦ عَذَابٌ غَلِيظٌ ﴾ [إبراهيم: ١٦ - ١٧]

أي: يُسقى من ماءٍ صديد شديد النَّتانة والكثافة فيتَجَرَّعه ولا يكاد يبتلعه من شدة نَتانَته وكثافته، مخلوط بالقَيح والدم.

ماءٌ كالمُهل:

سُئل ابن عباس رضي الله عنه عن «المُهْل» فقال: غليظ كدُرديّ الزيت.

دُرديُّ الزيت: ما يبقى في أسفله، وأَصله ما يركد في أَسفل كل مائع كالأَشربة والأَدهان[1].

قال تعالى: ﴿ إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلظَّٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا ۚ وَإِن يَسْتَغِيثُوا۟ يُغَاثُوا۟ بِمَآءٍ كَٱلْمُهْلِ يَشْوِى ٱلْوُجُوهَ ۚ بِئْسَ ٱلشَّرَابُ وَسَآءَتْ مُرْتَفَقًا ﴾ [الكهف: ٢٩].

أنواع أخرى من الشراب:

جاء في القرآن ذكر أنواع أخرى، يتجرّعها أهل النار، قال تعالى:

﴿ هَٰذَا ۚ وَإِنَّ لِلطَّٰغِينَ لَشَرَّ مَـَٔابٍ ﴿٥٥﴾ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا فَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴿٥٦﴾ هَٰذَا فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ ﴿٥٧﴾ وَءَاخَرُ مِن شَكْلِهِۦٓ أَزْوَٰجٌ ﴾ [ص: ٥٥ - ٥٨]

فهو يتجرّع الحميم والغساق مُكرهًا مُرغمًا، ويتجرع أنواعًا أخرى لم يذكرها الله تعالى لنا، لكنها أشكال أخرى وأنواع.

---

(١) انظر لسان العرب، مادة « درد».

يشربه مُكرهًا عليه:

هذه الأنواع من الشراب يشربه ساكن النار قَسْرًا وَقَهْرًا، جَرْعَةً بعد جَرعة، ولا يكاد يبتلعه لسوء طعمه، ونَتَن رائحته، وحرارته، فإذا شربه قطّع أمعاءه.

ألا يموت اذا شرب هذه الأنواع المحرقة من الشراب؟


إشكال

الجواب: شرط قبول العمل عند الله هو الإسلام، لذا قال تعالى: ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَـٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ ﴾ آل عمران.

الجواب: يحيط به العذاب بأنواعه، ليس منها نوْعٌ إلا يَأْتِيه الموت منه، ولكنه لا يموت بل يخلد في النار والعذاب، وله مع هذه الحالة عذاب آخر شديدٌ غليظٌ أذهى من الذي قبله وأمَرّ.

شارب الخمر يشرب الصَّديد:



قدم رجل من جيشان من اليمن فسأل النبي ﷺ عن شرابٍ يشربونه بأرضهم من الذرة يُقال له المِزْر؟

فقال النبي ﷺ: « أوَ مُسكِر هو؟

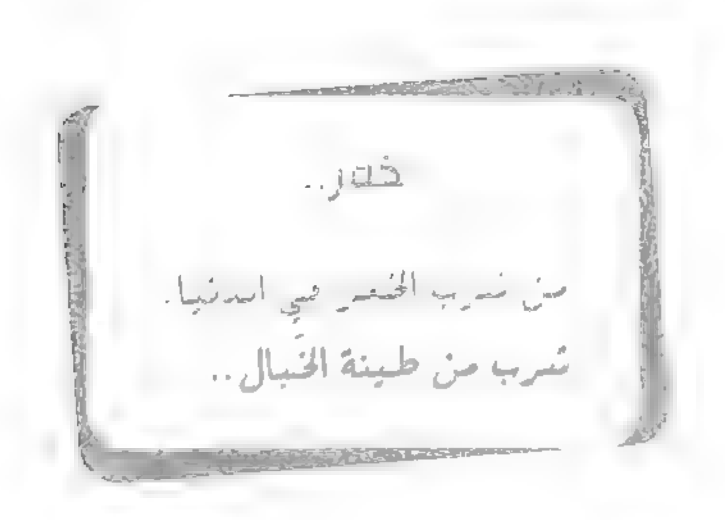
قال: نعم.

فقــال ﷺ: كل مسكر حرام، إن على الله عهدا لمن يشرب المسكر أن يسقيه من طِينة الخبَال.

قالوا: يا رسول الله، وما طينة الخَبَال؟

قال: عَرق أهل النار، **أو** عُصارة أهل النار»[1].

نســأل الله تعالى أن يســقينا مــن أنهار الجنة وعســلها ولبنها، في ســعادة غامرة، وبيوت عامرة، وأن يعيذنا من النار، وجحيمها، وزَقُّومها.. آمين.



(١) صحيح مسلم (٥٣٣٥).

في طعام أهل النار

كما أن أهل النار يشربون من حميم وغَسَّاق، كذلك فإنهم يتجرعون طعامًا من النار..

- فما هذا الطعام؟
- وكيف يأكلونه؟
- وما اسمه؟

مدخل:

يصرخ أهل النار ويتعذبون، ويبكون ويستغيثون، يجوعون ويعطشون، فيُغاثون بما يزيد حسرتهم وعذابهم.

الضَرِيع:



وهو نوعٌ من الشوك لا تأكله الدوابُّ لخُبثه. قال تعالى:

﴿لَّيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِن ضَرِيعٍ ۝٦ لَّا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِي مِن جُوعٍ﴾ [الغاشية: ٦ – ٧].

فهم إذا طلبوا الطعام جِيء لهم بالضَّريع، وهو نبات كالشوك مُرّ مُنْتِن، لا يُشْبِع من جوع، ولا يُسْمِن، وعرف الله تعالى هذا الضريع بأنه لا خير فيه، ولا فائدة منه، فهو لا يسمن، ولا يغني، ولا يشبع من جوعٍ.

غسلين :

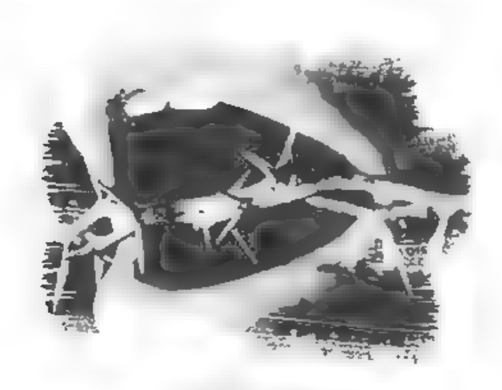
وهو الدم والماء والصديد الذي يسيل من لحومهم.

قال تعالى: ﴿ فَلَيْسَ لَهُ ٱلْيَوْمَ هَٰهُنَا حَمِيمٌ (٣٥) وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ (٣٦) لَّا يَأْكُلُهُۥٓ إِلَّا ٱلْخَٰطِـُٔونَ ﴾ [الحاقة: ٣٥ - ٣٧].

فالكافر لا يجد يوم القيامة قريبًا ودودًا، ولا صديقًا حميمًا، ينقذه من عذاب الله تعالى، فكل واحد منشغل في ذلك اليوم بنفسه. ولا يجد له طعامًا في النار إلا ما يسيل من جلود أهل النار من الدم والصَّديد. والصديد شيء كريه المذاق يتجرعه أهل النار، كما تجرَّعوا الحرام في الدنيا، جزاءً وفاقًا..

وقال تعالى: ﴿ إِنَّ لَدَيْنَآ أَنكَالًا وَجَحِيمًا (١٢) وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ وَعَذَابًا أَلِيمًا ﴾ [المزمل: ١٢ - ١٣].

والطعام ذو الغُصَّة: هو شوكٌ يجرح الأفواه، ويأخذ بالحلق، لا يدخل ولا يخرج. هذا مع أغلال ثقيلة تحيط بأجسادهم، في أرجلهم وأيديهم، إذلالًا لهم.



صورة لضريع

الزَّقُّوم :

الزقوم ثمر شجرة خبيثة تَخرُج في أصل النار، ثمرها كريه، يتجرعها أهل النار وهم كارهون. والزقوم إذا أكله أهل النار لا يفيدهم، فلا يجدون له لذة، ولا تنتفع به أجسادهم، إنما هو عذاب يتعذبون به.

قال تعالى: ﴿ إِنَّ شَجَرَتَ ٱلزَّقُّومِ (٤٣) طَعَامُ ٱلْأَثِيمِ (٤٤) كَٱلْمُهْلِ يَغْلِى فِى ٱلْبُطُونِ (٤٥) كَغَلْىِ ٱلْحَمِيمِ (٤٦) خُذُوهُ فَٱعْتِلُوهُ إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلْجَحِيمِ (٤٧) ثُمَّ صُبُّوا۟ فَوْقَ رَأْسِهِۦ مِنْ عَذَابِ ٱلْحَمِيمِ (٤٨) ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْكَرِيمُ (٤٩) إِنَّ هَٰذَا مَا كُنتُم بِهِۦ تَمْتَرُونَ ﴾ [الدخان: ٤٣ - ٥٠].

وقال تعالى مهددًا للمجرمين في الدنيا: ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا الضَّالُّونَ الْمُكَذِّبُونَ (٥١) لَآكِلُونَ مِن شَجَرٍ مِّن زَقُّومٍ﴾ [الواقعة: ٥١ - ٥٢].

يعني إنكم أيها الضالون عن الهُدى، المُكَذِّبون بالبعث والحساب، ستأكلون من شجر الزَّقُّوم النابِت في أصل الجحيم.

وقال تعالى: ﴿إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ (٦٤) طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ (٦٥) فَإِنَّهُمْ لَآكِلُونَ مِنْهَا فَمَالِئُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ﴾ [illegible].

فثمرها وطَلْعها، في قُبح منظره، كأنه رؤوس الشياطين.


إشكال

الناس لم يروا رؤوس الشياطين، فكيف يشبه ربنا تعالى شجرة الزقوم بها؟

الجواب: أن الناس يعلمون أن الشياطين كريهة المنظر، قبيحة الرؤوس، بَشِعة الوجوه، فأراد الله تعالى تقبيح شجرة الزقوم، وتكريه السامعين بها، بتشبيهها برؤوس الشياطين.

بشاعة الزقوم:

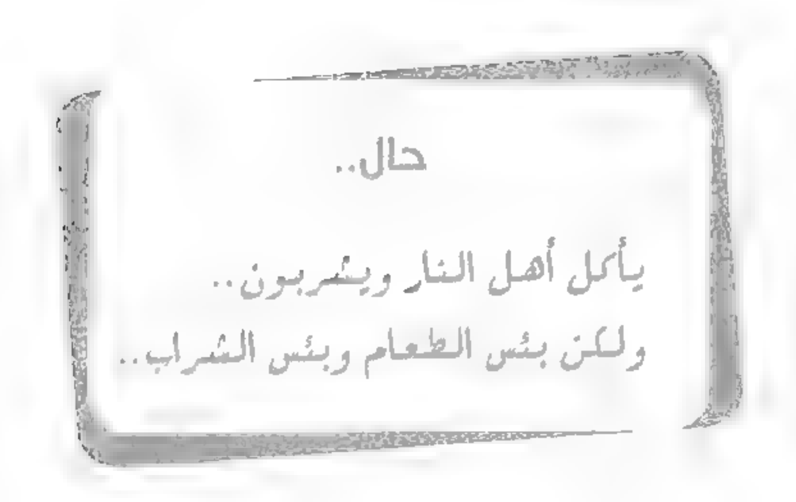
صَوَّر الرسول ﷺ شناعة الزقوم وفظاعته، فقد تَلا رسول الله ﷺ هذه الآية:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢]

فقال: «والذي نفسي بيده لو أن قطرة [illegible] لفسدت».

وفي رواية: «.. لأمرت على أهل الدنيا معايشهم فكيف بمن تكون طعامه»[1].

نسأل الله تعالى أن يرزقنا الجنة، وثمارها، ونعيمها، وطيرها.. وأن يعيذنا من النار، وزَقُّومها، وغِسلينها، وحميمها..

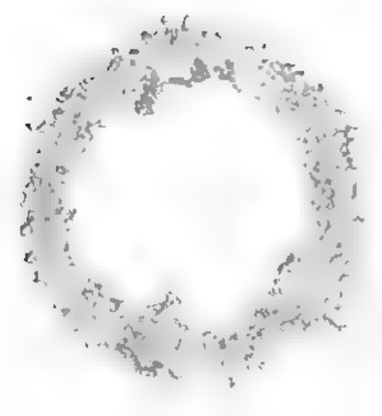


(١) أخرجه الحاكم في مستدركه، صحيح.

لِباس أهل النار وفُرُشهم

أهل النار يلبسون، ويأكلون، ويشربون، ولهم فُرُش وملاحِف.. لكن لبسهم وأكلهم وشربهم وفرشهم نار، فهو عذاب ونكال وجحيم..

- فما نوع هذا اللباس؟
- وكيف يلبَسونه؟
- وما فرشهم ولحافهم؟



صورة للتوضيح،
ولا يعني أنها مثل نار الآخرة

مدخل:

أخبر الحق سبحانه وتعالى أن أهل النار يُصنع لهم حُلَل من النار، وأن من تحتهم نار، وفوقهم نار، فقال تعالى: ﴿فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُءُوسِهِمُ الْحَمِيمُ﴾ [الحج: ١٩].

فالثياب فُصِّلت على قدر أجسادهم، ويُصَبّ الماء الشديد الحرارة فوق رؤوسهم فيشوي وجوههم وأجسادهم، ويُذيب أمعاءهم.

يتفاوتون في قدر الثياب:

قال ﷺ: «منهم من تأخذه النار إلى كعبيه، ومنهم من تأخذه النار إلى ركبتيه، ومنهم من تأخذه النار إلى حُجزته[١]، ومنهم من تأخذه النار إلى ترقُوته[٢]»[٣].

---

(١) الحُجزَة: معقِد الإزار والسراويل، عند السرة في البطن.

(٢) الترقُوَة: أسفل الرقبة من عند الكتفين.

(٣) أخرجه ابن أبي شَيبَة وأحمد، وأصله في صحيح مسلم.

قــال ﷺ: «إن في أمـتي أربعا من أمـر الجاهلية ليسـوا بتاركيهن: الفخر في الأحساب، والطّعن في الأنساب، والاستسقاء بالنجوم، والنياحة على الميت. فإن النّائحة إذا لم تتب قبل أن تموت، فإنها تقوم يوم القيامة عليها سـرابيل من قطران، ثم يغلى عليهن دُروع من لهب النار»[1].

فراش أهل النار، وغطاؤهم:

الفِراش ما يكون تحت الشخص عند اضْطِجاعه، واللِّحاف ما يكون فوقه، فأهل النار تحتهم نار وفوقهم نار.

قال تعالى: ﴿ لَهُم مِّن جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِن فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ ﴾ [الأعراف: 41].

المِهاد: فراشٌ تحتهم.

الغَواش: أَغْطِية من فوقهم تُغطِّيهم.

(1) رواه مسلم. والجاهلية: هي ما قبل الإسلام، لما كان الناس يعبدون الأصنام. والمعنى أن أمورًا من أفعال أهل الجاهلية سيبقى بعض الناس من المسلمين يفعلها تشبُّهًا بالجاهلية أو جهلًا.

الأحساب: جمع حسَب وهو تراث الآباء ونسبهم الرَّفيع: وهو أيضًا افتخار الإنسان وغروره على غيره بماله أو حسَبه يعني أو كرم وشجاعة أجداده، وانتقاص غيره.

الأنساب جمع نسَب: وهو انتساب الإنسان إلى أبيه وأسرته، فيأتي من يشكّك في انتسابه لأبيه، أو يتهمه بأن أمه حملت به من زنا، وأنه منسوب لغير أبيه، كذلك ذم الأنساب وعيبها والوقوع فيها فمن طعن في نسب أحد من إخوانه المسلمين وذمّه وعابه ففيه جاهلية.

الاستِسقاء: هو طلب السُّقيا والتماس نزول المطر، واعتقاد أن نجوم السماء وكواكبها هي التي تؤثر في نزول المطر وسـقيا الناس. فيطلبها من النجم معتقدًا أنه الذي يسقينا ويرزقنا وهذا كفر، بل يطلب المطر من الله ﷻ، وشرع الله للمسلمين إذا أجدبت الأرض أن يستسقوا ويدعوا.

النِّياحـة علـى الميت: هي رفع الصوت بالنَّدب على الميت وتعداد محاسـنه على جهة النَّوح والصياح وهذا فيه تهييج للأحزان وإدامة لها وتسخط على الله وتعرض للآثام.

والدُّروع: جمع درع، وهو لباس يغطي الجسد أو بعضه.

والسَّرابيل: جمع سِربال، وهي السراويل.

والقطران: مادة سـوداء لزجة تسـتخرج منه الخشـب والفحم، مُنتنة الرائحة، شـديدة الاشتعال. وقد ذكره الله تعالى في عذاب أهل النار فقال: ﴿ سَرَابِيلُهُم مِّن قَطِرَانٍ وَتَغْشَىٰ وُجُوهَهُمُ النَّارُ ﴾ [إبراهيم: 50].

فهم يفترشون النار، ويلتَحِفون بأَلْحِفة من النار. اللهم ارحمنا برحمتك.. يا رب.

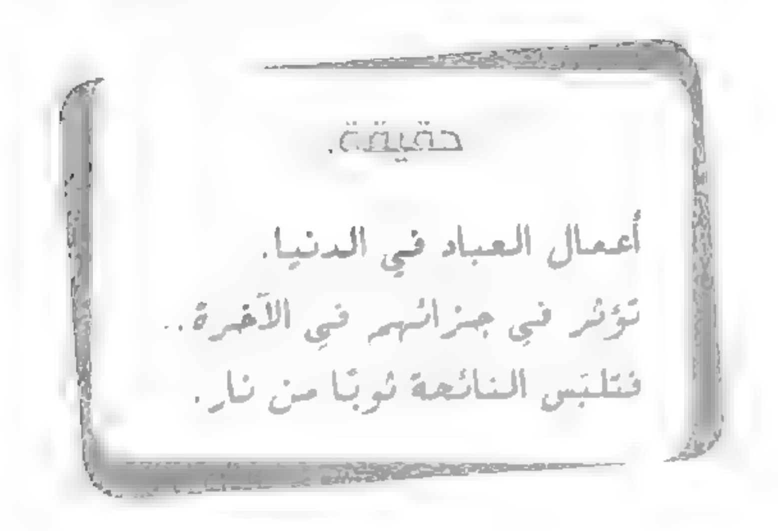
وقال تعالى: ﴿ لَهُم مِّن فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِّنَ ٱلنَّارِ وَمِن تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ ﴾

فأهـل النـار من فوقهـم طبقات متراكمة مـن النار بعضهـا فوق بعض، وكأنها الظُّلَل، ومن تحتهم طبقات مثلها. فتغمُرهم النار من كل جانب.

قصص حال الكفار يوم القيامة

ربنا جـل وعلا يَقُصّ علـى الناس حال الكفار يـوم القيامة ليُخَوِّفهـم من أهـوال ذلك اليوم، ليتَّعـظ العقلاء عن الكفر والمعاصي، ويعملوا بطاعة الله.

نسأل الله أن يلطف بحالنا، ويعيذنا من سخطه وعذابه.. آمين..



في أشكال أهل النار وقُبحهم

أشكال أهل النار في غاية القبح، ومناظرهم في منتهى السواد والظلمة.

وجوه قاتِمة.. وأنفس نادمة.. وجلود محترقة.. وأعمال ضائعة مُمَزّقة..

- فما هي أشكالهم في النار؟
- وهل تتغير في حجمها؟
- وما الحكمة من ذلك؟

مدخل:

أهـل النار لما كذبوا وأعرضوا، وحادّوا الله في الدنيا، وأشـركوا في عبادته، وكذبوا رسله، وكفروا بكتبه، استحقوا العقوبة على عملهم.

أشكالهم في النار:

يدخل أهل الجحيم النار على صورة هائلة لا يقْدُر قَدْرها إلا الذي خلقهم، فتكبُر أجسادهم جدًا، ليزداد عذابهم، وتَثْخَن جلودهم.

قال ﷺ: «ما بين منكبَي الكافر مسيرة ثلاثة أيام للراكب المسرع»(1).

والمَنْكِب: هو طرف الكَتِف من الأعلى، ولكل إنسان منكبان عن يمينه وشماله.

---

(1) متفق عليه.

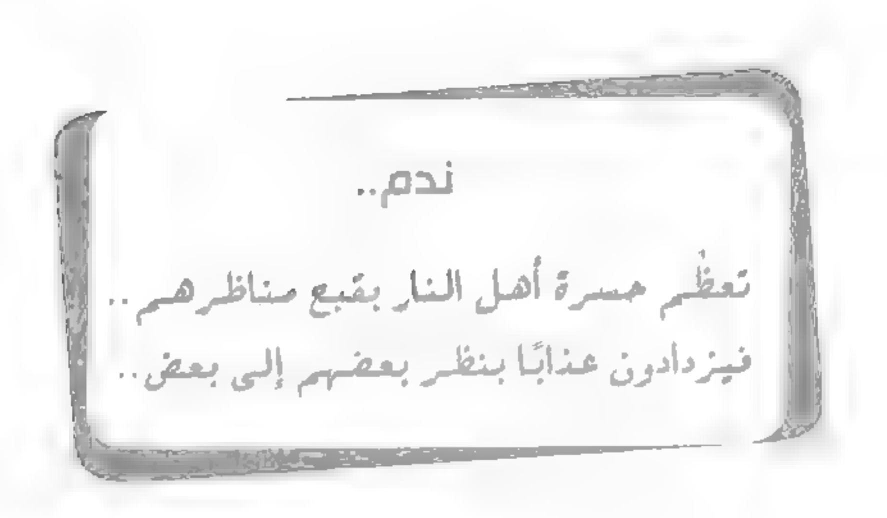
وقـال ﷺ: « ضـرس الكافـر أو ناب الكافـر مثل أحد وغلظ جلده مسـيرة ثلاث »[1].

وقال ﷺ: « إن غلظ جلد الكافر اثنان وأربعون ذراعا وإن ضرسه مثل أحد وإن مجلسه من جهنم كما بين مكة والمدينة »[2].

ألوانهم:

ألوانهـم مع شـدة العذاب والحريق، سـوداء مظلمـة، ويزيدهم الاحتراق بشاعة، قال ﷺ في قوله تعالى: ﴿ تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَـٰلِحُونَ ﴾ [المؤمنون: ١٠٤]: « تشـويه النار، فتقلص شفته العليا، حتى تبلغ وسط رأسه، وتسترخي شفته السُّفلى حتى تبلغ سُرّته »[3].

فـإذا علم المؤمن شـدة هذا العـذاب، دعاه ذلك إلى طاعـة الله تعالى وترك معصيته.. إن عذاب ربك لواقع.. ما له من دافع..



(١) رواه مسلم.

(٢) رواه الترمذي، صحيح.

(٣) أخرجه الحاكم في مستدركه، حسن.

أصناف أخرى من العذاب

مـن رحمة الله تعالى بالناس، وإقامته الحجـة عليهم، وقطع الأعذار عن المعتذرين، أنه جل جلالـه، فصّل لهم أنواع العذاب، وأنواع النعيم، ورغّبهم في الجنة، وحذّرهم من النار.

ومع أن رحمة ربنا تسبق غضبه، وعفوه يغلب عقوبته، إلا أن بطشه شديد، وعذابه أليم، ومن ذلك تفصيل أنواع العذاب، تخويفًا وتحذيرًا.

- فما هي أنواع العذاب في النار؟
- وما الحكمة من تفصيل أنواعه؟
- وما حال أهل النار معه؟

مدخل:

يوجد للمعذبين في النار أصناف متعددة من العذاب، إضافة لاحتراقهم بالنار، وقد بين الله تعالى ذلك في كتابه، ومن ذلك:

الضرب بمطارق حديد:

قـال تعـالى: ﴿ فَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُءُوسِهِمُ ٱلْحَمِيمُ ﴿١٩﴾ يُصْهَرُ بِهِۦ مَا فِى بُطُونِهِمْ وَٱلْجُلُودُ ﴿٢٠﴾ وَلَهُم مَّقَـٰمِعُ مِنْ حَدِيدٍ ﴾ [الحج: ١٩ - ٢١].



صورة للتوضيح، ولا يعني انها مثل ما في الآخرة

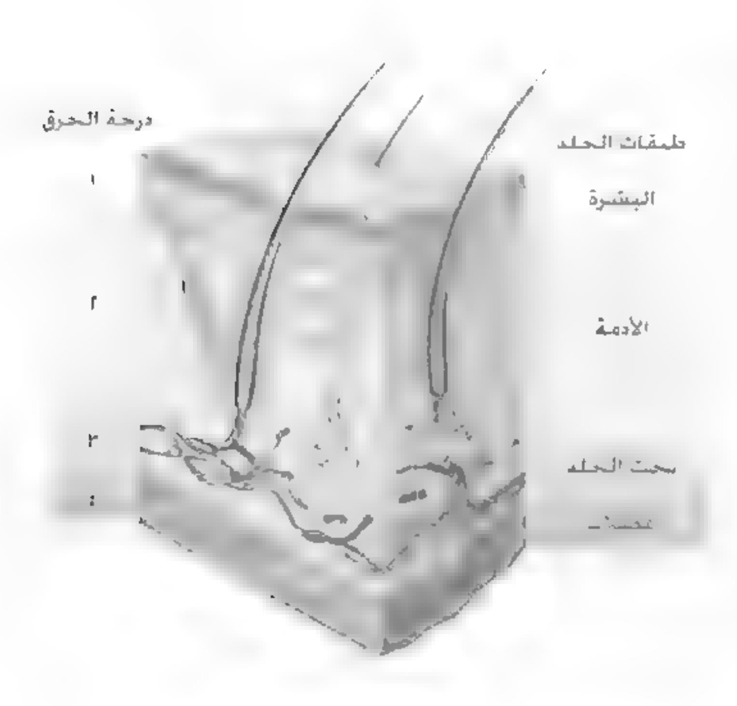
فيُضـرَب الكافـرون بالسِّـياط والمطـارق مـن الحديـد المُحَمَّـى فتتناثر أعضاؤهم، ثم يعودون كما كانوا فيُضربون أخرى.

كلما نضِجَت جلودهم بُدِّلت لغيرها:

تحرق النار جلود أهل النار، والجلد موضع الإحساس بألم الاحتراق، ولذلك فإن الله يبدِّل لهم جلودًا أخرى غير تلك التي احترقت، لتحترق من جديد..

قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَٰهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُواْ ٱلْعَذَابَ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴾ [النساء: 56].

تعد هـذه الاية مـن الإعجـاز العلمي في القـران الكريـم، فقد اثبت العلـم الحديث ان الجلـد هـو العضـو الوحيد المسئول عن الشـعور بـالالم. لما يحتويـه مـن نهايـات عصبية ومسـتقبلات حسـية. وإذا تعرض الجلـد لحرق من الدرجـة الثالثة فاكثر، فإن المسـتقبلات الحسية والاعصاب تتلف وتتوقـف وظيفتهـا كناقـل للمؤثـرات الخارجيـة وهو مـا وصفه القـران بنضوج الجلـد، وبالتالي لن يكون هناك جدوى من الاسـتمرار في العذاب. لذلك لزم استبدال الجلـد الناضـج باخر سـليم حتى يسـتمر الإحساس بالالم.



تقْييدهم وسحبهم:

قال تعالى: ﴿ إِنَّ لَدَيْنَآ أَنكَالًا وَجَحِيمًا ﴿١٢﴾ وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ وَعَذَابًا أَلِيمًا ﴾ [المزمل: 12-13].

إن لدينا لهؤلاء الكفـرة المكذبين في الآخرة قيودا ثقيلة توضع في أرجلهم كما يفعل إذلالا لهم، ولهم نار مُستَعِرة يصلَونها.

وقال تعالى: ﴿ إِذِ ٱلْأَغْلَٰلُ فِىٓ أَعْنَٰقِهِمْ وَٱلسَّلَٰسِلُ يُسْحَبُونَ ﴿٧١﴾ فِى ٱلْحَمِيمِ ثُمَّ فِى ٱلنَّارِ يُسْجَرُونَ ﴾ [غافر: ٧١ - ٧٢].

الأَنكال: القيود، سميت أنكالًا لأن الله يعذبهم وينَكِّل بهم بها.

وقـال تعـالى: ﴿ إِنَّ ٱلْمُجْرِمِينَ فِى ضَلَٰلٍ وَسُعُرٍ ﴿٤٧﴾ يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِى ٱلنَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا۟ مَسَّ سَقَرَ ﴾ [القمر: ٤٧ - ٤٨].

السَّحب في النار:

ومـن أنـواع العـذاب الأليـم سـحب الكفار علـى وجوههـم في النـار، قال تعـالى: ﴿ إِنَّ ٱلْمُجْرِمِينَ فِى ضَلَٰلٍ وَسُعُرٍ ﴿٤٧﴾ يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِى ٱلنَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا۟ مَسَّ سَقَرَ ﴾ [illegible].

ويزيد من آلامهم حال سـحبهم في النار أنهم مقيـدون بالقُيود والأغلال والسلاسل، قال تعالى:

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ أَنَّىٰ يُصْرَفُونَ ﴿٦٩﴾ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِٱلْكِتَٰبِ وَبِمَآ أَرْسَلْنَا بِهِۦ رُسُلَنَا ۖ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٧٠﴾ إِذِ ٱلْأَغْلَٰلُ فِىٓ أَعْنَٰقِهِمْ وَٱلسَّلَٰسِلُ يُسْحَبُونَ ﴿٧١﴾ فِى ٱلْحَمِيمِ ثُمَّ فِى ٱلنَّارِ يُسْجَرُونَ ﴾ [illegible].

الصَّهر بالماء الحار:

مـن ألوان العذاب صبّ الحميم فوق رؤوسـهم، والحميم هو الماء الذي بلغ غاية الشـدة في الحرارة، فلشدة حره تذوب أمعاؤهم وما حَوَته بطونهم، قال تعالى:

﴿ فَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُءُوسِهِمُ ٱلْحَمِيمُ ﴿١٩﴾ يُصْهَرُ بِهِۦ مَا فِى بُطُونِهِمْ وَٱلْجُلُودُ ﴾ [illegible].

اللّفح بحرارة النار:



صورة رمزية

أكرم ما في الإنسان وجهه، ولذلك نهانا الرسول ﷺ عن ضرب الوجه، ومن إهانة أهل النار أن النار تَلفَح وجوههم وتحرقها بحرّها قبل أن يصل إليهم لهيبها.

قال تعالى: ﴿ تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَٰلِحُونَ ﴾ [المؤمنون: ١٠٤].

نعم.. تَلفَح النار وجوههم فتشويها، وتَتَقَلّص شِفاههم، وتتغير ملامحهم. ويُلقون في النار على وجوههم.

قال تعالى: ﴿ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَكُبَّتْ وُجُوهُهُمْ فِي ٱلنَّارِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ [النمل: ٩٠].

وقال تعالى: ﴿ سَرَابِيلُهُم مِّن قَطِرَانٍ وَتَغْشَىٰ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ ﴾ [إبراهيم: ٥٠].

وقال تعالى: ﴿ أَفَمَن يَتَّقِي بِوَجْهِهِۦ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ وَقِيلَ لِلظَّٰلِمِينَ ذُوقُوا۟ مَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ ﴾ [الزمر: ٢٤].

وهم مع ذلك يحشرون يوم القيامة على وجوههم عميًا وبكمًا وصمًا، قال تعالى: ﴿ وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا ۖ مَّأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَٰهُمْ سَعِيرًا ﴾ [الإسراء: ٩٧].

يصعد لأعلى النار، ويهوي:

يُكَلَّف صُعود جبل من نار في جهنم، ثم يَهوي من أعلاها لأسفل النار.

وهذا أيضًا من أنواع العذاب، قال تعالى: ﴿ سَأُرْهِقُهُۥ صَعُودًا ﴾ [المدثر: ١٧].

تسويد الوجوه:

يُسَوِّد الله في الدار الآخرة وجوه أهل النار، قال تعالى: ﴿ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴾ [آل عمران: ١٠٦].

وهو سواد شديد، كأنما حلَّت ظلمة الليل في وجوههم، قال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ كَسَبُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ جَزَآءُ سَيِّئَةٍۭ بِمِثْلِهَا وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ۖ مَّا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ ۖ كَأَنَّمَآ أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطَعًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مُظْلِمًا ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾ [يونس: ٢٧].

إحاطة النار بالكفار:

يعني أن النيران تحيط بهم من فوقهم ومن تحتهم، كما قال تعالى: ﴿ يَوْمَ يَغْشَىٰهُمُ ٱلْعَذَابُ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ وَيَقُولُ ذُوقُوا۟ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ [العنكبوت: ٥٥].

يغشاهم العذاب، ويحيط بهم من كل جانب: من فوقهم، ومن تحت أرجلهم، وعن أيمانهم، وعن شمائلهم، ويقال لهم تقريعًا لهم وتوبيخًا: ذُوقُوا العذاب الذي أوصلكم إليه سوء عملكم.

وقال في موضع آخر: ﴿ لَهُم مِّن فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِّنَ ٱلنَّارِ وَمِن تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ ۚ ذَٰلِكَ يُخَوِّفُ ٱللَّهُ بِهِۦ عِبَادَهُۥ ۚ يَٰعِبَادِ فَٱتَّقُونِ ﴾ [الزمر: ١٦]

وقال تعالى: ﴿ يَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلْعَذَابِ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ [العنكبوت: ٥٤].

سور من نار:

للنار سور يحيط بالكافرين، فلا يستطيع الكفار مغادرتها أو الخروج منها، كما قال تعالى: ﴿ إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلظَّٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا ۚ وَإِن يَسْتَغِيثُوا۟ يُغَاثُوا۟ بِمَآءٍ كَٱلْمُهْلِ يَشْوِى ٱلْوُجُوهَ ۚ بِئْسَ ٱلشَّرَابُ وَسَآءَتْ مُرْتَفَقًا ﴾ [الكهف: ٢٩].

اطلاع النار على الأفئدة:

أهل النار يَضخُم خلقهم في النار شيئًا عظيمًا، ومع ذلك تدخل النار في أجسادهم حتى تصل إلى قلوبهم، قال تعالى: ﴿ كَلَّا ۖ لَيُنۢبَذَنَّ فِى ٱلْحُطَمَةِ ۝٤ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْحُطَمَةُ ۝٥ نَارُ ٱللَّهِ ٱلْمُوقَدَةُ ۝٦ ٱلَّتِى تَطَّلِعُ عَلَى ٱلْأَفْـِٔدَةِ ﴾.

قوله ﴿ ٱلَّتِى تَطَّلِعُ عَلَى ٱلْأَفْـِٔدَةِ ﴾ أي: تأكله النار إلى فؤاده، فإذا بلغت فؤاده أنشأ خلقه.

وقال تبارك وتعالى: ﴿ سَأُصْلِيهِ سَقَرَ ۝٢٦ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا سَقَرُ ۝٢٧ لَا تُبْقِى وَلَا تَذَرُ ۝٢٨ لَوَّاحَةٌ لِّلْبَشَرِ ﴾.

فقوله تعالى: ﴿ لَا تُبْقِى وَلَا تَذَرُ ﴾ أي: تأكل العظم واللحم والمُخ.

وقد أشار النبي ﷺ إلى شيء من ذلك، فقال: « ... ».



حسرتهم وندمهم:

إذا رأى الكفار النار ندموا أشد الندم، وَلَات ساعة مَندَم! قال تعالى: ﴿ وَلَوْ أَنَّ لِكُلِّ نَفْسٍ ظَلَمَتْ مَا فِى ٱلْأَرْضِ لَٱفْتَدَتْ بِهِۦ ۗ وَأَسَرُّوا۟ ٱلنَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ۖ وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْقِسْطِ ۚ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾ [يونس: ...].

(١) رواه مسلم، ومعنى يتحسَّى: يشرب ويتجرَّع، ومعنى يتوجَّأ: يطعن.

وقـال ﷺ: «يجاء بالكافر يوم القيامة، فيقال له: أرأيت لو كان لك ملء الأرض ذهبًا أكنت تفتدي به؟ فيقول: نعم، فيقال له: قد كنت سئلت ما هو أيسر من ذلك»[1]

أي طلـب منـك إيمان وتصديق بـالله تعالى، وعبادته وحده لا شـريك له، وهذا يسير عليك، لكنك كذبت وأعرضت، فاليوم لا يُقبل منك فِدْية.

جَرّ الأمعاء في النار:

وهـذا ورد في عقوبة المرائي فاسـد النية الذي يأمر النـاس بالمعروف رياءً وسُمعة، وهو لا يفعل هـذا المعروف، وينهاهم عن المنكر، ليظهر لهم صلاحه وتقواه، وهو يفعل هذا المنكر ولا يبالي.

قـال ﷺ: «يؤتى بالرجل يوم القيامة فيلقى في النار، فتندلق أقتاب بطنه، فيدور بها كما يدور الحمار بالرحى، فيجتمع إليه أهل النار فيقولون: يا فلان، ما لك؟ ألم تكن تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر؟ فيقول: بلى، قد كنت آمر بالمعروف ولا آتيه، وأنهى عن المنكر وآتيه»[2]

والأَقْتاب: جمع قَتَب وهو الأمعاء.

وقـال ﷺ: «رأيت عمرو بن عامر الخزاعي يجر قصبه في النار، كان أول من سَيّب السّوائب»[3]

والسَّـوائب جمـع سـائبة، وهي أن تـترك الدابّـة تذهب حيث شـاءت فلا تُسـتعمل ولا يُحمل عليها، تقرُّبًا إلى الأصنام بذلك، فعمرو بن لُحَيّ هو أول من ابتدع هذه البدعة الشِّركية وتبعها الناس عليها.

(١) متفق عليه.

(٢) رواه مسلم.

(٣) رواه البخاري.

القُضب: الأمعاء التي في البطن، والمعنى أن أمعاءه تخرج من شدة العذاب ويطوف بها في النار.

قَرْن المعبود بعابده:



كان الكفار والمشركون يعظمون الآلهة التي يعبدونها من دون الله، ويدافعون عنها ويبذلون في سبيل ذلك النَّفس والمال، ويعتقدون أن هذه الآلهة تنفع وتضر، وفي يوم القيامة يقذف ربنا جميع آلهتهم في النار إهانة لعابديها وإذلالًا، فهي لم تُنجِ نفسها فكيف تنجيهم؟

قال تعالى: ﴿ إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَٰرِدُونَ ﴿٩٨﴾ لَوْ كَانَ هَٰٓؤُلَآءِ ءَالِهَةً مَّا وَرَدُوهَا ۖ وَكُلٌّ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾ [الأنبياء: ٩٨ - ٩٩].

نعم يرى العابد معبوده في النار.. فإن الإنسان إذا قُرن في العذاب بمن كان سبب عذابه كان أشد في ألمه وحسرته..

صُراخهم ودعاؤهم:

هناك يعلو صراخهم ويشتدّ عَويلهم ويدعون ربهم آملين أن يخرجهم من النار! قال تعالى: ﴿ وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا غَيْرَ ٱلَّذِى كُنَّا نَعْمَلُ ۚ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُ ۖ فَذُوقُوا۟ فَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٍ ﴾ [فاطر: ٣٧]

سبحان الله!! أين كان هذا البكاء وأنتم للأصنام تعبدون! وللرسل تُكذِّبون! أين كان هذا البكاء وأنتم تزنون! وللخمر تُعاقِرون! أين كان هذا البكاء وأنتم للحرام تأكلون! وللوالدين تَعُقُّون!

اعترافهم:

وعند معاينة العذاب يعترفون بضلالهم وكفرهم، قال تعالى: ﴿ وَقَالُواْ لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِىٓ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴿١٠﴾ فَٱعْتَرَفُواْ بِذَنۢبِهِمْ فَسُحْقًا لِّأَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴾ [الملك ١٠-١١].

وقال تعالى: ﴿ قَالُواْ رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَآلِّينَ ﴿١٠٦﴾ رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَٰلِمُونَ ﴾ [المؤمنون ١٠٦-١٠٧].

ولكن أنى يستجاب لهم! بل يقال لهم: ﴿ قَالَ ٱخْسَـُٔواْ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ ﴾ [المؤمنون ١٠٨].

استعطافهم لخزنة جهنم:

إذا يئس أهل النار من أن يستجيب الله لهم، توجَّهوا بالنداء لخزنة النار، يطلبون منهم أن يشفعوا لهم كي يخفف الله عنهم العذاب!



قال تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ فِى ٱلنَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ٱدْعُواْ رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِّنَ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٩﴾ قَالُوٓاْ أَوَلَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ ۖ قَالُواْ بَلَىٰ ۚ قَالُواْ فَٱدْعُواْ ۗ وَمَا دُعَـٰٓؤُاْ ٱلْكَٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ ﴾ [غافر ٤٩-٥٠].

يطلبون الموت:

إذا يئسوا من أن يُخفف عنهم العذاب، طلبوا الموت ليرتاحوا! أعوذ بالله، كفى بك داءً أن ترى الموت شافيًا! وحَسب المنايا أن يكنّ أمانيًا! قال تعالى: ﴿ وَنَادَوْاْ يَٰمَٰلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ ۖ قَالَ إِنَّكُم مَّٰكِثُونَ ﴾ [الزخرف ٧٧].

يُقال لهم: ﴿ ٱصْلَوْهَا فَٱصْبِرُوٓاْ أَوْ لَا تَصْبِرُواْ سَوَآءٌ عَلَيْكُمْ ۖ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ [الطور ١٦].

يُلقى بمكان ضيّق بلا حركة:

قال تعالى عن النــار: ﴿ إِذَا رَأَتْهُم مِّن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ سَمِعُوا۟ لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا ﴿١٢﴾ وَإِذَآ أُلْقُوا۟ مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا مُّقَرَّنِينَ دَعَوْا۟ هُنَالِكَ ثُبُورًا ﴿١٣﴾ لَّا تَدْعُوا۟ ٱلْيَوْمَ ثُبُورًا وَٰحِدًا وَٱدْعُوا۟ ثُبُورًا كَثِيرًا ﴾ [الفرقان: ١٢ - ١٤].

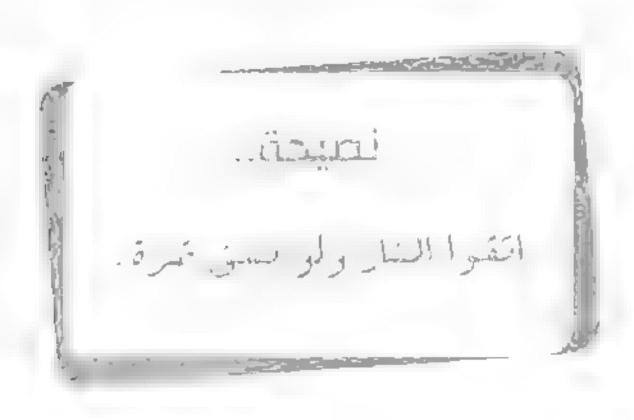
أي أنهــم إذا أُلقــوا في مكانٍ ضيق منهــا، وأيديهم مجموعــة إلى أعناقهم بالقيــود والأغلال، نــادَوا هنالك طالبين الثُّبور -أي الهلاك- ليســتريحوا من العذاب.

فيقال لهم توبيخًا وتقريعًا: لا تطلبوا اليوم هلاكًا واحدًا بل اطلبوه مرارًا، فلن تجدوا لكم خلاصًا مما أنتم فيه.

بكاؤهم وشَهيقهم:

قال تعالى: ﴿ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ ﴾.

قال ابن عباس: « زَفير وشَهيق هو صوت شديد وصوت آخر ضعيف »[1].



(١) ذكره الطبري في تفسيره عند كلامه عن الآية، بسند صحيح.

النساء أكثر أهل الجنة
وأكثر أهل النار!!

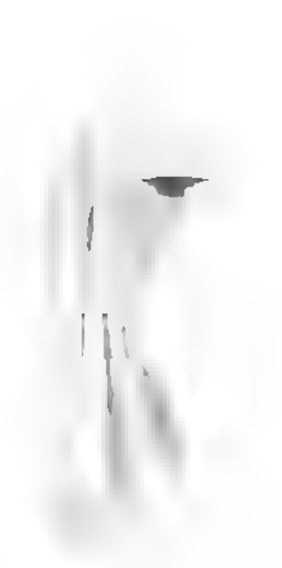
دلت الأحاديث أن النساء في الجنة أكثر من الرجال، وهن أيضًا في النار أكثر من الرجال!

- فكيف يكون ذلك؟
- وما الدليل عليه؟
- وما الحكمة منه؟

مدخل:

ربنا جل وعلا ساوى بين الرجل والمرأة في كل شيء إلا في أشياء قليلة اقتضت فطرة الذُّكورة والأُنوثة أن يفرق بينهما فيه.

ووجوه الاتفاق بين الرجل والمرأة أكثر من وجوه التفاوت والاختلاف؛ فكلاهما يجب عليه خمس صلوات، وصيام رمضان، والحج للبيت الحرام، وزكاة المال، وكلاهما يحرم عليه الزنا والكذب وشرب الخمر..



وقد وعد الله المؤمنين ووعد المؤمنات أيضًا بالجنات..

أيهما أكثر في الجنة: الرجال أم النساء؟



تَذاكَر الصحابة ذلك في حضرة أبي هريرة رضي الله عنه.. فقال أبو هريرة:

أولم يقل أبو القاسم ﷺ: «إن أول زمرة تدخل الجنة على صورة القمر ليلة البدر. والتي تليها على أضوء كوكب دُرّيّ في السماء. لكل امرئ منهم زوجتان اثنتان يرى مُخ سوقهما من وراء اللحم. وما في الجنة أعزب»[1].

فالحديث واضح الدلالة على أن النساء في الجنة أكثر من الرجال، فعدد النساء في الجنة ضِعف عدد الرجال، بل أكثر.

وسيأتي أن نعيم النساء الصالحات إذا دخلن الجنة أعظم من نعيم الحور العين.

كيف نجمع بين ما ذُكر هنا أن النساء هن أكثر أهل الجنة، وبين حديث «يا معشر النساء تصدّقن فإني رأيتكُنّ أكثر أهل النار»[2]؟

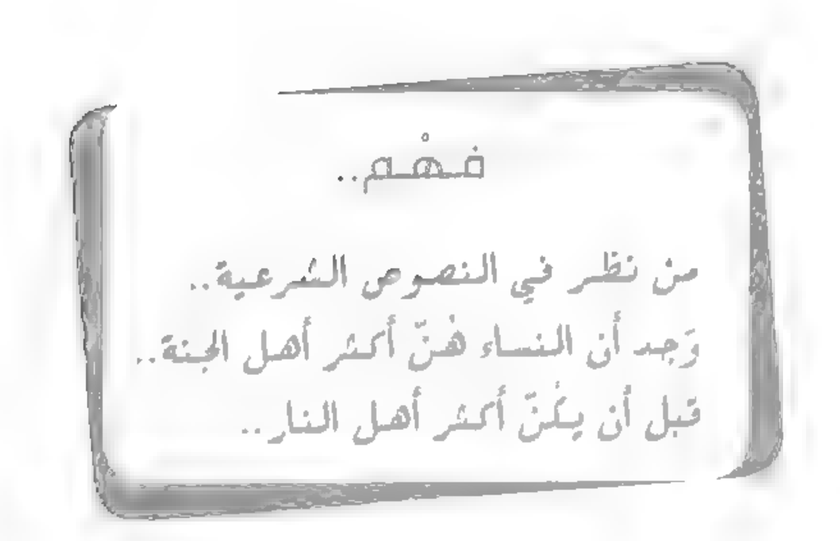


الجواب: أن عدد النساء في الدنيا أصلًا أكثر من عدد الرجال، وقد جاء في الحديث أنه في آخر الزمان في الدنيا يكون لكل خمسين امرأة قَيِّم واحد أي رجل واحد، وفي عصرنا اليوم بدأت نِسَب النساء والولادات من البنات تزداد بشكل ملحوظ، حتى صارت نسبة الذكور في بعض البلدان تصل إلى خمس نساء مقابل رجل واحد. وبذلك تكون النساء أكثر

(١) رواه مسلم.
(٢) متفق عليه.

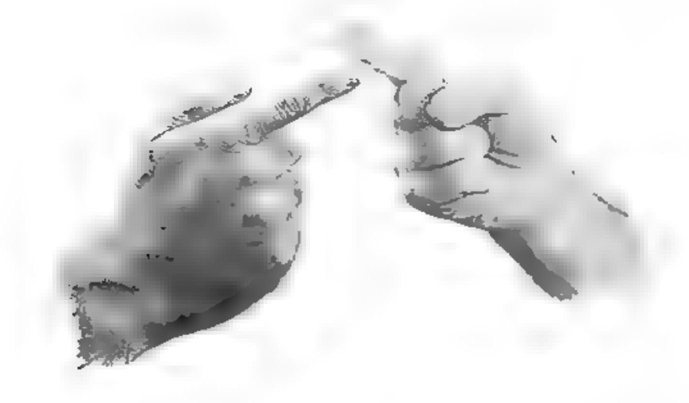
مـن الرجال وجودًا في البشـر، فإذا دخل نصـف رجال الدنيا إلى الجنة، ونصف نساء الدنيا أيضًا، فإن عدد النساء سيكون أكثر، لأن النسـاء في الدنيا أكثر. وكذلك الحال في النار، فلو دخـل النار ربع رجال الدنيا إلى النار، وربع نسـاء الدنيا أيضًا دخلن النار، فستكون النسـاء في النـار عددهن أكثر، لأنهن أكثر في الدنيا.

وعلى ذلك، لا يفهم من حديث «إن النسـاء أكثر أهل النار» ذمّ جِنس النسـاء، أو التنَقّص منهـن، أو أن وقـوع المرأة في المعصية أكثر من وقوع الرجل.



تخاصم أهل النار

عدد من أهل النار من الطغاة والعصاة، كانوا متصافِين في الدنيا متآلفين، لكنهم كانوا متعاونين على الإثم والعدوان..



- فكيف حالهم يوم القيامة؟
- وأين صداقتهم؟
- وهل يتخاصَمون؟

مدخل:

كل صداقة قامت على الفجور والطغيان، والتعاون على الإثم والعدوان، تنقلب يوم القيامة عداوة وحرمان، وحسرة وخسران. فبعدما كانوا في الدنيا في حب وصفاء، صاروا في القيامة أعداء.

تلاعُن العصاة في الآخرة:

قال الله تعالى واصفًا الحال والمآل: ﴿ثُمَّ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضًا وَمَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّـٰصِرِينَ﴾ العنكبوت: ٢٥..

نعم يتلاعنون في الآخرة، فإذا رأى العاصي من كان معه في الدينا في المراقص وبيوت الفجور! تذكر أنه كان يُشَجِّعه على الإثم والعدوان، فيلْعَنه ويسُبّه، فيردّ عليه صاحبه بمثل ذلك..

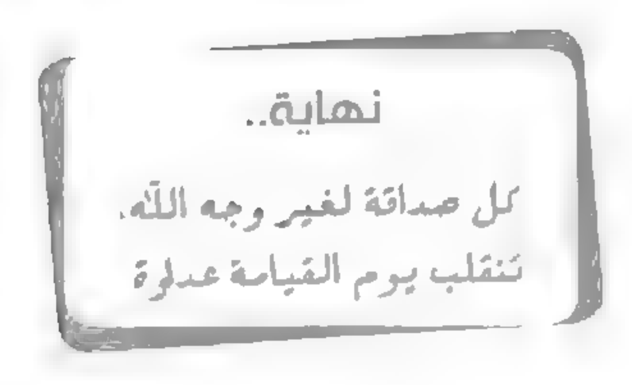
السادة والكُبَراء:

الناس يتفاوتون في قوة شخصياتهم، وتنوع قدراتهم، فمنهم من شخصيته قيادية مؤثرة على غيره، فهو متبوع، ومنهم ضعيف الشخصية الذي يؤثر فيه غيره، ويجرّه حيث شاء، فهو تابع، فيوم القيامة يلعن التابع المتبوع، و يلوم المقُود القائد! قال تعالى: ﴿ وَبَرَزُوا لِلَّهِ جَمِيعًا فَقَالَ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا مِنْ عَذَابِ اللَّهِ مِن شَيْءٍ ۚ قَالُوا لَوْ هَدَانَا اللَّهُ لَهَدَيْنَاكُمْ ۖ سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَجَزِعْنَا أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِن مَّحِيصٍ ﴾ [ابراهيم: ٢١]، فبُعدًا لمن كان رأسًا في الشر.. ومفتاحًا للضلال.. وقائدًا إلى السوء.. تبًّا له وسُحقًا..

وقال تعالى: ﴿ وَإِذْ يَتَحَاجُّونَ فِي النَّارِ فَيَقُولُ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا نَصِيبًا مِّنَ النَّارِ ﴿٤٧﴾ قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُلٌّ فِيهَا إِنَّ اللَّهَ قَدْ حَكَمَ بَيْنَ الْعِبَادِ ﴾ [غافر: ٤٧ - ٤٨].

وقال تعالى: ﴿ يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ يَا لَيْتَنَا أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولَا ﴿٦٦﴾ وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَا ﴿٦٧﴾ رَبَّنَا آتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ الْعَذَابِ وَالْعَنْهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا ﴾
[الأحزاب: ٦٦ - ٦٨].

وهذا هو طريق الضلال.. أطاعوا سادتهم وكبراءهم.. أطاعوا أصحابهم.. ورؤساءهم.. فأفسدوا عليهم دينهم.. زيّنوا لهم الزنا.. فزنَوا.. زينوا لهم ظلم الناس وأكل حقوقهم.. ففعلوا.. أشغلوهم عن برّ والديهم.. وتربية أبنائهم.. وصلاتهم.. وصيامهم.. فأطاعوهم.. وفي القيامة.. تنكشف الأسرار.. وتُهتك الأستار.. ويسب التابعون المتبوعين.. ويدعوا المرؤوسون على الرؤساء.. ولكن أنى ينفع الندم والتلاوُم..



أول من تُسَعَّر بهم النار

لا تـزال النار تشـتعل وتتوقَّد منـذ خلقها ربنا تعالى، وهـي تكاد تميَّز من الغَيـظ على أهلهـا.. ويوم القيامة إذا حاسـب الله تعالى الأولـين والآخرين، جيء بأشخاص تُسعّر بهم النار، فيوضعون فيها قبل غيرهم..

- فمن هؤلاء الأشخاص؟
- وما جريمتهم؟

مدخل:



أصـل قبول الأعمـال الإخلاص لله تعالى، ومتابعة الشـريعة فيها، فيَسـلم العمل من الرياء والبدعة، فـإذا سـلم الإنسـان منهمـا أفلـح ونجح.

وعـن شُـفَيّ الأَصْبَحِيِّ، قـال: « دخلت مسـجد المدينة، فإذا هـو برجل قد اجتمع عليه الناس، فقلت: من هذا؟ قالوا: أبو هريرة، فدنوت منه حتى قعدت بين يديه، وهو يحدث الناس. فلما سكت وخلا، قلت له:

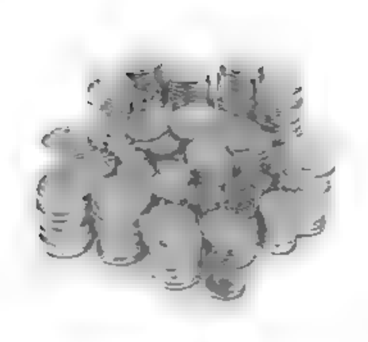
أنشُـدُك بحـقّ وحقّ، لمّا حدثتـني حديثا سمعته من رسـول الله ﷺ عقَلته وعلمتـه. فقـال أبو هريـرة: أفعل، لأحدثنـك حديثا حدَّثَنيه رسـول اللهِ ﷺ عقلتـه وعلمتـه، ثم نَشَـغَ أبو هريرة نَشْـغَة، فمكـث قليلا، ثم أفـاق، فقال: لأحدثنك حديثا حدثنيه رسـول الله ﷺ، وأنا وهـو في هذا البيت ما معنا أحد غـيري وغيره، ثم نَشَـغ أبو هريرة نَشْـغَة أخـرى. فمكث كذلـك، ثم أفاق،

فمسح عن وجهه، فقال: أفعل، لأحدثنك حديثا حدّثنيه رسول الله ﷺ، وأنا وهو في هذا البيت ما معه أحد غيري وغيره، ثم نَشَغ نَشغةً شديدة، ثم مال خارًّا على وجهه، واشتد به طويلا. ثم أفاق [1]، فقال: حدثني رسول الله ﷺ:

أن الله تبارك وتعالى، إذا كان يوم القيامة، ينزل إلى العباد ليقضي بينهم، وكل أمة جاثية. فأول من يدعو به، رجل جمع القرآن، ورجل، يقتل في سبيل الله، ورجل كثير المال.



فيقول الله تبارك وتعالى للقارئ: ألم أُعلِمك ما أنزلت على رسولي ﷺ؟ قال: بلى يا رب. قال: فماذا عملت فيما علمت؟ قال: كنت أقوم به آناء الليل وآناء النهار! فيقول الله تبارك وتعالى له: كذبت. وتقول له الملائكة: كذبت. ويقول الله: بل أردت أن يقال: فلان قارئ! فقد قيل ذاك. ثم أمر به فسُحِب على وجهه حتى أُلقي في النار.



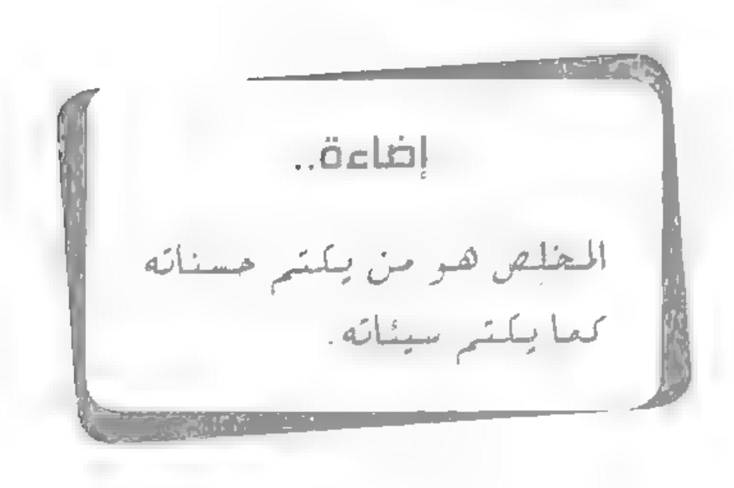
ويؤتى بصاحب المال فيقول الله له: ألم أُوسع عليك حتى لم أدعك تحتاج إلى أحد؟ قال: بلى يا رب. قال: فماذا عملت فيما آتيتك؟ قال: كنت أصل الرحم وأتصدق؟ فيقول الله له: كذبت. وتقول الملائكة له: كذبت. ويقول الله: بل إنما أردت أن يقال: فلان جوَاد! فقد قيل ذاك. ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقي في النار.

(١) المعنى: أن شُفَيًّا الأَصْبَحي سأل أبا هريرة ﷺ عن حديث سمعه أبو هريرة من رسول الله ﷺ مباشرة، من غير واسطة بينهما، فتذكر أبو هريرة ﷺ حديثًا عظيمًا سمعه من النبي ﷺ فيه الوعيد لغير المخلصين في أعمالهم، وأنهم أول من تُسّعر بهم النار، وخشي أبو هريرة على نفسه ونيته وإخلاصه، فبكى ثم نشغ أي شهق شهيقًا شديدًا، مرارًا، ثم مال إلى جانبه كاد أن يغمى عليه، ثم أفاق، وقال لأحدثنك حديثًا عن رسول الله ﷺ.

ويؤتى بالذي قتل في سبيل الله فيقال له: في ماذا قتلت؟ فيقول: أُمِرت بالجهاد في سبيلك، فقاتلت حتى قتلت! فيقول الله له: كذبت. وتقول له الملائكة: كذبت. ويقول الله: بل أردت أن يقال: فلان جريء، فقد قيل ذاك. ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقي في النار.

قال أبو هريرة: ثم ضرب رسول الله ﷺ رُكْبَتي، فقال: يا أبا هريرة أولئك الثلاثة أول خلق الله تُسعَّر بهم النار يوم القيامة»[1].

وهذا الحديث يدل على عظمة النية، وأهمية الإخلاص لله تعالى، وأن العبد يجب عليه مراجعة نيته، ومحاسبة نفسه دائمًا.



(١) رواه الترمذي والحاكم، صحيح.

ذنوب متوَعّد أصحابها بالنار

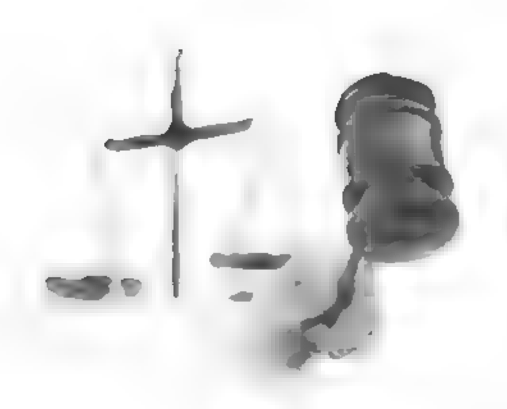
بعث الله تعالى رسله مبشرين ومنذرين، والرسول لا ينطق عن الهوى، إن هو إلا وَحي يُوحَى. والذنوب أنواع وأقسام، منها ما يتعلق بحق الله تعالى، ومنها ما يتعلق بحقوق العباد، وكل شيء مسجل محفوظ في كتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها.. وهناك ذنوب نص النبي ﷺ على خطرها، وسوء حال أهلها.

- فما هذه الذنوب؟
- ومن هم أهلها؟
- ولماذا كانت أشد من غيرها؟

مدخل:

ربنا جل وعلا يعلم السر وأخفى، ولا أعدل في الحكم، وأعلم في الفصل بين الخصوم، من الله تعالى، فهو أسرع الحاسبين، وأحكم الحاكمين. ومن الذنوب المنتشر وقوعها بين الناس، مع شدة الوعيد عليها:

الجائرون في الحكم:



أنزل الله الشريعة ليقوم الناس بالقسط، وأمر عباده بالعدل، فقال تعالى:

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٩٠].

ومـن تولى أمـور الفصل والحكم والقضاء، فظلم وجار، أو أخذ الرشـاوي وأكل الحقوق، فقد استحق النار.

قـال ﷺ: «القضاة ثلاثـة: واحد في الجنة واثنان في النـار. فأما الذي في الجنـة فرجل عرف الحق فقضى به، ورجل عرف الحق فجار في الحكم فهو في النار، ورجل قضى للناس على جهل فهو في النار»[1].

الكذب على رسول الله ﷺ:

الكذب واختلاق الأحاديث ونسـبتها إلى رسـول الله ﷺ من أكبر الكبائر، وأعظـم الذنـوب، ولـو فُتـح المجـال لمـن أراد أن يكـذب ويخـترع الأحاديث، لاضطربت أحكام الشـريعة، والتبسـت أمور الدين. لـذا.. توعد النبي ﷺ من كذب عليه واخترع الأحاديث، بالوعيد الشديد.

فقال ﷺ: «لا تكذبوا علي فإنه من كذب علي فليلج النار»[2].

القاتل بغير حق:



القتل ذنـب عظيم، وأول ما يقضى بين الناس يوم القيامة في الدماء.

قال تعـالى: ﴿ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا ﴾ [النساء: ٩٣].

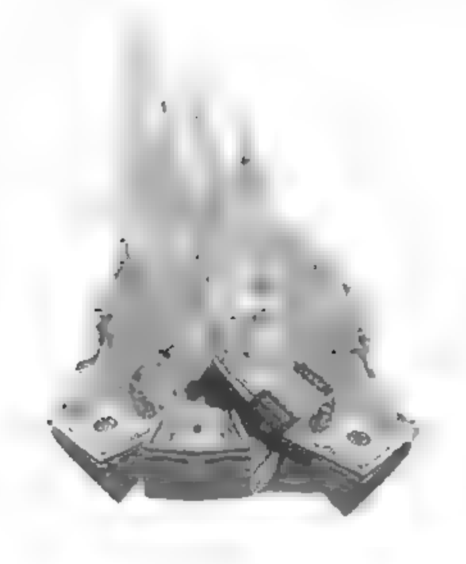
---

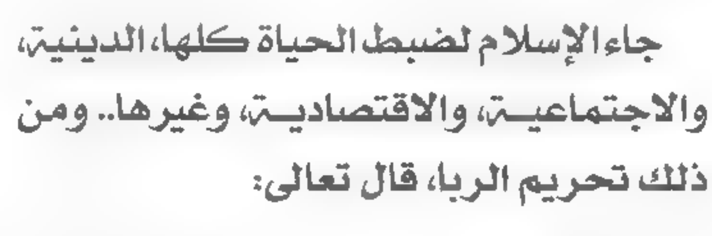
(١) رواه أبو داود، صحيح.

(٢) متفق عليه.

وقال ﷺ: « لو أن المسلمين اجتمعوا على قتل مؤمن لأكبّهم الله تعالى على مناخرهم في النار، وإن الله تعالى حرّم الجنة على القاتل والآمر به »[1].

أَكَلَة الرِّبا:





جاء الإسلام لضبط الحياة كلها، الدينية، والاجتماعية، والاقتصادية، وغيرها.. ومن ذلك تحريم الربا، قال تعالى:

﴿ وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰاْ ۚ فَمَن جَآءَهُۥ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ فَٱنتَهَىٰ فَلَهُۥ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَمَنْ عَادَ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾ [البقرة: ٢٧٥].

قال ﷺ: « اجتنبوا السبع الموبقات **قالوا:** يا رسول الله، وما هن؟ **قال:** الشرك بالله، والسحر، وقتل النفس التي حرّم الله إلا بالحق، وأكل الربا.. »[2].

أَكَلَة أموال الناس بالباطل:

من الظلم العظيم الذي يستحق به صاحبه النار أكل أموال الناس بالباطل، كما قال تعالى:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْ ۚ وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴿٢٩﴾ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ عُدْوَٰنًا وَظُلْمًا فَسَوْفَ نُصْلِيهِ نَارًا ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ﴾ [النساء: ٢٩ – ٣٠]

---

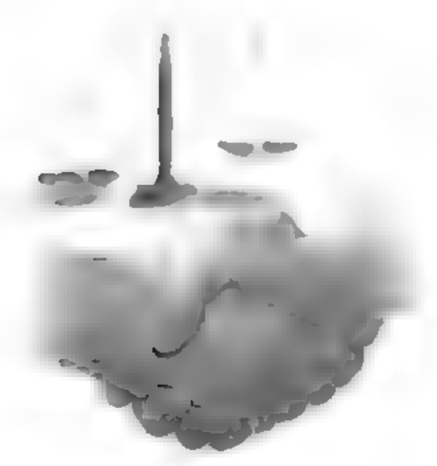
(١) أخرجه الأصبهاني.

(٢) متفق عليه.

الرُّكون إلى الظالمين:

الظلم مَرْتَعُه وَخِيم، وقد حرم الله تعالى الظلم على نفسه، وجعله بين خلقه محرمًا. فظلم الناس في أرزاقهم، أو أعراضهم، أو سُمعتهم، أو وظائفهم، حرام، ومساعدة الظالمين، والركون إليهم، هو تعاون على الإثم والعدوان.

قال تعالى: ﴿ وَلَا تَرْكَنُوٓاْ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنْ أَوْلِيَآءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴾ [هود: ١١٣].



أي لا تستعينوا بالظالمين، ولا تعتمدوا عليهم، ولا تغترُّوا بهم، ولا تستحسنوا طريقتهم، لأنكم إذا فعلتم ذلك، دلّ على أنكم رضيتم بأعمالهم، فإن فعلتم ذلك أصابتكم النار، ولن تجدوا من ينصركم من عذاب الله.

تعذيب الحيوان:

قال ﷺ: « عُذِّبت امرأة في هِرَّة سجنتها حتى ماتت، فدخلت فيها النار. لا هي أطعمتها ولا سقتها إذ حبستها، ولا هي تركتها تأكل من خشاش الأرض »[1].

فهذه المرأة حبست الهِرَّة، فلم تطعمها، ولم تدعها تأكل من خَشَاش الأرض، أي من هَوام الأرض وحشراتها.

---

(١) متفق عليه.

الكاسيات العاريات، والذين يضربون الناس:

التَبرُّج والسُّفُور، والتهَتُّك في اللباس، وعدم الاستتار، يؤدي إلى انتشار الفساد والفحشاء، لذا أمر الله تعالى بالستر والعفاف.

وأخبر النبي ﷺ أن النساء المتبرِّجات المتعرِّيات، من أهل النار. وكذلك الظَلَمة الذين يؤذون الناس، ويضربونهم بالعِصِيّ والسِّياط. وقد ذكر النبي ﷺ هذين الصِّنفَين، فقال ﷺ: « صنفان من أهل النار لم ارهما: قوم معهم سياط كأذناب البقر يضربون بها الناس. ونساء كاسيات عاريات مُميلات مائلات رؤوسهن كأسنمة البُخت المائلة لا يدخلن الجنة ولا يجِدن ريحها وإن ريحها ليوجد من مسيرة كذا وكذا »[1].

والبُخت هي جمع بُختِيَّة، وهي الناقة طويلة العنق ذات السَّنامين.

وقوله « قوم معهم سياط كأذناب البقر يضربون بها الناس »:

الضرب المذموم هو الضرب الظالم بغير حق، أما الضرب بحق لعقوبة المخطئ وكذلك في الحدود والتأديب الشرعي، فلا بأس كما قال تعالى: ﴿ الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ ﴾ [النور: ٢].

الانتحار:



قتل النَّفس بغير حق، من أكبر الكبائر، حتى لو قتل الإنسان نفسه، ومهما كانت الطريقة في القتل.

(١) رواه مسلم.

قـال ﷺ: «من تردّى من جبل فقتل نفسه، فهو في نار جهنم، يتردّى فيه خالدا مخلدا فيها أبدا، ومن تحسّى سمًا فقتل نفسه، فسمه في يده، يتحساه في نار جهنم خالدا مخلدا فيها أبدا، ومن قتل نفسه بحديدة، فحديدته في يده، يجأ بها في بطنه في نار جهنم خالدا مخلدا فيها أبدا»[1].

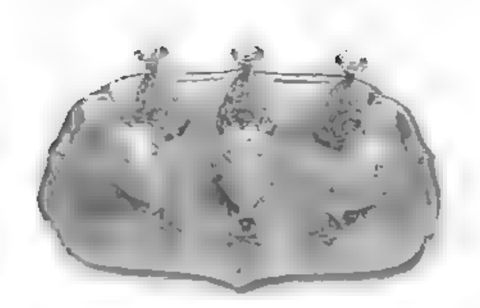
عدم الإخلاص في طلب العلم:

الإخلاص واتباع السنة، هما الأصلان في قبول الأعمال. وطلب العلم من أفضل وأعظم الأعمال الصالحة، فهو ميراث النبيين، وسبيل هداية المؤمنين، وهو يزيد بالإخلاص وصلاح النية. ومن كان مرائيًا طالبًا للظهور والشهرة، فقد باء بالخيبة والخسران.

قـال ﷺ: «من تعلّم علما مما يُبتغى به وجه الله عز وجل لا يتعلمه إلا ليصيب به عرضا من الدنيا لم يجد عرف الجنة يوم القيامة»[2].

وعَرف الجنة هو رائحتها.

الشُرب بآنية الذهب والفضة:



أباح الله تعالى لنا الطيبات، وخلق لنا ما في الأرض جميعًا، فيجوز الشرب في كل الآنية الطاهرة، إلا آنية الذهب والفضة.

قال ﷺ: «الذي يشرب في آنية الذهب والفضة، إنما يجرجر في جوفه نار جهنم»[3].

---

(١) رواه البخاري.

(٢) رواه أبو داود، صحيح.

(٣) رواه ابن حِبّان، صحيح.

وقال ﷺ: «الذي يشرب في إناء الفضة إنما يجرجر في بطنه نار جهنم»[1].

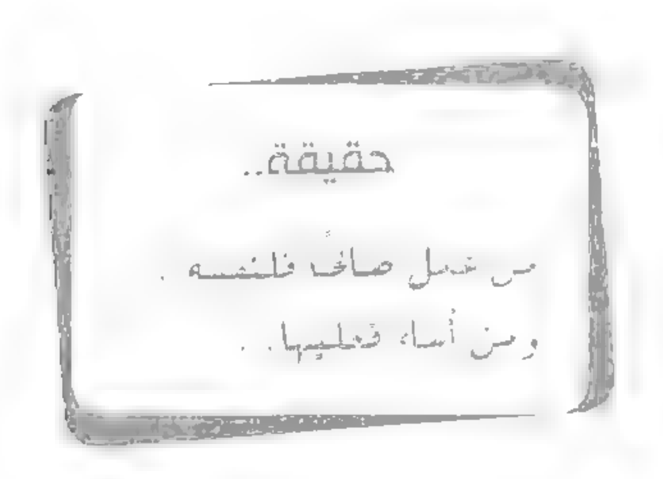
والمرادة بـ «يجرجر»: أي ينزل وينحدِر في بطنه.

الكِبْر:

الكبر هو البَطَر والغرور وغَمط الناس واحتقارهم والاستهانة بهم.

وكم منع الكبر أشخاصًا متكبرين من الاعتراف بحقوق الآخرين، وأذى المؤمنين، وعدم الاعتذار منهم، ولا صلة أرحامهم، وقد يدفع الكبر المتكبر إلى ترك صلاة الجماعة في المسجد استعلاءً عن مزاحمة العامة والفقراء!!

قال ﷺ فِيمَا يَحْكِي عن الله جل وعلا: «الكبرياء ردائي، والعظمة إزاري، فمن نازعني في واحدة منهما، قذفته في النار، ومن اقترب إليّ شبرا، اقتربت منه ذراعا، ومن اقترب مني ذراعا، اقتربت منه باعا، ومن جاءني يمشي، جئته أهرول، ومن جاءني يهرول، جئته أسعى، ومن ذكرني في نفسه، ذكرته في نفسي، ومن ذكرني في ملأ، ذكرته في ملأ أكثر منهم وأطيب»[2].



(١) متفق عليه.

(٢) رواه ابن حِبّان، صحيح.

آخر الناس نجاة من النار

أخبر النبي ﷺ بمواعظ وأحداث عن يوم القيامة، والمؤمن إذا قرأ هذه الأحاديث دفعه ذلك لفعل الطاعات، وترك المنكرات. ومن ذلك خبره ﷺ عن آخر أهل النار نجاة من النار ودخولًا الجنة.

- **فما خبره؟**
- **وكيف نجا من النار؟**
- **وما نعيمه في الجنة؟**



مدخل:

نبينا ﷺ لا ينطق عن الهوى، وقد كان الصحابة رضي الله عنهم يسألونه ويجيب، ومن ذلك أنهم سألوه عن رؤية المؤمنين ربهم في الجنة، وقد روى أبو هريرة رضي الله عنه فقال:

« قال أُناسٌ: **يا رسول الله، هل نرى ربنا يوم القيامة؟ فقال:** هل تضارُّون في الشمس، ليس دُونها سَحاب؟ **قالوا: لا، يا رسول الله. قال:** هل تضارُّون في القمر ليلة البدر، ليس دونه سحاب؟[1] **قالوا: لا، يا رسول الله. قال:** فإنكم ترونه يوم القيامة كذلك. يجمع الله الناس فيقول: من كان يعبد شيئًا فليتبعه. فيتبع من كان يعبد الشمس، ويتبع من كان يعبد القمر، ويتبع من كان يعبد الطواغيت. وتبقى هذه الأمة فيها منافقوها. فيأتيهم الله في غير الصورة التي يعرفون. فيقول: أنا ربكم. فيقولون: نعوذ بالله منك. هذا مكاننا حتى يأتينا ربنا. فإذا أتانا ربنا عرفناه. فيأتيهم الله في الصورة التي يعرفون. فيقول: أنا ربكم. فيقولون: أنت ربنا. فيتبعونه. ويُضرب جسر جهنم، فأكون أول من يجيز. ودعاء الرسل يومئذ: اللهم سلّم سلّم. وبه كلاليب مثل شوك السَّعدان. أما رأيتم شوك السعدان؟ **قالوا: بلى، يا رسول**

(١) لا تضارون: أي لا تتخالفون ولا تتجادلون في صحة النظر.

الله. قال: فإنها مثل شوك السعدان، غير أنها لا يعلم قدر عظمها إلا الله[1]. فتخطف الناس بأعمالهم، منهم الموبق بعمله، ومنهم المُخردل، ثم ينجو[2]. حتى إذا فرغ الله من القضاء بين عباده، وأراد أن يخرج من النار من أراد أن يخرج، ممن كان يشهد أن لا إله إلا الله، أمر الملائكة أن يخرجوهم، فيعرفونهم بعلامة آثار السجود، وحرم الله على النار أن تأكل من ابن آدم أثر السجود، فيخرجونهم قد امتحشوا[3]، فيصبّ عليهم ماء يقال له ماء الحياة، فينبتون نبات الحبة في حميل السيل[4]، ويبقى رجل مقبل بوجهه على النار فيقول: يا رب قد قشبني ريحها، وأحرقني ذكاؤها، فاصرف وجهي عن النار[5]. فلا يزال يدعو الله، فيقول: لعلك إن أعطيتك أن تسألني غيره؟ فيقول: لا وعزتك لا أسألك غيره، فيصرف وجهه عن النار، ثم يقول بعد ذلك: يا رب قرِّبني إلى باب الجنة، فيقول: أليس قد زعمت أن لا تسألني غيره؟ ويلك ابن آدم ما أغدرك![6] فلا يزال يدعو، فيقول: لعلي إن أعطيتك ذلك تسألني غيره؟ فيقول: لا، وعزتك لا أسألك غيره، فيعطي الله من عهود ومواثيق أن لا يسأله غيره، فيقربه إلى باب الجنة، فإذا رأى ما فيها، سكت ما شاء الله أن يسكت، ثم يقول: ربِّ أدخلني الجنة، ثم يقول: أوليس قد زعمت أن لا تسألني غيره؟ ويلك يا ابن آدم ما أغدرك! فيقول: يا رب، لا تجعلني أشقى خلقك، فلا يزال يدعو حتى يضحك، فإذا ضحك منه أذن له بالدخول فيها، فإذا دخل فيها، قيل: تمنَّ من كذا، فيتمنى، ثم يقال له: تمنّ من كذا، فيتمنى حتى تنقطع به الأماني، فيقول له: هذا لك، ومثله معه. **قال أبو هريرة: وذلك الرجل آخر أهل الجنة دخولا** »[7].

---

(١) كلاليب: جمع كَلُّوب، وهو عصا معقوفة الطَّرف، يعلق بها اللحم عادة، والسّعدان: هو نوع من الشوك شديد الالتصاق بالملابس والجسد، فيوم القيامة يكون على الصراط مثل شوك السعدان، لكنه كبير الحجم جدًا.

(٢) يعني أن الناس يجوزون الصراط بحسب أعمالهم، فمنهم الموبَق بعمله: أي الخاسر، ومنهم المخَردل: أي يسقط أو يكاد يسقط ثم ينجو، وقد تقدم تفصيل أحوال الناس على الصراط.

(٣) امتُحِشوا: احترقت جلودهم.

(٤) المعنى: أنهم مع احتراقهم بالنار، تأثرت أجسادهم وجلودهم وعظامهم، فإذا صُبّ عليهم من ماء الحياة نبتوا كما ينبت النبات، كما تنبت الحبة في حميل السيل أي كما تنبت حبة الشعير أو القمح في طرف الوادي السائل الجاري بمياه المطر.

(٥) قد قَشَبني: أي سمّني وآذاني وأهلكني ريح النار، وذكاؤها: أي لهيبها واشتعالها.

(٦) ما أغدرك: لفظ مأخوذ من الغدر وهو نقض العهد والميثاق.

(٧) رواه البخاري.

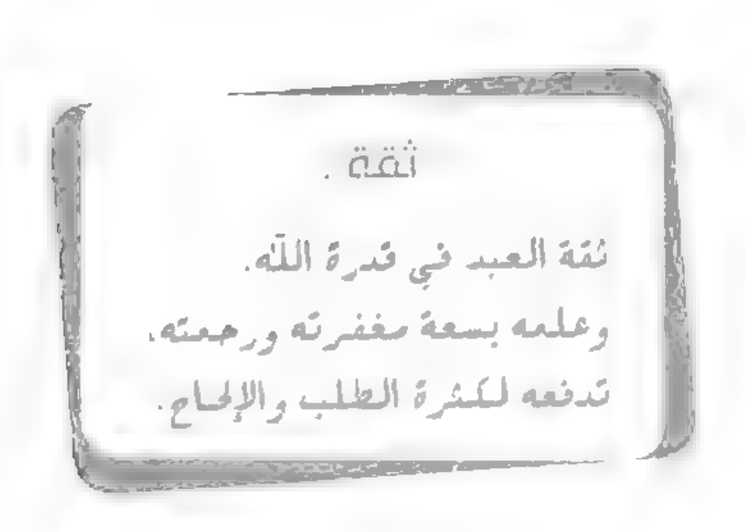
أقوام يدخلون النار ثم يخرجون:

قال ﷺ: «اخرجوا من النار: من قال: لا اله الا الله. ومن كان في قلبه من الخير ما يزن برة. اخرجوا من النار من قال: لا إله إلا الله. ومن كان في قلبه من الخير ما يزن شعيرة. اخرجوا من النار من قال: لا اله الا الله. ومن كان في قلبه من الخير ما يزن ذرة»[1]. **نسأل الله تعالى أن يُعيذنا من النار، وأن لا يحرمنا شفاعة نبينا ﷺ.**

المُخلَّدون في النار:

أهل النار الخالدون فيها الذين لا يخرجون ولا يبيدون هم الكفرة والمشركون، قال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَهُمۡ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقۡضَىٰ عَلَيۡهِمۡ فَيَمُوتُواْ وَلَا يُخَفَّفُ عَنۡهُم مِّنۡ عَذَابِهَاۚ كَذَٰلِكَ نَجۡزِي كُلَّ كَفُورٖ ﴾ فاطر ٣٦.

وقال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾ البقرة ٣٩.



(١) متفق عليه. المعنى: أن الله تعالى برحمته وكرمه يخرج الموحدين من النار، حتى لو كان الإيمان في قلوبهم قليلًا، فلو كان في قلبه ما وزنه بمقدار حبة بُرّ أو حبة شعير أو حبة ذرة، خرج من النار.

نداءات بين أهل الجنة وأهل النار

إذا دخل المؤمنون الجنة، واستقروا في نعيمها، وشربوا من مائها وعسلها، ونظروا إلى وجه الله تعالى فيها. ودخل أهل النار النار، واصطَلوا بعذابها، وتجرَّعوا زَقُّومها. عندها تكون نداءات وحوارات بين أهل الجنة وأهل النار.

- فما هذه النداءات؟
- وما حال كل فريق؟
- وكيف تنتهي؟

مدخل:

وعَد الله تعالى المؤمنين بأن لهم في الجنة ما تشتهي أنفسهم، وتلَذّ عيونهم، ويخطر على قلوبهم، ومن زيادة نعيمهم، شفاء صدورهم من أقوام كانوا يستهزئون بهم في الدنيا، وينسبونهم إلى السفه والغباء، وربما آذَوْهم في الدنيا بأنواع الأذى. ففي الآخرة يرى أهل الجنة عذاب أهل النار، ويتحاورون معهم تبكيتًا لهم وإذلالًا.

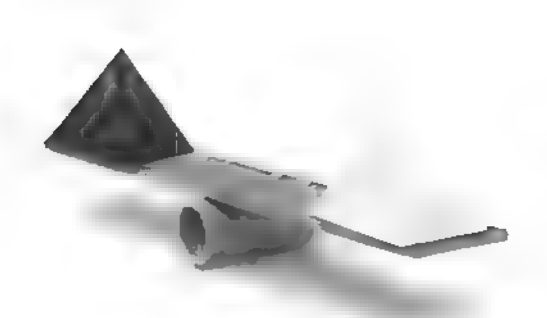
- **النداء الأول:**

وهو من أهل الجنة لأهل النار، بعدما يذوق أهل الجنة النعيم، ويجدون ما وعدهم الله تعالى حقًا، فالجنة حق، والنار حق، والنعيم والعذاب حق.. فيتساءلون في أنفسهم عن حال أشخاص كانوا في الدنيا يكذبون بالجنة والنار، ويعيشون لحظتهم، وحياتهم، دون ازدِتداع عن منكر ولا رغبة بمعروف.

فينـادي أهلُ الجنة أهلَ النار: ﴿ وَنَادَىٰٓ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِ أَصۡحَٰبَ ٱلنَّارِ أَن قَدۡ وَجَدۡنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقّٗا فَهَلۡ وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ رَبُّكُمۡ حَقّٗاۖ قَالُواْ نَعَمۡۚ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنُۢ بَيۡنَهُمۡ أَن لَّعۡنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٤﴾ ٱلَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَيَبۡغُونَهَا عِوَجٗا وَهُم بِٱلۡأٓخِرَةِ كَٰفِرُونَ ﴾ [الأعراف: ٤٤ - ٤٥].

جعل أهـل النار يصيحـون بلعنة أنفسـهم، ولكن أنى ينفعهـم التلاعُن واللَّجاج!!

- **النداء الثاني:**



وهو مـن أهل الأغـراف لأهل الجنة، وأهـل الأعـراف هـم أقـوام تسـاوت حسـناتهم وسـيئاتهم، فصـاروا بين الجنـة والنـار، لم يدخلـوا الجنة ولا النار.

وأهـل الأعراف يعرفون أهل الجنة بسـيماهم أي بصفاتهم من البياض والنضرة والحسن، ويعرفون أهل النار أيضًا بسيماهم وصفاتهم السوداء القاتمـة المظلمة. فينـادي أهل الأعراف أهل الجنة داعين لهم مسـلِّمين عليهم.

قـال تعـالى: ﴿ وَبَيۡنَهُمَا حِجَابٞۚ وَعَلَى ٱلۡأَعۡرَافِ رِجَالٞ يَعۡرِفُونَ كُلَّۢا بِسِيمَىٰهُمۡۚ وَنَادَوۡاْ أَصۡحَٰبَ ٱلۡجَنَّةِ أَن سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمۡۚ لَمۡ يَدۡخُلُوهَا وَهُمۡ يَطۡمَعُونَ ﴾ [الأعراف: ٤٦].

﴿ لَمۡ يَدۡخُلُوهَا وَهُمۡ يَطۡمَعُونَ ﴾ **أي لم يدخـل أهل الأعراف الجنة، لكنهم يطمعون ويرغبون في دخولها.**

- **النداء الثالث:**

وهو نداء مـن أهل الأعراف لأهل النار، فبعدما ينظر أهل الأعراف لأهل النار، فيرون عذابهم، وحسـرتهم، وقد سـالت دماؤهـم، وذابت جلودهم، وعـلا صراخهم، وارتفع نَحِيبهم، عندها يدعو أهل الأعراف ربهم بأن لا يجعلهم مع هؤلاء الظالمين.

ثـم يلـوم أهل الأعراف أهـل النار، فيقولـون: ما أغنى عنكـم ولا نفعكم اجتماعكم على الشـر، ولا استكباركم بأموالكم ومناصبكم، فها أنتم في العذاب مجتمعون.

﴿ وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَٰرُهُمْ تِلْقَآءَ أَصْحَٰبِ ٱلنَّارِ قَالُوا۟ رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٧﴾ وَنَادَىٰٓ أَصْحَٰبُ ٱلْأَعْرَافِ رِجَالًا يَعْرِفُونَهُم بِسِيمَىٰهُمْ قَالُوا۟ مَآ أَغْنَىٰ عَنكُمْ جَمْعُكُمْ وَمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ ﴿٤٨﴾ أَهَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ لَا يَنَالُهُمُ ٱللَّهُ بِرَحْمَةٍ ۚ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلَآ أَنتُمْ تَحْزَنُونَ ﴾

[الأعراف: ٤٧ - ٤٩]

- **النداء الرابع:**

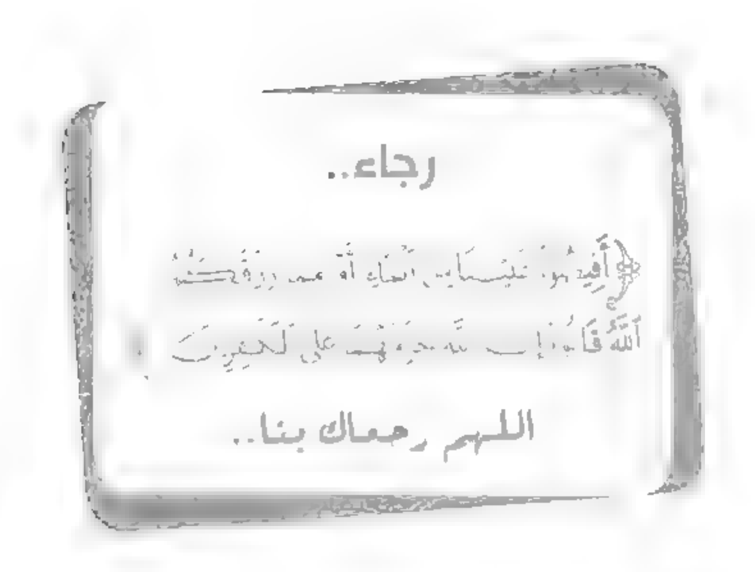


وهو نداء الحسـرة والخيبة والخُسران، حيث ينادي أهل النـار وهم في عذابهم، يُسـقون مـن ماء حميم يغلـي، ويتجرَّعـون الزَّقُـوم، ويبكون ويسـتغيثون، فينـادون أهل الجنـة طلبًا للماء أو الرزق الحسـن، فـيرد عليهم أهل الجنـة أن اخسَـئوا في النار، فأنتم الذيـن فرَّطتـم وضيَّعتـم واتخـذتم اللهـو واللعب دينًا وطريقة لحياتكم، وكذبتم بالآخرة، ونسيتم الاستعداد للقاء الله، فاليوم أنتم الخاسرون.

﴿ وَنَادَىٰٓ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِ أَصۡحَٰبَ ٱلۡجَنَّةِ أَنۡ أَفِيضُواْ عَلَيۡنَا مِنَ ٱلۡمَآءِ أَوۡ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُۚ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ ۝٥٠ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَهُمۡ لَهۡوٗا وَلَعِبٗا وَغَرَّتۡهُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَاۚ فَٱلۡيَوۡمَ نَنسَىٰهُمۡ كَمَا نَسُواْ لِقَآءَ يَوۡمِهِمۡ هَٰذَا وَمَا كَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يَجۡحَدُونَ ﴾ [الأعراف: ٥٠ - ٥١]

وقيل إن هـذه النداءات تكون بعد اجتياز أهـل الجنة الصراط، ونجاتهم من النار، فيلْتَفِتون إلى أهل النار، ويتحاورون معهم.

نسأل الله تعالى أن يقينا الضلال والفتن، وأن يغفر لنا ويرحمنا.. آمين



مصير إبليس يوم القيامة

إبليس هو رأس الضلال، ومخيِّب الآمال، وعدو الصالحين، ونصير المجرمين، من أطاعه تردّى وهلك، ومن عصاه فاز وملك.

- فمن هو الشيطان؟
- وما قصته؟
- وما خطبة الشيطان يوم القيامة؟
- وماذا يقول لأتباعه؟

مدخل:

تكرر اسم الشيطان في القرآن ٨٨ مرة [1]، إظهارًا لخطَره، وبيانًا لعداوته، وتحذيرًا من طاعته، وفضحًا لخُطَطه، وإفشالًا لخطواته.

والشيطان يوم القيامة يلقى أسوأ مصير، وقد أخبرنا الله بكَيده وأمرنا بعداوته فقال: ﴿إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لَكُمۡ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا﴾ [فاطر: ٦].



بل حتى الأنبياء أوصَوا أولادهم بذلك فقال يعقوب لولده يوسف عليهما السلام: ﴿إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لِلۡإِنسَٰنِ عَدُوٌّ﴾ [يوسف: ٥].

(١) تكرر ذكر الشيطان في القرآن ٨٨مرة، منها ٦٨مرة بلفظ: الشيطان، ومرتان بلفظ: شيطانًا، و١٧مرة بلفظ الشياطين، ومرة بلفظ شياطينهم.

بداية قصة الشيطان:

الشيطان من الجِنّ، والجن كانوا في الأرض قبل الإنس. وكانوا يُفسِدون ويَسفِكون الدماء. فبعث الله عليهم جنودًا من الملائكة فضربوهم حتى ألحقوهم بجزائر البحور فأَسَرَت الملائكة إبليس، فأظهر الصلاح وصار يتعبّد مع الملائكة.

فلما أمر الله الملائكة وإبليس بينهم بالسجود لآدم سجد الملائكة إلا إبليس استكبر وعصى وقال: ﴿ ءَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا ﴾ [الإسراء: ٦١].

فلعنه الله تعالى وطرده من رحمته، فلم ينكسر إبليس ولم يتب ويستغفر عن خطئه، ويسأل ربه المغفرة والسماح، كلا وإنما حقد إبليس على آدم وذريته وبدأ يهدِّد ويتوعد بإفساد الناس، وصرفهم عن عبادة الله، وقد بين الله تعالى ذلك بقوله:



﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَٰكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَٰكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ لَمْ يَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ (١١) قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ ۖ قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ (١٢) قَالَ فَٱهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَٱخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ ٱلصَّٰغِرِينَ (١٣) قَالَ أَنظِرْنِىٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ (١٤) قَالَ إِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ (١٥) قَالَ فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ (١٦) ثُمَّ لَءَاتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَٰنِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ ۖ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَٰكِرِينَ (١٧) قَالَ ٱخْرُجْ مِنْهَا مَذْءُومًا مَّدْحُورًا ۖ لَّمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ [الأعراف: ١١-١٨].



فكاد إبليس لآدم حتى تسبب في إخراجه وزوجه حَـوَّاء من الجنـة، وبالتالي إخراج ذرية آدم من الجنة، ولا يزال يفسد ويضل من استطاع.

عداوتنا للشيطان:

ولهذا أوجب الله تعالى علينا معاداته، ومخالفته، وحذرنا من طاعته واتباع خطواته، قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلشَّيْطَـٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ﴾ [فاطر: ٦].

وقـال تعـالى: ﴿ أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَـٰبَنِىٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا۟ ٱلشَّيْطَـٰنَ ۖ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴾ [يس: ٦٠].

الحكمة من خلق الشيطان:

الخير والشـر كلاهما من خلق الله تعالى، وقد بـين الله تعالى الطريقين للنـاس، كما قال تعالى: ﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ﴿٧﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ﴿٨﴾ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ﴿٩﴾ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ﴾ [الشمس: ٧ - ١٠].

وقال تعالى: ﴿ فَأَمَّا مَن طَغَىٰ ﴿٣٧﴾ وَءَاثَرَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿٣٨﴾ فَإِنَّ ٱلْجَحِيمَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴾ [النازعات: ٣٧ - ٤١].

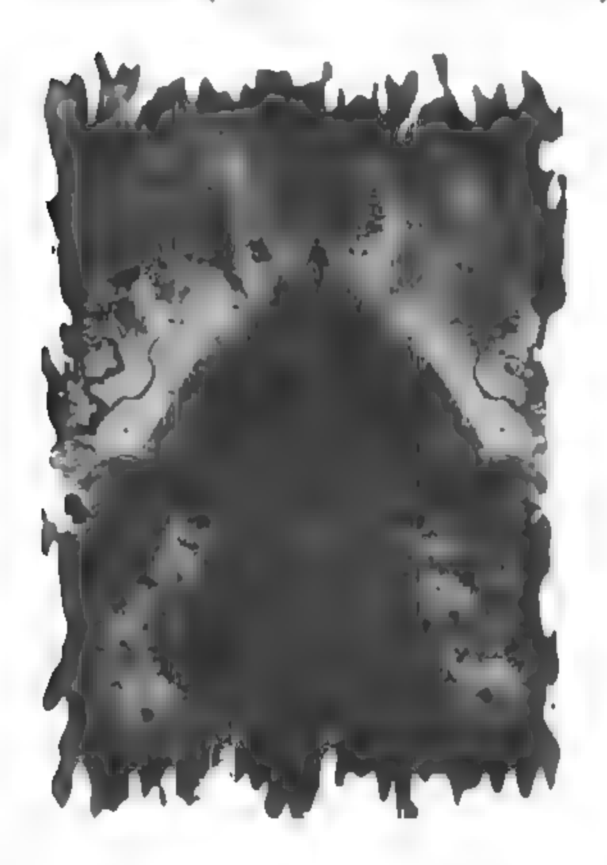
وقـد توعد إبليس الناس وجعل همـه إضلالهم، فقال إبليس لربه: ﴿ قَالَ أَرَءَيْتَكَ هَـٰذَا ٱلَّذِى كَرَّمْتَ عَلَىَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ [الإسراء: ٦٢].

فكأن الشيطان قال: إن هذا الإنسان الذي أكرمته وأمرتنا بالسجود له، سوف يفسد في الأرض، ويسفك الدماء، اتركني يا ربّ أوَسوِس له وسأُثبت ذلك.

وكان من الممكن أن لا يقبل الله طلبه، بل يلقيه في النار فورًا، لكن حكمة الله اقتضت أن يتركه امتحانًا واختبارًا لإيمان الناس، فأعطى إبليس فرصة المحاولة وأمهله، كما قال تعالى: ﴿ ٱلشَّيْطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِٱلْفَحْشَآءِ ۖ وَٱللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلًا ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ [البقرة].

رحمة الله بالعباد:

من كرم الله أن رحمته واسعة، وهو غفور رحيم، يحب التوابين الأوابين، فلو وسوس الشيطان للمرء مائة مرة، فحسنة واحدة تمحو كل ما فعل، ولا يعذب الله أحدًا إلا بعد الإنذار إليه، كما قال تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴾ [الإسراء].



خطوات الشيطان:

الشيطان يتدرج مع عباد الله لإضلالهم، فيجرهم من معصية إلى أكبر منها، حتى ربما أوصل بعضهم للشرك، وهي خطوات نهايتها النار، قال تعالى: ﴿ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴾ [البقرة].

وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ وَمَن يَتَّبِعْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَإِنَّهُۥ يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ﴾ [النور].

وأي بيان أوضح من كلام ربنا، ومع ذلك لا يزال أقوام يركُضون خلف الشيطان ويطيعونه..!!

عَرْش إبليس !!:

أخبرنا النبي ﷺ أن إبليس يضع عرشه على الماء ثم يبعث سراياه من أصحابه الشياطين لإضلال الناس وإحداث المشاكل بينهم، فهو يدير أعوانه ويكون له مقر قيادة. فأدناهم منه منزلةً أعظمهم فتنة، ويكافئ أصحاب الإنجازات!!

يجيء أحدهم فيقول: فعلت كذا وكذا. **فيقول:** ما صنعت شيئًا. **ثم يجيء أحدهم فيقول:** فعلت كذا وكذا. **فيقول:** ما صنعت شيئًا. **ثم يجيء أحدهم فيقول:** ما تركته حتى فرقت بينه وبين امرأته. **فيُدْنيه منه ويقول:** نعم أنت[1].

فيعلم المرء أن كل خصومة وخلاف وغضب، أصله من الشيطان، فيستعيذ بالله من شرّه، ويَحْذر من كَيده.



---

(١) رواه مسلم.

حِزْب الشيطان:

أتباع الشيطان وحزبه مصيرهم إلى النار، وقد قال تعالى عن الشيطان: ﴿إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لَكُمۡ عَدُوّٞ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّاۚ إِنَّمَا يَدۡعُواْ حِزۡبَهُۥ لِيَكُونُواْ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ﴾ [فاطر: ٦].

وقال تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ حِزۡبُ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ أَلَآ إِنَّ حِزۡبَ ٱلشَّيۡطَٰنِ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ﴾ [المجادلة: ١٩].

إبليس مخلوق من نار فكيف يتعذب في النار؟

إشكال



أصل خلق الشيطان من النار، لكنه الآن ليس نارًا، كما أن الإنسان أصل خلقه من الطين لكنه الآن ليس طينًا، ويُمكن أن يعذب الإنسان في الطين، فلو غرق الإنسان في طين لاختنق ومات، ولو ضرب الإنسان بالطين لتألّم، وربما ضرب بطين يابس فمات[١].

كذلك الشيطان أصل خلقه من النار، ويُعذب يوم القيامة في النار، لأنه الآن ليس نارًا، بل له جِسم، وفي فمِه لُعاب. فقد كان النبي ﷺ يُصلّي فأتاه الشيطان ليؤذيه فقال ﷺ: أعوذ بالله منك **ثم قال:** ألعنُك بلعنة الله ثلاثًا. **وبسط يده كأنه يتناول شيئًا، فلما فرغ من الصلاة، قال الصحابة:** يا رسول الله قد سمعناك تقول في الصلاة شيئًا لم نسمعك تقوله قبل ذلك! ورأيناك بسطت يدك! **فقال:** إن عدو الله إبليس جاء بشهاب من نار ليجعله في وجهي! فقلت: أعوذ بالله منك.. أعوذ بالله منك.. أعوذ بالله منك.. ثم قلت: ألعنُك بلعنة الله التامة.. ألعنُك بلعنة الله التامة.. ألعنُك بلعنة الله التامة.. فلم يستأخر. **فأخذه النبي ﷺ بيده فخنَقه قال ﷺ:** حتى وجدت برد لسانه على يدي، ولولا

(١) كما أن الزجاج مثلًا مصنوع من تراب، لكنه بعدما يصنع ويكتمل لا يكون ترابًا، بل يتحول شيئًا آخر تمامًا، بل لو ضربت الزجاج بالتراب أو خلطته بالتراب لتضرر مع أنه مصنوع من التراب أصلًا.

دعوة أخي سليمان ﷺ لأصبح موثقًا حتى يراه الناس»[1].

فتبين من هذا أن الجن والشياطين الآن ليسوا نارًا؛ ولو كانوا نارًا لما وجد النبي ﷺ برد لسان الشيطان على يده، وكذلك لو كان نارًا فكيف يربطه النبي ﷺ في سارية المسجد ليراه الناس!

وقال ﷺ: «إن الشيطان يجري من الإنسان مجرى الدم»[2].

ولو كان الشيطان الآن نارًا لاحترق الإنسان؛ لأن الشيطان داخله.

خُطبة الشيطان:

إذا قُضي الأمر، وانتهت الدنيا، ونُصِب الميزان، وتناثرت الصحف، وتناول أصحاب اليمين صحائفهم، وتناول أصحاب الشِّمال صحائفهم، وجاء ربنا لفصل القضاء، وجُوزي كل امرئ بما كان في صحيفته وصارت كل نفس بما كسبت رَهينة، وصُرِف أهل الجنة إلي الجنة، وأهل النار إلى النار، هنا يقوم الشيطان ويخطب خطبة ما بعدها خطبة لأهل النار، فماذا يقول؟

بيّن الله تعالى ذلك فقال: ﴿ وَقَالَ ٱلشَّيْطَٰنُ لَمَّا قُضِيَ ٱلْأَمْرُ إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ ٱلْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ ۖ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَٰنٍ إِلَّآ أَن دَعَوْتُكُمْ فَٱسْتَجَبْتُمْ لِي ۖ فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوٓا۟ أَنفُسَكُم ۖ مَّآ أَنَا۠ بِمُصْرِخِكُمْ وَمَآ أَنتُم بِمُصْرِخِيَّ ۖ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَآ أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ ۗ إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [إبراهيم: ٢٢].

نعم.. يقول لأتباعه: ﴿ فَلَا تَلُومُونِي ﴾!! عجبًا!! إذن مَن يلومون؟

من الذي دعاهم إلى الفحشاء، وأغراهم بسفك الدماء. من الذي زين لهم الحرام، ورغبهم في الآثام؟ يجيء الجواب: ﴿ وَلُومُوٓا۟ أَنفُسَكُم ﴾.

(١) رواه مسلم، والنسائي في «السنن الكبرى»، وابن حبّان. وقد سُقت هنا الحديث مجموعًا من عدة روايات.

(٢) متفق عليه.

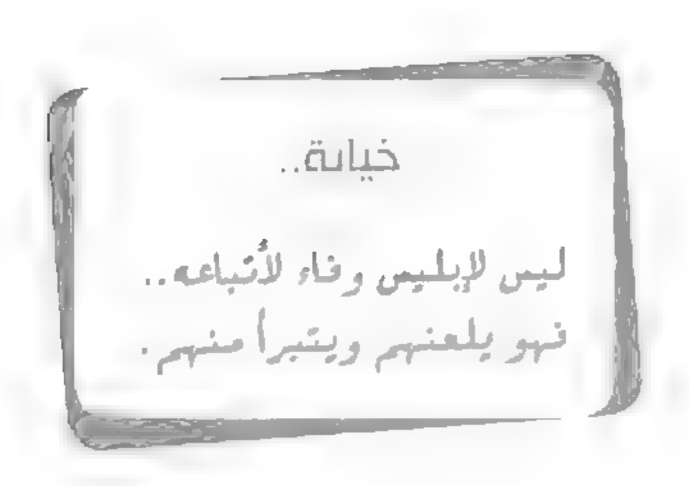
ثم يأتي المشـهد الأخير في هذه الخطبة الخاسـرة.. المشهد الذي يزيد أهل النار حسرة وألمًا.. المشهد الذي تظهر فيه حقيقة الشيطان.. مشهد التَّبَرُّؤ من أتباعه..

يقول الشيطان لهم: ﴿إِنِّي كَفَرْتُ بِمَآ أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ﴾.

أي: كفرت بطاعتكم لي.. ولن ينفعكم اليوم إلا أعمالكم الصالحة..

ثم يخبرهم بالنتيجة قائلًا: ﴿إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.

وهكذا تنتهي الخطبة.. فهذا حال رأس الكافرين، وقائد المجرمين..



الجَنَّة

هِيَ الأمنية الغالية التي يسعى إليها الساعون.. ويتسابق إليها المؤمنون.. هي عشيقة قلوب العاشقين، وتُسهر ليل المتعبدين، استعذبوا من أجلها العذاب، وتحملوا جليل المُصاب.. هي دار المتقين والشهداء والصالحين. هي نور يتلألأ.. وريحانة تهتَز.. وفاكهة وخضرة.. فيها العباد المنعَّمون.. الذين يأكلون ولا يتغوَّطون، ويشربون ولا يبولون، ويتطيَّبون ولا يمتَخِطُون. يضحكون ولا يبكون، ويقيمون ولا يرتحلون، ويحيَون ولا يموتون. فيها الوجوه مُسفِرَة، ضاحِكة مُستَبْشِرَة.

- فما الجنة؟
- وما وصفها؟
- ومن أهلها؟
- وما السبيل إليها؟

أسماء الجنة



هي دار السلام.. سلِمت من كل بليّة وآفة.

وهي دار الخُلد.. لا يموتون فيها ولا يَشِيخون..

وهي دار المُقامة.. لا ينتقلون منها ولا يملّون.

وهي جنة المأوَى.. أوى إليها المؤمنون بعد دار النكَد والبلاء.

وهي جنات عَدْن.. وهي دار الحَيَوان.. وهي الفِرْدَوْس.. وهي جنات النعيم.. والمَقام الأمين.. ومقعد صِدْق عند مَليك مقتدر..

قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَنَهَرٍ ﴿٥٤﴾ فِى مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍۭ ﴾ [القمر: ٥٤ - ٥٥].

وقال ﷺ: «قال الله تبارك وتعالى: أعددت لعبادي الصالحين: ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر. ومصداق ذلك في كتاب الله: ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ [السجدة: ١٧]»[١].

- **فما أسماءُ الجنّة؟**
- **ومن أول من يدخل الجنة؟ وصفاتهم؟**
- **ومن آخر من يدخل الجنة؟**
- **ومن أدنى أهل الجنة منزلة؟ وأعلاهم؟**
- **وما سوق الجنة؟**
- **وزيارة أهل الجنة ربهم تبارك وتعالى.. وخلود أهل الجنة فيها..**

---

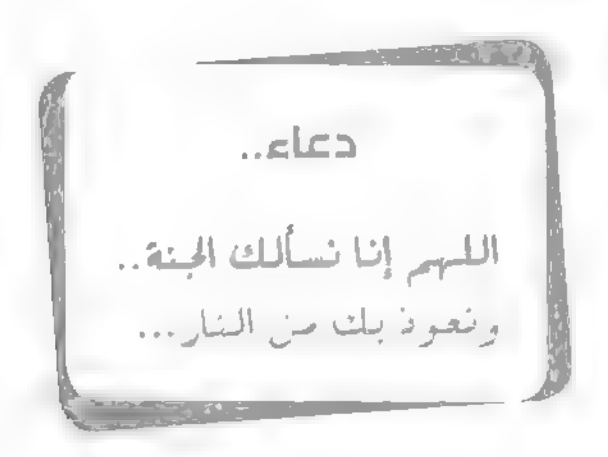
(١) متفق عليه.

مدخل:

من دخل الجنة نسي الدنيا بما فيها.. قال ﷺ: «يؤتى بأنعم أهل الدنيا من أهل النار يوم القيامة، فيصبغ في النار صبغة، ثم يقال: يا ابن آدم، هل رأيت خيرا قط؟ هل مر بك نعيم قط؟ فيقول: لا والله يا رب. ويؤتى بأشد الناس بؤسا في الدنيا، من أهل الجنة، فيصبغ صبغة في الجنة، فيقال له: يا ابن آدم، هل رأيت بؤسا قط؟ هل مر بك شدة قط؟ فيقول: لا والله يا رب، ما مر بي بؤس قط، ولا رأيت شدة قط»[1].

ولقد كان الصحابة رضي الله عنهم، يشتاقون إلى الجنة، ويفكِّرون في حالهم فيها إذا دخلوها.. فلقد سأل رجل النبي ﷺ، فقال: «يا رسول الله، هل في الجنة من خَيل؟ **قال ﷺ:** إن الله أدخلك الجنة، فلا تشاء أن تُحمل فيها على فرس، من ياقوتة حمراء، يطير بك في الجنة حيث شئت، إلا فعلت. **وسأله ﷺ رجل آخر، فقال:** يا رسول الله، هل في الجنة من إبل؟ **فلم يقل له مثل ما قال لصاحبه، بل قال ﷺ:** إن يدخلك الله الجنة، يكن لك فيها ما اشتهت نفسك، ولذّت عينك»[2].

وفي يوم آخر: أتى النبي ﷺ أعرابي فقال: «يا رسول الله، إني أُحِب الخيل، أفي الجنة خيل؟ **قال رسول الله ﷺ:** إن أُدخلت الجنة أُتيت بفرس من ياقوتة له جناحان فحُملت عليه ثم طار بك حيث شئت»[3].



(١) رواه مسلم.
(٢) رواه الترمذي، حسن.
(٣) رواه الترمذي، حسن لغيره.

التشويق إلى الجنة

كلما اشتاقت النفس إلى شيء حرصت على الاجتهاد لتحصيله، ولقد وصف الله تعالى الجنة، وزيَّنها لعباده، ودعاهم إليها، وحثَّهم عليها.



قال النبي ﷺ ذات يوم لأصحابه: «ألا هل مُشَمِّرٌ للجنة، فإن الجنة لا خطر لها هي، ورب الكعبة نور يتلألأ، ورَيْحانَة تَهْتَزّ، وقصر مَشِيد، ونهر مُطَّرِد، وفاكهة كثيرة نضيجة، وزوجة حسناء جميلة، وحُلَل كثيرة في مقام أبدا في حَبرَة ونضرة في دار عالية سليمة بهية.

قالوا: نحن المُشَمِّرون لها يا رسول الله. **قال:** قولوا: إن شاء الله. **ثم ذكر الجهاد وحَضّ عليه**»[١].

وبيّن النبي ﷺ أن ربنا جل وعلا أعد الجنة وزيّنها لعباده الصالحين، فقال ﷺ: «قال الله: أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر. فاقرءوا إن شئتم ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءَۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [السجدة: ١٧]»[٢].

(١) رواه ابن حِبّان، حسن، ومعنى مشمر للجنة: ساعٍ لها غاية السعي، طالب لها عن صدق ورغبة.
نهر مُطَّرد: جارٍ يتبع بعضه بعضًا.

(٢) متفق عليه.

تَتجافى جنوبهم:



بـيّن الله تعالى أن أهل الجنة عمِلوا لها واجتهدوا لتحصيلها، كما قال سَـهْل بن سَعْد رضي الله عنه:

« شَـهِدت مـن رسـول الله ﷺ مجلسـا وصَف فيه الجنة حتى انتهى، ثم قال ﷺ في آخر حديثه:

فيها ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر. ثم اقترأ هذه الآيـة: ﴿ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ١٦ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ [السجدة:١٦-١٧] »[١].

وبيّن النبي ﷺ أن أقلّ شـيء في الجنة يسـاوي أعظم مـن الدنيا وما فيها، فقال ﷺ:

« لو أن ما يُقِلّ ظُفر مما في الجنة بدا، لتزخرفت له ما بين خوافِق السموات والأرض[٢]. ولـو أن رجـلا من أهل الجنة اطلع، فبدا أسـاوره، لطمس ضوؤه الشمس كما تطمس الشمس ضوء النجوم »[٣].

أفلح المؤمنون:

ولا تزال الجنة يُهيِّئها الله تعالى ويُزيِّنها لعباده، كما قال ﷺ:

---

(١) رواه مسلم.

(٢) رواه الترمذي، حسـن صحيح، ومعنى: ما يُقِلّ ظُفُر: أي ما يسـتطيع أن يحمله ظفر، أو مقدار ظفر، لو ظهر هذا المقدار من الجنة لأهل الدنيا لتزينت به ما بين السماء والأرض.

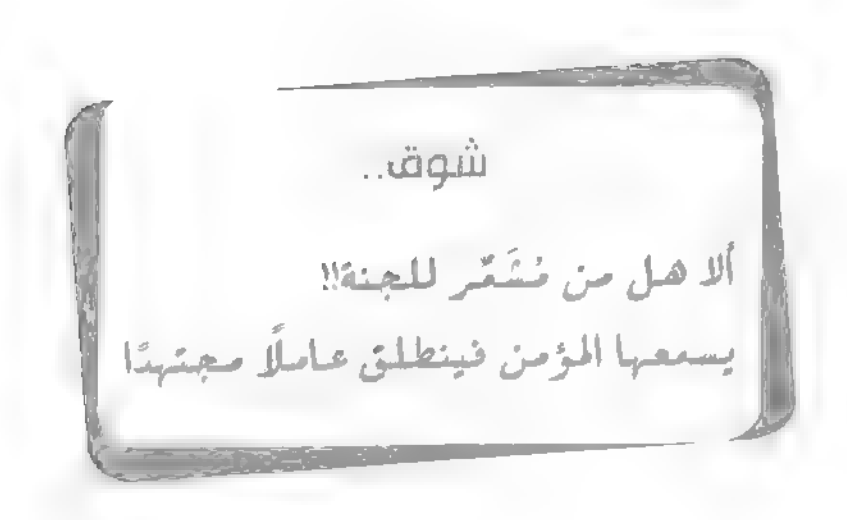
(٣) رواه أحمـد والترمـذي، أي لـو أن رجلًا مـن أهل الجنة، بدت أسـاوره التي تزين يديـه، لظهر من ضوء وبريق هذه الأساور، ما ينطمس به ضوء الشمس وضوء النجوم.

« خلق الله جنة عدن بيده، ودلّى فيها ثمارها، وشق فيها أنهارها، ثم نظر إليها، فقال: قد أفلح المؤمنون، قال: وعزتي لا يجاورني فيك بخيل »[1].

وقال ﷺ: « فقيد سوط أحدكم في الجنة خير من الدنيا ومثلها معها، ولقاب قوس أحدكم من الجنة خير من الدنيا ومثلها معها، ولنَصيف امرأة من الجنة خير من الدنيا ومثلها معها »[2].

وعن ابن عباس، قال: « ليس في الجنة شيء مما في الدنيا إلا الأسماء »[3].

وهذا من نعيم الجنة ففيها من الطعام والفواكه مثل ما في الدنيا بأسمائها، ففيها مثلًا تين وعنب.. لكنها في الجنة أجمل مظهرًا، وأنعم مَلْمسًا، وألذ طعمًا، وأسهل تناولًا، وأحسن أكلًا.



(١) رواه الطبراني في المعجم الكبير، حسن.

(٢) رواه أحمد، صحيح لغيره، ومعنى قوله ﷺ « قِيد سوط»: أي قدر الموضع الذي يوضع فيه سوطه خير من الدنيا وما فيها، والسوط عصا من جلد تضرب بها الدواب عادة أثناء قيادتها، والقاب: هو من مقبض القوس إلى طرفه، ونَصيف المرأة: هو ما تضعه على رأسها حجابًا به أو تزينًا.

(٣) أخرجه البيهقي في البعث والنشور، حسن.

من طُرُق الجنة

المتقـون هم أهل الجنة، وهم الذيـن يحرِصون على اتِّقاء المحرمات، وفعل الطاعـات، والعبادة فيها نوع تكليـف على العباد، فإذا كان الإيمان قويًا، غلب العبد شهوة نفسه، وعظَّم أوامر ربه، والتزم بالطاعات، واتقى المحرمات.

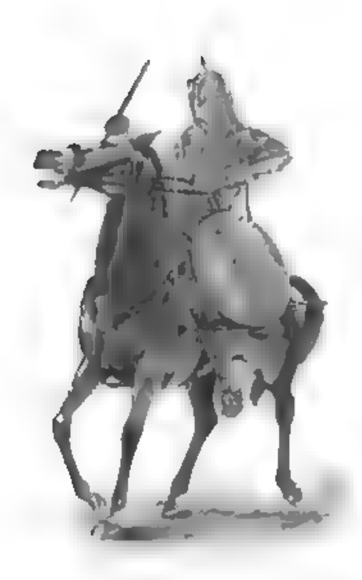
وللجنة طرق وردت بها نصوص الكتاب والسنة..

- فما هذه الطرق؟
- وما أفضلها؟
- وكيف ندعو الناس إليها؟

مدخل:

قـال ﷺ: «خفَت الجنة بالمكارد، وخفَت النار بالشـهوات»[1]**، والمؤمن يغالب هوى نفسه، ويُقدِّم مراد ربه على مراد قلبه، وقد ذكر النبي ﷺ طرقًا كثيرة للوصول إلى الجنة، نقف هنا على بعضها، فمن ذلك:**

١ - الجهاد في سبيل الله:

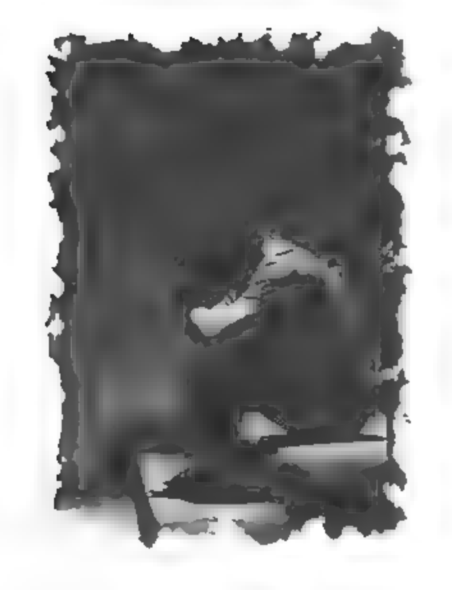


الجهاد ذِروة سنام الإسلام، وسُنَّة الرسل الكرام، ومن مات ولم يَغزُ ولم يُحدِّث به نفسه مات على شُعبة من نفـاق، وقد قال تعـالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰ أَن تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢١٦].

(١) رواه مسلم.

ووعد الله المجاهدين بالجنة، فقال ﷺ: « تضمّن الله لمن خرج في سبيله لا يُخرجه إلا جهادا في سبيلي، وإيمانا بي، وتصديقا برسلي، فهو عليّ ضامن أن أُدخله الجنة أو أُرجعه إلى مسكنه الذي خرج منه نائلا ما نال من أجر أو غنيمة. والذي نفس محمد بيده ما من كلم يُكلم في سبيل الله، إلا جاء يوم القيامة كهيئته حين كُلم لونه لون دم وريحه مسك. والذي نفس محمد بيده لولا أن يشق على المسلمين ما قعدت خلاف سرية تغزو في سبيل الله أبدا ولكن لا أجد سعة فأحملهم، ولا يجدون سعة، ويشق عليهم أن يتخلفوا عني. والذي نفس محمد بيده لوددت أني أغزو في سبيل الله فأُقتل، ثم أغزو فأُقتل، ثم أغزو فأُقتل »[1].

٢- الصبر على المصائب، والرضا بقضاء الله:



وهذا من رحمة الله تعالى بالخلق، أنه إذا ابتلاهم جعل هذا البلاء طريقًا لهم إلى الجنة، كما قال تعالى:

﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ مِنكُمْ وَيَعْلَمَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾ (آل عمران ١٤٢)

وقال ﷺ: « ما يزال البلاء بالمؤمن في جسده وماله، حتى يلقى الله تعالى، وما عليه خطيئة »[2].

فمن صبر على مصيبة المرض، والفقر، وموت الأولاد، والسجن، وغيرها من مصائب الدنيا.. فهي تكفر السيئات وتضاعف الحسنات..

(١) رواه مسلم، ومعنى كلم يُكلم: الكلم: الجرح، والمعنى أنه يلقى الله يوم القيامة، وجرحه يسيل دمًا، فلونه لون الدم، وريحه ريح المسك الطيب.

(٢) أخرجه الحاكم في المستدرك، صحيح.

٣- الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

وهي عبادة شاقة على النفس، وربما وقع للقائم بها أذى، لذا قال لقمان لابنه: ﴿ يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَٱنۡهَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ ﴾ [لقمان: ١٧].

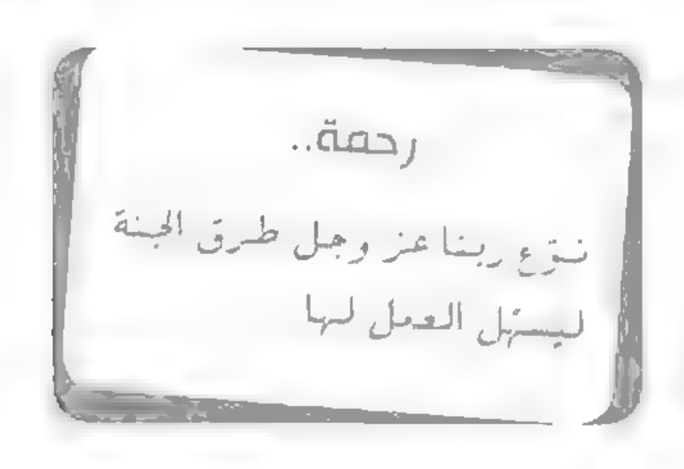
٤- وغير ذلك من تكاليف الإسلام:

المتأمل يجد أن عددًا من التكاليف الشرعية، كالصلاة والزكاة والصوم والحج، يجد في بعضها مَشَقَّة على العبد وتكليف، لكنه مأجور عليه، وكلما زاد الإيمان خفت وَطْأَة التكاليف الشرعية على العبد.

فالصلاة أثقل شيء على النفوس الضعيفة كما قال تعالى: ﴿ وَٱسۡتَعِينُواْ بِٱلصَّبۡرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلۡخَٰشِعِينَ ﴾ [البقرة: ٤٥].

والزكاة ثقيلة على البخلاء.. والحج ثقيل على المتكاسلين.. فكلما كان العبد مُتحمِّلًا للعبادة، سباقًا إليها، مُحرضًا لغيره عليها، كان أسرع إلى الجِنان ورضا الرحمن، وكلما كان أكثر تكاسلا وتفريطًا، وتقاعُسًا وقعودًا، كان أبعد عن الرضوان، وأقرب للعقوبة والخسران.

وعموم الأعمال الصالحة هي طريق إلى الجنة، كما قال تعالى: ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةٗ فِي جَنَّٰتِ عَدۡنٖۚ وَرِضۡوَٰنٞ مِّنَ ٱللَّهِ أَكۡبَرُۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ﴾ [التوبة: ٧٢].



أول من يدخلون الجنة

أهل الجنة أهل شرف وكرامة، ومن دخل الجنة ونال رضا الرحمن جل وعلا، فقد أفلح ونجح، وكلما سبق العبد إلى الجنة كان أعز له وأفضل.

- فمن أول الناس دخولًا الجنة؟
- ومن أول الأمم دخولًا إليها؟
- وأيهم أسبق إليها الفقراء أم الأغنياء؟

مدخل:

السِباق إلى الجنة هو سبيل المؤمنين، وغاية الموحِّدين، وهم أولى الخلق بها، والمقدِمون عليها.



أول البشر دخولًا الجنة رسولنا محمد ﷺ.. ولا شك أن سَبق نبينا محمد ﷺ غيره في دخول الجنة يدل على كرامة وتشريفٍ من الله تعالى له، فهو أول من يُفتح له باب الجنة، كما قال ﷺ: «أنا أكثر الأنبياء تبعًا يوم القيامة، وأنا أول من يقرَع باب الجنة»[1].

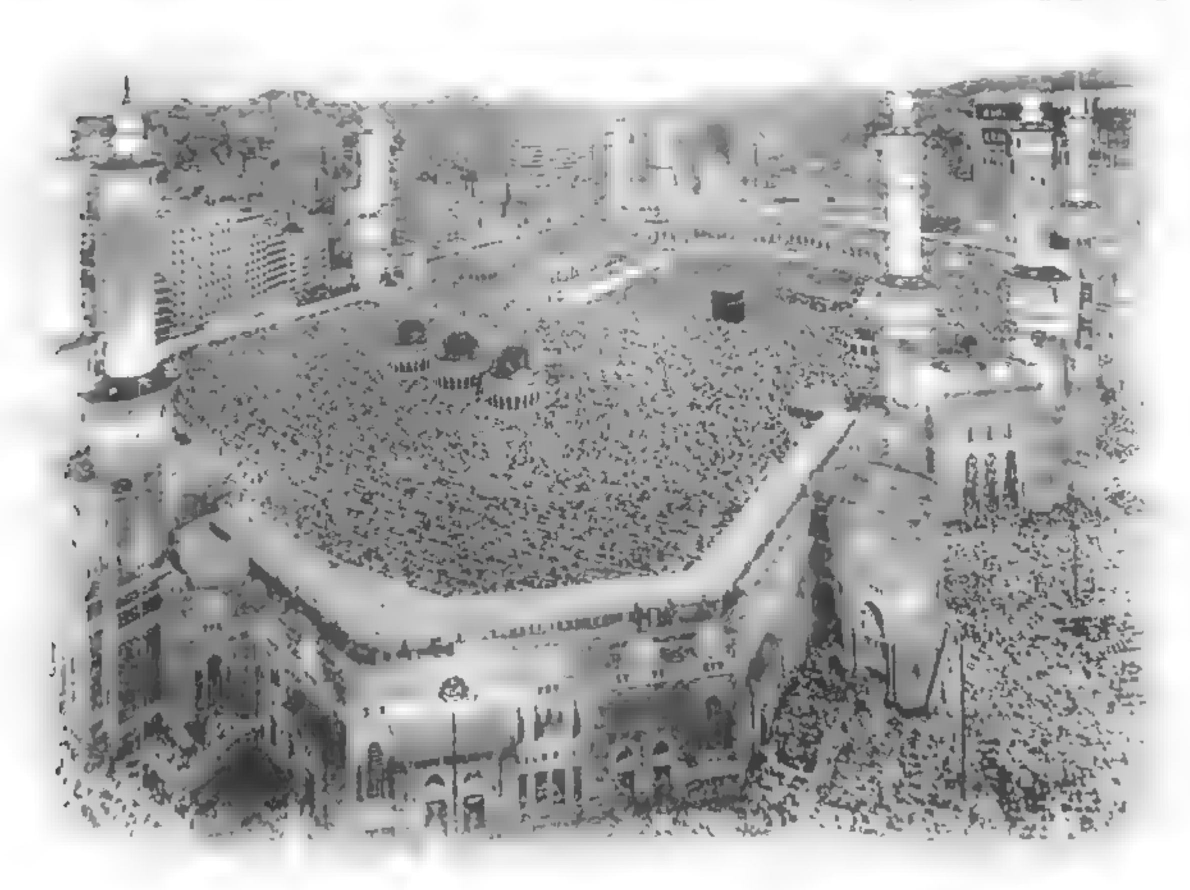
وقال ﷺ: «آتي باب الجنة يوم القيامة فأستفتح، فيقول الخازن: من أنت؟ فأقول: محمد، فيقول: بك أمرت لا أفتح لأحد قبلك»[2].

(١) رواه مسلم.

(٢) رواه مسلم.

أول الأمم دخولًا الجنة أمتنا..

وذلـك أن أمتنا هي خاتمـة الأمم، وهي أكثر أهل الجنة، وهي الشـاهدة علـى الأمم يوم القيامة، بل أمتنا هي التي تشـهد للأنبياء يـوم القيامة أنهم بلغوا دين الله لأقوامهم. قال ﷺ: «نحن الآخرون الأوَّلون يوم القيامة ونحن أول من يدخل الجنة»[1].



أول داخلي الجنة من أمتنا أبو بكر رضي الله عنه:

وذلك لشـرف أبي بكر رضي الله عنه، وإمامتـه، ونصرته للدين، وبذله روحه وماله وحياتـه لله، ومحبة النبي ﷺ له، وكثـرة ثنائه عليه، وهو صاحبه إذ هما في الغار، ومجاوره في حياته وبعد مماته.

(١) رواه مسـلم، والمعنى: نحن آخر الأمم وجودًا في الأرض، وآخر الأمم في التاريخ، ونحن الأولون السابقون يوم القيامة.

قال ﷺ: «أتاني جبريل فأخذ بيدي، فأراني باب الجنة الذي يدخل منه أمتي، **فقال أبو بكر:** يا رسول الله وددت أني كنت معك حتى أنظر إليه. **فقال رسول الله** ﷺ: أما إنك يا أبا بكر أول من يدخل الجنة من أمتي»[1].

وفقراء المهاجرين أسبق الناس للجنة:

فأمة الإسلام هي أسبق الأمم خروجًا من الأرض بالبعث.. وأسبقهم إلى أعلى مكان في المَوْقف.. وأسبقهم إلى ظلّ العرش.. وأسبقهم إلى الفصل والقضاء بينهم.. وأسبقهم إلى جواز الصراط.. وأسبقهم إلى دخول الجنة.. وأفضل هذه الأمة هم أصحاب رسول الله ﷺ، وأفضلهم المهاجرون الذين بذلوا أموالهم وأنفسهم وفارقوا أهلهم وبلادهم لأجل نُصْرة الدين، وعبادة رب العالمين.

كما قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِندَ ٱللَّهِ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿٢٠﴾ يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَٰنٍ وَجَنَّٰتٍ لَّهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ ﴿٢١﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ [التوبة: ٢٠ - ٢٢].

وقال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ قُتِلُوٓاْ أَوْ مَاتُواْ لَيَرْزُقَنَّهُمُ ٱللَّهُ رِزْقًا حَسَنًا وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿٥٨﴾ لَيُدْخِلَنَّهُم مُّدْخَلًا يَرْضَوْنَهُۥ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَعَلِيمٌ حَلِيمٌ ﴿٥٩﴾﴾ [الحج: ٥٨ - ٥٩].

وقال ﷺ: هل تدرون من أول من يدخل الجنة من خلق الله؟ **قالوا:** الله ورسوله أعلم. **قال:** أول من يدخل الجنة من خلق الله الفقراء المهاجرون الذين يسد بهم الثغور، وتتقى بهم المكاره، ويموت أحدهم، وحاجته في صدره لا يستطيع لها قضاء، فيقول الله لمن يشاء من ملائكته: ائتوهم، فحيّوهم. فيقول الملائكة: ربنا نحن سكان سماواتك، وخيرتك من خلقك، أفتأمرنا أن نأتي هؤلاء، فنسلم عليهم! قال: إنهم كانوا عبادا يعبدوني لا يشركون بي شيئا، وتسد بهم الثغور، وتتقى بهم المكاره، ويموت أحدهم، وحاجته في صدره لا

(١) رواه أبو داود، حسن.

يستطيع لها قضاء. فتاتيهم الملائكة عند ذلك، فيدخلون عليهم من كل باب: ﴿سَلَٰمٌ عَلَيۡكُم بِمَا صَبَرۡتُمۡۚ فَنِعۡمَ عُقۡبَى ٱلدَّارِ﴾ [الرعد: ٢٤]»[١]. **فهؤلاء أوائل من يدخل الجنة..**

صفات أول داخلي الجنة:

أخبرنا النبي ﷺ بصفة أول جماعة تدخل الجنة، لنفرح ونشتاق، ونطمئن عند الفراق، نسأل الله تعالى أن يجعلنا منهم.

قال ﷺ: «أول زُمرة تلج الجنة صورتهم على صورة القمر ليلة البدر. لا يبصقون فيها ولا يمتخطون ولا يتغوّطون. آنيتهم فيها الذهب. أمشاطهم من الذهب والفضة. ومجامرهم الألُوّة. ورَشحهم المِسك. ولكل واحد منهم زوجتان، يرى مُخ سوقهما من وراء اللحم[٢]. من الحسن. لا اختلاف بينهم ولا تباغض. قلوبهم قلب واحد، يسبحون الله بُكرة وعَشِيًا»[٣].

أهل الجنة ياكلون ويشربون، فكيف لا يتغوطون؟

إشكال



الجواب: أن أغذية أهل الجنة في غاية النفع واللذة والاعتدال ليس فيها أذى ولا فضلات تُستقذر أو تحتاج إلى إخراج من الجسم كما في طعام الدنيا، بل يتولد عن طعام الجنة عرَق يفيض من جلودهم بأطيب الريح وأحسنه.

---

(١) رواه ابن حِبّان، صحيح.

(٢) جاء في روايات أخرى أن هاتين الزوجتين من نساء الدنيا، وأنهما يكونان بأبهى صورة وجمال، حتى إنهما من شدة صفاء جلودهما ورقتها يرى عظمها من وراء جلدها.

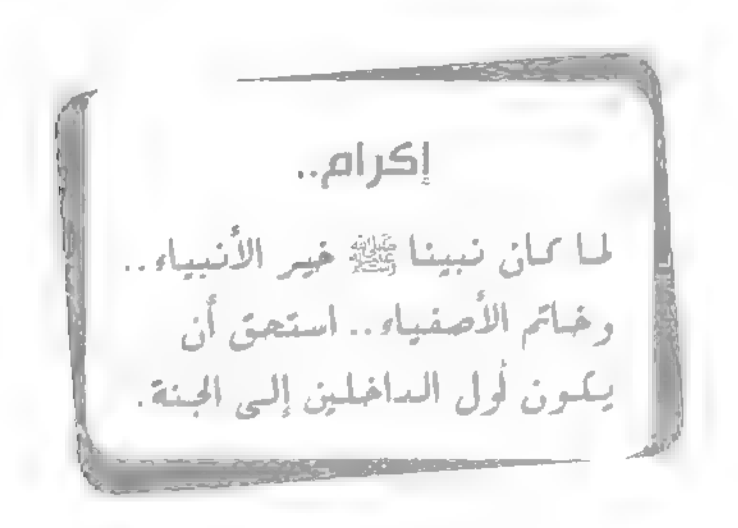
(٣) متفق عليه. ومعنى قوله أول زُمرة: أي أول جماعة. تلج الجنة: أي تدخل الجنة، قد وصفهم بأنهم سليمون من الآفات: فلا يبصقون أي لا يتفُلون الريق من أفواههم. ولا يمتخطون: أي لا يسيل من أنوفهم المُخاط، ولا يتغوَّطون: أي لا يحتاجون بعد الأكل والشرب أن يخرجوا الغائط – البراز –. ومعنى الألُوّة: العود الذى يتبخر به. المجامر: جمع مِجمر وهو الذي يوضع فيه النار للبخور، ورشحهم المسك: عرقهم مسك في طيب رائحته.

جـاء رجل من أهل الكتاب إلى النبي ﷺ فقال: يا أبا القاسـم، تزعُم أن أهـل الجنة يأكلون ويشـربون؟! **قال ﷺ:** نعم، إن أحدهم ليُعطى قوة مائة رجل في الأكل والشـرب والجماع. **قال:** الذي يأكل ويشـرب تكون له الحاجة وليس في الجنة أذى!! **فقـال ﷺ:** تكـون حاجـة أحدهـم رشـحا يفيـض من جلودهم كرشح المسك»[1].

أول ثلاثة يدخلون الجنة:

أكـرم الله تعالى أقوامًا عملوا الصالحات فسـبقوا أيضًـا إلى الجنة، وهم الشـهيد في سـبيل الله الذي بذل روحـه لله تعالى، والعبد المملـوك الذي عبد ربه وقام بحق سـيده على الوجه الأكمل، والرجل الفقير المتعفِّف عن سؤال الناس، وله عِيال ينفق عليهم مجتهدًا محتسبًا.

قـال ﷺ: « عُرض علي أول ثلاثة يدخلون الجنة: الشـهيد، وعبد مملوك أحسن عبادة ربه ونصح لسيده، وعفيف متعفف ذو عيال »[2].



(١) رواه النسائي.
(٢) رواه ابن حِبّان، حسن.

آخر من يدخل الجنة

أهل الجنة في دخولهم إليها يتفاوتون، فمنهم السابقون ومنهم اللاحقون.. وقد تقدم أن أول أهل الجنة دخولًا عليها هو نبينا محمد ﷺ..

- فمن آخرهم دخولًا إليها؟
- وما قصته؟

مدخل:

الجنة دار الحُبُور والسرور ينسى فيها المريض مرضه، والمصاب مصابه، والفقير فقره، والمقهور قهره، والسجين سجنه، والقبيح قُبحه، والمظلوم ظلمه. ليس فيها همّ مال يُجمع، ولا منصب يُرفع، ولا مرض يزول، ولا سجن يطول، ولا بيت يُبنى، ولا عدو يُخشى. نعم ليس فيها حزن وكربات، بل فرحة ومَسَرَّات. وإذا سمعت خبر أدنى أهل الجنة منزلة علمت أن ما خَفي عنا كان أعظم.

قصة آخرهم دخولًا الجنة:

قال ﷺ: «آخر من يدخل الجنة رجل فهو يمشي مرة ويكبو مرة وتسفعه النار مرة فإذا جاوزها التفت إليها فقال: تبارك الذي أنجاني منك. لقد أعطاني الله شيئًا ما أعطاه أحدًا من الأولين والآخرين. فترفع له شجرة فيقول: أي رب أدنني من هذه الشجرة فأستظل بظلها فأشرب من مائها. فيقول له الله: يا ابن آدم، فلعلي إذا أعطيتكها سألتني غيرها؟ فيقول: لا يا رب. ويعاهده أن لا يسأله غيرها، وربه ﷻ يعذره لأنه يرى ما لا صبر له عليه فيدنيه منها فيستظل بظلها ويشرب من مائها.

ثم تُرفع له شجرة هي أحسن من الأولى فيقول: أي رب هذه، فلأشرب من مائها وأستظل بظلها لا أسألك غيرها. فيقول: ابن آدم ألم تعاهدني أن لا تسألني غيرها؟! فيقول: لعلي إن أدنيتك منها تسألني غيرها؟ فيعاهده أن لا يسأله غيرها، وربه ﷻ يعذره، لأنه يرى ما لا صبر له عليه فيدنيه منها **فيستظل بظلها، ويشرب من مائها.**

ثم تُرفع له شجرة عند باب الجنة هي أحسن من الأوليين فيقول: أي رب! أدنني من هذه الشجرة فأستظل بظلها، وأشرب من مائها، لا أسألك غيرها. فيقول: يا ابن آدم ألم تعاهدني أن لا تسألني غيرها. قال: بلى أي رب هذه لا أسألك غيرها. فيقول: لعلي إن أدنيتك منها تسألني غيرها فيعاهده أن لا يسأله غيرها وربه يعذره لأنه يرى ما لا صبر له عليه فيدنيه منها فإذا أدناه منها سمع أصوات أهل الجنة، فيقول: أي رب أدخلنيها. فيقول: يا ابن آدم ما يصريني منك[1]! أيرضيك أن أعطيك الدنيا ومثلها معها؟ فيقول: أي رب! **أتستهزئ بي وأنت رب العالمين؟!**

فضحك ابن مسعود – راوي الحديث – فقال: ألا تسألوني مما أضحك؟ فقالوا: مما تضحك؟ **فقال:** هكذا ضحك رسول الله ﷺ **فقال:** ألا تسألوني مم أضحك؟ **فقالوا:** مم تضحك يا رسول الله؟ **قال:** من ضحك ربي حين قال: أتستهزئ مني وأنت رب العالمين؟ فيقول: إني لا أستهزئ منك ولكني على ما أشاء قدير. فيقال له: أترضى أن يكون لك مثل ملك ملك من ملوك الدنيا؟ فيقول: رضيت، رب! فيقول: لك ذلك ومثله، ومثله، ومثله، ومثله. فقال في الخامسة: رضيت، رب! فيقول: هذا لك، وعشرة أمثاله. ولك: ما اشتهت نفسك، ولذّت عينك. فيقول: رضيت، رب!»[2].

---

(١) قوله: «ما يصريني منك» وفي رواية: «ما يَصْريك مني» أي ما يَقطع مسألتك ويمنعك من سؤالي؟ وفي اللغة يقال صَرَيتُ الشيءَ إذا قطعته. وصَرَيتُ الماءَ وصرَّيتُه إذا جَمَعته وحَبَسته، والمُصرَّاة: الناقة أو البقرة أو الشاة يُصَرَّي اللبن في ضَرعها: أي يُجْمَع ويُحْبَس.

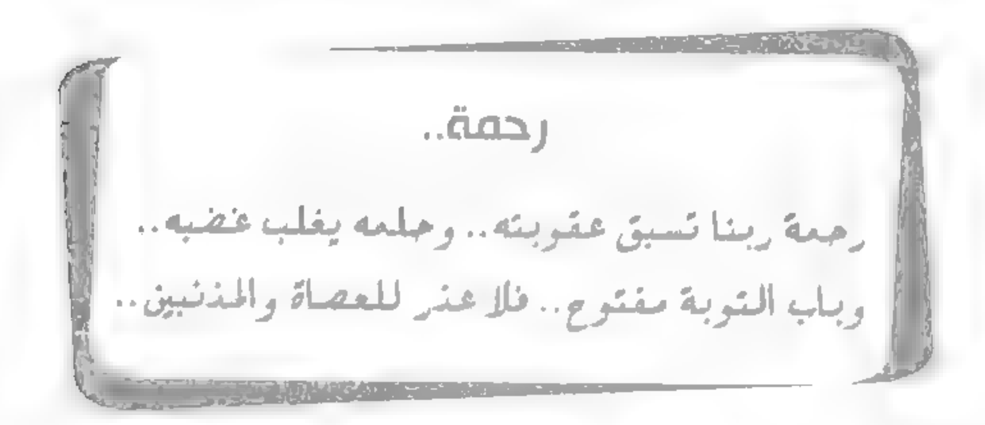
(٢) رواه مسلم.

وفي رواية: أن الله تعالى يقول له بعد ذلك: يا عبدي سل. فيقول: يا ربي ألحقني بالناس. فيقول له الله تعالى: الحق بالناس. فينطلق يرمل في الجنة، حتى إذا دنى من الناس رفع له قصر من درة فيخرّ ساجداً!! فيقال له: ارفع رأسك! مالك؟! فيقول: رأيت ربي! أو تراءى لي ربي. فيقال له: ارفع رأسك إنما هو منزل من منازلك. ثم يلقى رجلاً فيتهيأ للسجود له! فيقال له: مالك؟! فيقول: رأيت أنك ملك من الملائكة! فيقول له: إنما أنا خازن من خزّانك، وعبد من عبيدك. فينطلق أمامه حتى يفتح له القصر فإذا هو درة مجوفة، سقائفها، وأبوابها، وأغلالها، ومفاتيحها منها. هذا أدنى أهل الجنة منزلة »[1].

أعلاهم منزلة:

أكمل النبي ﷺ حديثه حول أدنى أهل الجنة منزلة وأعلاهم منزلة، فقال ﷺ: « أما أعلاهم منزلة فهم الذين غرس الله كرامتهم بيده، وختم عليها، فلم تر عين، ولم تسمع أذن، ولم يخطر على قلب بشر »[2].

وقال ﷺ: « إن أدنى أهل الجنة منزلة لمن يسير في ملكه، وسرره، ألف سنة يرى أقصاه كما يرى أدناه، وأرفعهم ينظر إلى ربه بالغداة والعشي »[3].



(1) رواه الطبراني في المعجم الكبير، صحيح.

(2) رواه مسلم.

(3) الحديث: رواه الترمذي والطبراني. قوله: سُرُره: جمع سرير. وهو ما يجلس أو يضطجع عليه. أرفعهم: أي أعلاهم منزلة، وأفضلهم مقاماً، هو الذي ينظر إلى وجه الله تعالى في الغداة والعشي، أي في أول اليوم وآخره.

سادة رجال أهل الجنة

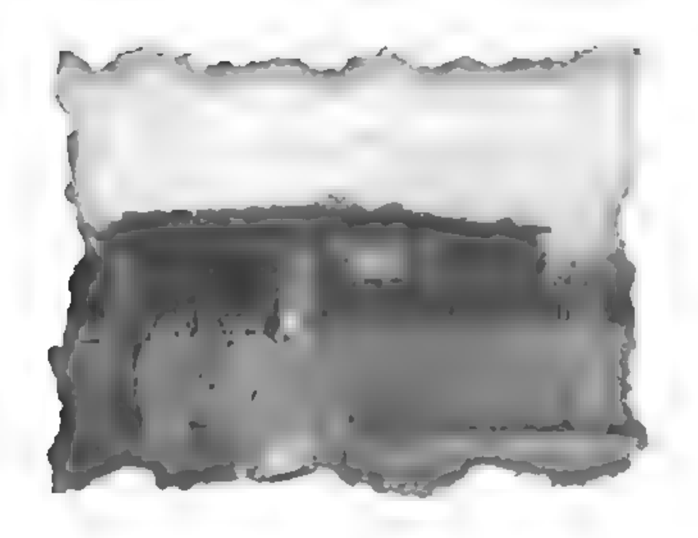
مع تفـاوت أهل الجنة في منازلهم، ومراتب جناتهـم، ومقدار نعيمهم، إلا أنهم يتفاوتون أيضًا في قدرهم ومنزلتهم عند الله تعالى..

- فما أعلاهم منزلة؟
- ومن سادة كُهُول أهل الجنة؟
- ومن سادة الشباب؟

مدخل:

أعلـى أهـل الجنة منزلـة هـم الأنبيـاء والمرسـلون، فهم صفـوة الخلق، والناطقـون بالحق، والمبلغـون بالصدق، وهم السـادة الأتقيـاء، والصالحون الأولياء، أما:

سيِّدا كُهُول أهل الجنة:



هما أبو بكر وعمر رضي الله عنهما، صاحبا رسول الله ﷺ في حياته، ومجاوراه في قبره بعد وفاته.

قـال ﷺ: « أبو بكر وعمر سـيدا كُهُـول أهـل الجنـة مـن الأولين والآخرين إلا النبيين والمرسلين »[1].

(١) رواه ابن حبّان، صحيح لغيره.

إشكال

كيف يكون أبو بكر وعمر سيدا كهول أهل الجنة، والجنة يدخلها الناس شبابا أبناء ثلاث وثلاثين؟

الجواب: أن معنى قوله ﷺ «كهول» هي جمع كَهْل، والكهل من الرجال يُطلق على من سنه بين الثلاثين والأربعين، أبو بكر وعمر سيدا من مات كهلا من المسلمين فدخل الجنة، أما من مات وهو شاب، فإن الحسن والحسين - رضي الله عنهما - هما سيدا شباب أهل الجنة.

ورأى النبي ﷺ قصر عمر رضي الله عنه في الجنة، وما أحسن أن يُبنى القصر، وحوله الأنهار، والأشجار، ينتظر ساكنه، وعمر رضي الله عنه أهل لأن ينال هذه البِشارة وهو في الدنيا، لصدقه وجهاده، وعبادته وزهده. قال رسول الله ﷺ: «دخلت الجنة فإذا أنا بقصر من ذهب، فقلت: لمن هذا فقالوا لرجل من قريش، فما منعني أن أدخله يا ابن الخطاب إلا ما أعلم من غيرتك. **فقال عمر رضي الله عنه: وعليك أغار يا رسول الله؟** »[1].

سيدا شباب أهل الجنة:

الحسن والحسين، ابنا علي وفاطمة، رضي الله عنهم أجمعين، هما سيدا شباب أهل الجنة، فهما سيدا من مات شابًا من المسلمين، ممن يدخلون الجنة، وهما - رضي الله عنهما - أهل لهذا الشرف، فلهما من الكرامة في الإسلام، والبذل والجهاد، ما يستحقا أن ينالا به هذا المرتبة العالية، كما قال ﷺ: « الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة »[2].

---

(١) رواه البخاري، والمعنى أن عمر رضي الله عنه كان من خلقه المشهور عنه أنه يغار ويغضب إذا رأى رجل إحدى نسائه، من زوجة أو بنت أو أخت، فيقول له ﷺ هنا ملاطفًا: إنني كِدت أن أدخل قصرك لأراه، فذكرت غيرتك يا عمر، فخشيت أن أرى زوجاتك في القصر فتغضب، فذهبت دون أن أدخل. فقال عمر رضي الله عنه: أعليك أغار يا رسول الله؟ يعني أنا لا أشك في عِفّتك وصيانتك وغَضّك بصرك يا رسول الله، فكيف أغار عليك؟

(٢) رواه الترمذي، صحيح.

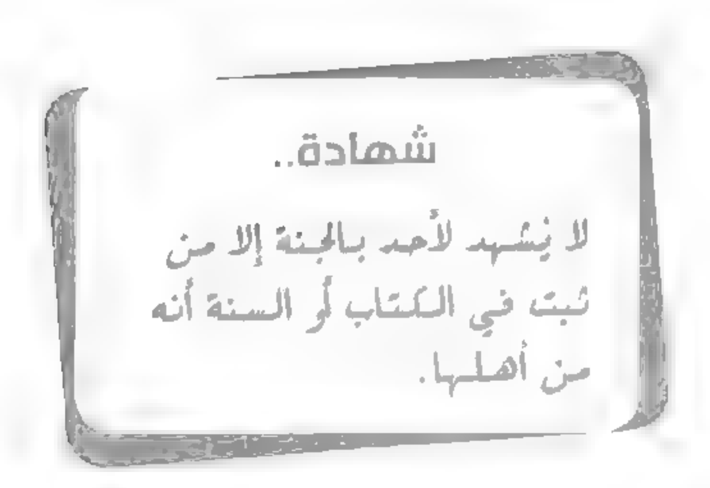
العشرة المبشرون بالجنة:

نص الرسول ﷺ نصًا صريحًا على أن عشرة من أصحابه من أهل الجنة، لما لهم من سبق في الإسلام، وجهاد وتضحية، ولا يعني أن هؤلاء فقط من الصحابة في الجنة، كلا، بل جموع الصحابة الكرام لهم فضلهم، فقد قال ﷺ في أهل بدر وهم أكثر من ثلاثمائة صحابي: «ما يدريك لعل الله قد اطلع على أهل بدر فقال: اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم»[1].

وشهد النبي ﷺ أيضًا لألف وأربعمائة صحابي بايعوا في الحُدَيبِيَة تحت شجرة الرِّضوان على الجهاد في سبيل الله، فقال ﷺ: «ليدخلن الجنة من بايع تحت الشجرة إلا صاحب الجمل الأحمر»[2].

لكن النبي ﷺ خص هؤلاء العشرة بالشهادة لهم، ليظهر فضلهم وشرفهم، فقال ﷺ: «عشرة في الجنة: أبو بكر في الجنة، وعمر في الجنة، وعثمان في الجنة، وعلي في الجنة، والزُّبير في الجنة، وطلحة في الجنة، وابن عوف في الجنة، وسعد في الجنة، وسعيد بن زيد في الجنة، وأبو عُبيدة بن الجراح في الجنة»[3].

فهؤلاء أصحاب رسول الله ﷺ، ولهم القدر الأعلى، والقدر المُعَلى.



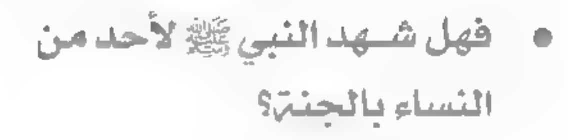
(١) أخرجه ابن أبي شَيْبَة في مُصَنَّفه، وإسناده صحيح.

(٢) أخرجه البَزَّار والترمذي، وفي سنده مقال.

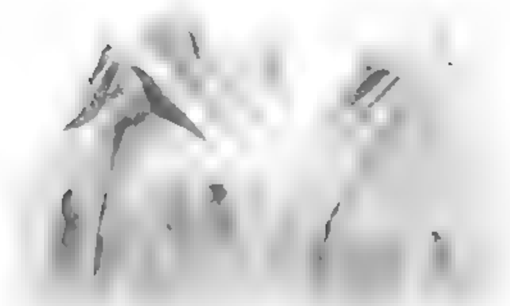
(٣) صحيح ابن حِبّان، صحيح.

سيدات نساء أهل الجنة:

جعل الله تعالى الجنة ثوابًا للمؤمنين والمؤمنات، وكما أن في الرجال صوّامين في النهار.. بكّائين في الأسحار.. ففي النساء كذلك..



- فهل شهد النبي ﷺ لأحد من النساء بالجنة؟
- ومن هن؟



مدخل:

كم من امرأة سابقت الرجال، في صالح الأقوال والأعمال، فسبقتهم في عبادتها لربها، ونُصرتها لدينها، وإنفاقها وعلمها، بل إنك إذا قلبت صفحات التاريخ، رأيت أن أعظم الفضائل إنما سبقت إليها النساء.

فأول من سكن الحرم، وشرب من ماء زمزم، وسعى بين الصفا والمروة، هي امرأة، هاجرُ أم إسماعيل، وأول من دخل في الإسلام، وناصَر النبي عليه الصلاة والسلام، هي امرأة، خَدِيجة أم المؤمنين رضي الله عنها، وأول من عُذِّب في مولاه، حتى قُتل في سبيل الله، هي امرأة، سُمَيَّة أم عمَّار بن ياسر.

وقد شهد النبي ﷺ لعدد من النساء بالجنة، ومن هؤلاء:

- **أم المؤمنين خديجة:**

وهي أم المؤمنين والمؤمنات، وقائدة الصالحات، وقدوة التَّقِيّات، كانت رأسًا في العقل والحكمة والتضحية.

قال ﷺ عنها: « بشروا خديجة ببيت في الجنة من قصب[1] لا صخب فيه ولا نَصَب[2] »[3].

وقال أبو هريرة: « أتى جبريل النبي ﷺ، فقال: يا رسول الله. هذه خديجة أتتك بإناء فيه طعام أو شراب، فإذا هي أتتك فاقرأ عليها من ربها السلام وبشرها ببيت في الجنة من قصب. لا صخب فيه ولا نصب »[4].

• أم المؤمنين عائشة:

وهي الصديقة بنت الصديق رضي الله عنه ورضي عنها، حبيبة زوجها رسول الله ﷺ، ورفيقة دَربه، التي ذكر الله تعالى براءتها في القرآن، في عشر آيات من سورة النور.

قال ﷺ: « كمل من الرجال كثير، ولم يكمُل من النساء إلا: مريم بنت عمران، وآسية امرأة فرعون. وفضل عائشة على النساء كفضل الثَّريد على سائر الطعام »[5]، **وقد كان طعام الثَّريد أحب الطعام إلى رسول الله ﷺ.**

وقال ﷺ لعائشة: « أما ترضين أن تكوني زوجتي في الدنيا والآخرة؟ **قلت:** بلى والله. **قال:** فأنت زوجتي في الدنيا والآخرة »[6].

• فاطمة:

ابنة رسول الله ﷺ، وحبيبة قلبه، وفِلْذَة كبده، وثمرة فؤاده، زوجة ابن عم رسول الله ﷺ علي رضي الله عنه، ووالدة الحسن والحسين سيدَيْ شباب أهل الجنة..

---

(١) القصَب: لؤلؤ مُجَوَّف واسع كالقصر الواسع المُنِيف.

(٢) الصخب: هو الصِّياحُ والجلَبة وشدة الصوت واختلاطُه، والنَّصب: التعب والإعياء.

(٣) متفق عليه.

(٤) رواه مسلم.

(٥) رواه البخاري.

(٦) رواه ابن حِبَّان، صحيح.

قال ﷺ: «إن هذا ملك لم ينزل الأرض قط قبل هذه الليلة، استأذن ربه أن يسلم عليّ، ويبشرني بأن فاطمة سيدة نساء أهل الجنة، وأن الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة»[1].

- **مريم ابنة عِمران، وآسِية بنت مُزاحِم:**

وهما نساء صالحات من الأمم السابقة، أكرمهما الله تعالى بالإيمان، وطاعة الرحمن، والصبر على البلاء، وكثرة التعبد والدعاء.

أما مريم، فهي أم نبي الله عيسى عليه السلام، ذكر الله في القرآن شأنها، وخلّد خبرها.

وآسية بنت مُزاحِم، زوجة فرعون، فصبرت على إيمانها، بالرغم من شدة عذابها، واختارت الجار قبل الدار، قالت: ﴿رَبِّ ٱبْنِ لِى عِندَكَ بَيْتًا فِى ٱلْجَنَّةِ وَنَجِّنِى مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِۦ وَنَجِّنِى مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [التحريم: ١١].

قال ابن عباس - رضي اللّه عنهما -: «خَطَّ رسول الله ﷺ أربعة خطوط، ثم **قال:** أتدرون ما هذا؟ **قالوا:** الله ورسوله أعلم. **قال:** إن أفضل نساء أهل الجنة: خديجة بنت خويلد، وفاطمة بنت محمد، ومريم بنت عمران، وآسية بنت مُزاحِم امرأة فرعون.

مع ما قَصّ الله علينا من خبرها في القرآن، قالت: ﴿رَبِّ ٱبْنِ لِى عِندَكَ بَيْتًا فِى ٱلْجَنَّةِ وَنَجِّنِى مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِۦ وَنَجِّنِى مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾»[2].

وقال تعالى عن آسية بنت مُزاحِم، ومريم بنت عِمران عليهما السلام: ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا ٱمْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ٱبْنِ لِى عِندَكَ بَيْتًا فِى ٱلْجَنَّةِ وَنَجِّنِى مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِۦ وَنَجِّنِى مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١١﴾ وَمَرْيَمَ ٱبْنَتَ عِمْرَٰنَ ٱلَّتِىٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَٰتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِۦ وَكَانَتْ مِنَ ٱلْقَٰنِتِينَ﴾ [التحريم: ١١-١٢].

---

(١) سنن الترمذي، حسن.

(٢) المستدرك للحاكم، صحيح.

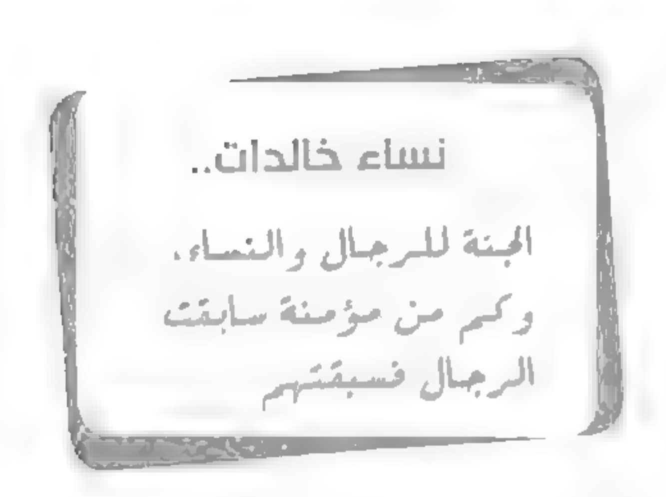
وهـذا درس في ثبـات المؤمنـة علـى الحـق، فهـي وإن اضطـرت لمخالطة الكافريـن، أو كانـت تحـت سـلطتهم، إلا أن إيمانها، وتقواهـا، تحميها من التأثر بهم، أو التنازل عن دينها إرضاءً لهم.

فآسـية امرأة فرعون كانت مؤمنـة مخلصة لله، وكان فرعون طاغية جبارا، فما ضَرّ امرأته كُفر زوجها حين أطاعت ربها ليعلم الناس أن الله حكيم عادل، لا يؤاخذ أحدا بذنب غيره. وقد سـألت امرأة فرعون ربها أن يجعلهـا قريبة من رحمته، وأن يبني لها عنده بَيتا في الجنة، وأن ينقذها من فرعون وأعماله الخبيثة، وأن ينجيها من قومه الظالمين، فاسـتجاب الله تعالى دعائها، ولبّى نداءها.

وضرب الله مثلا آخر للذين آمنوا:

ومريـم ابنة عمـران، التي أحصنت فَرجهـا، واتَّقت ربهـا، فأكرمها الله تعالى وأكرم ابنها عيسى عليه السلام.

فحريٌّ اليـوم بأخواتنا وبناتنا وجميع نسـائنا أن يقتَدِيـن بأمثال هؤلاء النساء.



صفة دخول أهل الجنةِ الجنة

الجنة هي المَثوى الأخير، والمُستَقر الكبير، وهي السعادة التي ليس بعدها شقاء، والراحة التي لا يتبعها عَناء، يدخلها أهلها فرحين مستبشرين، قد ألقَوا خلفهم الهموم، ونسوا المشاكل والغموم.

- فكيف يُساقون إليها؟
- وما قدر جمالهم؟ وأطوالهم؟
- وما حجم أبوابها؟
- وهل يتزاحمون؟



مدخل:

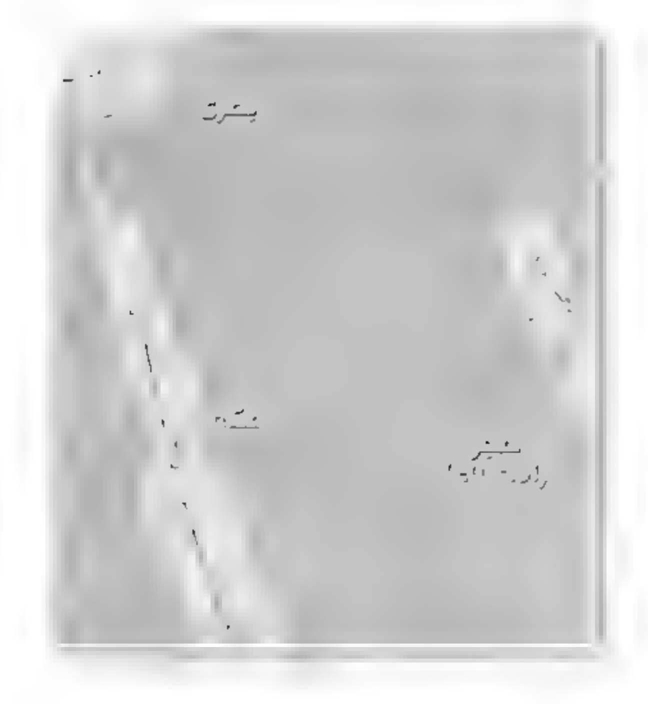
وصف الله تعالى دخول أهل الجنة إلى الجنة، فقال تعالى: ﴿ وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ رَبَّهُمۡ إِلَى ٱلۡجَنَّةِ زُمَرًاۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتۡ أَبۡوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمۡ خَزَنَتُهَا سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمۡ طِبۡتُمۡ فَٱدۡخُلُوهَا خَٰلِدِينَ ﴾ (الزمر ٧٣).

فهم يقبلون عليها زُمَرا أي جماعات، تملأ البهجة نفوسهم، وتعلوا الفرحة وجوههم

اتّساع أبوابها:

كثرة الداخلين إلى الجنة، وفرحتهم بالدخول إليها، تقتضي أن تكون الأبواب واسعة كبيرة، حتى يدخلوا كلهم بلا تَزاحُم.

وقد بيّن النبي ﷺ اتساع أبواب الجنة، فقال: «ما بين كل مصراعين من مصاريع الجنة سبعين سنة، وإن في الجنة بحر الماء، وبحر الخمر، وبحر اللبن، وبحر العسل، ثم تشقق منه بعد الأنهار»[1].



وقال ﷺ: «والذي نفسي بيده، إن ما بين المِصْراعَين من مَصاريع الجنة لكما بين مكة وهَجَر، أو كما بين مكة وبُصْرى»[2].

فبيّن أن ما بين طرفي الباب من أبواب الجنة، مسافة كبيرة كما المسافة بين مكة وهجر، أو ما بين مكة وبصرى.[3]

واتساع أبواب الجنة يدل على كثرة الداخلين فيها.

صفة دخولهم من الباب:

أهل الجنة على قلب رجل واحد، وعقيدة واحدة، لا اختلاف بينهم ولا تباغُض، فيدخلون الجنة مُتماسكي الأيدي، مُتقاربي الأجساد.

كما قال ﷺ: «ليدخلن الجنة من أمتي سبعون ألفا أو سبعمائة ألف - شك في أحدهما - متماسكين، آخذ بعضهم ببعض، حتى يدخل أولهم وآخرهم

---

(١) الآحاد والمثاني لابن أبي عاصم، صحيح، قوله «مصراعين»، جمع مِصراع، وهو الباب، وسعة ما بين البابين كبيرة جدا، بحيث لو مشى رجل من أحد البابين متوجهًا إلى الآخر لمَرّت عليه سبعون سنة قبل أن يبلغ الباب الآخر.

(٢) صحيح ابن حِبّان، صحيح، ورواه البخاري ومسلم مطولًا.

(٣) مكة: هي قبلة المسلمين، معروفة، هَجَر: تسمى اليوم الإحساء، وهي مدينة في شرق المملكة العربية السعودية، تبعد عن مكة ١٢٠٠كم برًا بالسيارة، بُصرى: مدينة في الشام.

الجنة، ووجوههم على ضوء القمر ليلة البدر»[1]. **فهم يدخلون صفًا واحدًا، أي يدخل الجميع دُفعة واحدة.**

أبوابُ الجنة:

قال تعالى: ﴿ جَنَّٰتِ عَدْنٍ مُّفَتَّحَةً لَّهُمُ ٱلْأَبْوَٰبُ ﴾ [ص: ٥٠]. **نعم هي جنة مُفتَّحة أبوابها إكراما لهم ليدخلوها آمنين.**

للجنة ثمانية أبواب:

أبواب الجنة مع اتساعها، وجمالها، وسهولة العبور من خلالها، هي أيضًا أبواب متعددة.

قال ﷺ: «في الجنة ثمانية أبواب، فيها باب يسمى الريان لا يدخله إلا الصائمون»[2].

وقال ﷺ: «من أنفق زوجين في سبيل الله[3] نودي من أبواب الجنة: يا عبد الله، هذا خير[4]، فمن كان من أهل الصلاة دعي من باب الصلاة، ومن كان من أهل الجهاد دعي من باب الجهاد، ومن كان من أهل الصيام دعي من باب الريان[5]، ومن كان من أهل الصدقة دعي من باب الصدقة». **فقال أبو بكر:**

---

(١) رواه البخاري.

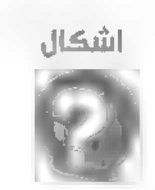
(٢) رواه البخاري.

(٣) في سبيل الله: أي أنفق في جميع وجوه الخير، وقوله: زوجين وعن الحسن، قال: قال صَعْصَعة بن معاوية عَمّ الأحنف: أتيت أبا ذرّ بالرَّبذة، فقلت: يا أبا ذر ما مالُك؟ قال: مالي عملي، فقلت: حَدِّثنا عن رسول الله ﷺ حديثًا سمعته منه، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: من أنفق زوجين من ماله في سبيل الله ابتدَرته خَزَنة الجنة، قال: قلت: وما زوجان؟ قال: فَرَسان من خَيلِه، بَعِيران من إبلِه، عبدان من رَقيقِه.
قال أبو حاتم: العرب في لغتها تُسمّي الفرديَن المُتلازمين زوجين، قال الله ﷻ: ﴿ وَمِن كُلِّ شَىْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ ﴾ [الذاريات: ٤٩]. رواه ابن حِبّان.

(٤) المعنى: أقبل من هذا الباب خير لك، في الثواب.

(٥) باب الرَّيّان مُشتقّ من الرِّيّ والارتواء، لأنَّ الصائم في شدة الحر يعطش، فبشّره النبي ﷺ أنه يُدعى من باب الارتواء.

بأبي أنت وأمي يا رسول الله، ما على من دُعي من تلك الأبواب من ضرورة[1]، فهل يدعى أحد من تلك الأبواب كلها؟ **قال:** «نعم، وأرجو أن تكون منهم»[2].


اشكال

من كان جمع بين عدة عبادات صلاة وصوم وصدقة وجهاد.. فمن أي الأبواب يدعى؟

الجواب: إذا غلب عليه عمل معين، وأكثر منه، سواء كان صلاة أو صومًا أو غيرها، دُعي من بابه.

سِنهم عند دخولهم:

يدخل أهل الجنة إلى الجنة وهم في أحسن وأنسب الأعمار، أبناء ثلاث وثلاثين، في قوة الشباب، وتمام الاستمتاع. قال ﷺ: «يدخل أهل الجنة الجنة جردًا مردًا مكحلين أبناء ثلاثين أو ثلاث وثلاثين سنة»[3].

سبحان من زيّنهم!!

فأهل الجنة جُرْد: وهو جمع أَجْرَد وهو صلب في البشرة الذي نُزع عنه الشعر.

وهم مُرْد: وهو جمع أَمْرَد، والمَرَد نقاء الخدَّين من الشعر، وجمال الخدين وصفاؤهما.

ويدخلون الجنة مكحلين: والكُحل معروف، وهو لون أسود يوضع في أسفل العين لتزيينها.

---

(١) ضرورة: اي لا ضرر أن يدعى أحد من تلك الأبواب كلها، لاتساعها، وعدم خوف التزاحم، فهل يمكن أن يعمل الإنسان جميع الأعمال الصالحة ليدعى من تلك الأبواب كلها؟

(٢) متفق عليه.

(٣) رواه الترمذي، حسن.

شباب لا يَهْرَمون:

أهـل الجنة شـباب لا يهرمون. قـال ﷺ: «اهل الجنة جُرد مُـرد كُحل لا يفنى شبابهم ولا تبلى ثيابهم».[1]

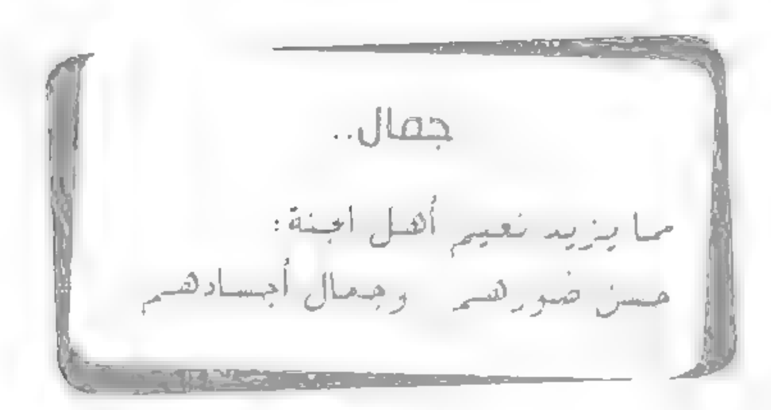
فلا يخافون هرمًا أو شيخوخة تلحق بهم، في أشكالهم، ولا أجسادهم، ولا حُسنهم وجمالهم، وهم أيضًا لا تبلى ثيابهم، بل تبقى نضِرة حسنة جميلة، لا تَقْدَم ولا تتغير.

طولهم:

أجسام أهل الجنة مكتملة طولًا وعرضًا، في غاية الجمال: قال ﷺ: «يدخل اهـل الجنة الجنة جُردا، مُـردا، بيضا، جعدا، مكحَلـين، ابناء ثلاث وثلاثين، على خلق ادم، طوله ستون ذراعا في عرض سبعة اذرُع»[2].

فعيونهم مكحلة، وأبشـارهم صافيـة، وألوانهم بيض، وشـعورهم جِعاد: وهو جمع جَعْد وهو الشعر ما بين الخشن والناعم، فهو جَعد في نعومة.

وأعمارهـم ثـلاث وثلاثون سـنة، وطول أحدهم سـتون ذراعًـا، وعرضه سبعة أذْرُع، وقد جعلهم الله تعالى في صورة أكبر مما كانوا عليه في الدنيا، لتكتمل مُتَعهم أكثر، ويكون تلذذهم أكبر.



(1) رواه الترمذي، حسن.

(2) رواه ابن أبي شيبة، حسن، و الذراع قياس يستعمل قديمًا، وهو من مِرفق اليد إلى نهاية الأصابع، ويقدر في متوسطه بخمسة وأربعين سنتيمتر.

في درجات الجنة

الجنة درجات متفاوتة، ينزلها الناس بحسب تفاوت أعمالهم، فكما أن المؤمنين في الدنيا يتفاوتون في حرصهم على الطاعات، وإقبالهم إلى الخيرات.

كذلك هم في الآخرة درجات بحسب أعمالهم

قال تعالى: ﴿ وَمَن يَأْتِهِۦ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلدَّرَجَٰتُ ٱلْعُلَىٰ ﴾ [طه: ٧٥].

وقال سبحانه: ﴿ لَا يَسْتَوِى مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ ٱلْفَتْحِ وَقَٰتَلَ أُو۟لَٰٓئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ ٱلَّذِينَ أَنفَقُوا۟ مِنۢ بَعْدُ وَقَٰتَلُوا۟ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴾ [الحديد: ١٠].



- فما هي درجات الجنة؟
- وما المسافة بينها؟
- وكيف يرتفع المرء في الدرجات؟

مدخل:

فالجنة درجات متفاضلة، ومراتب متفاوتة في العلو والرِّفعة، والنعيم والمتعة، والمؤمنون في تلك الدرجات بحسب إيمانهم وتقواهم.

كما قال ﷺ: «إن أهل الجنة يتراءون أهل الغُرف من فوقهم كما يتراءون الكوكب الدُّرِّيّ الغابر في الأُفُق من المشرق أو المغرب[1]. لتفاضل ما بينهم. **قالوا:** يا رسول الله، تلك منازل الأنبياء لا يبلغها غيرهم؟ **قال:** بلى والذي نفسي بيده، رجال آمنوا بالله وصدقوا المرسلين»[2].

(١) الغَابر: أي النجم العالي الذاهب السائر بعيدًا في السماء، في جهة المشرق أو المغرب، والمعنى أن درجات الجنة تتفاوت تفاوتًا كبيرًا في علو بعضها على بعض.

(٢) رواه البخاري.

في الجنَّة مائة درجة:

أخبر النبي ﷺ أن درجات الجنة مائة درجة، بينها تفاوت عظيم. قال ﷺ: «من آمن بالله وبرسوله وأقام الصلاة وصام رمضان، كان حقا على الله أن يدخله الجنة جاهد في سبيل الله، أو جلس في أرضه التي ولد فيها. **فقالوا: يا رسول الله أفلا نُبَشِّر الناس؟ فقال:** إن في الجنة مائة درجة أعدها الله للمجاهدين في سبيل الله، ما بين الدرجتين كما بين السماء والأرض، فإذا سألتم الله فاسألوه الفردوس، فإنه أوسط الجنة وأعلى الجنة، أراه فوقه **عرش الرحمن، ومنه تَفَجَّر أنهار الجنة**»[1].

كيف يكون الفردوس هو أوسط الجنة وهو أعلاها أيضًا؟

إشكال



الجواب: الفردوس «أوسط الجنة» **أي: في وسط الجِنان، فالجنة تحيط به، وهو أعلى الجنة لأنه مرتفع على ما حوله، وارتفاعه عظيم لأن سقفه عرش الرحمن جل جلاله.**

هل الدرجات العالية خاصة للمجاهدين؟

مسألة



الجواب: ليس عُلُوّ الدرجات وارتفاعها خاصًا بالمجاهدين فقط، بل لكل من أفلح وأنجح من المؤمنين، كما قال ﷺ: «في الجنة مائة درجة ما بين كل درجتين مائة عام»[2].

---

(١) رواه البخاري.

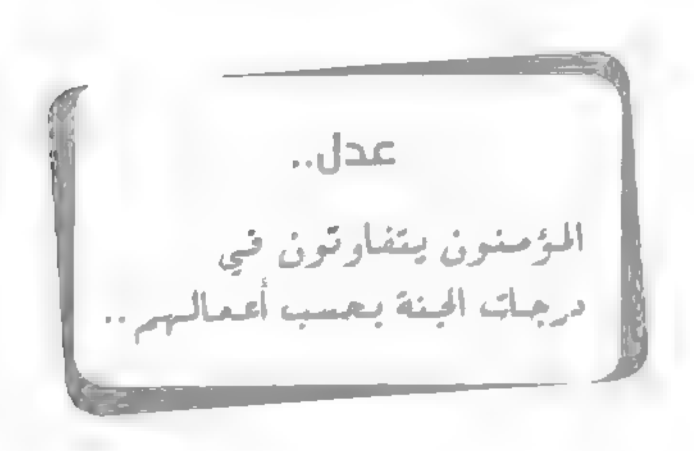
(٢) رواه الترمذي، حَسَنٌ صَحِيحٌ.

في الجنة جنانٌ كثيرة:

حارثـة بن سُـراقة غلام من الأنصار.. له في ذلـك حادثة عَجَب.. خرج مع المسـلمين إلى معركة أُحُد، وقبل أن تبدأ المعركة، مضى ليشرب من البئر، فرُمي عليه سهم فأصابه في حَلْقِه، فمات.

فلمـا رجـع النبي ﷺ وأصحابـه إلى المدينة، أقبلـت إليه أم حارثـة.. تَجُرّ خُطاهـا.. قد كبر سِـنها.. ورقّ عظمها.. وعَظُم همُّهـا.. وكاد أن ينفَطِر من الحزن قلبها..

فقالـت: « يا رسـول الله، أخبرني عن حارثة، فـإن كان في الجنة صَبَرْت، وإلا فليَرَيَـنّ الله مـا أصنع.. تعني أنها سـوف تنُوح وتبكي عليـه وتندُبه حزنًا علـى فراقه..وكانت النِّياحة على الميت لم تُحـرَّم بعد.. فقال لها ﷺ: ويحك! أهبلت؟!.. إنها جنان ثمان.. وإن ابنك أصاب الفردوس الأعلى»[1].

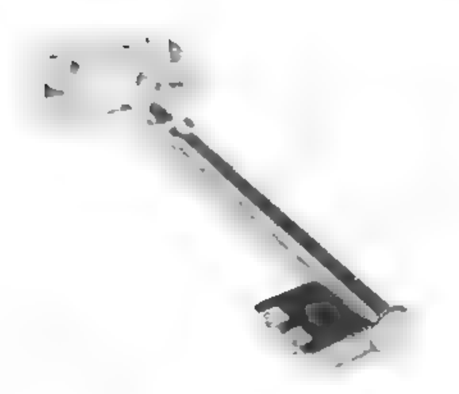


(1) أخرجه الحاكم في المستدرك، والبَيْهَقي في الشُّعَب، صحيح.

خَزَنَة الجنة

الجنة مع عظمتها وحسنها، وكثرة أهلها، خلق الله تعالى لها خَزَنَة، وخدم، والخَزَنَة: جمع خازِن، كحَفَظَة: جمع حافِظ.

- فمَن هؤلاء الخزنة؟
- وهل هم ملائكة؟
- وكم عددهم؟
- وما وظائفهم؟



مدخل:

جعل الله تعالى خَزَنَة الجنة ملائكة كرامًا، يستقبلون أهل الجنة عند دخولها، ويرحِّبون بهم، كما قال تعالى:

﴿ وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ رَبَّهُمۡ إِلَى ٱلۡجَنَّةِ زُمَرًاۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتۡ أَبۡوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمۡ خَزَنَتُهَا سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمۡ طِبۡتُمۡ فَٱدۡخُلُوهَا خَٰلِدِينَ ﴾ [الزمر ٧٣]

وقال ﷺ: «آتي باب الجنة يوم القيامة فأستفتح، فيقول الخازن: من أنت؟ فأقول: محمد، فيقول: بك أمرت لا أفتح لأحد قبلك»[1].

وهذا الحديث يثبت وجود خزَنة للجنَّة، ويثبت أيضًا فضل النبي ﷺ وكرامته عند الله تعالى، وأنه سيِّد ولد آدم يوم القيامة.

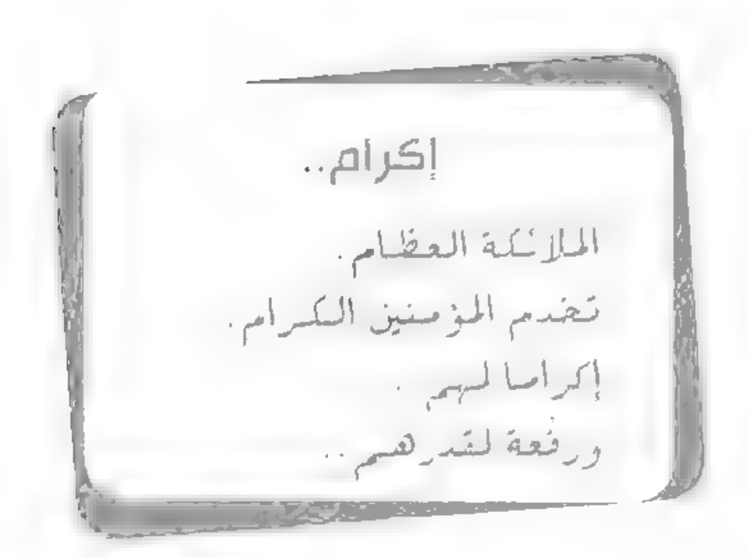
---
(١) صحيح مسلم.

أعدادهم:

أعداد الملائكة كبيرة جدًا، ولا يحصيهم إلا الله تعالى، لكننا نؤمن أن للجنة خَزَنَة، يقومون بوظائفهم في الجنة، لا يعصون الله ما أمرهم، ويفعلون ما يؤمرون.

وظائفهم:

لخزنة الجنة وظائف متعددة، فمنهم من يستقبلون المؤمنين عند دخولهم، ومنهم من يفتح الباب لأول داخل إلى الجنة وهو رسول الله ﷺ، ومنهم من يدخلون على أهل الجنة من كل باب.



بناء الجنة وترابها

أهـل الجنة في نِعَم متنوعة.. بـين أنهار جارية.. وثمـار يانِعَة.. وخيام من لؤلؤ.. وحجارة من فضة وذهب.. فطابت بيوتًا وطاب ساكنوها..

- فما هو بناء الجنة؟
- وما حجارتها المبنيَّة بها؟

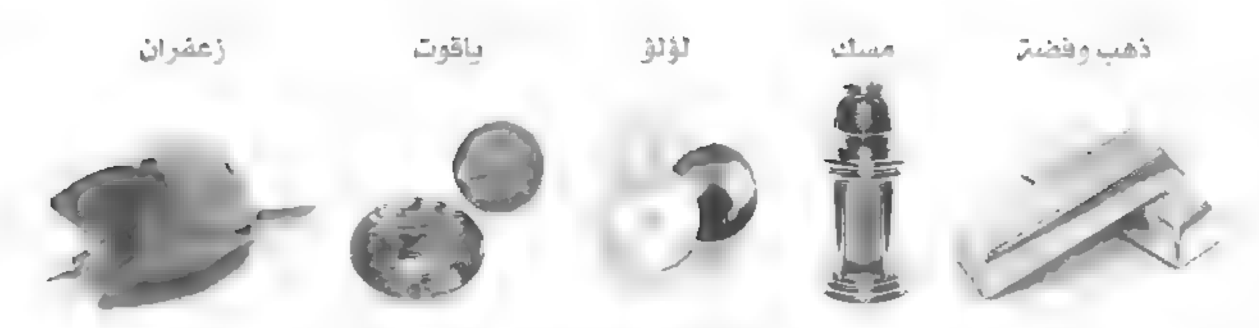
مدخل:

كان الصحابة الكرام يسألون النبي ﷺ عن الجنة فيجيبهم.. قال أبو هريرة: « قلنا: يا رسول الله، إنا إذا كنا عندك رقّت قلوبنا، وكنا من أهل الآخرة، وإذا فارقناك أعجبتنا الدنيا، وشَمَمْنا النساء والأولاد. **فقال:** لو تكونون على كل حال على الحال الذي أنتم عليه عندي لصافحتكم الملائكة بأكُفّكُم، ولو انكم في بيوتكم. ولو لم تُذنِبُوا لجاء الله بقوم يذنبون كي يغفر لهم »[1]. **ثم سأل الصحابة رسول الله ﷺ عن بناء الجنة:**

بناء الجنة:

قال أبو هريرة رضي الله عنه: « قلنا: يا رسول الله، حدثنا عن الجنة ما بناؤها؟ قال: لَبِنة من ذهب، ولَبِنة من فضة ومِلاطها المِسك الأذفر، وحَصبَاؤها اللؤلؤ أو الياقوت، وترابها الزَّعفران، من يدخلها ينعَم، فلا ييأس، ويخلُد لا يموت لا تبلى ثيابه، ولا يفنى شبابه... »[2].

(١) صحيح ابن حِبّان (ج ١٦) (ص ٣٩٦) (٧٣٨٧) صحيح لغيره.
(٢) صحيح ابن حبان) (ج ١٦) ص ٣٩٦) (٧٣٨٧) صحيح لغيره.



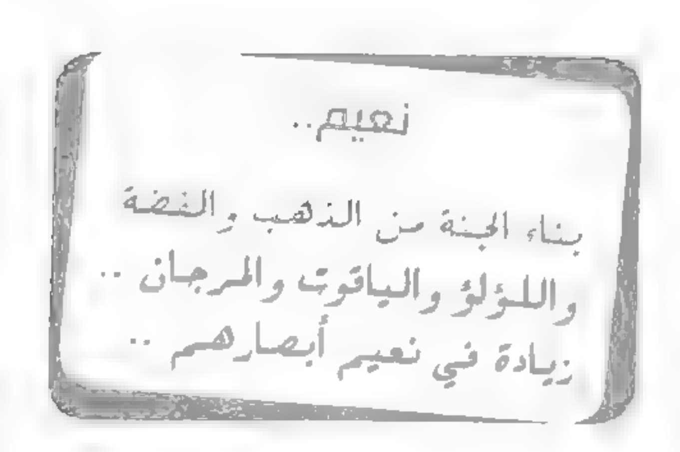
هذه صورة لما نراه في الدنيا، وإلا فهي الجنة أعظم وأكمل

فحجارة الجنة المبنية بها القصور من ذهب وفضة، ومِلاطها وهو الطين الذي يُطلى به الحائط، هو المِسك: أي طينها المسك، وترابها من الزَّعفَران فإذا عُجِن بالماء الطيب صار مِسكًا.[1]

وحَضباؤها: أي الحصى الذي فوق أرضها اللؤلؤ.

وقال ﷺ: « إن حائط الجنة لبنة من ذهب، ولبنة من فضة »[2].

اللَّبِنَة: واحدة اللَّبِن وهي التي يُبنى بها الجدار، واليوم يستعمل الناس الحجارة بدل اللبن الذي هو من طين.



(١) حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح لابن القيم: ص ١٢٨

(٢) البعث والنشور للبيهقي (٢٤٦) صحيح.

غُرَف الجنة وخِيامها

في الجنـة غُرَف وقصور عظيمة.. كما قـال تعالى: ﴿ لَكِنِ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ رَبَّهُمۡ لَهُمۡ غُرَفٞ مِّن فَوۡقِهَا غُرَفٞ مَّبۡنِيَّةٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۖ وَعۡدَ ٱللَّهِۖ لَا يُخۡلِفُ ٱللَّهُ ٱلۡمِيعَادَ ﴾ [الزمر: ٢٠].

- فما أشكال هذه الغرف؟
- ومن سُكَّانها؟
- وأين تُنصب الخيام؟

مدخل:

المتقون لا يضيع الله تعالى عملهم، فلهم دُوْر عالية وغُرَفٌ من فوقها غُرَفٌ مبنيـة ببناء يليق بالجنة.. تجري الأنهار من تحتها. قال تعالى: ﴿ وَمَآ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُكُم بِٱلَّتِي تُقَرِّبُكُمۡ عِندَنَا زُلۡفَىٰٓ إِلَّا مَنۡ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا فَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ جَزَآءُ ٱلضِّعۡفِ بِمَا عَمِلُواْ وَهُمۡ فِي ٱلۡغُرُفَٰتِ ءَامِنُونَ ﴾ [سبأ: ٣٧].

نعم.. ليس المال ولا الولد هو الذي يقـرِّب العبد إلى ربـه، إلا إذا تحول هذا المـال والولـد إلى عمـل صالح، فبنى بالمال مسجدًا، وورَّث مصحفًا، وكفـل يتيمًـا.. والولد أنشأه على حفظ القـرآن، وصيَّره نافعًا للأمة. عندها يكون المـال والولد مقرِّبًا إلى الله تعالى.





بل يضاعف الثواب لأمثال هؤلاء. فيجزي أحدهم بالحسنة عشرة أمثالها إلى سبع مائة ضعف، ويدخله الجنة، ويجعل مسكنه في غرفاتها العالية، وهو آمن من كل خوف.

صِفات سكان غُرَف الجنة:

غرف الجنة العالية، لها سكان، وصف النبي ﷺ أعمالهم، فقال ﷺ:

«إن في الجنة غرفا يُرى ظاهرها من باطنها، وباطنها من ظاهرها، أعدّها الله لمن: أطعم الطعام، وأفشى السلام، وصلّى بالليل والناس نيام».[1]

فالله تعالى أعدَّ في الجنة غُرفًا شفَّافة لا تحجُب ما خلفها وهيّأها لمن حَسُنَ خُلقه وتلَطَّف في كلامه مع الناس وألان لهم الكلام، ومن لِين الكلام مع الآخرين: التَّرَفُّق بالناس، والتغافل عن زَلَّاتهم، ودفع السيئة بالحسنة.

وكذلك من أطعم الطعام، بالكرم التام للخاص والعام، للفقراء والأَضياف.

وزاد على ذلك أن كان عابدًا قانتًا في الليل يناجي ربه والناس نيام، وهذا دليل إخلاصهم في عباداتهم لله تعالى وصدق محبتهم له.

(١) صحيح ابن حِبّان (ج ٢) (ص ٢٦٢) (٥٠٩) صحيح.

كيف يعرف أهل الجنة منازلهم؟

مسألة



الجـواب: أهـل الجنـة يعرفـون غُرفهـم ومسـاكنهم حين دخولهـم الجنـة وإن لم يروها قبـل ذلك، كما قـال تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَن يُضِلَّ أَعْمَالَهُمْ ﴿٤﴾ سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ ﴿٥﴾ وَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ ﴾ [محمد: ٤-٦]. **أي أن الشهداء الذين قُتلوا في سبيل الله فلن يُبْطِل الله ثوابهم أو يضيع أعمالهم، بل سوف يوفقهـم في حياتهـم الدنيـا إلى طاعته ومَرضاتـه، ويُصْلح حالهـم في الدنيـا، ويدخلهم الجنـة في الآخـرة، عرَّفهم بها ووصفها لهم، ثم عرَّفهم منازلهم في الجنة إذا دخلوها.**[1]

وقال ﷺ: «يخلص المؤمنون من النار، فيحبسون على قنطرة بين الجنة والنار، فيقتص لبعضهم من بعض مظالم كانت بينهم في الدنيا، حتى إذا هذبوا ونقوا أذن لهم في دخول الجنة، فوالذي نفس محمد بيده لأحدهم أهدى بمنزله في الجنة منه بمنزله كان في الدنيا»[2].

خِيامُ الجنة:

إذا تنوعت المسـاكن، كان أنعمَ للساكن.. فمن بيوت من ذهب.. وقصور مـن فضة.. إلى خيام منصوبـة في كل مكان.. فإن شـئت نزلت بها على نهر العسل.. أو نصبتها عند نهر الخمر.. معك أهلك وأحبابك..

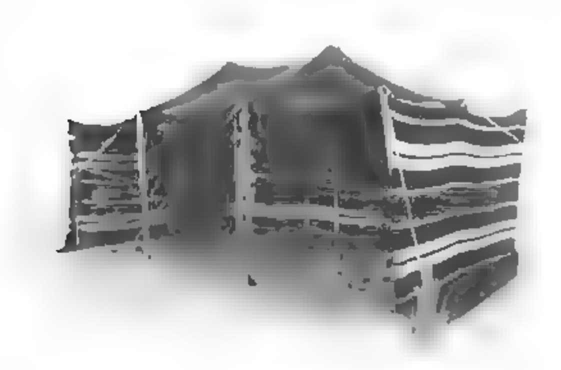
(١) قال الإمام المفسر مُجاهِد، في قوله ﴿ وَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ ﴾: يهتدي أهلها إلى بيوتهم ومسـاكنهم، وحيث قسـم الله لهم لا يخطئون، كأنهم سكانها منذ خلقوا لا يستدلون عليها أحدا. ذكره الطَّبري في تفسيره عند كلامه عن الآية، بسند حسن.

وقال القُرطبي: «قال أكثر أهل التفسير: إذا دخل أهل الجنة الجنة يقال لهم: تفرقوا إلى منازلكم، فهم أعرف بمنازلهم من أهل الجُمعة إذا انصرفوا إلى منازلهم». التذْكِرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة.

(٢) رواه البخاري، وقد تقدم بيان معنى هذا الحديث، عند كلامنا عن الشفاعة وأنواعها.

وهذه الخِيام غير الغُرَف.. قال ﷺ: «إن للمؤمن في الجنة لخيمة من لؤلؤة واحدة مجوفة، طولها ستون ميلاً، للمؤمن فيها أهلون يطوف عليهم المؤمن، فلا يَرَى بَعْضُهُم بعضا»[1].

وقـال ﷺ: «إن الخيمة درة، طولها ستون ميلا، في كل زاوية منها أهل للمؤمن، لا يراهم غيرهم»[2].



والخَيمـة هي بيـت مربع من بيـوت الأعـراب، يُبنـى عـادة في الدنيـا من القماش ونحـوه، وقد ذكـر الله تعـالى الخيـام فقـال: ﴿ حُورٌ مَّقْصُورَٰتٌ فِى ٱلْخِيَامِ ﴾ [الرحمن: ٧٢].

لكن خيام الجنة تختلف، فلكل مؤمن خيمة من لؤلؤة واحده مُجوَّفة أي مثُقوبة ومُفرَّغـة من الداخل، حتى أصبحت مثل الخيمة يدخل تحتها الناس، وهي لؤلؤة عظيمة الحجم، شـاهقة الارتفاع، فطولها ستون ميلًا في السماء فيها زوايا يطوف المؤمـن على أهل له في كل زاوية لا يرى الأهـل بعضهم بعضًا، فالزوجات لا يرى بعضهن بعضًا لسَعَة الأماكن في الخيمة، والله على كل شيء قدير.

وفي هذه الغرف والخيام، لا بد أن يوجد أثاث وسُرُر وأرائك، فما هو وصفها؟

سُرُر الجنة وأرائكها:

الجنة في جمال أثاثها، وتكامُل متاعها، واسـعة الأركان، مُرضية للنفس والجَنان، وصف ربنا أثاثها فأحسن وصفها، ومدحها فأبلغ في مدحها، وأثنى أجمل الثناء عليها، وشوَّق النفوس إليها.

(١) صحيح مسلم (٧٣٣٧).

(٢) مصنف ابن أبي شيبة (ج ١٣) (ص ١٠٥) (٣٥١١٧) صحيح.

قال تعالى: ﴿ فِيهَا سُرُرٌ مَّرْفُوعَةٌ ﴿١٣﴾ وَأَكْوَابٌ مَّوْضُوعَةٌ ﴿١٤﴾ وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ ﴿١٥﴾ وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ ﴾ [الغاشية: ١٣ - ١٦]

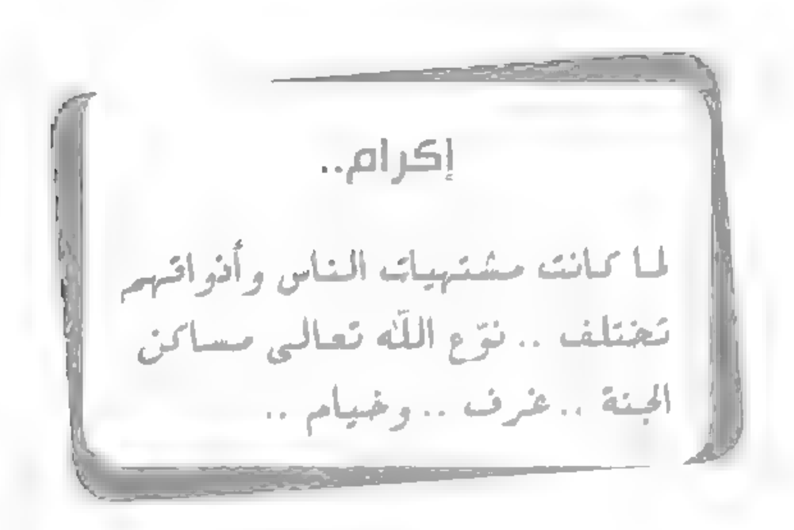
والنَّمارِق: هي الوسائد، وهي مُلقاة في كل موضع يجلس عليها المؤمن ويضطَجِع، والزَّرابيّ: هي البُسُط التي تُفرش على الأرض، فتزيد المكان بهجة وجمالاً.

وتأمل كيف وصف الله تعالى السُّرر والفُرش بأنها مرفوعة، والزَّرابيّ بأنها مَبثوثة، والنَّمارق بأنها مصفوفة.

فرفْع الفرش دالٌّ على سُمكها ولينها ونظَر المضطجع عليها إلى ما حوله.

وبثُّ الزَّرابيّ: دالٌّ على كثرتها وانتشارها في كل موضع، فيجلس على البُسُط في كل موضع.

وصَفُّ النَّمارق والوسائد: دالّ على أنها مهيأة للاستناد إليها والجلوس عليها في كل وقت، دائمًا، وأنها ليست مُخبأة تُصفُّ في وقتٍ دون وقت.[1]



(١) حادي الأرواح لابن القيم ص:١٩٨

رائحة الجنة

الجنة لها رائحةٌ عَبِقةٌ زكيّة تملأ جَنَباتها، وهذه الرائحة يجدها المؤمنون من مسافات طويلة، وقد أخبر النبي ﷺ بذلك، وبيّن أن بعض الذنوب تَحرِم صاحبها من رائحة الجنة.

- فما الذي يُمنع من شمّ ريح الجنة؟
- وهل هذا يعني أنه محروم من دخولها؟
- وهل يعني خلوده في النار؟

مدخل:

ذكر النبي ﷺ أعمالًا سيئة توعّد فاعلها أن لا يشم ريح الجنة كمدمن الخمر، والمنّان، وغيرهما، ولا يعني أن فاعلها كافر، لكن هو وعيد وتخويف، وقد يدخل الجنة إن عفا الله عنه، لكن لا يشَمّ ريحها الطيب كما يشمها غيره.

وأسوق هنا عددًا من الذين ورد فيهم الوعيد بحرمانهم من رائحة الجنة..

أقوام لا يشمُّون رائحة الجنة:

١- مدمن الخمر..



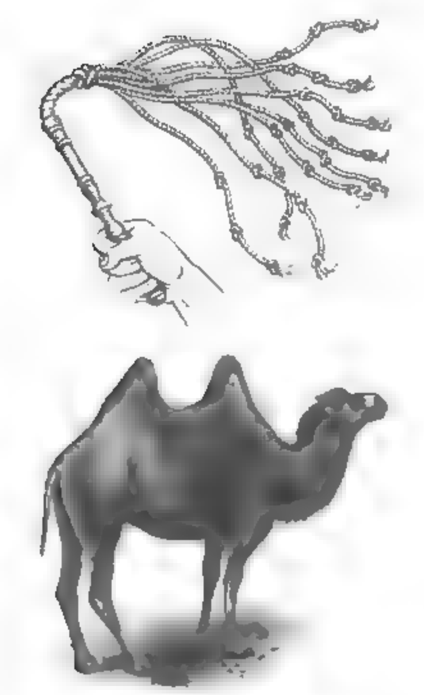
الخمر هي أم الخبائث.. ورأس الفواحش.. ومن شرب الخمر في الدنيا لم يشربها في الآخرة.. ومن شرب الخمر في الدنيا كان حقًا على الله أن يسقيه من طِينة الخَبال..

« **قيل: يا رسول الله وما طينة الخَبال؟ قال:** [illegible] »[1]..

ومن شربها، لم يشم رائحة الجنة يوم القيامة، إلا أن يتوب قبل موته.. ويعامله ربنا بعفوه..

٢- الذين يضربون الناس، الكاسيات العريات..

كما قال ﷺ: « [illegible]
ريحها، وإن ريحها لتوجد من مسيرة كذا وكذا »[2].



فحذر النبي ﷺ هنا من ظلم الناس وضربهم.

وحذر كذلك النساء من التَبَرُّج، والسُفور، وعدم العناية بالحجاب والستر.

و «البُخت»: هي نوع من الإبل، وهي جمع مفرده بُخْتِيَّة وهي الناقة طويلة العنق ذات السَّنامين.

---

(١) رواه أحمد، صحيح.

(٢) صحيح مسلم (٥٧٠٤) وصحيح ابن حِبّان) (ج ١٦) ص ٥٠٠) (٧٤٦١)

ذكر العلماء في معنى (كاسيات عاريات) أوجه: منها أن تستر بعض بدنها وتكشف بعضه إظهارا لجمالها ومنها: أن يلبسن ثيابًا رِقاقًا تصف ما تحتها. و(مميلات مائلات) أي: مميلات للرجال بزينتهن. مائلات إليهم وقيل: مائلات مُتبختِرات في مشيتهن مميلات أكتافهن. و(البخت) هي نوع من الإبل. والحديث من نبوءات النبي ﷺ.

٣- الظالم للمُعاهَد..



المعاهد: هو الكتابي سواء كان يهوديًا أو نصرانيًا، إذا أقام بين المسلمين، وقد عاهدوه على السلم وعدم الحرب، فهذا لا يجوز ظلمه، ولا بَخْس حقّه.

قال ﷺ: «ألا من ظلم مُعاهدا [illegible] شيئا بغير طيب نفس منه، فأنا حجيجه يوم القيامة

ثم أشار رسول الله ﷺ بإصبعه إلى صدره وقال: «[illegible] مسيرة سبعين خريفا»[1].

فالذِّمَّة والذِّمام: هو العَهْد، والأمان، والضَّمان، والحُرمَة، وذِمَّة الله: عهده وأمانه في الدنيا والآخرة، فلا يجوز نقض العهد أو التساهل فيه، ومن فعل ذلك فلن يجد ريح الجنة، وريحها يوجد من مسافة سبعين خريفًا.

والخريف هو في الأصل فصل من فصول السنة ويطلق هنا على العام كله.

٤- العاقّ..

عقوق الوالدين ذنب عظيم، وتنكّر للجميل، وقد جعل الله تعالى حق الوالدين تابعًا لحقه، فقال تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَـٰنًا﴾ [الإسراء: ٢٣].

(١) السنن الكبرى للبيهقي (ج ٩) (ص ٢٠٥) (١٩٢٠١) صحيح.

وقرن الله تعالى شكره بشكر الوالدين فقال: ﴿أَنِ ٱشْكُرْ لِي وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَيَّ ٱلْمَصِيرُ﴾ [لقمان: ١٤].

وبر الوالدين طريق لسعادة الدارَين، كما قال ﷺ: «من سرّه أن يُبسط له في رزقه، وأن يُنسأ له في أثره، فليصل رحمه»[١]،

٥- البخيل المنّان.



البخيل هو الذي يجد المال ويوسع الله عليه فيه، فيقبض يده عن النفقة على نفسه وولده، ولا يكرم به ضيفًا، ولا يصل به رحمًا، والبخل داء وَبِيل.

أما المنّان: فهو الذي يعطي الناس الشيء ثم يمتنّ عليهم به ويذكر إحسانه إليهم على سبيل الإذلال لهم.

فإذا اجتمع بخل مع مِنّة، فهي ظلمات بعضها فوق بعض.

قال ﷺ: «ثلاثة لا يجدون ريح الجنة، وإن ريحها لتوجد من مسيرة خمسمائة عام: العاق لوالديه، ومُدمن الخمر، والبخيل المنّان»[٢]

وهذا تحذير من عقوق الوالدين، أو الإساءة إليهما، وأمر بالإحسان إليهما، وتحذير من أم الخبائث الخمر، وتحذير من البخل والمِنّة.

(١) رواه البخاري ومسلم.

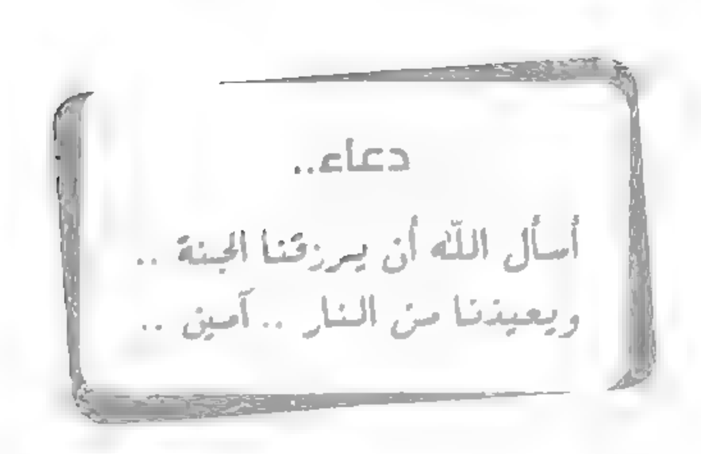
(٢) تهذيب الآثار للطبري (١٥٦٦) صحيح مُرسَل.

إشكال

وردت أحاديث أن ريح الجنة يوجد من مسيرة سبعين سنة، وفي بعضها يوجد ريحها من مسيرة خمسمائة سنة، فكيف نجمع بينهما؟

الجواب: الجمع أن شم ريح الجنة يختلف باختلاف إيمان الأشخاص وتفاوت أعمالهم، فمن أدركه من المسافة البَعيدة أفضل وأصلح ممن أدركه من المسافة القريبة، فريح الجنة لا يُدرَك بطبيعة الشخص ولا قُدُرات جسده ولا عادته، وإنما يدرك بما يمكِّن الله العبد من إدراكه، فتارةً يدركه من شاء الله من مسيرة سبعين وتارةً من مسيرة خمسمائة [1].

نسأل الله أن يرزقنا الجنة، ويعيذنا من النار.. آمين



(١) للاستزادة انظر: فتح الباري لابن حجر (٣٦٩/١٩).

في شجر الجنة وثمارها

من اكتمال الجمال، كثرة الخُضرة والظلال، لِتَلتَذّ عين الناظر، ويُسَرّ الفؤاد والخاطر، وتفرح الألباب، وتجتمع للسعادة الأسباب.

فأشجار الجنة وظلالها، وخضرتها وبهاؤها، متعة وسعادة، وقد وصفها الله تعالى أجمل الوصف وأحسنه، فقال تعالى: ﴿ وَأَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ (٢٧) فِى سِدْرٍ مَّخْضُودٍ (٢٨) وَطَلْحٍ مَّنضُودٍ (٢٩) وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ ﴾ [illegible].

والسِدْر: هو شجر النَّبِق.

وهو سِدر مَخْضود: أي لا شوك فيه.

والطَّلْح: هو شجر الموز.





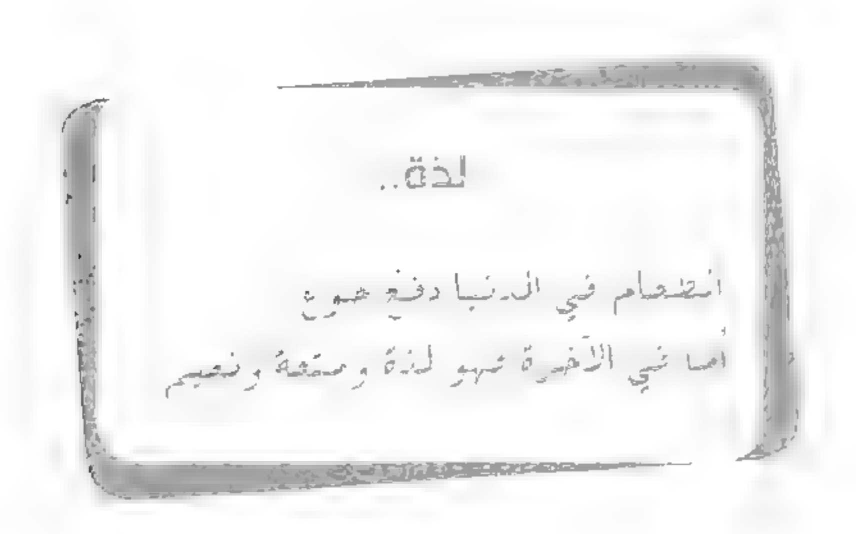
الطلح (الموز)

وقال تعالى: ﴿ ذَوَاتَآ أَفْنَانٍ ﴾ [illegible] **أي: أغصان.**

وقال: ﴿ فِيهِمَا فَٰكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ ﴾ [illegible].

وأشجار الجنة وارِفَة الظِّلال، تُسقى بالماء الزُلال، فطاب منظرها، وطاب طعمها، فهي ظِلّ ممدود.. كما قال ﷺ: « إن في الجنة لشجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام لا يقطعها، واقرؤوا إن شئتم: ﴿وَظِلٍّ مَمْدُودٍ﴾ [الواقعة: ٣٠] »[1].

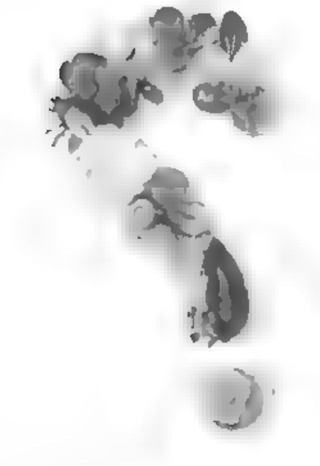
وقرأ البَراء بن عازِب قوله تعالى: ﴿وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَالُهَا وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلًا﴾ [الإنسان: ١٤]، فقال: « إن أهل الجنة يأكلون من ثمار الجنة قيامًا، وقعودا، ومُضطجعين، على أي حال شاءوا »[2].



(١) صحيح البخاري (٤٨٨١).
(٢) البعث والنشور للبيهقي (٢٧٣) حسن.

أكل أهل الجنة

أهل الجنة لهم فيها فاكهة مما يتخيرون، ولحم طيرٍ مما يشتهون.. يطوف بهذه الفواكه عليهم خدمٌ حِسَان الوجوه، فيختارون من هذه الفواكه ما يشتهون، ومن لحوم الطير ما ينتقون.





- فما طبيعة هذا الطعام؟
- وما أنواعه؟
- وكيف يكون تصريفه من الجسم؟

مدخل:

الطعام اللذيذ، يزيد الحياة لذة وجمالًا، ولا أطيب ولا ألذّ من طعام الجنة وفاكهتها وطيرها.. فإذا اجتمع المنظر الجميل، مع الطعام اللذيذ، والمجلس المُريح، والوجه الحسن، اكتملت اللذة، وعند ربنا مزيد.

فاكهة الجنة:

فاكهة الجنة تَلْتَذّ بها أفواههم، وتَنْعَم بها نفوسهم، كما قال تعالى:

﴿ وَفَٰكِهَةٍ كَثِيرَةٍ ﴿٣٢﴾ لَّا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ ﴾ [الواقعة: ٣٢-٣٣]

ولهذه الفاكهة لذة في منظرها، وكبر في حجمها، وقد رأى النبي ﷺ ذلك لما كان في صلاة الكُسُوف، فلما انتهى من صلاته، قال:

« [illegible]
[illegible] **قالوا:** يا رسول الله، رأيناك تناولت شيئا في مقامك، ثم رأيناك كعكعت. **قال:** [illegible] ولو أصبته لأكلتم منه ما بقيت الدنيا»[1].

وثمار الجنة وفواكهها دانية قريبة ممن يتناولها.. قال تعالى:

﴿وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَالُهَا وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلًا﴾ [الإنسان: [illegible]]

يُلهمون التسبيح:

أهل الجنة يُلهمون التسبيح والتحميد، ويأكلون ويشربون ولا يتغوَّطون..

قال ﷺ: « [illegible]
[illegible] يلهمون التسبيح والحمد كما يُلهمون النَّفَس»[2].

وهذا من إكرام الله لأهل الجنة، والجُشاء: هواء يخرج من المِعدة عن طريق الفم، يكون تصريفًا للطعام.

وأهل الجنة يُلهمون التسبيح: أي كما أنهم يتنفسون تنفُّسًا متواصلًا من غير اختيار بل جُبلت الأجساد على ذلك، كذلك التسبيح والتهليل عند أهل الجنة، تُجبل عليه نفوسهم وتجري به ألسنتهم، شكرًا لله تعالى وتعظيمًا له، وهذا التسبيح لا يشغلهم عن مُتَعهم ولذائذهم، بل هو مثل النَّفَس في الدنيا.

---

(١) متفق عليه، ومعنى كَعكَعت: أي أحجَمت وتأخَّرت إلى وَراء.

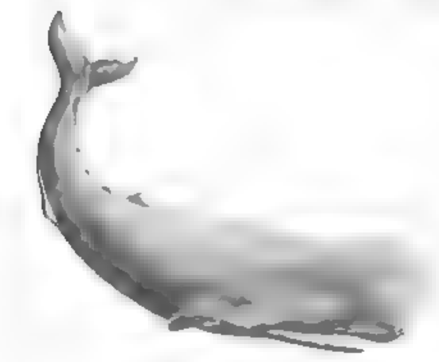
(٢) صحيح مسلم(٧٣٣٣)

أول طعام أهل الجنة:

هذا النعيم العظيم، والطعام اللذيذ، ما أول ما يأكل المؤمنون منه؟

قال عبد الله بن سـلام: « لما أردت أن أسـلم، أتيت رسول الله ﷺ فقلت: إني سـائلك. فقال: [illegible] قلت: ما أول ما يـأكل أهل الجنة؟ فذكر الحديـث.. وفيـه قال ﷺ: [illegible] »[1]، **وزيادة كبـد الحوت: هي قطعة منفردة متعلقة بكبد الحوت، وهي أطيبها وألذها.**

وعن ثَوبان قال: « كنت قائما عند رسول الله ﷺ فجاء حَبْرٌ من أحبار اليهود فقال: السلام عليك يا محمد. فدفعته دَفعةً كاد يُصْرَع منها، فقال: لمَ تدفعني؟ فقلت: ألا تقول يا رسول الله. **فقال اليهودي:** إنما ندعوه باسمه الذي سماه به أهله. **فقال رسول الله ﷺ:** [illegible] **فقال اليهودي:** جئت أسألك. **فقال ﷺ** [illegible] **قال:** أسمع بأذني. **فنَكَت رسـول الله ﷺ بعُود معه، فقال:** [illegible] **فقال اليهودي:** أين يكون الناس يوم تُبدَّل الأرض غير الأرض والسموات؟ **فقال ﷺ:** [illegible] **قال:** فمن أول الناس إجازَة؟ **قال:** [illegible] **قـال اليهودي:** فمـا تحفتُهم حين يدخلون الجنة؟ **قال:** [illegible] **قال:** فما غِذاؤهـم على إثْرِها؟ **قال:** [illegible] **قال:** فما شرابهم عليه؟ قال: [illegible] **قال:** صدقت.. »[2].



نعم صدق رسول الله ﷺ، فأول الناس إجازة أي مرورًا على الصراط، هم فقراء المهاجرين الذين بذلوا أرواحهم وأموالهم وحياتهم لله تعالى، والنُّون: الحُوت[3].

(١) مسند أحمد(١٢٣٨٥) صحيح.

(٢) صحيح مسلم (٧٤٢).

(٣) السـمك عمومًـا طعـام نافع، وزيادة كبد الحـوت لها من منافع كثيرة جدًا للجسـم اكتشـفها العلم الحديث بعد بحوث ودراسات، فهو يساعد القلب على القيام بوظائفه الطبيعية على أحسن وجه، يخفف ويعالج ألم المفاصل المزمن، يقلل من مشاكل التهابات الجلد، يقوي وينشط من عمل الدماغ.

أين يذهب الطعام والشراب [illegible] لا يتغوطون؟

إشكال



الجـواب: أن من إكرام الله تعالى لأهل الجنة أنهم مطهَّرون من دنس البول والغائط، ويكون تصريف الطعام من بطونهم، بعرق يخرج بأطيب الرائحة، وجُشاء برائحة حسنة.

قـال ﷺ: « [illegible] **فقال رجـل من اليهود:** [illegible] **فقال رسول الله ﷺ:** [illegible] »[1].

الطعام مُذَلَّل لهم:

لا تَكلّف عليهم في الحصول على طعامهم وشرابهم، فقد قال ابن مسعود رضي الله عنه: «إنك لتنظر إلى الطير في الجنة فتشتهيه فيجيء مشويا بين يديك»[2].

الاسم واحد والطعم متنوع:

مـن لذة طعام الجنة أن المؤمـن أو المؤمنة يأكل الطعـام اليوم ويجد له ألذ الطعم، ثم إذا أراد أكله ثانية وجد الشكل نفسه لكنه بطعم جديد ألذ من الأول.

وكذلـك الفاكهـة والطير، يجد الشـكل واحدًا لكنهـا في كل مرة لها طعم جديد فلا يزال في ترقُّب وتشـوق إلى المفاجأة الجديدة في كل مرة، وقد وصف الله تعـالى هـذا الحال أجمـل الوصف فقـال تعـالى: ﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۖ كُلَّمَا رُزِقُواْ مِنۡهَا مِن ثَمَرَةٖ رِّزۡقٗا قَالُواْ هَٰذَا ٱلَّذِي رُزِقۡنَا مِن قَبۡلُۖ وَأُتُواْ بِهِۦ مُتَشَٰبِهٗاۖ وَلَهُمۡ فِيهَآ أَزۡوَٰجٞ مُّطَهَّرَةٞۖ وَهُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [illegible].

(١) أخرجه ابن أبي شَيبَة في مصنَّفه، صحيح.

(٢) رواه البزّار في مسنده، بسند فيه مقال.



هذه صورة لما نراه في الدنيا، وإلا ففي الجنة أعظم وأكمل.

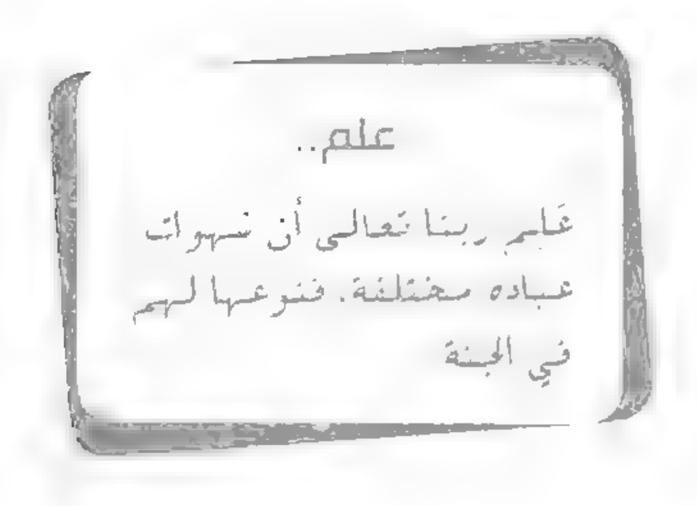
فهم أُوتوا به متشابهًا في الشكل، لكنه مختلف في الطعم.

طعامهم دائم:

طعام أهل الجنة يجدونه على الدَّوام بلا نقصان.. قال تعالى: ﴿مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ ۖ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ أُكُلُهَا دَآئِمٌ وَظِلُّهَا ۚ تِلْكَ عُقْبَى ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ ۖ وَّعُقْبَى ٱلْكَٰفِرِينَ ٱلنَّارُ﴾ [الرعد: ٣٥].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُۥ مِن نَّفَادٍ﴾ [ص: ٥٤]. **وقال تعالى:** ﴿وَفَٰكِهَةٍ كَثِيرَةٍ ﴿٣٢﴾ لَّا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ﴾ [الواقعة: ٣٢ - ٣٣].

نسأل الله تعالى أن يجعلنا من أهل هذه المُتَع.. ومن العاملين في الدنيا لها..



شراب أهل الجنة

من تمام نعيم أهل الجنة لذّة الشراب، لتستمتع الأفواه والبطون، فمن أكل احتاج إلى شراب لذيذ، يزيد مُتْعَته بطعامه، ويرطِّب رِيقه بأطيب الشراب، فوصف الله تعالى شراب أهل الجنة، ورغّبهم فيه.

- فما هو شرابهم؟
- وماذا يُخلط معه؟
- وما هي آنيتهم؟



مدخل:

من رحمة ربنا بنا، وصف الله تعالى في كتابه، كيف يشربون؟ وماذا يشربون. قال تعالى: ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا ۝ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا﴾ [الإنسان ٥، ٦].



يعني: إن الكِرام البَرَرَة الذين أطاعوا الله، يشربون من خمر كان ما يُمزَج بها ماء الكافور[1]، وهذا المِزاج من عين يشرب بها عباد الله المتقون، وهم في الجنات يتمتعون، يشربون حيثما شاءوا، ومتى ما شاءوا، في قصورهم، ومجالسهم، وأنهارهم.

---

(١) الكافور: عبارة عن مادة صلبة توجد على هيئة صفائح بيضاء بلُّورية أو على هيئة كُتل مربعة متلاصقة بيضاء وسهل التبخّر أو التطاير حتى عند درجة حرارة الغرفة العادية، يذوب في الماء بصعوبة، يُتحصل على الكافور من شجرة الكافور.

يُفجِّرونها تفْجيراً:

أي يشقُّونها شقًّا كما يُفَجِّر الرجل النهر من هنا وهناك إلى حيث يريد، بل لو شـاءوا لقادوا الماء معهم حيث أرادوا. قال تعالى: ﴿وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنجَبِيلًا ﴿١٧﴾ عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّىٰ سَلْسَبِيلًا﴾.

أي يُسقى هؤلاء الأبرار في الجنة كأسا من خمر الجنة مُزِجَت بالزَّنْجَبِيل[1]، فيُمزَج الشراب لهم مرة بالكافور، ومرة بالزنجبيل، فالكافور بارد والزنجبيل حار..

أي أن أهل الجنة يُسقَوْن كأسًا من خمر الجنة ممزوجة بالزنجبيل وكانت العرب تستَلذ من الشراب ما يُمزج بالزَّنْجَبيل لطيب رائحته.

وكلمة سَلْسَبِيل مأخوذة من السَّلاسَة، والسلسبيل: هو الشراب اللذيذ.

مزيج شراب الجنة:

شراب أهل الجنة يُمزج بشيئين: الكافور والزنجبيل، فيمزج بالكافور لأنه يمتاز بالبرد وطيب الرائحة، ثم بالزنجبيل لأنه يمتاز بالحرارة وطيب الرائحة.

شرابهم طاهر:

قال تعالى: ﴿وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا﴾.

---

(١) الزنجبيل: نبات طيب الرائحة، حار الطعم، مليِّن للمعدة، مطيِّب لرائحة الفم، يطبخ مع الطعام، وقد يخلط مع الماء فيطيِّبه.

نعم، يسقيهم ربهم شرابًا طهورًا يطهِّر باطن شاربه من الحسد، والحِقد، والغِل، ورديء الأخلاق، فوصف الشراب بأنه طهور وليس بنجَس كخمر الدنيا بالرائحة، مما يحدث بذلك أكمل اللذة وأطيبها .

وقال عبد الله: «إن الرجل من أهل الجنة ليؤتى بالكأس وهو جالس مع زوجته، فيشربها، ثم يلتفت إلى زوجته، فيقول: قد ازددت في عيني سبعين ضعفا حسنا .[2]

وقال أبو أُمامة: « إن الرجل من أهل الجنة ليشتهي الشراب من شراب الجنة فيجيء الإبريق فيقع في يده فيشرب ثم يعود إلى مكانه »[3].

وهذا الشراب ينبُع من عيون الجنة.. فما هي عيون الجنة؟ وما لذتها؟

عُيون الجنة:

من تمام الجمال في الجنة، أن الله تعالى جعل فيها أنهارًا وعيونًا، تتفجَّر في أنحائها بأنواع الشراب، وألذ السِّقاء.

وقد أخبر الله تعالى بعيون الجنة فقال: ﴿ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّـٰتٍ وَعُيُونٍ ﴾ ، يعني بساتين تجري الأنهار من تحتها، وتتفجر الأرض بعيون ما لذّ وطاب من الشراب الحُلو الطيب..

وقد ذكر الله تعالى هذه العيون، في مواضع كثيرة من كتابه ترغيبًا لعباده، وتشويقًا لهم.

قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّـٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٥﴾ ءَاخِذِينَ مَآ ءَاتَىٰهُمْ رَبُّهُمْ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَبْلَ ذَٰلِكَ مُحْسِنِينَ ﴿١٦﴾ كَانُوا۟ قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَبِٱلْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿١٨﴾ وَفِىٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّآئِلِ وَٱلْمَحْرُومِ ﴾ .

---

(١) حادي الأرواح لابن القيم ص ١٧٥.

(٢) أخرجه ابن أبي شَيْبَة في مصنفه، صحيح.

(٣) ابن أبي الدنيا في صفة الجنة، حسن.

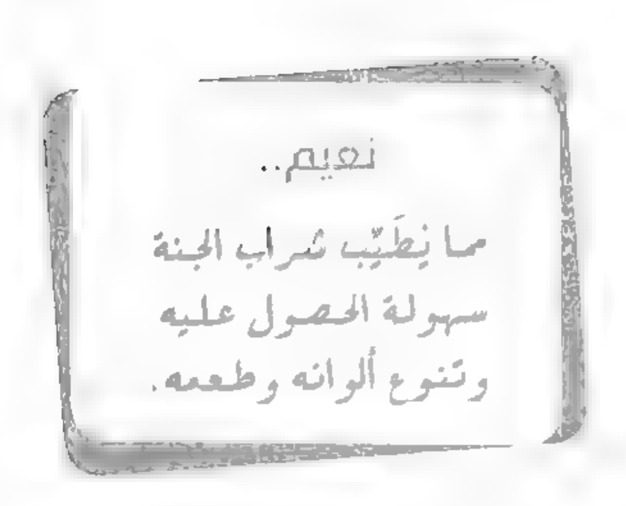
عين السَّلْسَبِيل:

أخبرنــا الله تعالى بأسماء بعض هذه العيــون، فقال: ﴿ عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّىٰ سَلْسَبِيلًا ﴾ [الإنسان: 18]**، والسلسبيل لفظ مأخوذ من السلاسة والسهولة في الجَرَيان.**

وقــال: ﴿ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ ٱللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا ﴾ [الإنسان: 6]**. وهــذه العيــون تجري بأنهار، بعَذْب الشراب..**

- فما هي أنهار الجنة؟
- وما أنواعها؟
- وما كيفية الشرب منها؟

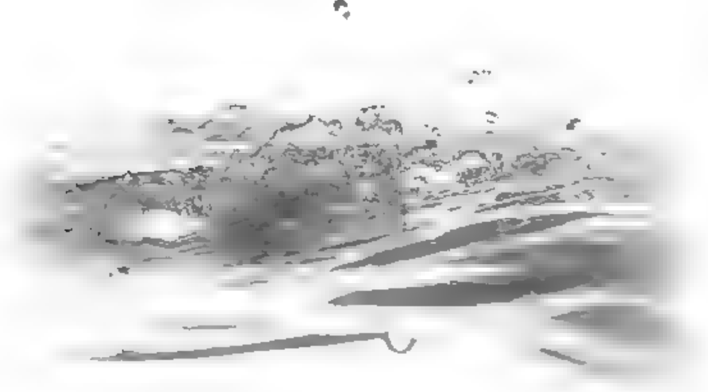
سيأتي بيان ذلك فيما يأتي..



أنهار الجنة

في الجنة أنهار كثيرة ذات أنواع متعددة، وقد وصف الله تعالى أنهارها، وشوق إليها، وهذه الأنهار تستمتع العين برؤيتها.. ويسعد الفم بشربها.. ويسعد القلب بقربها..

- فما أنواع هذه الأنهار؟
- وما ألوانها؟
- وما أسماؤها؟



مدخل:

قال تعالى: ﴿ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۖ كُلَّمَا رُزِقُواْ مِنۡهَا مِن ثَمَرَةٖ رِّزۡقٗا قَالُواْ هَٰذَا ٱلَّذِي رُزِقۡنَا مِن قَبۡلُۖ وَأُتُواْ بِهِۦ مُتَشَٰبِهٗاۖ وَلَهُمۡ فِيهَآ أَزۡوَٰجٞ مُّطَهَّرَةٞۖ وَهُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾ [البقرة: ٢٥].

وقال تعالى: ﴿ قُلۡ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيۡرٖ مِّن ذَٰلِكُمۡۖ لِلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ عِندَ رَبِّهِمۡ جَنَّٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَأَزۡوَٰجٞ مُّطَهَّرَةٞ وَرِضۡوَٰنٞ مِّنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ بَصِيرُۢ بِٱلۡعِبَادِ ﴾ [آل عمران: ١٥].

فهي أنهار حقيقة، تجري تحت قصورهم، وتمر بين غرفهم، وتملأ بساتينهم.

ماء مَسكوب:

قال تعالى: ﴿ وَمَآءٖ مَّسۡكُوبٖ ﴾ [الواقعة: ٣١]، أي: أنهار تجرى في غير أُخدود، ولا حوض يضمّها عن يمينها وشمالها، بل تجري على الأرض سَلِسة سهلة.

أنواع الأنهار:

أنهار الجنة أنواع وأصناف، قال تعالى: ﴿ مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ ۖ فِيهَآ أَنْهَٰرٌ مِّن مَّآءٍ غَيْرِ ءَاسِنٍ وَأَنْهَٰرٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُۥ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى ۖ وَلَهُمْ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ وَمَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ ۖ كَمَنْ هُوَ خَٰلِدٌ فِى ٱلنَّارِ وَسُقُوا۟ مَآءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَآءَهُمْ ﴾ .



وقد ذكر الله تعالى هذه الأجناس الأربعة، ونفى عن كل واحد منها آفاته التي تعرض له في الدنيا فتفسده.

- **فآفة لبن الدنيا: أن يتغير طعمه إلى الحُمُوضة، فيفسَد على الشاربين، فأخبر الله تعالى أن لبن الجنة لم يتغير طعمه.**
- **وآفة ماء الدنيا: أن يأْسَن من طول مُكثه، فتتغير رائحته، أو مَذاقه، وهذا لا يحصل لماء الجنة.**
- **وآفة خمر الدنيا: كراهة مذاقها، وخُبث رائحتها، وما تُحدثه من سكر وذهاب للعقل، وهذا بعيد عن خمر الآخرة.**
- **وآفة عسل الدنيا: عدم تصفيته من الشَّوائب، وهذا غير عسل الجنة، فهو في الجنة مُصفًّى.**

وهــذا مــن آيات الله أن تجــري أنهار من أجنــاس لم تجرِ العــادة في الدنيا بجَرَيانها.

والأعجــب مــن ذلك أن هــذه الأنهار تجــري في غير أُخـدود ولا حَوض يضُمُّهــا عــن جانبيهــا، إضافة إلى تطهيرهــا من جميع الآفــات التي تمنع كمال اللذة.

كمــا نفي عن خمر الجنة جميع الآفات التي في خمــر الدنيا من الصّداع والغَوْل واللغو والإِنْزاف وعدم اللذة.

أمــا خمر الدنيا فرِجس من عمل الشــيطان، تُوقع العــداوة والبغضاء بين النــاس، وتصدّ عن ذكر الله وعن الصلاة، وتدعو إلى الزنا والفجور، وتُذْهب الغَــيرة، وهي أم الخبائث ومنها يولد كل خبيــث وقبيح، فنزّه الله ﷻ خمر الجنة عن كل هذا.

وتأمــل اجتماع هذه الأنهار التي هي أفضل أشــربة الناس، فهذا لشــربهم وطهورهم، وهذا لقوتهم وغذائهم، وهذا للذتهم وســرورهم، وهذا لشفائهم ومنفعتهم.

من أين تتفجّر الأنهار:

هذه الأنهار تتفجر من أعلى الجنة إلى أدناها.

قــال ﷺ: «إن في الجنة [illegible] الجنة، أراه فوقه عرش الرحمن، ومنه تفجّر أنهار الجنة»[1].

(١) رواه البخاري.

في الدنيا أربعة أنهار من الجنة:

بيّن النبي ﷺ أن أنهارًا في الدنيا، هي من أنهار الجنة، فقال ﷺ:

« سيحان وجيحان والفُرات والنيل كل من أنهار الجنة »[1].

وقال ﷺ: «يخرج من أصل سدرة المنتهى أربعة أنهار من الجنة: النيل والفُرات وسَيحان وجَيحان »[2].

---

(١) رواه مسلم.

(٢) الحديث رواه مسلم، ونهر سيحان: ينبع من جبال آزمينيّة الصغرى، ويجري نحو الجنوب مارا بمدينة (أذنة) ويصب في البحر المتوسط قريبا من مدينة مرسين.

جَيحان: نهر ينبع من نبع فياض قريب من مدينة (البستان)، ويجري في سهول كليكيا بجوار مدينة (المصيصة)، ويصب في خليج إسكندرون عند مدينة أياس (انظر كتاب: تعريف بالأماكن الواردة في البداية والنهاية لابن كثير).

وجاء في شرح مسلم للإمام النووي:

اعلم أن: سَيحان وجَيحان غير سَيحون وجَيحون.

فأما (سيحان وجيحان) هما من أنهار الجنة: في بلاد الأرمن. فجيحان: نهر المصيصة، وسيحان: نهر إذنة، وهما نهران عظيمان جدًا أكبرهما جيحان.

وأما قول الجوهري: جيحان نهر بالشام فغلط. قال الحازمي: سيحان نهر عند المصيصة، وقال صاحب (نهاية الغريب): سيحان وجيحان نهران بالعواصم عند المصيصة وطرسوس، واتفقوا كلهم: أن جيحون غير جيحان، وكذلك سيحون غير سيحان " اهـ

نهر النيل: أطول نهر في العالم طوله ٦٧٠٠ كيلومتر ما بين أبعد منابع له عند نهر كاغيرا في دولة بوروندي ودولة رواندا، وحتي دلتا النيل في مصر علي ساحل البحر المتوسط، ويضم حوض النيل تسع دول أفريقية، الكونغو بورندى رواندا تنزانيا كينيا اوغندا السودان اثيوبيا وأخيرا مصر. ويتجه نهر النيل من الجنوب الى الشمال. الجنوب حيث جبال وسط شرق أفريقيا العالية ومن هضبة الحبشة المرتفعة، والشمال حيث دلتا النيل في مصر و يصب في البحر المتوسط.

نهر الفرات: نهر ينبع من تركيا ويمر في سوريا والعراق ليلتقي مع نهر دجلة فيشكلان شط العرب الذي يصب في الخليج العربي. يبلغ طول الفرات ٢٧٠٠ كم، وهو يروي منطقة تبلغ مساحتها ٤٤٤٠٠٠ كم مربع.



سيحان
جيحان
أذنة
مرسين
نهرا سيحان وجيحان
تركيا
سوريا
العراق
نهر الفرات
نهر النيل
البحر المتوسط
مصر
ليبيا
السعودية
السودان
إثيوبيا
أفريقيا الوسطى
كينيا
رواندا
الكونغو
بوروندي
تنزانيا

كيف تكون هذه الأنهار من الجنة، وهي تجري في الدنيا؟


إشكال

الجواب: أي أن هـذه الأنهار أصلها من الجنة، كما أن أصل معظـم الماء في الأنهـار والبحيرات من ماء المطـر، وماء المطر أصـلًا يأتـي من السـماء، مع أنه يجـرى في الأنهـار ويغذِّي البحيرات، فكذلك هذه الأنهار، تُسقى من أنهار في الجنة.

وأعظم أنهار الجنة الكوثَر:

الكوثر وصف يدل على المبالغة في الكثرة، وهو النهر الذي يغذي الحوض بالماء.

- فما وصف ماء نهر الكَوثَر؟
- وما صور النعيم والسرور فيه؟

وردت أحاديـث تصـف نهـر الكوثـر وصفًـا يشـبه الوصف الـذي ورد في الحــوض؛ مما جعل بعض أهل العلم يرى أن الكوثر الوارد في القرآن في قوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ﴾ (الكوثر ١)، أن المقصود به الحوض.

والذي يظهر أن الحوض يكون في أرض المحشـر يـوم القيامة، أما الكوثر فنهر في الجنة، لكن العلاقة ما بين الحوض والنهر هي أن نهر الكوثر يصب في الحــوض ويغذِّيه بالماء، فصــار الحوض كأنه فرع وامتـداد لنهر الكوثر، فتداخلت أوصافهما.

وصف نهر الكوثر:

نهر الكوثر أحد أنهار الجنة، وأنهار الجنة فيها من اللذة والحسن والجمال ما لم تَرَهُ عين، ولم تسمع به أُذُن ولم يخطُر على قلب.

قال أنس رضي الله عنه: « بينا رسول الله ﷺ ذات يوم بين اظهرنا اذ اغفى إغفاءة ثم رفع رأسه مُتَبسّما [illegible]. فقلنا: **ما أضحكك يا رسول الله؟** قال: [illegible] فقرأ: [illegible] **ثم قال:** [illegible] فقلنا: **الله ورسوله أعلم.** قال: [illegible] »[2].

حافّتاه قباب اللؤلؤ المُجوّف:

حافتا النهر هما جانباه عن يمينه ويساره، وهما من لؤلؤ مُجوَّف، وهذا يدل على حسن هذا النهر، وبَهائه، فهو محاط بالقِباب من لؤلؤ،

والقِباب جمع قُبَّة، وهو البناء المرتفع المقوّس، واللؤلؤ جوهر لامع كالألماس، وهو لؤلؤ مجوف أي له جَوف داخلي، كأنها قبة كاملة عبارة عن قطعة لؤلؤ مجوفة، كما قال ﷺ:

« [illegible] **- إشارة لقوله تعالى:** ﴿إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ﴾ - [illegible] **- أي ضرب الملك بيده في أصل النهر فاستخرج من ترابه فأراه للنبي ﷺ فإذا هو مسك، وهو من أطيب الطِّيب »[3].**

---

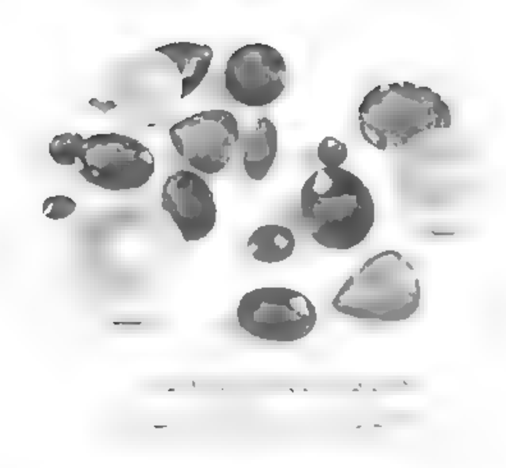
(١) المعنى: نام نومة يسيرة خفيفة ثم رفع رأسه وتبسم. كأنه رأى في منامه ما يسُرُّه.

(٢) رواه مسلم.

(٣) رواه البخاري.



يجري على الدّرّ والياقوت:



فهـو من حُسـنه وبَهائـه، أن طينه من المسـك، وحجارته المُلقاة فوق هذا المسـك مـن جواهر الدُّرِّ والياقوت، فيزيده لَمعانُها وبريقها حسنًا وبهاءً.

كمـا قال ﷺ: «[illegible] تربته أطيب من المسك، وماؤه أحلى من العسل، وأشد بياضًا من الثلج»[1].

في الكوثر طيور أعْناقها كأعناق الجُزُر[2]:

تحوم حول نهر الكوثر، طيور، تزيِّن منظره، وتسلِّي مَن حوله، وهي طيور جميلة المنظر، كبيرة المظهر، عنـق الواحد منها كعنق الجَزُور وهو البعير، كما قال أنس رضي الله عنه:

«سئل رسول الله ﷺ: ما الكوثر؟ قال: [illegible] قال عمر: إن هذه لناعمة! فقال رسول الله ﷺ: [illegible]»[3].

فمـا أجمل الوصف هنـا!، فهي طير عِظـام كأعناق الإبـل، سِمان لذيذة الطعـم، فلمـا قال عمر رضي الله عنه: إنهـا ناعمة أي متنعِّم مـن يأكلها، فأخبره ﷺ أن أَكَلتهـا -وهم جمع آكِل أي الذين يأكلونهـا- أكثر تنعُّمًا منها، فأهل الجنة الذين يأكلونها متنعِّمون حول النهر في خيام اللؤلؤ.

---

(١) رواه أحمد والترمذي وابن ماجه، صحيح.

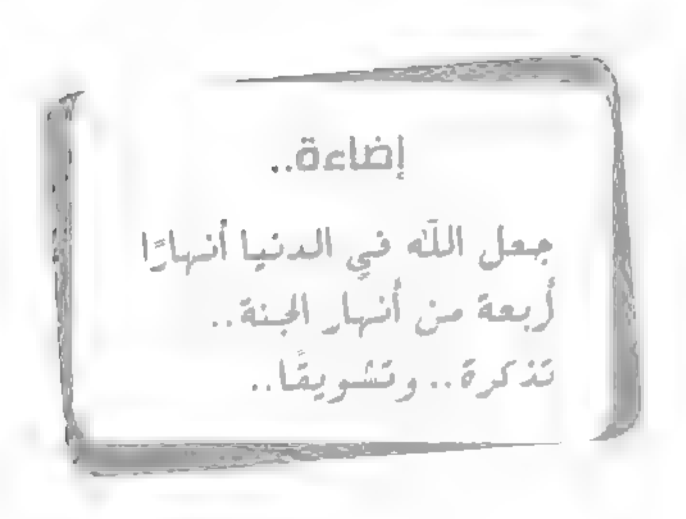
(٢) الجُزُر: جمع جَزُور، وهو البعير الحيوان المعروف، ويسمى أيضًا: الجمل.

(٣) رواه الترمذي، صحيح.

ونهر الكوثر كما أن حوله قِباب اللؤلؤ المُجَوَّف، كذلك حوله خيام اللؤلؤ، زيادة في النعيم.

كمـا قـال ﷺ: « [illegible] [illegible] الكوثر الذي أعطاكه الله »[1].

وهـذا الكوثر يشـرب منه النـبي ﷺ ويتنعَّم، وتتنعم معه أمته، نسـأل الله تعالى أن نلتقي جميعًا على ضِفافِه.. آمين..



(١) رواه البخاري.

آنية الجنة

الأكل والشرب، تزداد لذته وحلاوته، ويعظم الشوق إليه، بنضارة وجمال الآنية التي يوضع فيها، فإذا لذّ الطعام ولذت الآنية، اكتملت الحلاوة والاستمتاع.

- فما هذه الآنية؟
- وما أنواعها؟
- وما مادة خلقها؟

مدخل:

أسماء الآنية في الدنيا والآخرة متشابهة، ففي الدنيا كؤوس وفي الآخرة كؤوس، وفي الدنيا أباريق، وفي الآخرة كذلك، وفي الجنة أطباق للطعام، وفي الجنة كذلك، لكن حقيقة ما في الجنة في مادته، وجَودته، ومُتعته، يختلف عن الدنيا.

آنية الجنة تطوف عليهم:

لا يحتاج المؤمن أن يقوم إلى آنيته، بل هي تأتي إليهم، ويُطاف بها عليهم، قال تعالى: ﴿ يُطَافُ عَلَيْهِم بِصِحَافٍ مِّن ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ ۖ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ ٱلْأَنفُسُ وَتَلَذُّ ٱلْأَعْيُنُ ۖ وَأَنتُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾ [الزخرف: ٧١].

فبعد أن يستقروا في الجنة يطاف عليهم بأوانٍ من ذهب عليها أنواع الطعام، ويطاف عليهم بأكواب للشراب من ذهب، وفي هذه الأواني والأكواب ما تشتهيه الأنفس، وتلذّ به الأعين، فيأكلون ويشربون وينعمون ويتلذّذون،

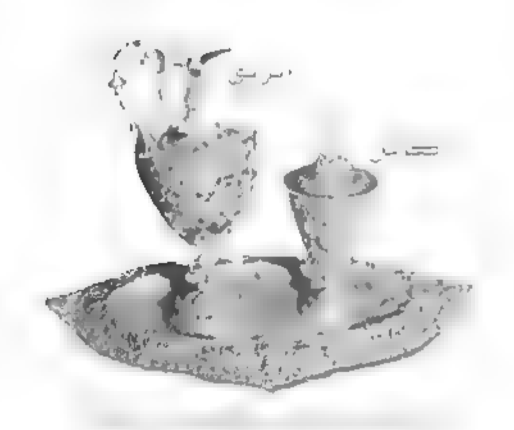
ويقال لهم إكمالا لسرورهم: «أنتم باقون في هذا النعيم لا ينقص عنكم ولا يغيب، وأنتم في الجنة خالدين أبدًا».

فهذه الآنية مع حسنها وجمالها، يُطاف بها عليهم، وهم على أسِرّتهم مكرّمين، وفي بيوتهم آمنين، قال ربنا ﷻ: ﴿وَيُطَافُ عَلَيْهِم بِآنِيَةٍ مِّن فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرَا ۝١٥ قَوَارِيرَا مِن فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا﴾ [الإنسان: ١٥-١٦].

فأهل الجنة يطوف عليهم خَدَم الجنة بأواني الطعام وأكواب الشراب، مِنْ فضة وزجاج.

أنواع آنية الشراب:

جاءت الآيات بأن أهل الجنة يشربون تارة في أكواب، وتارة في أباريق.



والأكواب: هي الكؤوس التي يشرب فيها الماء ونحوه..

والأباريق: جمع إبريق، وهو كالكأس لكن له خُرطوم يُصب من خلاله ما فيه من ماء ونحوه.

نوع الآنية:

آنية الجنة من الذهب والفضة، لذا حرم الله تعالى استعمال آنية الذهب والفضة في الدنيا.. كما قال ﷺ: «لا تلبسوا الحرير، ولا الديباج، ولا تشربوا في آنية الذهب والفضة، ولا تأكلوا في صحافها، فإنها لهم في الدنيا، ولنا في الآخرة».[1]

---

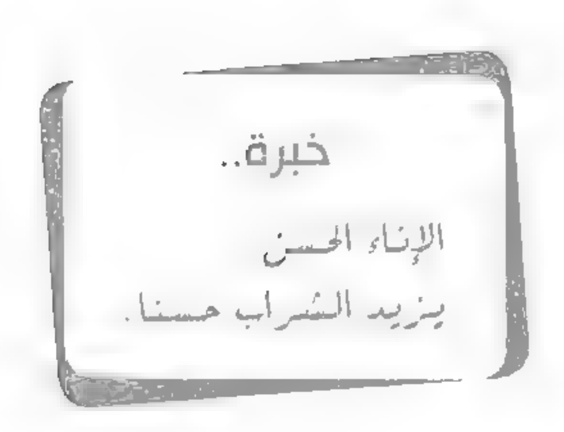
(١) متفق عليه، ومعنى لهم في الدنيا: أي للمشركين العصاة يستعملونها في أكلهم وشربهم في الدنيا. لكن المؤمن لا يستعملها في الدنيا في أكله وشربه، لأن الله حرمها عليه في الدنيا، وأكرمه بها في الآخرة.

وقال ﷺ: «الذي يشرب في إناء الفضة إنما يُجرجر في بطنه نار جهنم»[1].

فهذه آنية أهل الجنة، وطيبها، وجمالها.

- فما هي ثياب أهل الجنة؟
- وما جمالها ولينها؟
- وماذا يلبَسون من حُليّ؟

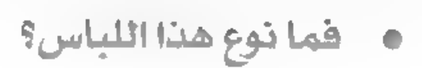
هذا ما سأتحدث عنه في الباب التالي..



(١) متفق عليه.

لباسُ أهل الجنة وحُليّهم

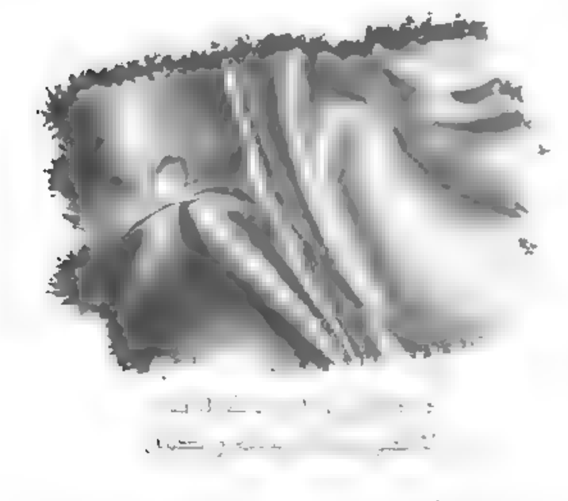
اللباس زينة ودَلال، وستر وجمال، وأجسام أهل الجنة وأَبشارهم في غاية الحسن والجمال، فإذا لبسوا عليها ثيابًا حسنة جميلة، ازدادوا حسنًا وجمالًا..



- فما نوع هذا اللباس؟



- وما حاجتهم إليه؟
- وهل يتفاوتون فيه؟



مدخل:

بين الله تعالى أن ثياب أهل الجنة من أجمل وألين وأحسن الثياب، فقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى مَقَامٍ أَمِينٍ ﴿٥١﴾ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٥٢﴾ يَلْبَسُونَ مِن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَقَٰبِلِينَ﴾ [الدخان: ٥١-٥٣]

فأهل الجنة وهم في حدائق وارِفة الظِّلال، عظيمة الجمال، والأنهار تجري في أرجائها، والطيور تَسرَح في سمائها، وهم في هذا النعيم، يلبسون ثيابًا من سُندُس وهو ألين وأحسن الحرير، وثيابًا من قماش مُزَيَّن بإستَبرَق وهو بريق ولمعان يزيِّن هذه الثياب، وهم في كل ذلك يجلسون في الجنة على سُرُر متقابلين متحابِّين زيادة في الأنس والمتعة، ونعيمهم هذا يزداد ويكتمل دائمًا، لأنهم أمِنوا من أن يَنزِل بهم موت أو مرض، وما أجمل وصف ربنا سبحانه وتعالى لما قال:

﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَٰرُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِّن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ ۚ نِعْمَ ٱلثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا﴾ [الكهف: ٣١]

وقال تعـالى: ﴿ جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴾ فاطر ٣٣.

نوع الثياب:

ثياب أهل الجنة من سُـندُس وإستَبرق وحرير.. وقد كان النبي ﷺ يعلّق قلبه، وقلـوب أصحابه دائمًا بالجنة، ونعيمها، وثيابهـا، فقد أُهدِيَ إلى النبي ﷺ سَـرَقَةٌ من حرير، فجعل الناس يتداولونها بينهم، ويَعجَبون من حسـنها ولينهـا، فقال رسـول الله ﷺ: «أتعجبون منها؟ **قالوا:** نعم يا رسـول الله. **قال:** والذي نفسي بيده لمناديل سعد في الجنة خير منها»[1].

وسعد.. هو سعد بن معاذ رضي الله عنه.. استشهد بعد معركة الخَنْدَق..

ثيابهم لا تَبلى:

ثياب أهل الجنة لا تتأثر بكثرة اللبس.. ولا وتقدم..

قال ﷺ: «من يدخل الجنة ينعم لا يبأس لا تبلى ثيابه ولا يفنى شبابه»[2].

فُرُش الجنة:

إذا لبـس أهل الجنة أجمـل اللباس، وأكلوا ألذ الطعام، وشـربوا أحسـن الشـراب، مـع أمنهم من هجوم المـوت، أو طُروء المرض، وقـد زانت وجوههم، ونعِمت أجسـادهم، مع خدم يخدمون، وحَشَـم يحشُـمون، عندها يشـتاقون لأرائك عليها يتّكئون، وزَرابِيّ عليها يتوسَّدون.

(١) رواه البخاري، ومعنى: سرقة من حرير: جُبَّة من حرير أي رداء أو ثوب.

(٢) رواه مسلم.

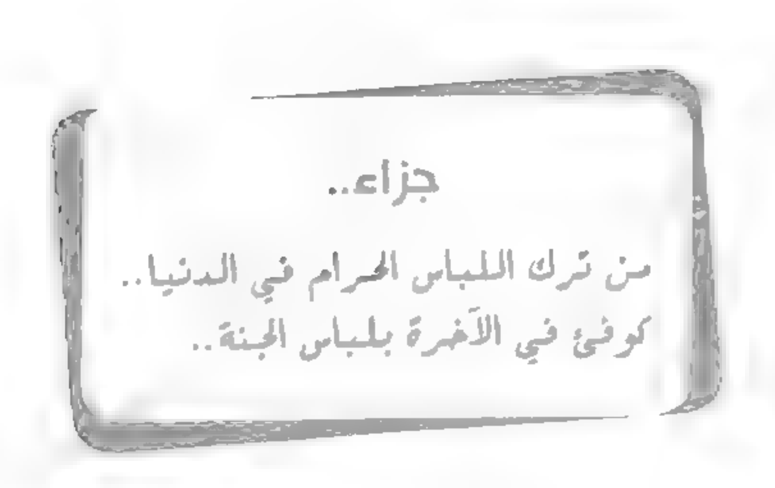
وفرُش الجنة في غاية الجمال، واللين، والراحة، واللطف، لا يَمَلّ مُفتَرِشها، ولا يَسأَم مُلتَحِفها، وهي رفيعة عالية، وثِيرة راقية.

وقد ذكر الله تعالى في كتابه وصفها، وشوق إليها.. فقد قرأ النبي ﷺ قَوْله تعالى ﴿ وَفُرُشٍ مَّرْفُوعَةٍ ﴾ [الواقعة: ٣٤] **فقال:** «ارتفاعها كما بين السماء والأرض ومسيرة ما بينهما خمسمائة عام»[١].

ومن رِقة هذه الفُرُش أن ربنا جل وعلا، أخبرنا عن لين ورقة باطنها، فما بالُك برقّة ولين ظاهرها، كما قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه في قوله عز وجل: ﴿ مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ فُرُشٍۭ بَطَآئِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ وَجَنَى ٱلْجَنَّتَيْنِ دَانٍ ﴾ [الرحمن: ٥٤]، **قال:** «أُخبرتم بالبطائن، فكيف بالظهائر؟»[٢].

والإِسْتَبْرَق هو: حرير ودِيباج رقيق، وأصل الكلمة فارسية معرّبة.

فإذا كانت هذه هي نعومة الباطن، فما بالك بنعومة الظاهر الذي يلمَسه الجسد، وتراه العين.



(١) رواه الترمذي، حسن.

(٢) أخرجه الحاكم في المستدرك، صحيح.

أطفال المؤمنين في الجنة

الموتى من المؤمنين يتفاوتون في أعمارهم عند موتهم، فمنهم من يموت صغيرًا، ومنهم من يموت شابًا، أو شيخًا كبيرًا.

فأما من مات شابًا أو كبيرًا.. فإنه يوم القيامة يحاسب على أعماله..

لكن الصغير الذي لم يبلغ الحُلُم

- كيف يكون حاله في الآخرة؟
- وهل يحاسب على أعماله؟
- أم يُلحق بأبيه وأمه؟



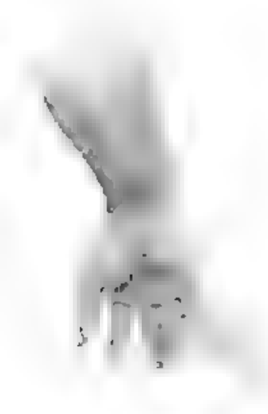
رب العالمين هو أرحم الراحمين، رحمته تسبق عقوبته، وحلمه يغلب غضبه.. والعفو والغُفران أحب إليه من العقوبة والحرمان..

أما أطفال المؤمنين الذين ماتوا ولم يبلغوا الحُلُم فهم في الجنة أيضًا، يمتن الله تعالى عليهم بأن يُلحقهم بأهلهم في الجنة، ليجتمع الأب بأولاده، فتَقَرّ عين الوالد بولده.. والأم بوَلِيدها.. وترتاح نفوسهم، بفضل الله ورحمته.

كما قال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَآ أَلَتْنَٰهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَىْءٍ ۚ كُلُّ ٱمْرِئٍۭ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ ﴾ [الطور: ٢١].

قوله ﴿وَمَآ أَلَتۡنَٰهُم﴾ **أي لا يُنقِص الله تعالى أجور الآباء، فيُنزل درجات الآباء إلى درجة الأبناء، كلا، بل يرفع الأبناء إلى منزلة آبائهم.**

قرأ ابن عمر رضي الله عنه **قوله تعالى:** ﴿كُلُّ نَفۡسِۭ بِمَا كَسَبَتۡ رَهِينَةٌ ۝٣٨ إِلَّآ أَصۡحَٰبَ ٱلۡيَمِينِ﴾ المدثر ٣٨ - ٣٩ **فقال: « هم أطفال المسلمين. لا يُرتَهنون بأعمالهم بل يُلحقهم ربهم بأهلهم »[1].**



وقال ﷺ: « ما من مسلمين يموت لهما ثلاثة أولاد لم يبلغوا الحنث إلا ادخلهم الله وإياهم بفضل رحمته الجنة. يقال لهم: ادخلوا الجنة. فيقولون حتى يجيء أبوانا، حتى يجيء ابوانا، حتى يجيء ابوانا. فيقال لهم: ادخلوا الجنة أنتم وأبواكم »[2].

فما أرحم ربنا بِنا! بل من فضل الله تعالى أنه حتى الجَنِين الذي سقط من بطن أمه، ينفع والديه يوم القيامة.. كما قال ﷺ:

« ما من مسلمين يموت لهما ثلاثة من الولد، إلا أدخل الله والديهما الجنة بفضل رحمته. **قالوا:** واثنين، يا رسول الله؟ **قال:** واثنين. **قالوا:** وواحد يا رسول الله؟ **قال:** وواحد. **ثم حدَّث أن السِّقْط ليَجُرّ أمه بسَرَرِه إلى الجنة »[3].**

والسِّقْط هو الجنين الذي يسقط من بطن أمه ميتًا، قبل ولادته، فيسقط في الشهر الخامس مثلًا أو السادس أو بعدها.. فمن فضل الله تعالى ورحمته بالأم التي حزنت لسقوط جنينها أن يجر أمه بسَرَرِه يسوقها إلى الجنة..

---

(١) أخرجه ابن أبي شَيْبَة في مصنفه، صحيح.

(٢) رواه أحمد، صحيح، ومعنى لم يبلغوا الحنث: أي ماتوا قبل التكليف ولم يبلغوا.

(٣) أخرجه الطبراني في الكبير، صحيح لغيره.

أين أطفال المؤمنين اليوم؟



الجواب: هؤلاء الأطفال اليوم هم في كفالة أبي الأنبياء إبراهيم عليه السلام.. كما قال ﷺ: «ذراري المسلمين في الجنة، يكفلهم إبراهيم عليه السلام»[1].

رحمة..

من رحمة الله بوالدي الطفل الميت.. أن الطفل يشفع لوالديه يوم القيامة.

(١) رواه أحمد، حسن.

أكثر أهل الجنة

أهل الجنة لهم صفات وأعمال دخلوا بسببها إلى الجنة، بعد رحمة الله تعالى وفضله عليهم، وقد ذكر النبي ﷺ نوعًا من الناس هم أكثر أهل الجنة..

- فمَن هؤلاء؟
- ولماذا كانوا أكثر أهل الجنة؟

مدخل:

أكثر من يدخل الجنة هم الضعفاء الذين لا يَأْبَه الناس لهم، ولكنهم عند الله عظماء، لإخباتهم لربهم، وتذَلُّلهم له، وقيامهم بحق العبودية لله.

قال ﷺ: «ألا أخبركم بأهل الجنة؟ كل ضعيفٍ، مُتضَعَّفٍ، لو أقسم على الله لأبَرَّه. ألا أخبركم بأهل النار؟ كل عُتُلٍّ، جَوَّاظٍ، مستكبرٍ»[1].



وقال ﷺ: «قُمت على باب الجنة فكان عامَّة مَن دخلها المساكين، وأصحاب الجَدّ محبوسون، غير أن أصحاب النار قد أُمِر بهم إلى النار»[2].

(١) متفق عليه، ومعنى والضعيف المتضعَف: هو رقيق القلب، ليّن النّفس، المُخبت لله المتكسر بين يديه.
العُتُل: الشديد الجافي الغليظ من الناس، والجوَّاظ: الجمُوع المنوع الذي يجمع المال من اي جهة ويمنع صرفه في سبيل الله، المتكبر: هو الفَظّ الغليظ القاسي المتجبِّر.

(٢) رواه البخاري.

فأصحاب الجَدِّ وهم أصحاب الغنى والمال، محبوسون: أي مؤخرون عن دخول الجنة حتى يكتمل دخول الضعفاء والمساكين قبلهم.

وحتى لا يُظَنّ أن كل أصحاب الغنى في النار، نبّه النبي ﷺ أن هؤلاء الأغنياء المؤمنين سيدخلون الجنة، لأن أهل النار قد أُمِر بهم إلى النار.

وقال ﷺ: «اطلعت في الجنة فرأيت أكثر أهلها الفقراء»[1].

أيهما أكثر في الجنة: الرجال أم النساء؟

مسألة



الجواب: تذاكر الصحابة ذلك في حضرة أبي هريرة رضي الله عنه.. فقال أبو هريرة: أوَلَمْ يقل أبو القاسم ﷺ:

«إن أول زُمرةٍ تدخل الجنة على صورة القمر ليلة البدر، والتي تليها على أضوء كوكب دُرّيٍّ في السماء، لكل امرئ منهم زوجتان اثنتان يُرى مخ سوقهما من وراء اللحم. وما في الجنة أعزب»[2].

فالحديث واضح الدلالة على أن النساء في الجنة أكثر من الرجال، فعدد النساء في الجنة ضعف عدد الرجال، بل أكثر.

وسيأتي بيان أن نعيم النساء الصالحات إذا دخلن الجنة أعظم من نعيم الحور العين.

---

(١) متفق عليه.

(٢) رواه مسلم.

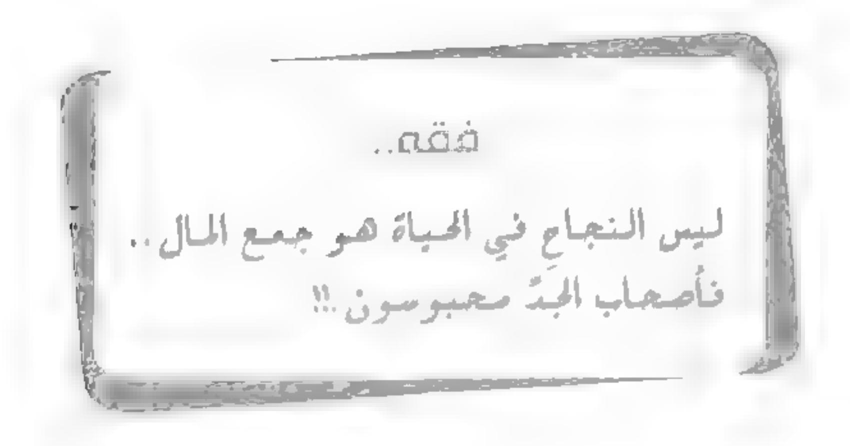
إشكال

كيف نجمع بين ما ذكر هنا أن النساء هن أكثر أهل الجنة، وبين حديث «يا معشر النساء تصدقن فإني رأيتكن أكثر أهل النار»؟

الجواب: أن عدد النساء في الدنيا أصلاً أكثر من عدد الرجال، بمعنى أن عدد خلق الله من النساء أكثر من عددهم من الرجال، وقد جاء في الحديث أنه في آخر الزمان في الدنيا يكون لكل خمسين امرأة قيِّم واحد أي رجل واحد.

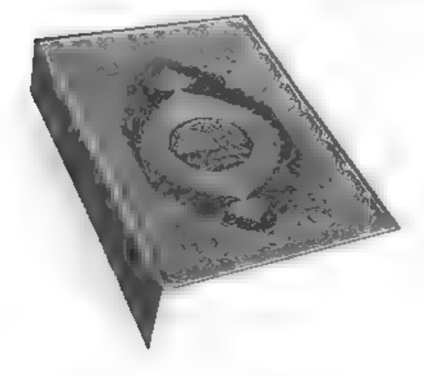
وفي عصرنا اليوم بدأت نِسَب الولادات من البنات تزداد بشكل ملحوظ، حتى صارت نسبة الذكور في بعض البُلدان تصل إلى خمس نساء مقابل رجل واحد، وبذلك تكون النساء أكثر من الرجال وجودًا في البشر، فإذا دخل نصف رجال الدنيا إلى الجنة، ونصف نساء الدنيا أيضًا، فإن عدد النساء سيكون أكثر، لأن النساء في الدنيا أكثر، وكذلك الحال في النار، فلو دخل النار ربع رجال الدنيا، وربع نساء الدنيا، فستكون النساء في النار عددهن أكثر، لأنهن أكثر في الدنيا.

وعلى ذلك، لا يفهم من حديث إن النساء أكثر أهل النار، ذمّ جنس النساء، أو التنقّص منهن.



كم في الجنة من أمة الإسلام؟

الجنة هي مأوى المؤمنين، من جميع الأمم، يشتركون في مُتَعها، ويأنسون بسرورها، وتختلف الأمم في كثرة أعدادها في الجنة.





- فمَن أكثر الأمم في الجنة؟
- وكم قدر أمة الإسلام فيها؟

مدخل:

يدخل الجنة من أمتنا أمة نبينا محمد ﷺ جموع كثيرة، الله أعلم بعددهم. قال ﷺ: «عرضت علي الأمم، فأخذ النبي يمر معه الأمة، والنبي يمر معه النفر، والنبي يمر معه العشرة، والنبي يمر معه الخمسة، والنبي يمر وحده، فنظرت فإذا سواد كثير، قلت: يا جبريل، هؤلاء أمتي؟ قال: لا، ولكن انظر إلى الأفق، فنظرت فإذا سواد كثير، قال: هؤلاء أمتك، وهؤلاء سبعون ألفا قدامهم، لا حساب عليهم ولا عذاب، قلت: ولِمَ؟ قال: كانوا لا يكتوون، ولا يسترقون، ولا يتطيرون، وعلى ربهم يتوكلون»[1].

فهؤلاء لهم صفات، فهم:

لا يكتَوون: أي لا يستعملون الكيّ بالنار، لعلاج الأمراض، وقد كان هذا علاجًا مشهورًا عند العرب، فيُحمون حديدة بالنار ثم يضعونها على الجلد يكْوُونه بها.

ولا يستَرْقون: أي لا يطلبون من غيرهم أن يقرأ عليهم الرقية الشرعية، بل يرقون أنفسهم، أو يصبرون على البلاء إلى أن يأتيهم الشفاء من الله تعالى.

---

(١) رواه البخاري.

ولا يتَطَيَّرون: أي لا يتشاءمون.

فهؤلاء لثقتهم بربهم يتوكلون عليه، ويُنزلون حاجتهم وضعفهم به جل وعلا.

سبقك عُكّاشة:

لما ذكر النبي ﷺ هذه الأوصاف، ومدح السبعين ألفًا الذين يدخلون الجنة بلا حساب ولا عقاب، اشتاق الصحابة إلى أن يكونوا منهم، فقام إليه عكاشة بن مِحْصَن فقال: «ادع الله أن يجعلني منهم. فقال ﷺ: اللهم اجعله منهم. ثم قام إليه رجل آخر، قال: ادع الله أن يجعلني منهم. قال: سبقك بها عكاشة»[1].

ثمانون صَفًّا!

قال ﷺ مبينًا كثرة أمته في الجنة: «أهل الجنة يوم القيامة عشرون ومئة صَفّ، أنتم ثمانون صفا»[2].

وقال ﷺ لأصحابه يومًا: «والذي نفسي بيده، إني لأرجو أن تكونوا ربع أهل الجنة. فكبّر الصحابة فرَحًا واستبشارًا.. فقال: أرجو أن تكونوا ثلث أهل الجنة. فكبّروا. فقال: أرجو أن تكونوا نصف أهل الجنة. فكبّروا. فقال ﷺ ضاربًا المثال على كثرة أمته يوم القيامة مقارنة ببقية الأمم: ما أنتم في الناس إلا كالشعرة السوداء في جلد ثور أبيض، أو كشعرة بيضاء في جلد ثور أسود»[3].

وأخبر ﷺ أنه أكثر الأنبياء أتباعًا مؤمنين مصدِّقين، فقال: «أنا أول شفيع في الجنة، لم يصدق نبي من الأنبياء ما صدقت. وإن من الأنبياء نبيا ما يُصدِّقه من أُمَّته إلا رجل واحد»[4].

---

(١) رواه البخاري.

(٢) أخرجه ابن أبي شَيْبَة في مصنفه، صحيح.

(٣) رواه البخاري.

(٤) رواه مسلم.

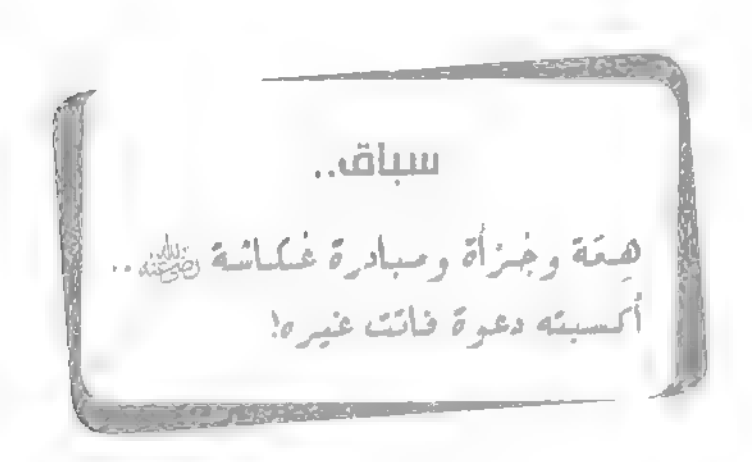
السبب في كثرة أمة نبينا محمد ﷺ:

فائدة

مـدة مُكث النبي ﷺ مع النـاس داعيًا لهم مدة أقصـر مما مَكَثه الأنبياء السابقون عليهم الصلاة والسلام، بل عدد الأمم السابقة أيضًا لا يقال إنه أقل من عدد أمتنا، فقد ذكر الله تعالى أن الأمم السـابقة كانوا أكثر عددًا منا، كما قال تعالى: ﴿كَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ كَانُوٓا۟ أَشَدَّ مِنكُمْ قُوَّةً وَأَكْثَرَ أَمْوَٰلًا وَأَوْلَٰدًا﴾ [التوبة: ٦٩].

لكن السبب – والله أعلم – هو أن معجزة الرسول ﷺ الكبرى كانت قرآنًا ووحيًا يخاطب العقول، ويأسِـر القلوب، ويؤثِّر في النفوس، وهي معجزة باقية محفوظة إلى قيام الساعة.

قـال ﷺ: «مـا من الأنبياء نـبي إلا أُعطي ما مثلـه آمن عليه البشـر، وإنما كان الذي أوتيت وحيًا أوحـاه الله إليّ فأرجو أن أكون أكثرهم تابعا يوم القيامة»[1].



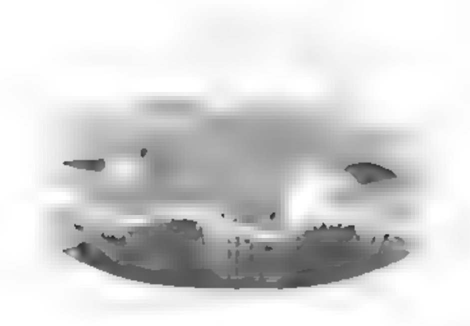
(١) متفق عليه.

خدَم أهل الجنة

أهل الجنة مع رِقّة نعيمهم، ونعومة رقتهم، وتنَعُّم أجسادهم، وترفُّههم، لهم خدم حِسان، تُسرّ العين برؤيتهم، ويفرح الفؤاد بلقائهم.

- فمن يخدم أهل الجنة؟
- وما صفات هؤلاء الخدم؟
- وكم عددهم؟

مدخل:



يمر بأهل الجنة ويطوف عليهم خُدّام غِلْمان حِسان مُعدُّون لخدمتهم، في حسنهم وبهائهم كأنهم لؤلؤ ناصع البياض لم يخرج من أَصْدافه، لم تُصِبْه شمس ولا ريح.

قال تعالى: ﴿ وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ لَّهُمْ كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَّكْنُونٌ ﴾ [الطور: ٢٤].

وقال تعالى: ﴿ وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَّنثُورًا ﴾ [الإنسان: ١٩].

قوله ﴿ وِلْدَانٌ ﴾ أي غلمان يخدمونهم، وهم شباب، وجوههم نَضِرة، كأنهم لحُسن ألوانهم، ونَضْرَة وجوههم، وكثرة انتشارهم، كأنهم اللؤلؤ المنثور، وهم لا يَهْرَمون ولا يَشِيبون، ولا تَتَبدَّل أحوالهم.

قوله ﴿ مُّخَلَّدُونَ ﴾: لا يَهْرَمون ولا يتغيرون ولا يموتون.

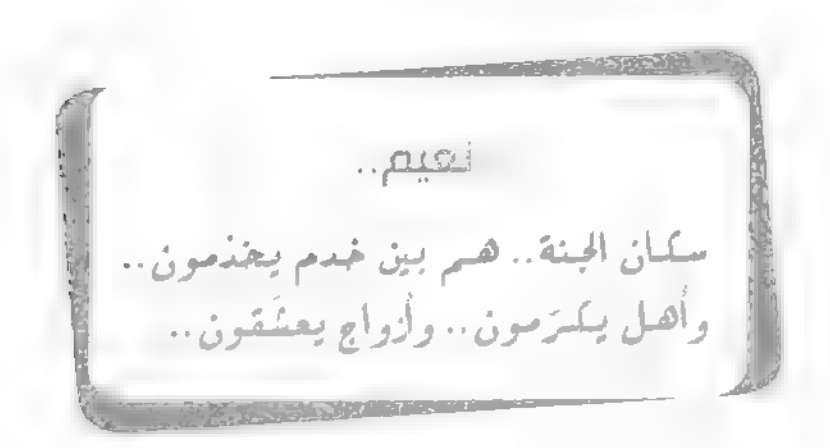
وهؤلاء الخَدَم مخلوقون في الجنة خَدَمًا لأهلها، أنشأهم الله تعالى.

كم عدد خدم الجنة؟

سؤال

الجواب: خدم أهل الجنة كثير، قال عبد الله بن عمرو رضي الله عنه:

«ما من أهل الجنة أحدٌ إلا يسعى عليه ألف خادم، كل غلام على عمل ليس عليه صاحبه»[1].



(١) ذكره ابن المبارك في الزهد والرقائق، وأبو نُعيم في صِفة الجَنة، صحيح.

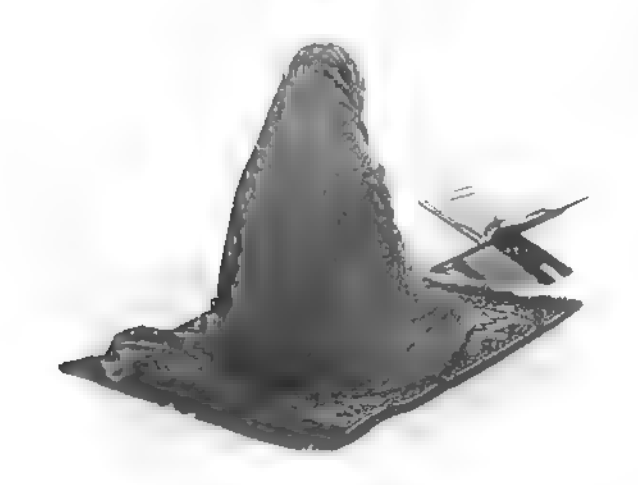
النساء في الجنة

الجنة متعة كاملة للرجال والنساء، كما قال تعالى: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ [illegible]

وقد وصفت الأحاديث جمال رجال أهل الجنة، لتكتمل متعة المؤمنين بأنفسهم وحسن مناظرهم، ولتكتمل متعة زوجاتهم في الجنة بهم.

وكذلك وصفت الأحاديث جمال النساء المؤمنات في الجنة، لتكتمل متعة المؤمنة بنفسها وجمالها، وتكتمل متعة زوجها في الجنة بها.

- فما هي صفات نساء الجنة؟
- وهل تتغير أشكال النساء المؤمنات فيها؟
- وأيهما أعلى درجة في الجنة المرأة المؤمنة من الدنيا أم الحُور العِين؟



مدخل:

وصف الله تعالى نساء الجنة من الحور العين وحسنهن وجمالهن الظاهر والباطن بأوصاف متنوعة، وما من وصف وُصفت به الحُوريّة إلا والمرأة المؤمنة أجمل منه وأبهى.

إذ لا يساوي الله تعالى بين المؤمنة التي تعبت في الدنيا، وصلَّت، وتعبدت، وابتعدت عن الحرام، وصامت النهار، وبكت في الأسحار.. لا يساوي الله بينها في الحسن والجمال والإكرام مع حورِيّة خلقت للجنة، ولم تُكلَّف بعبادة قبلها..

فكل وصف فيما يأتي لحورية فلتعلم المؤمنة أنها أعلى منه وأحلى..

عن أم سَلَمَة زوج النبيّ ﷺ **قالت:** «يا رسول الله، أنساء الدنيا أفضل أم الحُور العين؟ **قال:** نساء الدنيا أفضل من الحور العين، كفضل الظهارة على البطانة[1]. **قالت:** يا رسول الله، وبم ذاك؟ **قال:** بصلاتهن، وصيامهن لله ﷻ، ألبس الله وجوههن النور، وأجسادهن الحرير، بيض الألوان، خضر الثياب، صفر الحُلِيّ، مجامرهن الدُّر، وأمشاطهنّ الذهب، يقلن: ألا نحن الخالدات فلا نموت أبدا، ألا ونحن الناعمات فلا نبأس أبدا، ألا ونحن المُقيمات فلا نظعن أبدا، ألا ونحن الراضيات فلا نسخط أبدا، طوبى لمن كنا له وكان لنا»[2].

ولا شك أن هذا النعيم والحسن والجمال يدفع المرأة المؤمنة في الدنيا للازْدِياد من العمل الصالح، والحرص على الخير والعبادة، والرغبة فيما عند الله تعالى.

وصِفات النساء في الجنة غاية في الحسن والجمال والرِّقة والعفاف.. مع مَلاحَة وتَغَنُّج.. وهنا طرف مما ورد في صفاتهن:

---

(١) الظِّهارة: هي الثوب الظاهر الذي يراه الناس، ويلمسونه، ويكون غالبًا غالي الثمن، جميل المنظر، والبطانة: هو الثوب الداخلي الذي يكون تحته، وهو في الغالب يكون من عامة الثياب، أقل ثمنًا من الظهارة، فنساء الدنيا المؤمنات يُفضّلن على الحور العين كما تفضل الظهارة في حسنها وبهائها، على البطانة.

(٢) أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط، حسن.

١ - نساء الجنة جميلات:

قال تعالى: ﴿ وَزَوَّجْنَٰهُم بِحُورٍ عِينٍ ﴾ [الدخان: ٥٤].

والمؤمن في الجنة يتزوج زوجته الصالحة في الدنيا، فتكون جميلة العَيْنَين، حسنة الملامح، كاملة القَوام، ناعمة الجسم.

والحُور: جمع حَوْراء، وهي المرأة الشابة الحسناء الجميلة التي من شدة جمالها يَحار الناظر من حسنها وبياضها وصفاء لونها.

أما قوله ﴿ بِحُورٍ عِينٍ ﴾ أي واسعة العينين شديدة سواد حَدَقة العين، في شدة بياض بقية العين.

٢ - نساء الجنة في سن الشباب:



وهذا ألذّ وأمتع وأسَرّ لهن، ولأزواجهن، قال تعالى: ﴿ إِنَّآ أَنشَأْنَٰهُنَّ إِنشَآءً ﴿٣٥﴾ فَجَعَلْنَٰهُنَّ أَبْكَارًا ﴿٣٦﴾ عُرُبًا أَتْرَابًا ﴿٣٧﴾ لِّأَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴾ [الواقعة: ٣٥ - ٣٨].

قوله تعالى ﴿ أَنشَأْنَٰهُنَّ إِنشَآءً ﴾ أي:

النساء الآدميات المؤمنات يخلقهنّ الله تعالى غير خلقهنّ الأول، ويُصْبِحن أبكارًا شابّات، ويشهد لذلك ما أخبرت به عائشة رضي الله عنها:

« أن النبي ﷺ أتته امرأة عجوز من الأنصار فقالت: يا رسول الله، ادع الله أن يدخلني الجنة. فقال لها النبي ﷺ مازحا: إن الجنة لا تدخلها عجوز.

فذهبت العجوز حزينة، ظانَّةً أنها لن تدخل الجنة! وذهب النبي ﷺ فصلى ثم رجع إلى عائشة، فقالت عائشة:

لقد لَقِيتُ من كلمتك مشـقَّة وَشِـدَّة. **فقال ﷺ:** «إن ذلك كذلك، إن الله إذا أدخلهن الجنة حوّلهن أبكارًا»[1].

يعـني أنها لـن تدخلها وهـي عجوز بل سـتعود شـابّة في غايـة النَّضارة والحسن والجمال، فلما أخبروا المرأة العجوز بذلك، فرِحت واستبشرت.

٣- لا تَحِيض:

وذلـك لتكتمل متعة نسـاء الجنة وأزواجهن، كما قـال تعالى: ﴿لَّهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ﴾ (البقرة: ٢٥)، أي: مُطَهَّـرات مـن الحَيْض والنِّفـاس، والبول والغائـط، والمُخاط والبُصاق، وكل قـذر وأذى، وهن أيضًا مطهرات من الأخلاق السيئة والصفات الذميمة، ومن الفُحْش والبذاءة.

٤- ترى زوجها أجمل الرجال:

وهـذا من تمـام النعيم للزوجة وزوجها، فهي تملأ عينه حسـنًا كما أنه يملأ عينها حسنًا. قال تعالى: ﴿وَعِندَهُمْ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ عِينٌ﴾ (الصافات: ٤٨).

ومعنى قاصرات: فهي تقصُر نظرها على زوجها، لا تلتفت إلى غيره، ولا ترغب إلا فيه، بل تراه الأجمل والأحسن من الرجال.

٥- جمال أجسامهن:

مع نضارة الوجه وجماله، زاد الله تعالى نساء الجنة جمال الأجسام وتناسُقها، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا ﴿٣١﴾ حَدَآئِقَ وَأَعْنَٰبًا ﴿٣٢﴾ وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا﴾ (النبأ: ٣١-٣٣).

(١) ذكره أبو نُعيم في صفة الجنة، والطبراني في المعجم الأوسط، حسن لغيره.

فهـن كَواعِـب، وكواعـب جمع كاعِـب، وهي المـرأة مكتملة الحسـن والجمال في مواضع جسدها، وهن أَتْراب أي متماثلات الأعمار.

٦- حَسَنة التَّبَعُّل لزوجها:

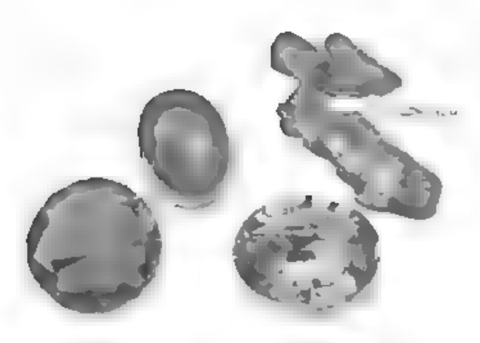
نسـاء الجنـة ملاطفـات لأزواجهـن، لا غِلْظة فيهـن، كما قـال تعالى: ﴿ عُرُبًا أَتْرَابًا ﴾، والمرأة العَروب هي التي تَتَنعَّم لزوجها، وتؤانسه.

٧- نساء أبْكار:

كما في قوله: ﴿ فِيهِنَّ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنٌّ ﴾. أي: لم يطأهن ولم يجامعهن إنس ولا جانّ قبل أزواجهن.

٨- صافيات الجلد كاللؤلؤ:

كما قال تعالى: ﴿ كَأَنَّهُنَّ ٱلْيَاقُوتُ وَٱلْمَرْجَانُ ﴾.


قطع من الياقوت والمرجان

أي في صفـاء الياقوت في بياض المَرجان، لدرجة أن الناظر إليها يرى عَظم ساقها من وراء جلدها.

قـال ﷺ: «أول زمرة تدخل الجنة على صورة القمر ليلة البدر، والذين على آثرهم كأحسن كوكب إضاءة، قلوبهم على قلب رجل واحد، لا اختلاف بينهم ولا تباغض، لكل امرئ منهم زوجتان، كل واحدة منهما يرى مُخّ ساقها من وراء لحمها من الحُسن»[1].

---

(١) متفق عليه.

٩- حسنات الأخلاق:

وصف الله تعالى نساء الجنة بأنهنّ خَيِّرات الصِفات والأخلاق، مع حُسن وجوههن، فقال تعالى: ﴿فِيهِنَّ خَيْرَٰتٌ حِسَانٌ﴾ الرحمن: ٧٠.

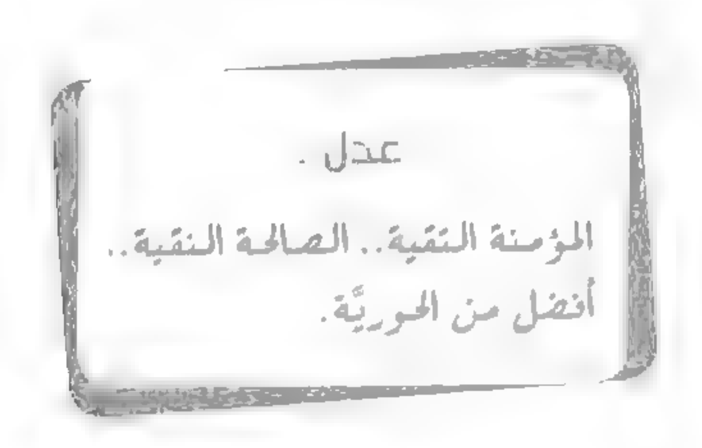
١٠ - في وجوههن نور وصفاء:

وهـذا من تمـام جمالهـن وحُسنـهن، أن الناظر إليها يحسَب من شـدة بياضها، وصفاء جلدها، يرى في وجهها نورًا.

وقال ﷺ: «لو أن امرأة من نساء أهل الجنة اطلعت إلى الأرض، لأضاءت ما بينهما، ولملأت ما بينهما ريحا، ولنصيفها خير من الدنيا وما فيها»[1].

ونَصِيفُها هو خِمارها الذي على رأسها.

وقـال النبي ﷺ في قولـه ﷻ: ﴿كَأَنَّهُنَّ ٱلْيَاقُوتُ وَٱلْمَرْجَانُ﴾ الرحمن: ٥٨: «ينظر إلى وجهه في خدها أصفى من المرآة، وإن أدنى لؤلؤة عليها لتضيء ما بين المشرق والمغرب، وإنها يكون عليها سبعون ثوبًا ينفذها بصره حتى يرى مُخّ ساقها من وراء ذلك»[2].



(١) رواه البخاري.

(٢) أخرجه الحاكم في المستدرك، حسن.

زوجة في الدنيا والآخرة!





زوجة المؤمن في الدنيا إذا كانت صالحة، وكانت مُحبة لزوجها، وهو مُحب لها..

- **فهل تكون زوجته في الجنة؟**
- **وهل تتفاوت الدرجات؟**

مدخل:

زوجة المؤمن في الدنيا، تكون زوجته في الجنة أيضًا، إلا أن الله تعالى يزيد الزوج والزوجة في الآخرة جمالًا في الوجوه، وحسنًا في الأخلاق.

بل من فضل الله ورحمته أنه يرفع درجة الزوجة إلى درجة زوجها، إن كان أعلى منها في الجنة، ويرفع درجة الزوج إلى درجة زوجته، إن كانت أرفع منه.

كما قال تعالى: ﴿جَنَّتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ﴿٢٣﴾ سَلَٰمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى ٱلدَّارِ﴾ [الرعد: ٢٣ - ٢٤].



نِعم عُقبى الدار:

وهي دخول جنات عَدْن، والإقامة فيها خالدين أبدًا، لا يخرجون منها أبدًا، والمُتَع تتجدد لهم في كل حين.

ويجمع الله بين المؤمنين في الجنة وبين أحبابهم من الآباء والأزواج والأبناء الصالحين، لتقر أعينهم بأهليهم؛ وتدخل عليهم الملائكة من كل باب يسلمون عليهم ويهنئونهم بِفوزهم بدخول الجنة.

وتقول لهم الملائكة: سلام عليكم. أي: لكم الأمن الدائم، والسلامة من كل بَليَّة، فلقد صبرتم فانتفعتم بصبركم، واحتملتم المشاقّ والآلام ففُزتم، فما أحسن عاقِبَتكم، وما أعظم جزاءكم.

بل إن العلاقة بين الملائكة والمؤمنين علاقة قديمة، من أيام الدنيا، فقد أخبرنا الله تعالى أن الملائكة الذين يحمِلون العرش ومن حولهم، يدعون للمؤمنين، بالمغفرة ودخول الجنة.

قال تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يَحۡمِلُونَ ٱلۡعَرۡشَ وَمَنۡ حَوۡلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡ وَيُؤۡمِنُونَ بِهِۦ وَيَسۡتَغۡفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَا وَسِعۡتَ كُلَّ شَيۡءٖ رَّحۡمَةٗ وَعِلۡمٗا فَٱغۡفِرۡ لِلَّذِينَ تَابُواْ وَٱتَّبَعُواْ سَبِيلَكَ وَقِهِمۡ عَذَابَ ٱلۡجَحِيمِ ﴾ [غافر: ٧].

أهل الجنة مشغولون:

نعم، أهل الجنة مشغولون باللذات والمُتَع، باستمتاعهم بأزواجهم في الجنة، فهم في شُغُل بهم.

كما قال تعالى: ﴿ إِنَّ أَصۡحَٰبَ ٱلۡجَنَّةِ ٱلۡيَوۡمَ فِي شُغُلٖ فَٰكِهُونَ ٥٥ هُمۡ وَأَزۡوَٰجُهُمۡ فِي ظِلَٰلٍ عَلَى ٱلۡأَرَآئِكِ مُتَّكِـُٔونَ ﴾ [يس: ٥٥ - ٥٦].

وقال تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُواْ مُسۡلِمِينَ ٦٩ ٱدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ أَنتُمۡ وَأَزۡوَٰجُكُمۡ تُحۡبَرُونَ ﴾ [الزخرف: ٦٩ - ٧٠].

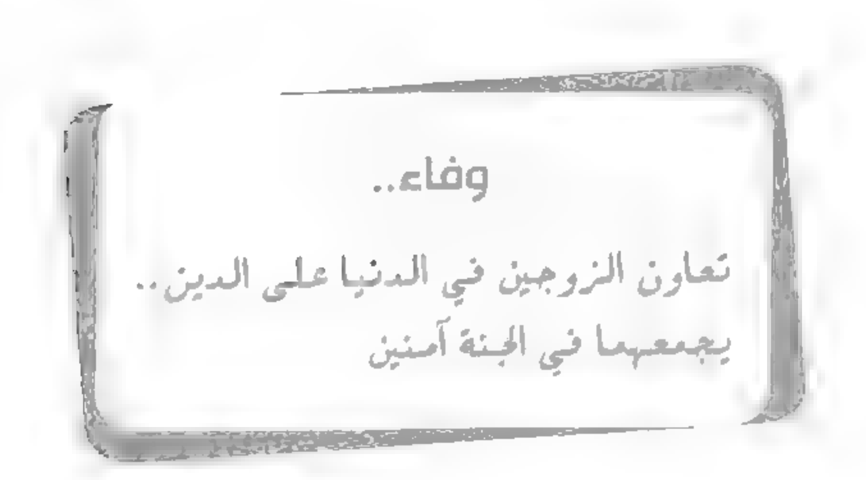
تُحْبَرون: الحُبُور هو الفرح والسرور.

إشكال

ذكرنا أن المرأة في الآخرة تكون في الجنة مع زوجها الذي كان معها في الدنيا، لكن: من كان لها زوجان في الدنيا، ودخلوا جميعاً إلى الجنة، فلمن تكون؟

الجواب: سألت أم حَبيبة، زوجة النبي ﷺ رسول الله ﷺ قالت:

« يا رسول الله، المرأة منا يكون لها في الدنيا زوجان، ثم تموت، فتدخل الجنة هي وزوجاها، لأيهما تكون، للأول، أو للآخير؟ **فقال ﷺ:** تخيّر أحسنهما خلقاً كان معها في الدنيا، فيكون زوجها في الجنة. **ثم قال ﷺ:** يا أم حبيبة، ذهب حسن الخلق بخير الدنيا، وخير الآخرة »[1].



(١) أخرجه عَبد بن حُمَيد، حسن.

سوق الجنة

مُتَـع الجنة وأنواع سـرورها كثيرة متنوعة، فمن طعام وشـراب ولباس وأُنس وسـرور وحُبُور.. ولا يزالـون في كل يوم يرون متعة جديدة، في حياة مديدة. ومن هذه المتع: سوق الجنة.



- فما سُوق الجنة؟
- وماذا يباع فيه؟
- وما أهميته وهم يستمتعون بما شاءوا؟

مدخل:

كلما تنوعت المتع عند المرء صارت عيشـته أمتع وأحلى وألذّ، لذلك يجعل الله تعالى في الجنة سوقًا، لأن بعض الناس يستمتع بالذهاب إلى السوق، ورؤية ما فيه.

جمال سوق الجنة:

سوق الجنة ليس مثل أسواق الدنيا، في متعته، وجماله، ونوع ما يُعرض فيه.

قـال ﷺ: «إن في الجنة لسوقا يأتونها كل جمعة، فتهب ريح الشمال، فتحثو في وجوههم وثيابهم، فيزدادون حسنا وجمالا، فيرجعون إلى أهليهم وقد ازدادوا حسنا وجمالا، فيقول لهم أهلوهم: والله لقد ازددتم بعدنا حسنا وجمالا، فيقولون: وأنتم والله لقد ازددتم بعدنا حسنا وجمالا»[1].

(١) رواه مسلم.

فهذا سوق في الجنة يجتمع فيه أهل الجنة، كما يجتمع الناس في الدنيا في السوق.

وخصّ ريح الجنة بالشمال لأنها ريح المطر عند العرب، فكانت تهب من جهة الشام، وبها يأتي سحاب المطر، وكانوا يرجون السحابة الشمالية الشامية، فتهب عليهم هذه الريح، وتثير المسك الذي على أرض الجنة.

يشتاقون للتسوق:

سوق الجنة فيه من المتعة والحبور ما يجعل أهل الجنة ينتظرونه ويترقبونه.

لقي سعيد بن المسيب، أبا هريرة رضي الله عنه، فقال له أبو هريرة: «أسأل الله أن يجمع بيني وبينك في سوق الجنة. **قال سعيد:** أو فيها سوق؟ **قال:** نعم، أخبرني رسول الله ﷺ أن: أهل الجنة إذا دخلوها نزلوا فيها بفضل أعمالهم، فيؤذن لهم في مقدار يوم الجمعة من أيام الدنيا، فيزورون الله جل وعلا، ويبرز لهم عرشه ويتبدّى لهم في روضة من رياض الجنة، فيوضع لهم منابر من نور، ومنابر من لؤلؤ، ومنابر من ياقوت، ومنابر من زبرجد، ومنابر من ذهب، ومنابر من فضة، ويجلس أدناهم وما فيهم دنيٌّ على كُثبان المسك والكافور[1] ما يرون أن أصحاب الكراسي أفضل منهم مجلساً.

قال أبو هريرة: فقلت: يا رسول الله، وهل نرى ربنا؟ قال: نعم، هل تتمارون[2] في رؤية الشمس والقمر ليلة البدر؟ قلنا: **لا**. قال: كذلك لا تتمارون في رؤية ربكم، ولا يبقى في ذلك المجلس أحد إلا حاضره الله محاضرة، حتى إنه ليقول للرجل منهم: يا فلان، أتذكر يوم عملت كذا وكذا؟ يُذكِّره بعض غدراته في الدنيا[3]، فيقول: يا رب، أفلم تغفر لي؟ فيقول: بلى، فبسعة مغفرتي بلغت منزلتك هذه.

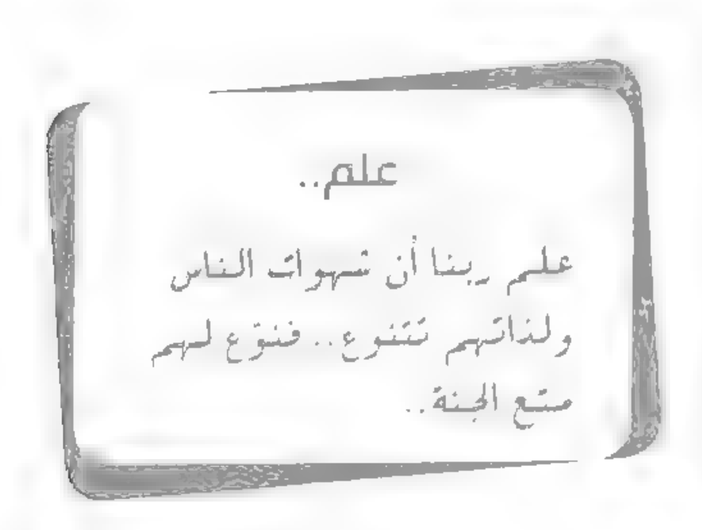
(١) أخرجه عَبد بن حُمَيد، حسن.

(٢) تتمارَون: تشكون.

(٣) يعني خاطبه الله تعالى وكلمه، ويُذكِّره ببعض غَدَراته في الدنيا: أي يذكره ببعض أخطائه وذنوبه التي عملها في الدنيا.

فبينا هم كذلك غشيتهم سحابة من فوقهم [1] فأمطرت عليهم طيبا لم يجدوا مثل ريحه شيئا قط، ثم يقول جل وعلا: قوموا إلى ما أعددت لكم من الكرامة، فخذوا ما اشتهيتم، فنأتي سوقا قد حفت به الملائكة ما لم تنظر العيون إلى مثله، ولم تسمع الآذان، ولم يخطر على القلوب، فيحمل لنا ما اشتهينا ليس يباع فيه شيء ولا يشترى، وفي ذلك السوق **يلقى أهل الجنة بعضهم بعضا.**

فيقبل الرجل ذو المنزلة المرتفعة، فيلقى من هو دونه، وما فيهم دني فيروعه ما يرى عليه من اللباس، فما ينقضي آخر حديثه حتى يتمثل عليه بأحسن منه [2]، وذلك أنه لا ينبغي لأحد أن يحزن فيها، ثم ننصرف إلى منازلنا، فيتلقانا أزواجنا، فيقلن: مرحبا وأهلا بحبنا لقد جئت وإن بك من الجمال والطيب أفضل مما فارقتنا عليه، فيقول: إنا جالسنا اليوم ربنا الجبار ويحقنا أن ننقلب بمثل ما انقلبنا» [3].



(١) غشيتهم: غطّتهم وأصابتهم.

(٢) يتمثل: يُصوَّر عليه ويُلبس.

(٣) رواه ابن حِبّان، حسن. وقوله: ننقلب: الانقلاب: الرجوع أو الإياب. أي يقول أهل الجنة: إنا لقينا الجبار ربنا سبحانه، فيحِق لمن لقي الله تعالى أن يرجع بخير مما ذهب به.

إني كان لي قرِين !

أهـل الجنـة متنوعون في لذاتهـم، وأمانيهـم.. ولهم في الجنة ما تشـتهي أنفسهم، وتلَذّ أبصارهم، ويخطر على قلوبهم..



- فهل يتذكرون الدنيا؟



- وما حال معارفهم من أهل النار؟
- وما أحاديثهم في ذلك؟



مدخل :

لأهل الجنة مجالس يتحدثون بما شاءوا، وربما تحدثوا من أمورهم التي كانت بينهم في الدنيا، ومواقف في أماني بعضهم وسؤاله ربه.

وكذلك هم يتذكرون أهل النار، ويحمدون الله تعالى أن أنجاهم من عذابها..

ولهم في ذلك أخبار، ومن ذلك:

قصة القَرِين وقرينه :

أهل الجنة يتلاقَون ويتـزاورون فيما بينهم، ويتذاكرون ما كان بينهم في الدنيـا، ويتحدثون، ويتآنسـون، ويتسـاءلون عن أشـخاص كانوا معهم في الدنيـا.. ويسـأل بعضهم بعضًا عن أحوالٍ كانت لهـم في الدنيا، وهم على الأرائـك متكئون، وبالمُتَع متنعّمون، حتى تصـل بهم المحادثة والمذاكرة إلى أن يتذكر أحد المؤمنين المنعَّمين رجلًا كان معه في الدنيا، كان ينكر اليوم الآخِـر، ويُقَنِّطه من لقاء الله تعالى، فحدّث هـذا المؤمن أصحابه المؤمنين عن

ذاك الصاحب السيِّئ.. وقد وصف الله تعالى هذا الموقف بقوله جل وعلا: ﴿ فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ ﴿٥٠﴾ قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ ﴿٥١﴾ يَقُولُ أَإِنَّكَ لَمِنَ الْمُصَدِّقِينَ ﴿٥٢﴾ أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَإِنَّا لَمَدِينُونَ ﴾ [الصافات: ٥٠ - ٥٣].

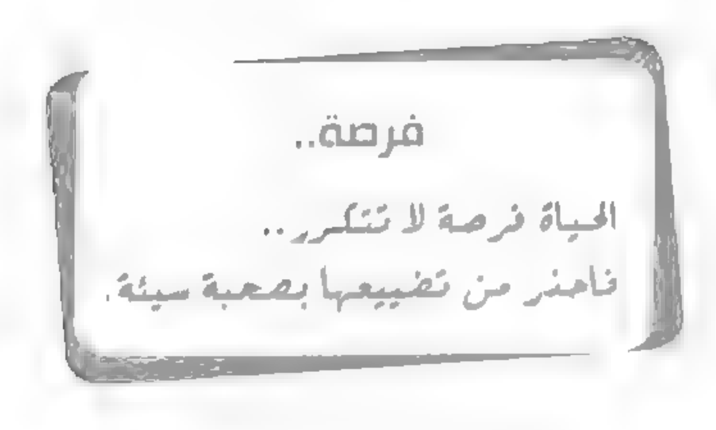
عندها يعلمون أن هذا الرجل ليس معهم في الجنة، فيقترح بعض المؤمنين على بعض أن ينظروا في النار ليروه.. كما قال ربنا سبحانه: ﴿ قَالَ هَلْ أَنتُم مُّطَّلِعُونَ ﴾ [الصافات: ٥٤].

حال قَرينه !!

عندها ينظر هو وأصحابه إلى النار، فيراه يتقلّب في دَرَكاتها، ويحترق بلَظاها، ويصرخ من عذابها، ويستغيث ولا مُغيث.. حوله ثعابين من نار.. وحجارة من جَمر حار.. قال الله: ﴿ فَاطَّلَعَ فَرَآهُ فِي سَوَاءِ الْجَحِيمِ ﴾ [الصافات: ٥٥].

نعم.. رآه في سواء الجحيم.. وقد اسودّ لونه.. وتقطّع جلده.. وعظُم عذابه.. وهذا جزاء من طغى وتولّى.. وتجبر وأبى.. عندها يرقص قلب المؤمن فرحًا.. وتطير نفسه سرورًا.. ويحمد ربه على أنه ما أطاع صاحبه الفاجر في الدنيا.. وما اتّبعه على ضلاله.. ويبدأ المؤمن يلوم صاحبه السابق على ضلاله، ويحمد الله أن حَمَاه من الضلال.. كما قال تعالى: ﴿ قَالَ تَاللَّهِ إِن كِدتَّ لَتُرْدِينِ ﴿٥٦﴾ وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّي لَكُنتُ مِنَ الْمُحْضَرِينَ ﴿٥٧﴾ أَفَمَا نَحْنُ بِمَيِّتِينَ ﴿٥٨﴾ إِلَّا مَوْتَتَنَا الْأُولَىٰ وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴿٥٩﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٦٠﴾ لِمِثْلِ هَٰذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ ﴾ [الصافات: ٥٦ - ٦١].

نعم.. لو أطاعه على كفره وتكذيبه باليوم الآخر لكان مُحضَرًا معه في سواء الجحيم..



رؤية المؤمنين ربهم جل وعلا

رؤيـة الله تعـالى في الآخـرة.. هي الزيـادة الحُسـنى، والنعمـة العظمى.. والغايـة الكبرى.. وكلّ لذة في الجنـة تصغُر إذا قُورِنت بلذة النظر إلى وجه ربنا العظيم جل جلاله.. نسأل الله تعالى أن يمنّ علينا بلذة النظر إلى وجهه..



- فمتى ينظر المؤمنون إلى ربهم؟



- وما الأدلة على الرؤية؟
- وما لذتهم في ذلك؟



مدخل:

بـيّن الله تعـالى أن المؤمنـين الطائعـين، الأتقيـاء المقرّبين، ينظـرون إليه سبحانه، كما قال تعـالى: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: ٢٦]، **والحسـنى هي الجنة، والزيادة: هي النظر إلى وجه ربنا الكريم..**

وقال تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة: ٢٢-٢٣]، **فهي وجوه جميلة ناضرة.. أي تملؤها النَّضارة والصفاء.. وهي إلى ربها ناظرة..**

وقـال ﷺ: «إذا دخـل أهل الجنة الجنة، يقول الله تبـارك وتعالى: تريدون شيئا أزيدكم؟ فيقولون: ألم تُبيّض وجوهنا! ألم تدخلنا الجنة! وتنجنا من النار! فيكشف الحجاب[1]. فما أعطوا شيئا أحب إليهم من النظر إلى ربهم ﷻ. **ثم تلا ﷺ هذه الآية:** ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ۖ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ﴾ [يونس: ٢٦]».[2]

---

(١) أي يكشف ربنا الحجاب عن وجهه الكريم العظيم، فينظر المؤمنون إليه.

(٢) رواه مسلم.

الصحابة يسألون عن رؤية الله:

الصحابة الكرام هم خيار المؤمنين، وقدوة الصالحين، وكان حب الله تعالى يملأ قلوبهم، ويتملَّك نفوسهم، وهم أكمل الأمة إيمانًا، وأصفاها عقيدة، وأكثرها عبادة.

وقد سأل بعض الصحابة رسول الله ﷺ، **قالوا:** «يا رسول الله، هل نرى ربنا يوم القيامة؟ **فقال** ﷺ: هل تضارون في رؤية القمر ليلة البدر[1]. **قالوا:** لا، يا رسول الله. **فقال:** هل تضارون في الشمس ليس دونها سحاب[2]. **قالوا:** لا، يا رسول الله. **قال** فإنكم ترونه كذلك»[3].

أي ترونه جل وعلا رؤية صريحة واضحة، لا تتزاحمون لذلك ولا تتضاغطون.

مسألة



أهل الجنة في نعيمهم وأنسهم ومتاعهم، والنظر لوجه الله تعالى أعظم نعيم الجنة، فمتى ينظرون إلى الله؟

الجواب: قرأ رسول الله ﷺ قوله تعالى: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: ٢٦] **فقال:** «إذا دخل أهل الجنة الجنة، وأهل النار النار، نادى منادٍ: يا أهل الجنة، إن لكم عند الله موعدًا يريد أن ينجزكموه. فيقولون: وما هو؟ ألم يثقل موازيننا؟ ويبيض وجوهنا؟ ويدخلنا الجنة؟ ويجرنا من النار؟ فيكشف لهم الحجاب، فينظرون إلى الله، فما شيء أعطوه هو أحب إليهم من النظر إليه، وهي الزيادة»[4].

(١) أي: هل تَعجزون أن يصيبكم ضرر ومشقة في رؤية القمر وهو بدر أي في منتصف الشهر الهجري، وقد اكتمل القمر فوقكم وصار في غاية الوضوح.

(٢) أي هل تعجزون أو تتضرَّرون في رؤية الشمس واضحة في رابعة النهار؟

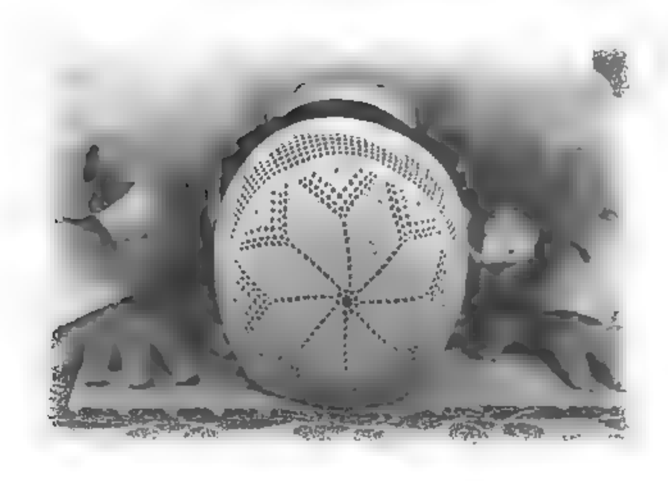
(٣) رواه مسلم.

(٤) أخرجه أحمد والترمذي وابن ماجه، صحيح.

رضوان الله ورؤيته:

يجمع الله تعالى لأهل الجنة ما بين رضوانه عليهم، ونظرهم إليه ﷻ، قال ﷺ: «إن الله تبارك وتعالى يقول لأهل الجنة: يا أهل الجنة؟ فيقولون: لبيك ربنا وسعديك؟ فيقول: هل رضيتم؟ فيقولون: وما لنا لا نرضى وقد أعطيتنا ما لم تعط أحدا من خلقك! فيقول: أنا أعطيكم أفضل من ذلك. قالوا: يا رب، وأي شيء أفضل من ذلك؟! فيقول: أحل عليكم رضواني، فلا أسخط عليكم بعده أبدا»[1].

المصلّون أولى الناس برؤية الله تعالى:



كان رسولنا ﷺ يذكر أصحابه في كل موقف برؤيتهم لربنا تعالى في الآخرة، ويعلِّق قلوبهم بذلك، ويشوِّقهم إليه، ويبين لهم أن من حافظ على صلاتي الفجر والعصر، استحق أن ينظر إلى وجه الله تعالى.

كما قال جَرير رضي الله عنه: «كنا جلوسا عند رسول الله ﷺ، فرفع رأسه إلى السماء ليلة البدر، فنظر إلى القمر، فقال: أما إنكم سترون ربكم عيانا، كما ترون هذا، لا تضامون في رؤيته، فإن استطعتم أن لا تغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس وقبل غروبها، فافعلوا»[2].

أي إن استطعتم أن لا يغلِبكم الشيطان فيفوِّت عليكم صلاة الفجر وصلاة العصر، بنومكم عنها، وتضييعها، فافعلوا.

---

(١) متفق عليه.

(٢) متفق عليه، ومعنى ليلة البدر: أي الليلة الرابعة عشرة من الشهر الهجري، التي يكون فيها القمر مكتملًا، بدرًا تامًا، والصلاتان المقصودتان هما الفجر والعصر.

رؤية الله أعظم نعيم الجنة:

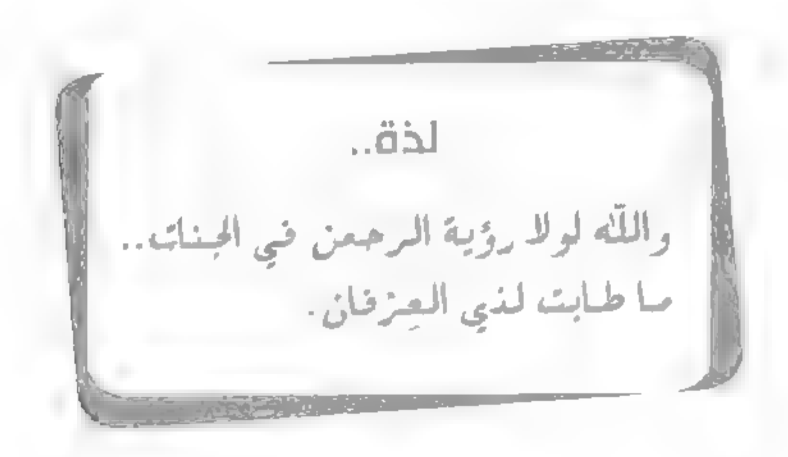
وصف النبي ﷺ بناء الجنة من الذهب والفضة، وحُسنه وبَهاءه، ثم بين أنهم مع هذا النعيم والأنس، يزدادون أُنسًا وفرحًا بالنظر إلى وجه الله تعالى.

قال ﷺ: «جنتان من فضة، آنيتهما وما فيهما. وجنتان من ذهب، آنيتهما وما فيهما. وما بين القوم وبين أن ينظروا إلى ربهم إلا رداء الكبرياء على وجهه في جنة عَدْن»[1].

نسأل الله تعالى أن لا يحرمنا لذة النظر إلى وجهه.. آمين.

أعلاهم منزلة يرى وجه ربنا بالغَداة والعشيّ:

لما كان أهل الجنة يتفاوتون في الدرجات، كان نعيم بعضهم أكثر من بعض، وفي ذلك قال ﷺ: «إن أدنى أهل الجنة منزلة لمن يسير في مُلكه وسُرُره ألف سنة يرى أقصاه كما يرى أدناه، وأرفعهم ينظر إلى ربه بالغداة والعَشيّ»[2].



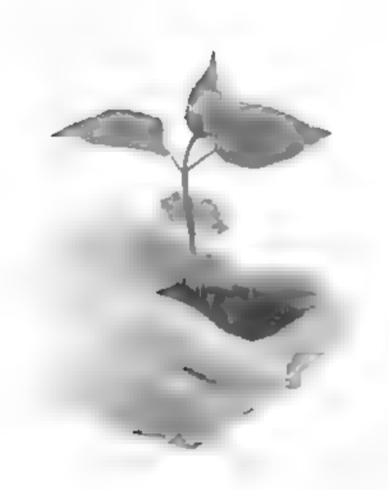
(١) رواه البخاري.

(٢) رواه الترمذي والطبراني، صحيح. ومعنى سُرُره: السُّرُر: جمع سَرير: وهو ما يُجلس عليه أو يضطجع عليه، وأرفعهم: أي أعلاهم منزلة، وأفضلهم مقامًا، هو الذي ينظر إلى وجه الله تعالى في الغداة والعشي، أي في أول اليوم وآخره.

أماني أهل الجنة

في الجنة ما تشتهيه النَّفس وتَلَذّ العين.. ولا يشتهي العبد في الجنة شيئًا إلا حصّله، ولا يخطر على باله شيء إلا حضر بين يديه، وتتعدَّد أمنيات أهل الجنة، وتتنوع متعهم، فمنهم:

رجل يحب الزرع:



الإنسان في الدنيا يتعب نفسه بالزراعة والحرث والعناية، ليعيش من ذلك ويطعم أولاده، فيتحمل التعب والحَرَّ لأجل ذلك.

أما في الجنة، فهو في جنات ونهَر، وزروع ومقام كريم، فلا يحتاج أن يزرع ويحرُث..

لكن رجلًا في الجنة، يشتهي أن يزرع، فما هو خبره؟

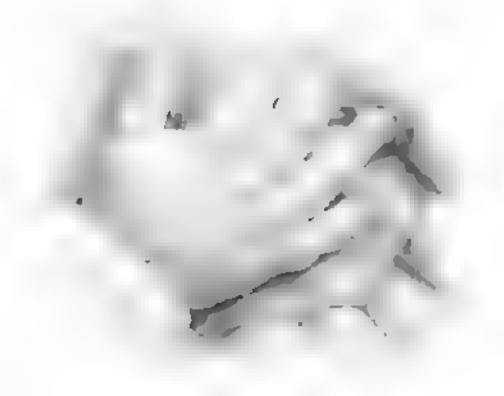
قال أبو هريرة رضي الله عنه: كان رسول الله ﷺ يوما يُحَدِّث أصحابه وفيهم رجل من أهل البادية.. فقال ﷺ: «إن رجلًا من أهل الجنة استأذن ربه في الزرع[1]. فقال له: ألست فيما شئت؟! قال: بلى، ولكني أحب أن أزرع. فبذر، فبادر الطرف نباته واستواؤه واستحصاده، فكان أمثال الجبال[2]. فيقول الله: دونك يا ابن آدم، فإنه لا يُشبعك شيء.

(١) هذا الرجل في الجنة رأى أرض الجنة طيبة، وتربتها جيدة، والماء يجري في أنحائها. فاستأذن ربه أن يزرع، كما كان يزرع في الدنيا.

(٢) أي أذن الله تعالى له بالزرع، فلما ألقى البذر، «بادر الطرف» أي صار نبات الزرع ونموه سريعًا جدًا أسرع من حركة الرمش في العين، فلا يحتاج أن يترقب نموه كل يوم، بل بأقصى سرعة نبت واستوى وحصده في أقل مدة.

فلما سمع الأعرابي الجالس مع الصحابة هذا الخبر، قال: يا رسول الله، والله لا تجده إلا قُرَشِيًّا أو أنصارِيًّا، فإنهم أصحاب زرع، وأما نحن فلسنا بأصحاب زرع[1]. فضحك النبي ﷺ»[2].

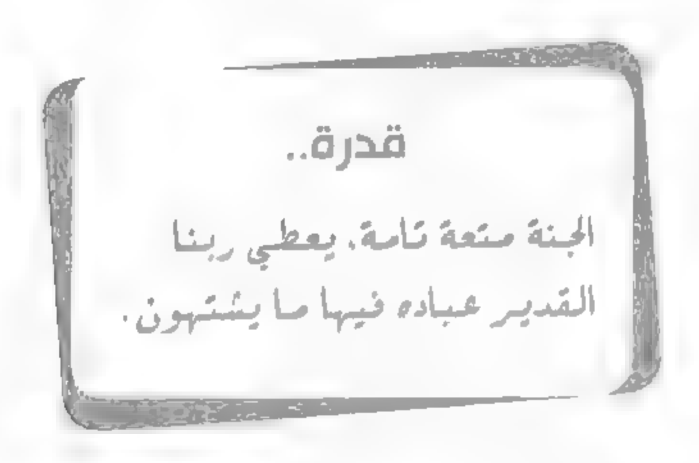
بعضهم يتمنى الولد:



مع أن المؤمن في الجنة، قد ألحق الله تعالى به أولاده المؤمنين، فصارت متعته مع بنيه وزوجه أعظم المتعة، إلا أن المؤمن في الجنة قد يشتاق أن يُولد له ولد!

فيتمنى الولد، فيحقق الله له أمنيته في ساعة واحدة، حيث تحمل امرأته وتضع في ساعة واحدة، فلا آلام حمل، ولا انشغال بترقّب الولادة، ولا ضرر ولا مشقة.

قال ﷺ: «إن المؤمن إذا اشتهى الولد في الجنة كان حملُه ووُضعُه وشبابه، كما يشتهي في ساعة»[3].



(١) يعني أن الأنصار والمهاجرين من سكان المدينة، عملهم أصلًا وتكسبهم هو من الزراعة، أما الأعراب في البادية والصحراء فعملهم في رعي الغنم والإبل.

(٢) رواه البخاري.

(٣) رواه ابن حِبّان، صحيح.

ذبح الموت!!

مما يزيد رغبة أهل الجنة بها، وتلذُّذهم بمُتعها، أن الله تعالى جعلهم فيها خالدين، لا يموتون، ولا يبيدون، ولا يفنَوْن، بل ولا يمرضون، ولا يحزنون.



- فكيف يخلدون فيها؟
- وما حال الموت؟



مدخل:

مما ينغِّص النعيم على العبد، ويقلِّل استمتاعه به، تَذَكُّره بين لحظة وأخرى أن هذا النعيم زائل منه، ومنقطع عنه، وهذا حال نعيم الدنيا مهما عظُم وطاب فهو زائل ذاهب..

أما نعيم الجنة فهو دائم، كما قال تعالى: ﴿ قُلْ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيْرٍ مِّن ذَٰلِكُمْ ۚ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ ۗ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ﴾ [آل عمران: ١٥].

خلود أهل الجنة فيها:

خلودهم فيها بعدم خروجهم منها، أو موتهم، كما قال تعالى: ﴿ أُولَٰئِكَ جَزَاؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ۚ وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ ﴾ [آل عمران: ١٣٦].. نعم والله.. نعم أجر العاملين..

وقال تعالى: ﴿ وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُوا فَفِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ ۖ عَطَاءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ ﴾ [هود: ١٠٨].

وقــال ﷺ: «من يدخل الجنة يحيا فيها فلا يموت، وينعم فيها لا يبأس، لا تبلى ثيابه، ولا يفنى شبابه»[1]

وقــال ﷺ: «ينادي منادٍ: إن لكم أن تصحوا فلا تسقموا أبداً، وإن لكم أن تحيوا فلا تموتوا أبداً، وإن لكم أن تشبوا فلا تهرموا أبداً، وإن لكم أن تنعموا فلا تبتئسوا أبداً، فذلك قوله عز وجل: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ لَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ وَنُودُوا أَن تِلْكُمُ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف: ٤٣]»[2].

ذبح الموت:

الموت يهجِم على الصغير فيقطع عمره، ويهجم على التاجر فيحرمه من تجارتــه، ويهجم على المريض فيُريحه من مرضه، الموت يهجم على الجميع، لا يفــرق بين كبير وصغــير، ولا بين غني وفقير.. فالموت بــاب وكل الناس داخلُــه.. والمــوت ما ذُكر في لذة إلا قلّلها، ولا ذكر في أنس إلا كَدّره.. أما في الجنة فلا موت!!

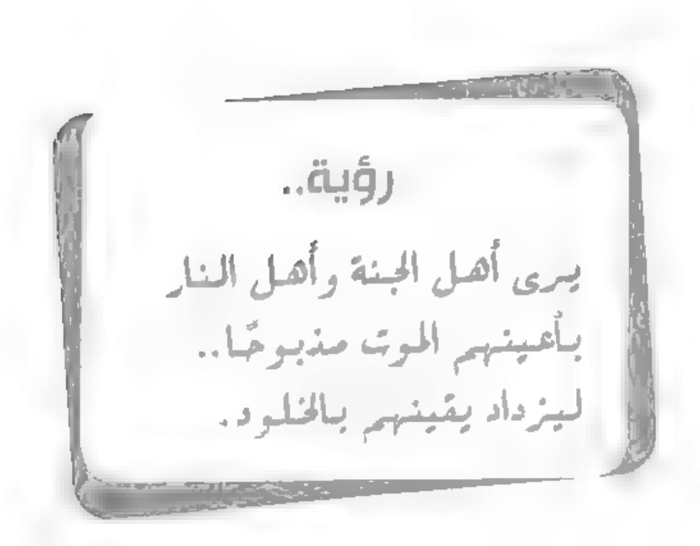


(١) أي لا تفسد ثيابه بطول لبسه لها، ولا ينتهي شبابه بمرور الأوقات عليه، بل ثيابه جديدة عالية، وشبابه باقٍ لا تلحقه كُهُولة ولا شَيخوخة.

(٢) رواه مسلم.

قـال ﷺ: «إذا دخل أهل النار النار، وأدخل أهل الجنة الجنة، يجاء بالموت كأنه كبش أملح. فينادي مناد: يا أهل الجنة، تعرفون هذا؟ فيشرئبون وينظرون، وكل قد رآه، فيقولون: نعم، هذا الموت. ثم ينادي: يا أهل النار، تعرفون هذا؟ فيشرئبون وينظرون[1]، وكلهم قد رآه فيقولون: نعم، هذا الموت. فيؤخذ فيذبح. ثم ينادي: يا أهل الجنة، خلود ولا موت. ويا أهل النار، خلود ولا موت. فذلك قوله: ﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾»[2].

فما أعظم التفاوت هناك بين فرح أهل الجنة وأُنسهم.. ومتعتهم وفرحهم.. وبين حزن أهل النار وبكائهم.. وحسرتهم وعذابهم..



(١) يَشْرَئِبُّون: أي يرفعون رؤوسهم ويمُدُّون أعناقهم لينظروا.

(٢) رواه النسائي، صحيح.

الخاتمة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه أجمعين.. وبعد..

من أسباب السعادة في الدنيا والآخرة إقبال القلب على الله تعالى منكسرًا خاضعًا.. متقرّبًا خاشعًا.. فيُورثه ذلك عبادة وحُبًا لرب العالمين..

﴿ أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْءَاخِرَةَ وَيَرْجُوا۟ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ الزمر ٩

ومما يثبّت الإنسان على ذلك يقينه بالآخرة.. ومعرفته بأمورها وحقائقها..

لذلك ألّفت هذا الكتاب.. وقد حرصت فيه على الالتزام بما ورد في كتاب الله تعالى.. وما صح في سنة رسول الله ﷺ..

ومن أكثر ما أتعبنا أثناء العمل في الكتاب اختيار الصور والتَّصامِيم المناسبة، وذلك أن الكتاب يتحدث عن أمور غيبية، الجنة.. النار.. الصراط.. الميزان.. وهي أمور لم نرها ولا نستطيع أن نجزِم لها بشكل معين أو صورة مُحدَّدة..

وبالتالي حاولنا وضع الصور المناسبة، مع الالتزام بالضوابط الشرعية، وعدم الإخلال بجودة الكتاب ومستواه الإخراجي.. حتى خرج بالصورة التي تراها بين يديك..

فإن ترى عيبًا فسُدَّ الخللا.. جلّ من لا عيب فيه وعَلا..

وألتمس من إخوتي وأخواتي من طلبة العلم الذين أَشْرُفُ باطلاعهم على هذا الكتاب أن يرفقوا بأخيهم.. ويُوافُوني بملاحظاتهم.. والعلم رَحِم بين أهله..

أسأل الله تعالى أن ينفع به.. وأن يجزي كل أخ استفدت منه ملاحظة.. أو نقلت من كتابه معلومة.. خير الجزاء وأوفاه.. آمين..[1]

كتبه/

د. محمد بن عبد الرحمن العريفي

أستاذ العقيدة بجامعة الملك سعود

خطيب جامع البواردي

عضو الاتحاد العالمي لعلماء المسلمين

الرياض ٩ ذو الحجة ١٤٣٢هـ الموافق ٥ نوفمبر ٢٠١١م

Arefe6@gmail.com



(١) لا أنسى كتاب «نعيم الجنة وعذاب النار في القرآن والسنة» من تأليف الأخ الكريم علي بن نايف الشحود، فقد استفدت منه في موضوع الجنة والنار.

فهرس


تم بحمد الله